

حرب الريف لتحرير ومراحل النضال

الجزء الثاني



نشر عبد السلام جوسوس وسوشبريس

فهرس الجزء الثانى

الصفحة

4	تقديم الاستاذ محمد العربى الخطابى
6	شخصية المناضل المغربى خلال المجهود الحربى
10	قتال عنيف على ضفاف الاطلسى
31	الجنرال برينكير فى الاقامة العامة
40	من هنا تبدأ الثورة العارمة
54	اهتبال ابن عبد الكريم لزيارة برينكير
60	محكمة الشعب والقصاص الشرعى
62	عمل فدائى وبطولة نادرة
68	معركة «ادهار ابران»
71	كيفية احتلال الجبل
81	معركة سيدى ابراهيم
87	مثلث الموت (1) اغريين
99	(2) أنوال
105	(3) عرويت أو هضبة القنفذ
108	الناضور ومليلية
114	مصاعب داخلية نجمت عن الانتصار
124	التنظيم الثورى وتذليل المصاعب
131	فرار شراط الى مدينة تطوان
132	تنظيم القيادة العليا للثورة
133	تنظيم القبائل
134	المحاكم
135	تنظيم المخابرات السرية
137	القتلى والغنائم
139	قضية الاسرى
144	معاملة الاسرى

149	عمر سينتو وتهريب الاسرى
151	التنظيمات المالية وفدية الاسرى
153	المصارف
154	ما قيل عن البنك الريفى
155	الاعانة الخارجية
158	ثلاثة رجال من بنى ورياغل فى الجانب الآخر
159	سلاح القتال
166	كمية السلاح : الخفيف
167	(2) الرشاشات
168	(3) المدافع
174	طريقة خروج السلاح ودخوله
175	مخزن البنزين
175	الوسائل الحربية الاخرى : الخيالة
175	(2) الجيش النظامى
178	تنظيم السكان فى الوحدات القتالية
179	الاستعراض الضخم للجيش الريفى
180	تنظيم الصحة
182	تنظيم العدلية
185	الاهتمام بالتعليم
189	الهجوم على جزيرة بادس
190	امحمد الخطابى فى مهمة دبلوماسية
193	توزيع العمل الحربى
199	المناضل امحمد الخطابى مع صورته
201	امحمد الخطابى يقود الجبهة الغربية
201	الجيش النظامى يتحرك
205	انتهاء مهمة برينكير والحالة فى الجبهتين

- 206 برمودى الريفيرا والانسحاب المفجع
207 فى طريق الانتصار الاكبر
209 بريمو دى الريفيرا والريسونى واخريرو
212 انفصال اخريرو عن الريسونى
214 ثورة قبيلة أنجرة على الاسبان
215 معارك على اخدود واد لو
218 معركة باب تازا بينى زجل
219 قائد تلمبوط وثكنات باب عوانة الخ ...
219 قشلة قلعة بنى زجل
219 انتقال امحمد الخطابى الى تلامبوط
220 معركة تغزوت
222 اعلان الانسحاب
223 الانسحاب من الجبهة الغربية
225 المعالم الرئيسية لارضية المعارك
227 قبيلة بنى حزمرو والوقائع الحربية
228 عيون وشلالات ومعامل صناعية
230 المصايف والجبال
232 قبيلة بنى يدر والوقائع الحربية
233 قبيلة بنى حسان والوقائع الحربية
234 المعامل والسدود
235 قبائل الجبال من الوجهة التاريخية
242 وعى نضالى ينبعث بقبائل طنجة
251 الانسحاب الاسبانى
255 محاولة لتخفيف الضغط
256 الانسحاب من وادى لو
258 المعركة الكبرى بحيانة والوطاء الحمراء

- 268 دخول السيد امحمد الخطابي الى شفشاون
- 269 نهاية الريسونى وقبيلة الاخماس السفلية
- 272 بدء المصاعب
- 273 الهجوم على الاخماس السفلية
- 279 النتائج الحتمية للانتصار
- 284 الريسونى والمؤرخون
- 306 الجبهة الشرقية للمرة الثانية
- 309 معركة «الما»
- 311 معركة القندوسى
- 312 معركة تفرسيت وفتح المفاوضات
- 315 حامية تيزى عزة بتمسامان
- 319 معركة ميضار وعبد المالك الجزائرى
- 323 مرزوق بن عمر يروى وقائع بعض المعارك
- 326 الفدائية فى الاسلام
- 331 معركة سيدى احساين
- 330 معركة سيدى مسعود
- 338 صراع مع الجيش الافرنسى
- 340 مشكلة أعقد من ذنب الضب
- 343 مهمة غابريلى الاستخبارية
- 345 بدء المعارك على ورغة
- 347 اجتماع المجلس الحربى الثورى وقراراته
- 351 وضعية الجيش الافرنسى على ورغة
- 358 وضعية المجاهدين فى جبهة ورغة
- 362 معركة بنى برابر
- 362 معارك غربى بنى زروال
- 363 شعيب أفلاح يروى سير الاحداث

367

معركة حامية أزبار امشيط

368

حامية توماطا

369

معركة عين معطوف وشراقة

370

معركة بيبان

372

معارك شرقى بنى زروال

374

انتقال امحمد الخطابي الى عين مديونة

377

معركة تاونات وحصن بنى دركون

391

انضمام قبائل شمالى تازا الى الثورة

392

ثورة قبيلة البرانص على الجيش الافرنسى

396

معارك على منطقة وزان

406

غزو الحسيمة

408

الاتفاق الافرنسى الاسبانى

414

المخطط الجهنى

415

تدابير الامير ضد المخطط

420

النزول بالحسيمة

430

معركة اجداين

432

اللجوء الى الاعمال الفدائية

433

احتلال عين عمارة والرأس القديم

436

الاستيلاء على جبل السلوم

442

مفاوضة أخيرة للصلح

448

الهجوم الاسبانى العام

450

معركة بوصالح

451

ابن عبد الكريم يستسلم

451

وضعية الجيش الافرنسى

464

قريتي تروى قصة السلم ؟

467

رهائن من الولدان

الصفحة	
476	صمت رهيب بقدر الصوت المرعب
483	الرحلة الطويلة
483	العمل الوطني لاطلاق سراحه
485	مناضل على مستوى المغرب العربي
489	الاستعمار يضرب أخماسا في أسداس
491	استئناف النضال
494	مكافأة محمد الخامس للبطل المغربي
496	لعنة المخابرات تلاحق غابراييلي
499	الابطال الثلاثة في ذمة التاريخ
503	تقدير واكبار

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

خصني الاستاذ البحاث الصديق السيد الحاج احمد البوعياشي بفضل تقديم كتابه الجديد «الحرب الريف التحريرية ومراحل النضال» فلم أتربد في ذلك بسبب حرصى على التوثيق بما يهل يكشف عن جانب من جوانب تاريخنا، ولما اعلمه من فقر الخزانة المغربية في مادة التاريخ الحديث لبلادنا.

لقد اكب الاستاذ البوعياشي على دراسة تاريخ الريف منذ زمن طويل، فنشر فيما نشر رسالة في موضوع «الريف بعد الفتح الاسلامي»، ولم يغفل يواصل البحث والتنقيب في المراجع الخطية والمطبوعة، ويجمع المواد من مصادرها الحية، ويمحص ما وقف عليه منها مستنبط الحقائق والوقائع حتى تمكن بحول الله من اخراج كتابه الجديد في جزئين ضمنهما خلاصة جهده وحصيلة ابحاثه غير مقتصر في ذلك على جمع المعلومات وترتيبها وسرد الوقائع وتبويبها بل انه سلك منهج البحث العلمى ما استطاع الى ذلك سبيلا بما الزمه به نفسه من تمحيض المواد التى وقعت بين يديه ومقارنة المراجع والروايات التاريخية ونقدها لاستنباط الصحيح منها .

واذا كان المؤلف قد قصد الى كشف حقيقة الحرب التحريرية التى قادها الزعيم المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي رحمه الله ضد الاحتلال الاجنبى معرفا بهذا البطل وبأسرته ومستقصيا ظروف تلك الحرب ومقاصدها وابعادها وموضحا لكثير من جوانبها العسكرية والسياسية دون اغفال لطبيعة المجتمع الريفى وبلائه فى سبيل استقلال المغرب وكرامته، فان الاستاذ البوعياشي قد اعطانا فى كتابه معلومات وافية عن تاريخ ذلك الجزء من الوطن الكبير الذى يطلق عليه اسم الريف، فابان عما كان له من اسهام محمود فى الحضارة وحفظ القيم الخلقية والروحية المثلى لوطننا، والدود عن وحدة بلادنا وسيادتها وعزة بنينا .

وقد ربط المؤلف فى ذلك بين الماضى والحاضر فعرف خير تعريف بالريف عبر التاريخ كاشفا النقاب عن اصول قبائله وطبيعة سكانه ومراكز

حضرته في النكور وبادس والمزعة وغيرها مع ذكر من انجبه تلك الديار
او حل من امراء وعلماء وصلحاء وقادة .

ثم تناول المؤلف بالبحث المراكز المغربية المحتلة (سبتة ومليلية
وجزر بادس والنكور وملوية والصحراء) مبرزاً بذلك وحدة النضال
الوطني من أجل الاستقلال والمحافظة على تمام الرقعة الوطنية والنحاح
سكانها .

ولا ريب ان الاستاذ البوعياشي قد حقق بهذا العمل الجليل
امنية طالما راوت عديدا من المهتمين بدراسة تاريخ المغرب الا وهي
توفير مصادر البحث التي لا بد منها لاعادة كتابة تاريخ المغرب العام وفق
منهاج سليم يبرز بموضوعية وتجرد وحدة الشعب المغربي التي تكاملت
بافتح الاسلامي وتوطدت بالرسالة المحمدية ورسخت بفضل الثقافة
الاسلامية العربية .

وقد كان الريف قلعة حصينة من قلاع الدفاع عن تلك الوحدة
ساهم ابناءؤه البررة مساهمة كبيرة في الحفاظ على الشخصية المغربية، كما
ساهم اخوانهم في سوس والصحراء ومعقل الاطلس والسهول الغربية
والثغور الشرقية والمدن التاريخية المجيدة .

لقد بذل الاستاذ البوعياشي مجهودا حميدا يستحق التثويه
والتقدير وقد وصفه هو نفسه بأنه عمل متواضع، الا ان الاعمال التي
يعتبرها صانعوها متواضعة هي التي تزكو وتعطي خير الثمرات لما
تتصف به من حسن القصد وصدق الجهد .

واذا كنا نعلم ان تاريخ المغرب لم يكتب لحد الآن كتابة تحيط
بجميع جوانبه وتبرز على الخصوص نضال الانسان وعبقريته الشعب
ومراحل حياته الروحية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية،
فاننا ندرك قيمة المجهود الذي بذله الاستاذ البوعياشي، فكان من ثمراته
هذا الكتاب الذي اقدمه مسرورا للقراء سائلا الله ان يجعله عملا نافعا
وان يحفز به همم ذوى الدراية والعلم حتى يصح عزمهم وتتضافر جهودهم
على اخراج تاريخ المغرب العام في حلة علمية رفيعة تعرف ابناء الجيل
الحاضر والاجيال اللاحقة بامجاد بلادهم وبطولات ابنائها وبلانهم الكبير
في سبيل الحفاظ على وحدة الوطن واستقلاله وعزته تحت راية القيم
المتلى .

محمد " سي الخطابي

الرباط 25 شعبان 1395

3 ستمبر 1975

كلمة

شخصية المناضل المغربي خلال المجهود الحربى والتنظيمات القتالية

فى الجزء الاول أتينا على ملابسات البيئة، التى كونت أولئك الرعيل من المجاهدين، فى مراحل النضال المديدة، طيلة الاحقاب التى تصعدت فيها أطماع الاجانب، لتمزيق وحدة الوطن، والعبث بمقدساته السامية، وغمط سيادته الوطنية .

وهنا فى هذا الجزء، نقتحم من خلال فصوله، ميادين الملاحم المتابعة، التى اندلعت على شواطئ الابيض المتوسط، الى حوض ورغة شمال فاس وتازا، وعلى ضفاف المحيط الاطلسى، وكما سبق أن قلنا فى الجزء الاول أن تسمية الكتاب «بحرب الريف» انما ذلك لأنها جرت على أرضية سلسلة جبال الريف، وهو الاسم الذى عرفت به تلك الحرب لدى الدوائر الوطنية والعالمية .

ونود من القارئ الكريم أن يصحبنا ليقطع معنا فى هذا الجزء، مراحل تلك المعارك، واحدة تلو أخرى، حسب التسلسل التاريخى، ونضمن له أن يستمتع ببطولات، أحييت أمجاد المغاربة الاقحاح، المعتزين بشخصيتهم، واسلامهم، ووطنيتهم .

ومن خلال تلك الفصول تبدو كفاءة المناضل المغربى، فى التنظيمات القتالية، لحركة استقطاب المجاهدين الاشواش، الذين وجدوا فيها خالتهم المنشودة، يوم عزت كفاءة القيادة، لصيانة الامجاد المتوارثة. أسوة باخوانهم مجاهدى الاطلس المغربية، وببدااء الصحارى الشاسعة، لان الجميع لم تخب لهم شعلة النفاذ الا ان استنفذوا طاقاتهم القتالية، تحت وطأة جهاد الاستعمار فى حروب صليبية، كان المغرب فيها آخر من ناب على أمره، ضمن مآسى العالم الاسلامى، الذى رزى بمرطانه الفتاك .

إلا أن الله رحيم بعباده المؤمنين، فقد دارت الدائرة عليه،
ونفى العالم من دائه الويل، وجهله المستظير، فاستكشفت العمة، وعناد
المغرب لينابيع مسيرته، وعادت أمجاده تسير حثيفه إلى عد أولاد، والتي
ما قدر له من المجد والعظمة، ضمن المجموعة البشرية، بفعل مؤهلات
جعلته في حلبة السباق مع الزمن، لكسب الرهان .

وما هذه المؤهلات إلا ما حباه الله به، من القيادة الرائدة الحكيمة
ذات المردود التاريخي، التي تقوده في كل المجالات التي سخرها الله
لنشره، والتي أتت نتيجة العقل المبتكر، والعزيمة الفولاذية التي لا تليق
والتي تغعم القلب الكبير، تلك هي الموهبة الإلهية المتحسمة في شخص
أمير المؤمنين، جلالة الحسن الثاني، العاهل المغربي الكريم الذي يقوده
بالشعور الكامل، بالامانة العظمى، تلك الامانة التي ورثها ارثا تالدا عن
أسلافه المقدسين، الذين استماتوا لحفظ الامانة، في مزايا السيادة.
ومراسيم العظمة، وغرس الاباء، والشمم في هذه الامة، التي أسلست
قيادها لهذا العرش العلوي، عن الايمان الراسخ بأنها محفوظة بحفظه
وان الشعب المغربي يفاخر في هذا العصر بأنه يرعاه قائد
متطور تطور العصر الحديث الذي يسير به تحت لوائه كتلة واحدة
مترامية، متقدما بتعقل وتبصر الى ما قدر له من الرقي، ومسايرة
الركب العالمي .

كما أنه يفاخر أيضا بالامجاد التي خلفها له أجداده في معارك
أنوال التي تعني سلسلة من المعارك، تبتدىء من الجيوب التي
تفرعت عن مركز أنوال، أمامه وخلفه، ابتداء من «ادهار ابران»
واغريين، وسيدي ادريس، الى اعرويت، والناصور، وما بين ذلك من
الحاميات، المنبثة هنا وهناك على مساحة تقدر بنحو ستة آلاف كلم مربع.
وقد كانت سرعة ابادتها مثار الدهشة ودواعي الاعجاب، وصفت

مع أمجاد المغرب التاريخية ، التي التحم فيها الشعب بالعرش .
وهذا هو المفهوم الصحيح، الذي تقتضيه الاعراف الاسلامية، التي
سار ويسير عليه المغرب المسلم في تاريخه الطويل، لان ارتباط الشعب
بأمراء المؤمنين بالبيعة، تفرض عليه (الشعب) أن يقوم بما كان يقوم به

أمير المؤمنين، عندما يكون هناك عائق قسرى يعوقه عن القيام بالدفاع عن حوزة الوطن .

وإذا كانت حرب الريف من هذا النوع، فلان ظروف بسط الحماية الافرنسية، على المنطقة التي يتواجد فيها سلطان المغرب اذ ذاك، والذي فرضت عليه فرضا استعماريًا بالقوة العسكرية، وسلبته حق الاتصال بشعبه المبايع له، المكافح في الشمال والجنوب والاطلس، فان تلك الحرب تعتبر احدى المهام الواجب على شعب الشمال أن يقوم بها، وقد قام بها دفاعا عن حوزة الوطن، ولا يعتبر العرش المغربي غائبا عنها، أو كانت تلك الحرب على هامش العرش، ما دام التحام الشعب بالعرش تشده البيعة التي في عنقه كواجب اسلامي ووطني، وإذا لم يقيم بذلك، فانه يكون قد خان عهد البيعة .

ومن هذا المفهوم التاريخي الاسلامي، فان ملاحم أنوال تعتبر غرة في أمجاد عهد العرش العلوي، كما كانت ملحمة زلاقة في غرة أمجاد العهد المرابطي، وملحمة الاراك في غرة أمجاد العهد الموحيدي، وملحمة وادي الماخزن غرة في أمجاد للعهد السعدي .

ولا يمكن الفصل بين ما ياتيهِ المبايع بفتح الياء وبين ما ياتيهِ المبايع بكسر ها نيابة عنه، في جهة من الجهات، في هذا السبيل وكل ما يمكن أن يقال عكس ذلك، فهو من الحرب الاستعمارية النفسية، لتشتيت ذلك الالتحام المقدس .

ولمعرفة ضرواة القتال الذي جرى في تلك المعارك، ولأجل تصحيح مفهوم معركة أنوال التي يتبادر الى الذهن أن تلك المعركة هي قاصرة على مركز قيادة الجيش الاسباني بأنوال منفصلة عن الحاميات المنبثقة عنه اماما وخلفا ويمينا وشمالا مع أنها جميعها كانت ملحمة واحدة جاءت الانتصارات فيها للمجاهدين متتابعة الى أسوار مليلية، فاننا نتابع ذلك بتفصيل وتدقيق . بعد تفصيل معارك الجبال قبل 1921 .

المؤلف

18 شوال عام 1395

23 اكتوبر سنة 1975

قتال عنيف على ضفاف الأطلسي

قبل سنة 1920

الريسوني - سلفستري

لنترك مؤقتا الصراع في الريف الذي وصل الى تجميد التحركات العسكرية، والاحتفاظ بالمواقع التي أحرز العدو عليها في تفرسيت وميضار وسيدي احساين بأمر من حكومة مدريد الجديدة، تخفيفا من باهض النفقات العسكرية، التي تتحملها اسبانيا في ميزانيتها العامة .

وبالاحص فان الشعب الاسباني اصبح في غليان بسبب حرب افريقيا، التي استنزفت القوة المادية والبشرية أو كادت، في حين أن مردود هذه الحرب القذرة، لا يوازي تلك النفقات التي قدرت في 67 مليون بسيطة سنويا، لنعود الى تلك الجهة عندما تعود الاحداث من جديد على مسرح المعارك انطلاقا من معركة (أدهار أبران)، وننتقل الى الجهة الغربية، التي تمتد من سبتة الى القصر الكبير، حيث تضم القبائل التالية :

حوز تطوان، أنجرة، بنى حزمارة، بنى سعيد، بنى زجل، بنى حسان، الاخماس السفلية، بنى يدر، ودراس، بنى مصور، جبل حبيب، بنى عروس، فحص طنجة، الغربية، بنى كرفط، سماتة، الخلوطة، أهل سريف، بنى يسف، بنى زكار .

في خضم هذه الاحداث التي جرت في الريف، كان على ثواطيء الاطلسي، وتخوم جبل طارق تحركات أخرى للجيش الغازية، ففي غضون سنة 1911 نزل هناك ضابط الفرسان فرنانديس سلفستري، ذي الشارب الكثيف، والافكار الارتجالية، على ثواطيء مدينة العرائش واحتلها بتاريخ 8-6-1911، كما احتل القصر الكبير بتاريخ 10-9-1911 . وفي فبراير سنة 1913، تقدم «الجنرال افرو»، على رأس جيش آخر من سبتة، واحتل مدينة تطوان، التي جعلت من ذلك التاريخ

عاصمة منطقة الشمال، التي وضع على رأسها خليفة للسلطان وهو مولاي المهدي بن اسماعيل، أحد أبناء عم السلطان، وكان استقدامه من فاس حيث كان خليفة لمولاي عبد العزيز، استقدم عن طريق الدار البيضاء على ظهر الباخرة الاسبانية «كاتالونيا» محروسة ببواخر ثلاثة الى أن نزل بمرتيل بتاريخ 27 ابريل 1913 حيث نصب خليفة في تطوان، بعدما كان العقيد سلفستري جعل مقام الخليفة السلطاني موضع المساومة أمام المغامر المغربي مولاي احمد الريسوني، متزعم قبائل الجبال في ذلك التاريخ

ذلك أن ضابط الفرسان بعدما احتل مدينة العرائش تسابق مع الزمان لكسب المجد العسكري فاحتل مدينة القصر الكبير وهدد باحتلال مدينة أصيلا، التي كانت مركز الزعامة الريسوني .

وفي بادئ الامر بدا له أن يفتح تلك القبائل المناضلة بالاساليب الاستعمارية المتتوية والتي تنطوي على الحيل والخديعة، فربط اتصالا وديا مع الشريف الريسوني، ممنيا له بأن تضعه اسبانيا خليفة للسلطان على منطقة النفوذ الاسباني، وأنه حينما يكون كذلك يستبد باعمال المنطقة تحت حماية اسبانية، التي تمد له يد العون، وتزوده بما يلزم، لتقوية مركزه، الذي يصبح مركزا شرعيا وقانونيا، وقد تلقى الشريف الريسوني ذلك بادئ ذي بدء بأذان صاغية، وتبادل مع سلفستري الهدايا الودية حيث تقبل الهدايا التي قدمها هذا بترحاب، وكانت الامور تسير على ما يرام، ولكن كان يتحتم على كل من الصديقين المختلفين أن يكون احدهما على حذر من الآخر، فضايط الفرسان عندما يعمد لقتل شارب، يكون قد ارتجل فكرة، سرعان ما يعمد الى تنفيذها بنفس الارتجال، وهكذا مهد لمقابلة الريسوني في أصيلا، وتلاقيا فعلا بتاريخ 19 اكتوبر 1911، واثرت هذه المقابلة التي كانت تنطوي على اغراء الريسوني بالوعود، وظن أن وعوده تكفي لان يتقدم بجيوشه الى اخضاع قبائل الجبال، وعلى الاقل ان يتقدم ولو لمسافة محدودة عجا لعود صديقه الخطير .

أما من جانب الريسوني فان احتلال القبائل الجبلية التي تعتبر

تحت نفوذه المباشر، وتأتّمر بأمره ولو بصفة مترعّم لا يكون مقبولا،
لديه، الا بعد تنفيذ الشرط المتفق عليه، الذى يفتح أمامه مجال التسلسل
بصورة شرعية، ولذا فانه أبى عليه أن يخطو أية خطوة الى الامام، وقد
تبين لسلفستري، أنه ما دام الوضع الى هذه الدرجة من التعقيد، فان
الاحتلال السلمى لقبائل الجبال أصبح أمرا عسيرا، وبالتالي يحرمه من
كسب الامجاد العسكرية التى قطع عليها عهدا لحكام مدريد اذ بدا له
أن الامر من السهولة بحيث يصمد بالحيل أمام أولئك الاغرار الذين لم
يعرفوا وضع شارة القيادة يوما ما على أكتافهم، - حسب رأيه - ولذا
جد جده فى استصدار قرار الحكومة الاسبانية، بتعيين الشريف الريسونى
خليفة للسلطان بالشمال، وقد بعث بالاقترح رأسا الى ملك اسبانيا، الذى
احال بدوره التقرير الى الحكومة، ولم يخل فى التقرير المرفوع الى مدريد
عن مزايا هذا الاقتراح، لا بالنسبة لشخصية المقترح، ولكن للفوائد
التي تجنيها اسبانيا من اسكات صوت مغامر خطير فى قبائل كلها تعد
على وتيرته فى ميدان المغامرة.

الا أن حكومة مدريد التى ارتبطت باتفاقيات مع فرنسا، التى
ارتبطت هى بدورها بعقد الحماية، رأت أن الاقتراح غير وجيه، نظرا
الى أن شخصية الريسونى غير مقبولة لدى دوائر البلاط المغربى،
لانه من منذ نعومة اظفاره وهو يصعد فى خلق المصاعب لها، مما اضطر
ذلك البلاط الى الزج به فى غياهب السجون تحت الارض مكبلا الى
جدرانها التى تنفخ رطوبته فى جزيرة الصويرة التى وصفها المؤرخ
الانكليزى «اكنور» الذى زارها عام 1921 أى أيام المعارك مع الاسبان
فى الريف وجباله بقوله :

«انه عندما زار الجزيرة تملكه الشعور بأنه يطاء أرضا فى حالة
احتضار، حينما وقع بصره على مأذنة قصيرة ترتفع الى السماء، فى جانب
مسجد مهجور، وعلى سجن خال يقع تحته، كان يعج فى يوم من الايام
بالمتمردين المغاربة الذين يقعون فى قبضة السلطان، وكانوا يموتون يوميا
ليطرح بجثثهم الى البحر، وكان البعض منهم مثل الريسونى يتمكن
من الافلات ليعود الى الحرب مرة أخرى» .

«وتوجد الى جانب ذلك صهاريج وآبار في حالة اهمال مماثل، وهناك أيضا المدافع المقلوبة لا تزال مصوبة نحو البحر، بعد أن خلت أيامها». وقال في معرض الزيارة للجزيرة «انه لا يكفي ان تلتمس الزيارة للجزيرة لتجانب، بل لابد من الحصول على اذن بذلك من رياح السماوات ومن مزاج المحيط». وقد بقى بها الريسونى، بعيدا عن الجهة التى يعيش فيها، حتى أنه بقى منسيا في ظلمات ذلك المعتقل، الى أن تهدمت صحته بأمراض الروماتيزم والنقرس، ووصل به اليأس والقنوط مبلغا عظيما يتجلى ذلك في الرسالة التى كتبها من السجن الى باشا تطوان السيد محمد الحاج يطلب منه أن يستشفع فيه لدى السيد الحاج محمد الطريس، وعند أبناء عمه سيدي عبد السلام بن المهدي وابنه سيدي محمد، وقد جاء فى الرسالة «ان ينظروا فينا بعين الرحمة يا سيدي هذه أربع سنوات وزيادة على ذلك ونحن فى السجن ولا يزالون حاسبين علينا قلة المروءة، ونحن فوالله ثم والله كل ما جاز ندمنا فيه غاية الندم» .

ثم زاد قائلا «إذا لم يثقوا باسلا منا، فلا تطالبهم فى التسريح، بل فى الانتقال الى سجن تطوان ويتركوننى فى السجن حتى نموت وأنا مسامح لهم» .

«ولم يضرنى سيدي الا والدتى تركتها ورائى كبيرة السن ، وطاش عقلها من أجلنا» .

وهى مؤرخة بـ 11 شوال عام 1317 هـ . (1)

وعلى كل حال، فان تسميته خليفة السلطان وهو لا ينتمى الى العائلة المالكة فى شىء، يعتبر خلقا للقطيعة التى لا تفيد اسبانيا، بل بالعكس ستجنى منها عزلة مضمية، والحال ان المنطقة لا زالت تغلى غليان المرجل، من جراء الحماس الملتهب، الذى يظهره الاهالى ضد الجيش الاسبانى، واكتفت الحكومة الاسبانية بأن طلبت من الملك منح الريسونى وساما رفيعا وقد لبى الملك هذا الطلب، واصدر قرارا يمنحه ذلك الوسام، وقد

(1) نقلها برمتها الشريف سيدي التهامي الوزانى فى كتابه تاريخ المغرب الجزء الثالث صحيفتى 140-145 .

غضب الريسونى لهذه المنحة الوضيعة، واعتبرها نكوصا عن الشرط الاسبانى، ليخمد الى السكون، واثارت ثائرتة، ليصب جام غضبه على أولئك الذين تعاملوا مع تلينتى كولونيل سلفستري أيام المفاوضة، انتقاما لشرفه المداس حسب زعمه، وقد قابله هذا بنفس الشدة، اذ أرسل قوة من جيشه لردعه عن الانتقام من عملائه الذين حصلوا في قبضته، وقد استطاع أن يرد انصار الريسونى من معركة حامية الوطيس، مما زاد هذا ان يحتد غضبا رافعا شكواه الى الحكومة الاسبانية بواسطة الوزير الاسبانى بطنجة .

وقد اعتبرت الحكومة الاسبانية أن عمل سلفستري ضد الريسونى اتسم بالطيش، فاستدعته الى مدريد لعرض تفاصيل القضية أمام الحكومة التى اقنعها أخيرا بوجهة نظره، اذ ردت اليه اعتباره ورجع الى مقر عمله بالعرائش، وبمجرد وصوله اقتحم مدينة أصيلا بتاريخ أواخر سنة 1911، فى غيبة الريسونى الى مسقط رأسه بقرية الزينات بفحص طنجة، وانما اقتحم أصيلا لأنها عاصمة الريسونى الادارية وفيها يوجد السجن الذى أودع فى غياهبه أولئك الذين غضب عليهم، وذلك لاجل انقاذهم، وقد حصل له ما أراد، فقد وجد السجن مملوء بأولئك البائسين الذين ألقى بهم القدر فى أيديه، حيث لا رحمة ولا شفقة، وهم يكابدون الجوع والعطش .

وفضلا عن ذلك فقد القى القبض على جماعة من ابناء عمومة الريسونى، وأخذهم كرهائن لديه، وقد زاد عمله هذا فى توتر الحالة التى ازدادت تفاقمًا، فكل من الرجلين مريض بالعظمة والطموح التى تعمى وتضم، وعندما رقى سلفستري الى درجة كرونيل بتاريخ مارس 1912 بدا له أن يقوم بهجوم خارج أصيلا فتوجه بعسكره وعسكر فى المحل المسمى بالعش ثم زحف على سوق أحد الغربية كما هيا هجوما من جيش القصر الكبير على قرية أولاد بومعيزة فى الخلوط بتاريخ 31 غشت 1912 التى كانت محل تجمع أنصار الريسونى، بعدما وضع على مدينة القصر الكبير وأحوازها كباشا الحاج بوسلهام الرميقي وهو يعتبر عدوا لدودا للريسونى، وهنا انفجر الريسونى

بالشكوى لدى حكومة مدريد بواسطة وزيرها بطنجة مهددا بالانتقام ، وأخذ الثأر من أي إسباني يمكن العثور عليه بوسائله التي يجيدها والتي لا تعوزه، كما جعل يضطهد كل من علم أنه يتصل بالإسبانيين، وقد سجن بتاريخ يناير 1913 جماعة من مدشر الخالدين من قبيلة بنى عروص وفرض عليهم غرامة قدرها خمسة آلاف ريال لموالاتهم للإسبانيين إلا أن سلفستري تدخل لدى الريسوني فطلب إطلاق سراحهم فأطلقهم، واذ تعلم حكومة مدريد أن الريسوني قدرة خارقة على الاختطافات الخطيرة، حيث سبق أن اختطف أميركيين من رجال الأعمال، يدعى أحدهما «ايون بيرديكاريس» ويدعى الثاني «فارلي» كانا مقيمين في طنجة وخرجا منها ذات يوم من سنة 1907 لرحلة صيد إلى جهة الزينات، فالقى عليهما القبض واحتفظ بهما أسيرين إلى أن وقع فداؤهما بأربعة عشرة ألف جنيه استرليني، بعد ما تدخل رئيس الولايات المتحدة نفسه في القضية .

كما اختطف بعده المستشار البريطاني المدعو «هارى فاك لين» إلى كان صاحب حملة هيأها مولاي عبد العزيز لتأديب الريسوني، اثر الاختطاف المشار اليه تحت قيادة بوشنة البغدادي الذي عسكر قبالة قرية الزينات، بالموضع المدعو سيدي العربي، وقد رأى المستشار البريطاني أن يزور الريسوني في مركزه بالزينات، ليشرح له العواقب الوخيمة لأعمال العصيان ضد السلطان، ويطلب منه أن يرجع إلى جادة الصواب، وبعد حوار حاد بين الرجلين وبعد أن قدم رسالة خطأ إلى الريسوني تقضى بالقاء القبض عليه أعلمه الريسوني بأنه أصبح أيضا بدوره غنيمة أتت به الاقدار فاحتفظ به أسيرا، وذلك ما دعى إلى ارتباك المستشار البريطاني الذي عسر عليه ان يفهم اهدار كرامة الرسول إلى هذه الدرجة، لانه لا يدرك أنه قدم إلى الريسوني صحيفة الشاعر طرفة ولا يحتاط مثل ما فعل الشاعر المتلمس في قول بعضهم :

لقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله القاها

وقد ظن لأول وهلة انها لا تعدو أن تكون لعبة لمدة قصيرة، ولكن لما استمر اسيرا لمدة سبعة أشهر جعل يصف الرجل بأنه لا يعترف

بالشهادة، ولا يقيم لها وزناً، وإنما يعتبر من لصوص الادغال، غرضه أن يبتز الاموال بأية وسيلة كانت، ولو باهدار كرامة الرسول الذي لم يسترد حريته الا بعد فدية اداها السلطان مولاي عبد العزيز من خزينة الدولة مبلغها 20.000 جنيه استرليني، وهكذا ديدنه أيام مولاي عبد العزيز، فلما وقع نزاع بين الاخوين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ سنة 1908 على العرش العلوي، اهتبلها الريسوني ليظهر ضغائنه ازاء الاول الذي وجه اليه حملة التأديب كما أسلفنا، والتي ارفقها بحملة أخرى تحت قيادة الامراني تجر 40 ألف جنديا وباءت بالفشل أيضاً، فانضم الى الثاني يؤازره، حتى اذا انتصر مولاي عبد الحفيظ، انعم عليه بتوليته على أصيلا، وقبائل جبالة، فأصبح واليا مما جعله يعترف بالجميل ازاء السلطان مولاي عبد الحفيظ فرد عليه الفدية التي أخذها عن المستشار البريطاني التي هي مبلغ 20 ألف جنيه استرليني من خزينة الدولة .

ولهذه الاعتبارات كلها فقد رأت حكومة مدريد أن تعنف سلفستري عن تصرفاته الهوجاء، باقتحامه مركز الوالي الذي يعتبر واليا شرعيا لدولة المغرب المحمية، فأمرته باطلاق سراح الرهائن، ثم عزلته عن قيادة المنطقة التي كان يحتلها واثّر ذلك قدم سلفستري استقالته بتاريخ 5 فبراير 1913 وخلفه الجنرال «لوكي». وقد بدا لآعين أهالي قبائل جبالة أن الريسوني فاز بانتصار باهر، وان الجيش الأسباني تخلى عن عملائه، وتركهم في رحمة الاقدار بأيدي الريسوني، فتسابقوا الى نيل العفو منه وعظمت شوكته، اذ أنه الى الآن لم تحمل اليه الارياح الا دواعي الطموح، والعظمة، فاستفحل أمره وقام بحملة تأديبية بين القبائل، تسير وراءه بطانات السوء، التي لا تحمّل ورعا، يكون وازعا لها يردعها عن ارتكاب الموبقات .

أما الاناني الآخر ضابط الفرسان فقد خارت عزيمته، وسقط في يده، وابتعد حلم المجد العسكري وذهب ادراج الرياح، فقد انتصر عليه «لحم الثور الوحشي»، (1) الذي استطاع بدهائسه ان يكسب المعركة

(1) هو عنوان لكتاب الفه الامريكي كون يعنى به محاربي الشمال .

بدون قتال، ولكن اللوم حسب منطق لا يقع الا على أولئك الجبناء الذين يقتعدون كراسي الحكم بين الجدران الاربعة في مدريد، فيرون الاشياء بمنظار الاوراق، ولا يرونها بمنظار الرصاص، الذي يحسم الاشياء حسمًا.

وكما اسلفنا فانه في سنة 1913، قاد الجنرال «ألفو» حملة من سبتة، واحتل مدينة تطوان، حيث عين مقيما عاما لاسبانيا بالمغرب، وقائدا عاما للجيش فيما وراء البحار، وكان من أولى مهامه ان يركز عمل اسبانيا سياسيا في المغرب، فجعل تطوان عاصمة الشمال، كما سعى لتتصيب مولاي المهدي بن اسماعيل خليفة السلطان، وهو ابن عمه الذي يغبط لاحتلاله هذا المحل الذي يهمه، قطعًا للطريق عن الدخلاء ذوي المطامع ووقع اختياره على وزير للصدر المدعو بن عزوز أصله من مدينة مراكش، وبذلك انتظم العمل السياسي.

وحينما علم الريسوني بهذا الاجراء الذي اعتبره وقع على حسابه، وانتقاما منه، فانه ثارت ثائرتة وأعلن بين قبائل الجباله الجهاد في الجيش الغازي، وتحولت انظاره متجهة الى تطوان نفسها فوجه حملة القبائل الى أن عسكرت بضواحي تطوان، فقاد الشريف سيدي محمد ولد سي الحسن من مدشر «تكررت» من بني عروس، جماعة من المجاهدين عسكروا في دار ابن قريش، جعلوها مركزا للعمليات ضد الجيش الاسباني بتطوان الذي يقوده المقيم العام الجنرال الفاو، وقد عززت كل قبائل الجباله قوة المجاهدين، وقد استمر مركز دار ابن قريش ذا قيمة حربية ويعتبر أول مركز اقض هضج الجيش الاسباني، ومن هناك اندلعت الشرارة القوية النظامية، حيث نفخ روح الجهاد من المنضالين وقد فزع الاسبان لهذه التحركات القبلية ضدهم، حيث أصبح القتال يمتد من القصر الكبير الى تطوان، بينما كانت قوة الفاو في تطوان لا تتعدى 2500 جنديا، وقد تطورت الامور ضد هذا الجيش، اذ أصبحت قبائل جباله تتوارد على أماكن القتال بمجرد ما يرون النار الموقدة في القمم والذرى ايدانا بتحركات العدو، وكان بفندق عين الجديدة قوة اسبانية لضمان المواصلات مع الجيش التي على شواطئ الاطلسي، فنقهرت راجعة الى تطوان، خوفا من

إبادتها واثار ذلك جرب الجنرال الفاو أن يقوم بهجوم أولى على اللوزيين، فسير حملة من الجنود الاسبانيين بتاريخ 11 يونيه 1913، فتصدى لهم المجاهدون وهزموهم الى أن وصل بهم المجاهدون الى أسوار تطوان، ثم عزز الجنرال الفاو جنوده بالقوة النظامية التي تدعى «بالريكولاريس» وجلهم من المغاربة واحتل بهم مركز اللوزيين، ولقابلة هذا الجيش من طرف المجاهدين أسسوا مركزا آخر بالمحل المدعو ظهر القيطون، بأعلى قنطرة بوصفيحة، قبالة معسكر الجيش الاسباني باللوزيين، غربى تطوان، تحت قرية الدشريين، وكانت القوة الاسبانية تقدر بثلاثة آلاف جندي بقيادة بريمو دي الرفيرى، وهو برتبة جنرال وكان يضم الجيش من الضباط الكولونيل برينكر (أصبح مقيما عاما بعده) وسانخورخو برتبة كمندار وفرانسييسكو فرانكو برتبة كبطان، وباليينيو برتبة ملازم (سانخورخو وباليينيو توليا بعده مقيمين).

وكانت قيادة المجاهدين تحت رئاسة البطل المجاهد السيد محمد الخراز، من زعماء بنى عروص، وكان يتحلى ببطولة نادرة، يقال عنه أنه لم تفتته معركة من معارك جباله مع الجيش الاسباني، لم يحضر فيها، كما حضر فى هذه المعركة أحد الأبطال الاسطوريين ويدعى احمد بن عزوز المرباط وهو من الريف استشهد بعد ذلك فى معركة دار ابن قريش، ودفن فيها ولا زال قبره مزارا الى الآن وقد نشبت المعركة بين «ظهر القيطون» و «اللوزيين»، وكانت ضارية، واستمرت لمدة ثلاثة أيام، 6-7-8 رجب عام 1331 هـ. كبدت للجيش الاسباني خسائر فادحة، يقال أنه لم ينج من الموت الا سبعة من الجنود، وقد يكون مبالغا فيها، الا أن الاسبانيين أنفسهم اعترفوا بالخسائر الفادحة ونسبوا ذلك الى أن الجنود الذين دخلت تطوان، كانوا ينهبون الدور، ويغتصبون النساء المغربيات مما أدى الى احقاد الاهالى ضدهم.

وبعد هذه الهزيمة للجيش الاسباني، التي جرت على أبواب العاصمة الجديدة، التي تحتضن الخليفة السلطاني، الذي يؤدي صلاة الجمعة تحت طقوس تقليدية للدولة المغربية، هاجت دوائر اسبانيا المعنية، وطلبت استبدال المقيم العام الفاو وأخذ الامر بالحزم والصرامة،

لإعادة سمعة اسبانيا التي تضيع بين فينة وأخرى، والتي أصبحت الهزائم مسترسلة تترى، فمن هزيمة بكوبا عام 1899، حيث فقدت امبراطوريتها عبر الاطلسي، كما فقدتها من قبل عبر المحيط الهادي، الى اضاعة السمعة العسكرية في أدغال الشمال الافريقي، بين جماعة من متوحشي جبالها بزعمهم .

وقد رأت الحكومة الاسبانية استبدال الجنرال «الفاو» بالجنرال «مارينا» الذي كان يوجد الى ذلك الوقت حاكما عسكريا عاما على مليية ونواحيها، وقاد هناك معارك ضد الارياف، وكان ضمن البرنامج الجديد ارجاع سلفستري الى مقر عمله بالعرائش نظرا الى خبرته بتلك النواحي من جهة ولانه العدو اللدود للريسوني من جهة ثانية .

وفعلا جييء بمارينا بتاريخ 15 غشت 1913 الى الاقامة العامة بتطوان، وارسلت اليه النجديات بلغت الى 40 ألف جندي، ركز معظمها في الخط الرابط بين القصر الكبير — ثلثاء الريسانة — على وادي وارور — أصيلا — حجرة النحل — العقبة الحمراء — عين الزيتون — طنجة، وهي مرسى انزال الجيوش التي تعتبر مفتوحة وأول ما فكر فيه المقيم العام الجديد هو عقد مهادنة مع الريسوني الا أن حادثة صنعها سلفستري كعقولة للوفاق مع الريسوني جعلت مقام مارينا في الاقامة العامة لا يطول، فقد دبر — أي سلفستري — اغتيال رسولى المقيم العام علي القلعي ورفيق له الى الريسوني حيث خنق ورمى به في الواد بين العقبة الحمراء وبوعشة، وبعد البحث قامت به لجنة عينها المقيم العام تبين أن باشا أصيلا هو الذي دبر اغتيالهما بأمر من سلفستري فاغتاص «مارينا» وقدم استقالته فعينت حكومة مدريد الجنرال «كوميس خوردنا»، وهذا الاخير هو الذي وطد الهدنة مع الريسوني الذي قدم مساعدة كبيرة في أول الامر للجيش الاسباني، فبعد مقابلة جرت بين خوردانا والريسوني بتاريخ 20 ماي 1916، تم استيلاء الجيش الاسباني على فندق عين الجديدة الذي هو عنق الزجاجة بالنسبة للاتصال بين تطوان وطنجة والعرائش، كما مهد لاستيلاء الجيش الاسباني على قسم من أنجرة والحوز ووادراس وساعد — أي الريسوني — الجيش الاسباني على الهجوم على مدشر البيوت من

لإعادة سمعة اسبانيا التي تضيع بين فينة وأخرى، والتي أصبحت الهزائم مسترسلة تتري، فمن هزيمة بكوبا عام 1899، حيث فقدت امبراطوريتها عبر الاطلسي، كما فقدتها من قبل عبر المحيط الهادي، الى اضاعة السمعة العسكرية في أدغال الشمال الافريقي، بين جماعة من متوحشى جبالها بزعمهم .

وقد رأت الحكومة الاسبانية استبدال الجنرال «الفاو» بالجنرال «مارينا» الذي كان يوجد الى ذلك الوقت حاكما عسكريا عاما على مليية ونواحيها، وقاد هناك معارك ضد الارياف، وكان ضمن البرنامج الجديد ارجاع سلفستري الى مقر عمله بالعرائش نظرا الى خبرته بتلك النواحي من جهة ولانه العدو اللدود للريسونى من جهة ثانية .

وفعلا جيىء بمارينا بتاريخ 15 غشت 1913 الى الاقامة العامة بتطوان، وارسلت اليه النجديات بلغت الى 40 ألف جندي، ركز معظمها في الخط الرابط بين القصر الكبير - ثلاثاء الريسانة - على وادى وارور - أصيلا - حجرة النحل - العقبة الحمراء - عين الزيتون - طنجة، وهى مرسى انزال الجيوش التى تعتبر مفتوحة وأول ما فكر فيه المقيم العام الجديد هو عقد مهادنة مع الريسونى الا أن حادثة صنعها سلفستري كعرقلة للوفاق مع الريسونى جعلت مقام مارينا فى الاقامة العامة لا يطول، فقد دبر - أى سلفستري - اغتيال رسولى المقيم العام علي القلعي ورفيق له الى الريسونى حيث خنق ورمى به فى الواد بين العقبة الحمراء وبوعشة، وبعد البحث قامت به لجنة عينها المقيم العام تبين أن باشا أصيلا هو الذى دبر اغتيالهما بأمر من سلفستري فاغتاض «مارينا» وقدم استقالته فعينت حكومة مدريد الجنرال «كوميس خوردنا»، وهذا الاخير هو الذى وطد الهدنة مع الريسونى الذى قدم مساعدة كبيرة فى أول الامر للجيش الاسبانى، فبعد مقابلة جرت بين خوردانا والريسونى بتاريخ 20 ماي 1916، تم استيلاء الجيش الاسبانى على فندق عين الجديدة الذى هو عنق الزجاجة بالنسبة للاتصال بين تطوان وطنجة والعرائش، كما مهد لاستيلاء الجيش الاسبانى على قسم من أنجرة والحوز ووادراس وساعد - أى الريسونى - الجيش الاسبانى على الهجوم على مدشر البيوت من

قبيلة أنجرة الذي كان مركزا مهما لتجمع المجاهدين يهددون به مدينة
سبتة ونواحيها فقام الجيش الاسباني بالاتفاق مع الريسوني على تبديد
المجاهدين من هذا المركز فشن الجيش هجوما عنيفا شارك فيه عدة
سبورات في حين قام الريسوني بمحاصرة المجاهدين ومحاربتهم من
جبهة، الأمر الذي مهد للجيش الاسباني أن يقضى على هذا التجمع
ويحتل مدشر البيوت بتاريخ 19 يونيه 1916، ورغم ذلك فإنه عندما
يجد فرصة سانحة للضغط على الاسبان ينقلب عليهم .

وكانت تضم القوة الاسبانية في الشمال من الضباط المعروفين،
الكومندان أوركاس (أصبح مقيما عاما بعد ذلك) والكولونيل كبوديانو
والكولونيل مولا والملازم الكباس والكولونيل سلفستري وقد قاد هذا
الآخر حملة هجومية على أربعاء عياشة شارك فيها الكمندان أوركاس،
انطلاقا من مدينة أصيلا التي كان احتلها الجيش الاسباني، كما احتل
اثنين سيدي اليمني عن قبيلة البدور، وجعل هذه الأخيرة محل القيادة
العامة، للتمركز بالقوات المهاجمة، كما قاد آخرون هجومات على «التقار»
من أهل اسريف، وقد اشتركت في معركة أربعاء عياشة التي كانت من
أروع المعارك، القبائل التالية: بنى عروص، وجبل الحبيب، وسماتة، وكان
المجاهدون تحت قيادة بطلين من قبيلة بنى عروص وهما: السيد
عبد الكريم النجاج لعلمي والسيد محمد بن الحاج امجاهد، وكان خط
التقاتل قد امتد من جبل الحبيب الى قبيلة بنى كرفط، حيث كانت هذه
تقاتل في قبيلتها تحت قيادة السيد محمد الموزن، كما امتد على ثلاثاء
الريصانة على خفاف نهر وارور الى وادي لوكوس بأهل سريف .

أما المجاهد الموزن الذي كان فضلا عن المعارك التي يخوضها
مع الجيش في واضح النهار فقد كان يقوم ليلا بالعمل الفدائي المركز،
حيث يسطو على مركز العدو هنا وهناك، حسب الخطة التي يدرسها
مع رفاقه في الكفاح، والتي تكون مواتية لزرع الرعب، وشد الخناق
على المجندين مما أفرعهم وأفاق بالهم، حتى أن جنود العدو تخيلوا
صورته المرعبة في كل لحظة من لحظات حياتهم التعسة .
وقد استطاع بهذا السطو البطولي أن يأخذ راهبا ومهندسا

أسيرين، بعدما اقتحم أحد القلاع المحصنة، التي كانت مهمة الراهب فيها تبشير الجنود، وزرع الحماس الديني، حاثا اياهم لاجل افتتاح الارض التي لم تعرف تبريك المسيح، والتي تحتاج الى تطهيرها من هؤلاء الذئاب التي تعوى في أدغال الجبال حسب زعمه .

أما المهندس فكان يضع أمامهم تصاميم الوديان والشعاب ويشرح كيفية تسهيل اجتيازها في زحفهم بواسطة القناطير المتحركة، التي تكون عماد الجيش في تقدمه، تذكيرا للعراقيل الطبيعية وغير ذلك من المهام الحربية، وقد لقي هذا الأخير حتفه لما عمد الى الفرار من قبضة انفدائيين بعدما أوصلوه الى مخبأهم بجبل بوهاشم .

وهنا يجدر أن نوضح شرعية هذا الاختطاف، الذي أضفى الجانب الاستعماري عليه وصف الوحشية وعدم احترام رجال الدين، حتى أدى بهم الحال بعدما خمدت الحرب التحريرية نهائيا، أن قادوا هذا المجاهد على رؤوس الأشهاد الى ساحة الاعدام، بمركز تجمع الجيش باثنين سيدي اليمنى بعدما استحضروا أهالي القبائل المحيطة بالمركز بمن فيهم أقارب المجاهد، فأعدموه بالرصاص من دون أدنى محاكمة ، ولو صورية .

ذلك أن الراهب والمهندس المصاحبين للجيش الغازي في خطوطه الامامية، لتسهيل مهمته واسداء العون الضروري له، يعتبران محاربين، لا يقل عملهما عن عمل الذين يسددون بنادقهم الى الجانب الآخر، في ساحة الوغى، ولذا فانهما يتعرضان لما يتعرض اليه المحاربون من القتل والاسر وجميع العواقب التي يتحملونها، فلا غصاصة اذا وقع اسرهم، وبالتالي فلا بد من مطاردتهم عند الفرار، بما هو مألوف في هذه الحالة، من تسديد البندقية لكبح جماحه، ولو أدى ذلك الى قتله أسوة بزملائه الجنود في مثل هذه الحالة .

أما أن يكون اعدام الرجل المغلوب، والذي يعتبر في حالة سلم بدون محاكمة، فان ذلك خرق لمبادئ الشهامة أولا، وهتك للاعراف السائدة لدى المتحاربين ثانيا . وعلى كل حال، فان أوصاف الوحشية وعدم التمدن تنقلب

حمايتهما عند ما نزيغ الرجولة ويفلت زمامها من المعصبي الجبب .
وقبل ذلك كان الريسوني يقود المجاهدين في معركة أخرى تدعى
هيمما بعد معركة الطلال، وكان راكبا جواده يحث المجاهدين على القتال .
ويصدر أوامره اليهم، مشاركا في القتال عمليا، وقد كاد أن يقع أسيرا
في يد العدو، عندما أصابت رصاصة مصوبة اليه جواده، فخر صريعا .
وسقط الشريف من أعلاه، متعثرا في ثيابه، مع عدم تمرنه على تسلق
الشعاب والمسالك الوعرة، وقد جاءت النجدة الالهية على يد أحد رجال
الدين والورع، ممن كان يتولى في بنى كرفط مهام التدريس احتسابا في
معاهد القرى (المساجد)، وهو العلامة المجلاوي الذي يعتبر شيخا لرجل
العلم في الشمال كالعلامة ابن يرمق من قبيلة سماتة الذين شرقي وغربي
صالحهما وعرفانهما .

وقد حضرا معا معركة الطلال هذه وساهما بقتالهما أنيرة
باخوانتهما، وقد استشهد في نفس المعركة ولد العلامة ابن يرمق . كان
يدعى الامين، فقال قولته التي تلتقتها اللسان بعده، وهي: «كنت أظن أن
يكون ولدي الامين في حمايتي، فاذا أنا أصبحت الآن في حمايته» يعني
لموته شهيدا .

أما انقاذ الفقيه المجلاوي للشريف الريسوني، فانه لما سقط
عن فرسه، وكان في متناول يد العدو، بادر الى اغاثته باطلاق الرصاص
على العدو، الذي تقهقر الى أن تحصن الريسوني أمام الحواجز الطبيعية .
فتوكل على كتف المجلاوي، وابتعد به عن الخطر المحقق به، فكانت نجدة
وبقي المجلاوي هذا حيا حتى بعد انتهاء الحرب، وقد ضغط عليه الأسبان
أن يتولى القضاء فتولاها، وهو كارد لها، وعندما قربت وفاته اعتصم في
داره، وهو صحيح، وإذا جاءه رسول من طرف قائد القبيلة يدعو للقيام
بمهامه القضائية، يجيبهم بأنه قرب رحيله الى الدار الاخرى، وقد يندعش
الرسول، حيث يجد القاضي معافا صحيحا، وهو يتحدث بيقين عن وصول
أجله، وهكذا استمر الى أن توفي في 22 شعبان 1362 هـ . موافق غشت 1943 .

أما نتائج المعارك التي جرت من جبل لاجبيب الى بنى كرفط،
فان الاسبانين كانوا قد اطمأنوا أن الغلبة تكون لهم، وكانت بوادر رجحان

كفتهم ظاهرة في أيام المعارك الاولى التي كسبوا فيها بعض المواقع الامامية، الا أن الفقيه المجاوى اقترح أثناء اشتداد تلك المعارك أن تدعى جماعة المجاهدين الارياف، الذين كانوا جاءوا من قبائل صنهاجة الشمالية، بقيادة سيدى محمد الخمليشى، وكانت تتكون من ثمانمائة مقاتل، وقد كان زعماء الجبال وعلى رأسهم الشريف الريسونى، اقترحوا عندما علموا بمجيئهم، أن يفتحوا القتال على وادى لو، لاجل شغل العدو هناك ولا يلقى بثقله كله على جهتهم، ولكن هذه الجماعة لما سمعت بتجمعات العدو الكبيرة في هذا الخط، ارتأت أن تلتحق الى حيث المعارك الفعلية، فألقت عصا ترحالها معسكرة في سيدى هدى بين قبيلة بنى كرفط وبنى عروس .

ولبت دعوة المجاهدين، فتحركت الى أن وصلت الى سهول أربعاء عياشة، وتفرقت على مواقع القتال كما تقاطرت بقية جموع القبائل الجبلية التى لم تكن شاركت بعد، فاشتد حماسهم وقد ارتفعت معنوياتهم الى درجة عدم المبالاة برصاص العدو، وقد رأى ما أذهله من فنون القتال التى لم تكن مألوفا عنده، والتى لم تكن أية رصاصة يطلقها المجاهد ان تخطىء الهدف، لأنها تكون مصوبة بعناية وثبات الجنان .

فدارت عليه دائرة الهزيمة وانكسر راجعا الى مركز تجمعهم باثنين سيدى اليمنى، الذى كان حصنه ببطاريات المدافع الثقيلة والاسلاك الشائكة وأكياس التراب، التى قبع من ورائها، وخلف في هذه المعارك من جبل الحبيب الى بنى كرفط، خسائر جسيمة فى الارواح والمعدات التى غنمها المجاهدون .

وقد عوضوا بهذا الانتصار ما كان أحرزه العدو من انتصار محلى في معركة «ساس بوعودة» في قبيلة الغربية، التى كانت جرت عقب معركة اللوزيين المتقدمة الذكر، حيث تمكنوا من تثبيت أقدامهم في هذا المحل، بدون صعوبة، لان القبائل كانت أولت عنايتها الى معركة اللوزيين، ولم تجمع شتاتها فكان الشريف الريسونى أرسل رسالة الى السيد محمد ولد احميدو الخراز الذى كان كسب انتصارا في معركة ظهر القيطون-اللوزيين، كما سلف، يدعوه فيها الى أن لا يترك العدو يخمد الى الراحة على جوانب

تطوان، حتى لا يستجمع قواه، ويلقى بها في جبهة أربعاء عياشة، التي ظهر للمجاهدين أنه يولى اهتماما خاصا باحتلال جبال هذه الناحية، التي يضمن بها صلة الاتصال على طول خط القصر الكبير - ثلاثاء ريسانة - واثنين سيدي اليمنى - العقبة الحمراء - فحص طنجة - الذي يرأسه سلفستري، وبعد ما فشل العدو من هذا الهجوم العام، الذي لم يستطع أن يتقدم ولو شبرا واحدا مع الخسائر الفادحة التي تكبدها، قرر الجنرال مارينا أن يجمد سائر هذه الجبهة، كما جمد الجبهة الشرقية، وحاول أن يفتح الحوار مع الريسونى، بصفتهم مترعما لقبائل الجبال، بوصفه مغامرا شديد المراس من جهة، ولكونه واليا شرعيا للدولة المغربية من جهة ثانية، ولكونه كان جمع ثروة هائلة من فداء المختطفين الاجانب، ومن عملاء المانيا المنبثقين في الشمال، يستغلون حماس مترعما القبائل ويستميلون بالمال الوفير لاجل القيام بأى عمل ما ضد الجيوش الفرنسية، وقد اكسبه هذا الثراء مركز التسلط القوى حيث تعلق اليه القبائل، التي لا يكفى مرجوع أراضيها الوعرة المسالك، والتي تعطل ما يصلح منها للزراعة عن استغلالها لظروف الحرب الشاملة التي كونت الخط الغربى .

وقد عمد الجنرال مارينا لفتح الحوار مع الشريف الريسونى، لانه رأى أن تسلق الجبال وادغالها ليس من السهل بالمكان الذى اكتسح بها السهول الغربية، التي مكنته من استعمال بطريات المدافع التي تقوم بعملية الارض المحروقة، قبل ان تتقدم جحافل الجيوش، حيث يسهل عليها أن تكتسح تلك المنبسطات، أما وقد وصلت الى عنق الزجاجة، التي بيتدىء عندها متعلق من الارض، ذات مسالك معزية، وحيث يكمن مع كل حاجز طبيعى من الصخور والشعاب مقاتل يحتضن سلاح «الموزير» حاملا معداتها من الخرطوش متمنطقا بها بواسطة حزام من جلد أو حاملا اياها في المنعطف الجلبابى على كتفه، مع لوازم المؤونة الغذائية التي يقنع منها بالقلّة القليلة، فان الامر أصبح أعقد من ذنب الضب ؟

وذلك ما دعا أن يشتكى أحد قادة الجيش، حينما كان يقود المعارك على خط بنى كرفط، وهو الجنرال منويل غوديد في كتابه «المغرب ومراحل

التهدئة» لما روى القصة المتقدمة التي بدا له أنها مغربة، حسبما ألفه في الحروب العسرية .

وكان الكولونيل سلفستري، لا يرتضى هذا الحوار مع الريسوني الذي خبر طرقه الالتوائية من جهة ولكونه يقع تحت تأثير المحاربين الجبليين الذين يظهرون بمظهر المومنين المتزمتين المعتقدين بأن الجهاد يستكمل دينهم، وأن المقتول في المعارك تتخطفه الملائكة الى حيث النعيم الأبدى، ولذا يرى أن لا حل الا بالقوة التي تضع الجند الاسبانيين في موضعه اللائق به، وأن ما عدا ذلك يعتبر هراء .

واثر استقالة الجنرال مارينا من مهامه في المغرب، ورجع الى مدريد، ليقدّم تقريره على الوضعية المتمردية في المغرب، وبالاخص على الجبهة الغربية التي رد كل اسباب التردى الى خصمه اللدود سلفستري، ولما اقتنعت الحكومة الاسبانية بفحوى ذلك التقرير، فقد استدعت سلفستري ليلتحق بمديره بدورده، ويترك القيادة في تلك الجبهة نهائيا، ولما وصل الى مدريد قدم تقريراً مضاداً حشاه بالطعن في مقدرة مارينا كمقيم وقائد عاميين، وبهذا احتد الخلاف بين القائدين السامين، الا أن حكومة مدريد من جهة، وتدخل الملك لصالح سلفستري من جهة أخرى، لم تستطع أن تضع حداً للخلاف بالطريقة التي تتحمل بها مسؤوليتها في الموضوع، بل عمدت الى ارضاء الطرفين معاً، واسدال الستار عن الخلاف وأعلنت اعتبارهما معاً قائدين عملاً في المغرب بوحى من اخلاصهما، وانه تقديرًا لعملهما منحتهما وسامين رفيعين .

وهنا انتهى الخلاف على مستوى الحكومة، فعينت بدلاً من مارينا الجنرال «كوميس خوردنا» مقيماً عاماً بالمغرب، وقائداً عاماً للجيش فيما وراء البحار، كما عينت سلفستري قائداً على جيش مليلية، ولكن بصفة مؤقتة .

ولما جاء خوردنا الى المغرب أقر الهدنة التي كانت سائدة على خط القصر الكبير - ثلاثاء الريصانة - اثنين سيدي اليمنى - العقبة الحمراء - عين الزيتون .
أما عن ضواحي تطوان فكان الخط يمتد من وادي مرتيل مارا

بمدشر منكال بظهر القيطون، بعد مفاوضة مع الريسونى بواسطة باشادور اسبانيا بطنجة السنيور سكاسترى، وكانت نتيجة المفاوضة الاتفاق على البنود التالية :

أولا : ان الجنرال خوردانة يزود الريسونى بالمال للحاجة (لم يعرف بالضبط مبلغه) وتقول الاشاعة أنه طلب مليونين اثنين من البسيطة ليستعملها فى استمالة القبائل التى يحتك معها والتى لم تخضع له الا تسلطا .

ثانيا : أن يمدد بالسلح الكافى لتسليح أنصاره الذين يعتمد عليهم ضد الذين يعارضون أى احتلال (وتقول الاشاعات أنه طلب 500 موزير ومائة مسدس مع القرطاس الكافى) ولم يطلب شيئا من القنابل أو غيرها نظرا لعدم استعمالها من طرف الاهالى فى ذلك الوقت .

ثالثا : ان يعين خليفة السلطان بالشمال، على أن يبقى فى حصنه بتازروت ولا ينتقل الى تطوان طيلة مدة اخضاع الشمال، فعندما يستتب الامر لاسبانيا يعاد النظر فى الانتقال الى تطوان .

رابعا : عندما ينفذ البندان الاولان أعلاه من طرف الاقامة العامة يخضع الريسونى قبائل الجبال من وادى لوكوس جنوبا الى واد لاو شمالا، وبعد هذا الاتفاق لم يتردد المقيم العام فى تزويد الريسونى بالمال والسلح، فكانت القوافل التى تحمل ذلك تمر من طنجة على قرية الزينات ومنها الى تازروت ببنى عروس .

وكان ذلك تحت ستار الليل خوفا من نقمة الاهالى والاستلاء عليها. ولكن سرعان ما تهاشم الناس بالغنيمة الباردة التى حملت الى الريسونى، فالتأمت القبائل التالية :

أنجرة — وادراس — بنى مصور — بنى يدر — وقاموا بفتنة شعواء على الريسونى التى امتدت الى بعض الفرق من بنى عروس حيث معقله الحصين، وقد جاهرُوا بالعداء ضده، اذ عد من المارقين الخارجين عن جماعة المجاهدين .

ومن جهة الريسونى فقد حزم أمره واستدعى قبائل الاخماس

وسماتة وبنى حسان وبنى يسف وبنى كرفط وفرق على زعمائهم بعضا من الغنيمة التى ظن أنها بادرة فاذا قد أصبحت علقمة لا يستساغ ابتلاعها وقد عمدت كل من الطائفتين الى استعمال السلاح بعضها ضد البعض، ودامت الفتنة لمدة ثلاثة أشهر، ولما كانت الغلبة للرئيسونى وأنصاره، فان القبائل التى كانت ضده شهدت اضطهادا كبيرا من طرف أنصاره الذين عاثوا فى الارض فسادا، وهتكوا الاعراض وخربوا الديار، وغصبوا الاموال، وكان جيش العدو يراقب هذه الفتنة باغتيال، وبقي متفرجا عليها، ولم يحرك ساكنا، وقد رأى ان الهدف قد حصل أو كاد .

وبعد ما هدأت فتنة القبائل التى بدا للمقيم العام أن حليفه الرئيسونى استرد أمور القبائل الى يده، فانه اقترح على هذا الاخير أن يأتى الى واد أكرار بقبيلة وادراس وهو الواد الذى ينزل من الفندق ويعتبر الممر الوحيد بين تطوان ومدن الغرب — طنجة أصيلا — العرائش — القصر الكبير — وهو الذى يتحكم فى تلك المواصلات لاستحالتها من الجهات الاخرى لوعورة مسالكها الصخرية وفجواتها الطبيعية المتقعة التى تتصعد فجأة وتتحدّر كذلك، واستجابة لهذا الاقتراح فقد حضر الرئيسونى الى عين المكان على ظهر فرسه المظهم وحوله جماعة من أنصاره المسلحين بالاسلحة الجديدة التى يتبارون بها أمام خصومهم المضطهدين الذين تسارعوا اليه فى رحلته هذه لاقتباله عندما يمر موكبه الخيف على قبائلهم مقدمين الذبائح خوفا من التنكيل، وقد كان طريقه عن أربعاء عياشة فجبل الحبيب فدار الشاوى، مقر القائد الزلال، أحد القادة الكبار لبنى مصور، وقد اجتمع به فى المحل الموعود للاجتماع ولد المقيم العام خردانة، وكان هذا الولد برتبة كرونيل، وأرسله أبوه على رأس وفد يضم من بين أعضائه الضابط فرانسيسكو فرانكو، الذى كان فى ذات الوقت ضابطا شابا متحمسا؟

وقد طلب الوفد من الرئيسونى أن ينفذ من جهته بنود الاتفاقية التى نفذ المقيم العام ما يلزمه منها، بعد ما تغلب على عناصر المعارضة، وبلغه تهانى المقيم العام فى الشجاعة التى تغلب بها على خصومه، وانه يرى أن فراسته لم تخطئ، حيث عمد الى التعامل مع رجل جبالة الوحيد، الذى يستطيع أن ينفذ ما يعد به فى الاتفاقيات، ولاجل فتح الحوار لتنفيذ

بنود الاتفاقية، فقد نشر الكولونيل خردانة أمام الريسونى خريطة تصميم لتنظيم القبائل بتنصيب القواد المحليين من أنصاره عليها، وكان من المهام الاولى التى تقضى الاستعجال اثنان :

أولهما فتح الطريق ما بين تطوان الى أصيلا والعرائش وطنجة مارا بالفندق وتأمين المواصلات العسكرية على هذا الممر الهام، وضمن اجابة الريسونى بالموافقة على هذا الاقتراح اشترط أن يراقب أنصاره الممر فى الفندق، وأن تكون فرق الجيش التى تمر الى الغرب أو منه مزودة بورقة الترخيص بالمرور موقعة من طرف الريسونى، أو من يمثله يظهرونها لديهم .

أما ثانى المهامين فهو فتح الطريق أمام الجيش الاسبانى لاحتلال شفشاون سلميا، ثم عندما يتمكن الريسونى من فرض سيطرته الفعلية على سائر القبائل الجبلية، يمكن لاسبانيا أن تتحدى به خليفة للسلطان على الشمال، وتكون القبائل قد نظمت تنظيما عصريا، ويمكن له أن يستعين بمراقبين عسكريين يساعدونه على هذا التنظيم .

وقد نفذ الريسونى المهمة الاولى، فجعلت القوافل العسكرية تغدو وتروح ما بين تطوان ومدن الغرب تارة باظهار الرخصة، وتارة بدونها، بعدما اختلط الاهالى بالجيش وأنسوا اليه .

أما المهمة الثانية وهى تسهيل احتلال شفشاون، فان الريسونى لم يتمكن من تنفيذ ذلك، لمعارضة قبائل بنى حسان بقيادة أحد أبطالها المغاور وهو الامين ابن الاحرش من فرقة موسى الذى يقال فى حقه: اذا قالت حزام فصدقوها فان القول ما قالت حزام

وقد انضم الى ابن الاحرش فى معارضته هذه سكان النجود العليا لقبيلة بنى سعيد، وكذلك قبيلة بنى زجل، وتجمعت هذه القبائل على عنق الطريق الوحيد الذى يمر على وادى النخلة ثم الوطاء الحمراء بقبيلة بنى حسان، ثم دار قوبع بالاخماس السفلى معتمدين بالصخور الشاهقة التى تشرف على الممر مباشرة والتى يعتبر أمنع من عش العقاب .

أما الريسونى فقد تجمع بدوره بظهر القيطون لتسهيل هذه المهمة الخرقاء، على الجيش الاسبانى مستجمعا حوله قبائل بنى حزمار وبنى

يدر وسكان الهضاب السفلية لبنى سعيد المتاخمة لقبيلة بنى حزمار
وجرت مناوشات مسلحة بين الفرقين المتعارضين، بينما الجيش الاسباني
عكف متفرجا منتظرا، وقد كادت النتيجة في بادىء الامر كمثيلتها الاولى،
لولا ان ابن الاحرث تقوى بجمع شمل القبائل التى كانت ثارت على
الريسونى فى السابقة الاولى فاتفقت جموعها على اشارة المصاعب أمام
الريسونى، والجيش الاسباني مهما كلفهم الامر، ولا يسمحون لاحتلال
شفشاون المدينة المقدسة عند الاهالى، نظرا لتأسيسها على تقوى من الله
ورضوان، محروسة بين الجبال الشامخة، التى لا يطرقها الا الاولياء
والصالحون الذين ييغون الانقطاع الى عبادة الله، والتى كان مؤسسها
مولاي على رشيد من هؤلاء الصلحاء فاحتلالها من جانب الجيش الاسباني
يعتبر تدنيسا لقدسياتها، فضلا عن أنها معقل المجاهدين الذين يلجأون
اليها، لتزويدهم بحاجياتهم الضرورية عندما ينهكهم القتال ويستروحون
لديها لغسل شعثهم بمائها المتدفق مدرارا .

وهكذا كونت تلك القبائل قوة فى وجه خصمين عنيدين أحدهما
من بنى جلدتهم، والثانى ظالم يسعى للتوسع على حساب الآخرين ،
لاسترجاع مجد العظمة العسكرية التى ضاعت فى أقطار أخرى .
وفى خضم هذه الاحداث، وبينما الجنرال خردانة يغازل الريسونى
لاجل أن يتمكن من الاحتلال بالطرق السلمية، كان الريسونى يتصل من
جهة أخرى بعملاء المانيا، الذين انبثوا فى كل جهة من شمال المغرب، لاثارة
الحماس فى السكان ضد فرنسا، وكان الاتصال بهم مغريا ايما اغراء، نظرا
لما يصحب ذلك من ذهب رنان، وقد لا يكون هناك أولى من الريسونى
الذى يقال فى حقه «أن الطيور على أمثالها تقع» .

وعندما نقل رجال المخابرات الفرنسية الى الاقامة العامة بالرباط
هذا الاتصال المريب، فانها جعلت تضغط على الجنرال خردانة لكى
يستحث الريسونى بتمهيد السبيل للاحتلال الاسباني لقبائل جباله، التى
أصبحت وكرا لعملاء المانيا من جهة، ولان قبائل نواحي وزان التى لا
تخضع للجيش الفرنسى عندما يحزبها الامر تلجأ الى قبائل الجباله
لتزود بما تفتقر اليه من المواد الغذائية والاعتدة الحربية، التى يمكنهم

بها العملاء الالمان على يد أنصار الريسونى، وبالاخص فان باخرة ألمانية كانت جاءت فى وقت سالف محملة بالسلاح والاعتدة الحربية ورسّت فى مدخل واد بوهور الذى يفصل بين قبيلتى الفحص والغربية، وانزلت شحناتها التى حملت الى الريسونى، والتى جاء على ظهرها ضابط تركى يدعى لدى أنصار الريسونى بالكمندار التركى، ويقال انه عصمت أنينو نفسه، وقبل انتهاء الحرب العظمى الاولى اختفى من معسكرات الريسونى.

وكان عبد المالك الجزائرى الذى كان فى طنجة أيام المولى عبد الحفيظ صلة الوصل بين الالمانيين والاتراك لدى الريسونى وأنصاره، وهذا كله لم يكن خافيا على الجيش والاقامة العامة الفرنسيين، مما جعلهم يتدخلون الى المقيم العام الاسباني ليضع حدا لتصرفات الريسونى، وقد وصفوه بأنه يخادعه ويلتوى عليه، وان الهدنة التى يعقدها معه لا تفيد اسبانيا فى شىء، وان هذا السلوك الملتوى تمرن عليه قبله مع سلاطين المغرب أنفسهم، ثم مع المقيمين العامين الاسبانيين السابقين .

وقد اتفقوا مع خردانة أن يهجم الجيش الفرنسى على قبائل مستارة لاحتلال وزان، وبما أن الجنرال خردانة يعرف فى قرارة نفسه أن هذا هو عين الحقيقة، فانه لم يتردد أن خاطب الريسونى بكل صراحة وطلب منه تنفيذ الاتفاق بكل صرامة لتسهيل احتلال قبائل الجبال، وتنظيمها لكى تتضبط مع نزع السلاح منها نزعاً شاملاً، والا فانه سيعمد الى استعمال القوة .

واذ وصلت الصرامة الى هذا الحد، فان الريسونى عرف أن حبل المراوغة قد انقضى، بينما قبائل الجبال كلها يد واحدة تقريبا، تحت قيادة ابن الاحرش، فانه رأى أن ليس له منفذ الا التناكر من جديد للاتفاق الذى بموجبه استنزف خيرات الجيش الاسباني من معدات ومال، فأعلن القطيعة من خردانة، وانتقل من ظهر القيطون الى دار ابن قريش بقبيلة بنى حزم، متذرعاً بأن المقيم العام الاسباني يعمل بوحى من الاقامة العامة الفرنسية، التى تملى عليه ما تشاء، واثّر هذه النكسة التى ضاعفت من خيبة اسبانيا التى كانت رأت أن الاحتلال بدون اراقة الدماء كاد أن يكون فى متناول اليد، وجهت الدوائر الحاكمة والشعبية على لسان جرائدها باسبانيا اللوم

الى خردانة واصفة اياه بالجبن والغباوة وضعف عزيمة الجندي المحارب،
الذى خدعه محتال حتى ابتز ما عنده من مال ومعدات حربية لكي
يردها الى كيد نحره، وطالبت بمحاكمته وادانته، لانه اهان شرف اسبانيا
العسكري، وبالاخص خصومه من ذوى الرتب العسكرية، ويقال أن الضابط
المتحمس الذى كان من بين أعضاء وفد المفاوضة نشر مقالا فى جريدة
اسبانية عاب على الاقامة العامة رضوخها لآراء الاقامة العامة الفرنسية .

وقد ضمن المقال ان الرئيسونى على حق اذا تبرم من فرض
السيطرة عليه من فرنسا، التى تريد أن تفرض عليه قطع الصلة مع أبناء
جلدته من قبائل احواز وزان، التى تعرضت فعلا لجحافل الجيوش
الفرنسية، تكتسحها، فاحتلت مدينة وزان، التى هى معقل الشرفاء
الوزانيين من أولاد مولاي عبد الله الشريف والتى تضارع فى القدسية مدينة
شفشاون، وعندما وصلت النكبات على خردانة الى هذا الحد، فانه ذات
يوم وخلف مكتبه بالاقامة العامة فاضت روحه نتيجة توقف القلب عن
النبض، قد يكون من تأثير الكوارث والهموم .

الجنرال برينكير فى الاقامة العامة :

وفى اعقاب وفاة خردانة وكانت الحرب العالمية وضعت أوزارها
عينت الحكومة الاسبانية بتاريخ 25 غشت 1919 الجنرال دامسكو برينكير
مقيما عاما وقائدا عاما فيما وراء البحار، واثرتسلمه للسلطة قسم القيادة
العسكرية الى شطرين، منفصلين احدهما على الاخرى، وعينت للجهة
الغربية حكومة مدريد سلفستري الذى رفع الى رتبة جنرال، وفور تسلمه
مهامه، وجه انذارا الى الرئيسونى، يحدد له موعدا قصيرا، أن يجيب بنعم
على الاتفاق المبرم مع خردانة، فيما يخص الاحتلال بدون اراقة الدماء،
واذا مر على ذلك الاجل فانه يكون حرا أن يستعمل القوة لتنفيذ مضمون
الاتفاق، على الرغم منه، وقد أجاب الرئيسونى بتأكيد الرفض السابق.

وبالفعل فقد استؤنفت المعارك، على طول خط القصر الكبير -
تطوان، واحتدت تلك المعارك التى طال بعضها الى قرابة سنة كاملة، لم

ينقطع العراقي طيلة تلك السنة، ومنها معركة دار ابن قريش التي قادها على المجاهدين البطل ولد احميدو الخراز، والتي لم يستطع الجيش الاسباني أن يجتاز واد المحنش، وكان يدور حول نفسه، فتارة يحاول تسلق صخور غورغيز المتصاعدة الى الافق، بينما المجاهدون المنبطحون خلف تلك الصخور يطلونه نارا، ويردونهم على أعقابهم، وتارة يحتشم بالشعاب العليا لواد المحنش التي سرعان ما يجد نفسه قد كلت فيرتد خاسرا تحت النيران المتقطعة التي تحييه من هنا وهناك، والتي تحدث له فزعا أكبر .

بينما المجاهدون صامدون لا يتزعجون عن مواقعهم قيد قدم واحدة، كما كانت القبائل المحيطة بتطوان على نفس المنوال، فهناك على الشمال الغربي قبيلة أنجرة معتصمة خلف نفس العوائق الطبيعية التي لا تتال منها القذائف المرسلة اليها جوا وبحرا أي منال، وكانت تقبع مسيطرة على المجاز الوحيد الى جهات الغرب، متآزرة مع قبيلة ودراس .

ولم يتنفس الجيش الاسباني متنفسا الا بعد أن عمدت لشراء ضمائر بعض أهالي أنجرة والحوز وغمارة، بواسطة العملاء من طنجة وتطوان، وعلى رأسهم شيخ الدرقاويين السيد محمد بن الصديق الغماري، اتصل به الجنرال «كسترو خيرون» بتاريخ ما بين مارس وغشت من سنة 1919، لاجل بث سياسة اسبانيا في الزعماء الذين عملوا لكي تقلب هذه القبيلة ظهر المجن للمجاهدين، فكان لهم ما أرادوا فقد غدرت تلك القبائل، الا ما كان من زعمائها: السيد احمد الطويل عن الحوز والطالب محمد احرازم من أنجرة والسيد العربي بن الخضراء من أنجرة ومن ودراس الحاج على الخمال وابن حمان .

وسهلت للجنرال كسترو جيرونا والكولونيل كرياس لاحتلالها ، وقد كسبوا بذلك موقعا حربيا ممتازا، بحيث أصبح من السهل الاتصال بطنجة عن طريق الساحل، وبالتالي تحركت الجيوش الاسبانية من الركايح قبالة الزينات، ومن حجرة النحل، كما تحركت من أنجرة لاحتلال سهول وادراس وقد تمكنت من احتلال الموقع المدعو الروضة ليلا، واقامت فيها حامية قوية من أربع قشلات، وذلك لتأمين المواصلات بين أنجرة وجهات

الغرب، الا أن العاقبة لم تكن مفرحة الى درجة ما ظنوا، ففي صباح تلك الليلة هرع المجاهدون يتقاطرون من كل حدب وصوب، واستتفروا أنفسهم تلقائيا، وقد كان الريسونى مخيما على مجاز الفندق بعد غدر أنجرة منتظرا تحركات جيش العدو، فلما علم باحتلال الروضة تقدم بمن معه من المقاتلين لمؤازرة المجاهدين .

وهكذا دارت معركة على الموقع المذكور يشيب لها الولدان، كانت الخسائر من الارواح من الجانبين باهضة، فقد استطاع المجاهدون أن يضربوا حصارا من كل جهة على القشلات الاربع، بينما صمدت جيوشها خلف المتارس التى أقاموها يصلونهم نارا، حيث تمكنوا بعد لاي من فتح ثغرة تقهقر منها الى مواقعهم القديمة فى انجرة والركايع وحجرة النحل، ثم بعد ذلك تجمدت جميع المراكز لمدة سنة، الا ما كان من المناوشات هنا وهناك، وكانت مراكز المجاهدين على الوضع التالى، من حيث رياستهم، ففى ابن قريش كانت هناك أربع قيادات مركزة على المواقع الهامة يتولاها كل من ابن احرازم من انجرة والخرطيطى عبد السلام من بنى حزمارة والطويل من الحوز وابن حليلة من بنى يدر .

وفى مركز الفندق بوادراس تولى القيادة فيه السيد محمد ولد احميدو والخرار من بنى عروص .

وفى مراكز أخرى على أربعاء عياشة والريسانة الى أهل السريف، كانت هناك قيادة أخرى انبثت من بينهم الثمانمائة من المجاهدين الارياف، الذين كانوا عسكروا بسيدى هدى فى بنى كرفط وبنى عروص .

أما الريسونى فقد ترك المراكز الحربية ليقوم بجولة عبر القبائل الامامية للحرب، لتفقد معنويات المجاهدين، فزار قبيلة بنى كرفط وسماتة وأهل اسريف، التى كان يحتل منها الجيش الاسبانى الموقع المعروف بالنتفار، ووصل الى قبائل الرهونة وغزاوة .

وبعد هذه الرحلة طلب من الارياف أن يتحركوا الى مركز الفندق، نظرا للضغط الشديد الذى يقوم به جيش العدو لفتح هذا الممر، ليضمن الاتصال بين خطوط الشمال والجنوب، وقد كان سلفستري فى هذه الاثناء

يستعد على ساق الجد، للقيام بحملة واسعة النطاق، بعدما طلب امدادات من اسبانيا التي وصلته فعلا .

وكان الجيش الذي يحتل جهات وادي لو بقيادة الكباش قد استمال بعض قبائل اغمارة، فتمردت على المجاهدين، وانحازت الى الجيش الاسباني .

ومن تطوان توجه جيش آخر فاستولى في سنة 1920 على جبل عرغيز، وفي 25 يونيو 1920 احتل دار ابن قريش المهد الاول للجهاد، ثم واصل تقدمه الى أن احتل مدينة شفشاون .

وفي هذا التاريخ تعاون الجيشان، الاسباني والافرنسي لاحتلال وزان، وقد استعد سلفستري لتنفيذ الحملة التي تحركت من كل جهة في هجوم عليها، فاحتلوا القلة من قبيلة بنى يسف في أقصى الجنوب وفي الوسط احتلوا خميس بنى عروص في اتجاه تزروت مركز الريسوني، وفي بنى يدر احتلوا سوق الثلاثاء وعلى خط ابن قريش احتلوه وتخطوه الى أن وصلوا الى شفشاون التي كان وصل اليها المجاهدون الارياف الذين كانوا تحركوا قاصدين الفندق، ولكن سبقتهم الجنود الاسبانيون، فذهبوا الى شفشاون، وقد جرت في هذه التحركات كلها معارك طاحنة، اشترك فيها مع الجيش الاسباني جماعة من المغاربة الذين كون منهم ما يدعى «بالحركة» والذين وجهوهم الى موقع سيدي هدى الذي فرغه الارياف، وكان على رأسهم بوسلهم الرميقي، والماللي الرميقي، والفاضل بنعيش، وادريس الريفى، وقتل في معركة شجرة المهرة في قبيلة بنى عروص الكولونيل كرياس مع عدد كبير من الجنود الاسبان، وكانت آخر معركة من حملات الجبهة الغربية الى سنة 1921، حيث تمركز الجيش الاسباني في مواقعه الجديدة، وأخمد الى الاستراحة ليلى شعثه، ويحزم أمره الى حملة أخرى فيما بعد، وقد وكل أمر انهك قوى المجاهدين الى سلاح الطيران، فكان سربان من الطائرات يغيران ليل نهار على مواقع المجاهدين فكان سرب يخم 18 طائرة يأتى من تطوان، لالقاء القنابل المحرقة على المجاهدين الذين تمركزوا في غابات الجبال الشاهقة، ثم يرجع ويأتى سرب آخر يخم 14 طائرة من العرائش لنفس العملية، وهكذا دواليك لمدة سنة

كاملة، مرت على المجاهدين بما فيها من حر وقر، وبما فيها من الثلوج والرياح، وهم في أدغال تلك الجبال يأوون الى الخنادق تحت الارض، بينما عائلاتهم هامت على وجوهها في القبائل المتوغلة في وسط الجبال التي لم تخضع بعد للجيش الغازي وقد طرب لهذا النصر الذي ظن ان العملية في القبائل الجبلية قد انتهت، وان الريسوني المحتال الذي يلعب على الحبلين سيقع قريبا في أيديهم، ففي ذات يوم حضر المقيم العام الجنرال برينكير الى خميس بنى عروص، وكان هناك أمامه واد يدعى واد الفرج، وكان واقفا معه بوسلهام الرميقي، وقد سمع اسم الواد ولكن لم يتبينه فسأل الرميقي عن اسم الوادي، فقال: انه واد الفرج، فرد عليه قائلا ان اسمه الحقيقي هو واد الفروج، وقريبا سيقع صديقك - يعنى الريسوني - ويذبح في هذا الواد مثل الفروج، وقد أعطى له مهلة 72 ساعة للاستسلام، أما الريسوني فكان يأتي الى ضريح مولاي عبد السلام ابن المشيش اختلاسا مع جمع من المجاهدين ليحلفوا على المصحف الكريم على أن لا يستسلموا الا وهم أموات، كما كان يأمر الاطفال الذين يتعلمون القرآن لحمل الواحهم المكتوبة فيها الآيات البينات على رؤوسهم، ويطوفون حول ضريح مولاي عبد السلام ويطوف هو بنفسه معهم يجهرن بالدعاء برفع الغمة على المجاهدين ويرد الله كيد الاعداء في نحورهم، وبالاخص في أيام رمضان التي مرت عليهم هناك .

وبمجرد ما استقرت الجيوش الأسبانية في المواقع الامامية المشار اليها، والتي اعتبرها الجنرال سلفستري أكبر مجد عسكري يؤهله لبطل اسبانيا في شمال افريقيا، وليحرز على رضى ملك اسبانيا الفونسو 13 عينه للجهة الشرقية في الريف التي كانت ركبت من منذ استشهاد سيدي محمد أمزيان، حيث وضعت اسبانيا ثقلها على الجبهة الغربية كما سلف، لتستريح منها ومن مترعما الملتوى الشريف الريسوني .

ميلاد الثورة النظامية فى الشمال

من هنا نبدأ لمتابعة الثورة العارمة

الجبهة الشرقية :

سبق أن ذكرنا أن ملك اسبانيا عين الجنرال سلفستري قائدا عاما للقوات الاسبانية في الجبهة الشرقية، بعدما بدا له أنه ظفر بالمجد العسكري بالجبهة الغربية، وأنه الرجل الذي بعثته الشهامة الاسبانية لينقذ شرف اسبانيا في المغرب، على أن يعمل بوحى من حرية تصرفه في تلك الجبهة، ولا يعبا بتعليمات المقيم العام الجنرال برينكير، الذي هو في نفس الوقت القائد العام .

وعلى هذا المبدأ، جعل سلفستري يتصرف مستقلا، يتلقى الاوامر من الملك رأسا، حسب الرسالة الملكية التي كان يخفيها في محفظة جيبيه الى حين موته، وقد جاء فيها: «افعل كما أقول لك، ولا تلق بالا الى وزير الحربية الذي هو أحمق» .

وبذلك يكون الجنرال سلفستري يعمل مستقلا عن الجبهة الغربية، أنتى يشرف عليها المقيم العام، وقد عزى الجنرال غودييد في كتابه «المغرب ومراحل التهدة» هزائم الجيش الاسبانى المتتالية الى استقلال جبهة عن أخرى، فقال في ذلك ما يلى: «عينت الحكومة الاسبانية جنرالين في الجبهتين الغربية والشرقية، وفعلا كانا (أى الجنرالان) مستقلا احدهما عن الآخر، وذلك ما جر عنهم كارثة الانهزام فى الريف، وكان سوء التنظيم هذا فى القطاع المهم من الجيش، حيث حصلت تلك الكارثة سنة 1921، اذ أر الجنرال سلفستري نظرا لارتجاله فى المسائل الحربية كانت النتيجة وفاته» . وكما أسلفنا، فان الجيش الاسبانى بمليية، كان طيلة العمليات الحربية فى الجبهة الغربية، وبعد استشهاد السيد محمد أمزيان يعمد الى

اختلاس المواقع الامامية، التي يحتل بعضها تلو البعض فى بطىء، وعدم اقامة ضجيج، الى أن وصل التقدم الى نهر كرت، بينما يبدى تسامحا مع القبائل فى معاملاته معها، وقد كان فى نطاق مهمة قاضى القضاة بمليية — الشخصية — ان يعلم تحركات الجيش الى الامام، بباعث اتصاله القضائى مع الاهالى، فيستحصل منهم بدون شعور أحد كل أخبار التقدم الهادىء المسروق .

وعندما تسلم الجنرال المتحمس، الذى بعث لانقاذ مجد اسبانيا فى فبراير 1920، مهامه فى مليية بدا له أن الاحتلال الاختلاسى لم يبق له داع، لان ذلك ينم عن جبن الجيش، وبالتالي عن ضعف قيادته، ولا يخفى فى أحاديثه أن يصف الجنرال برينكير بالخور والوهن، الذين يمليان عليه الاغراق فى الاحتراس والتقدم البطىء (1) «فى سنة 1909 وقعت أكبر كارثة للجيش الاسبانى فى الموقع المسمى «اللوبو — أى الثعلب» لم يستطع كومنذانتيات الجيش الزحف داخل الاراضى الشرقية — شمال المغرب — وفى سنة 1920 م ترأس القيادة العليا للجيش فى مليية جنرال فى الخيالة وهو منويل فرناندس سلفستري، وعند وصوله لم يتفق معهم على البطىء الذى كان يسير به الجيش، فأمر بالتوغل، فاستطاع الاستلاء على مساحة فى ظرف سنة واحدة، ما يساوى ما استولى عليه الكومنذانتيات خلال 12 سنة»

«وكان يوصف فى مليية من طرف قادة الجيش بأنه عصبى، وأنه لم يكن متفقا مع المقيم العام برينكير» .

«وأول ما جاء سلفستري الى افريقيا كان فى سنة 1908، عندما أرادت اسبانيا أن تقلل من الاكتساح الفرنسى فى المغرب، وفعلا استولى على البحر الصغير ورأس الماء (بقبيلة كبدانة)» .

«وفى نفس السنة نزل بالدار البيضاء، يقود قوة اسبانية، مع بعض الحراس المغاربة، فتوغل الى مسافة مآت الكلوميترات، دون أن

(1) عن عشرون سنة من التاريخ — باللغة الاسبانية — .

يقرأ الحساب الى أن الحكومة الشريفة التي لا تستطيع أن تقدم له أية ضمانات وقد اعتبرها القادة العسكريون نتيجة شجاعته الخارقة (1) .

«وعلى كل فانه عاش مع الاخطار، فهو جندي شجاع وواثق بنفسه، وقد تعرض للموت والجرح أكثر من مرة. ورغم أن له صفاته الحميدة، فان فيه نقصا أيضا، وبذلك لم يكن الرجل المؤهل للمهام الكبرى في مليلية ومع ذلك فانه استطاع أن يقتحم القبائل الشرقية متقدما الى الامام، ففي سنة 1920 استولى على كياشي في طريق تفرسيت وسيدي يعقوب، وبعد 15 يوما استولى على «دار الدريوش»، وفي خامس غشت استولى على تفرسيت، ثم حمودة، ويوم 14 غشت استولى على ميسار، وفي فاتح اكتوبر استولى على افراو، وعند هذا أُلحِد وقف متريثا، ريثما يفيض بعض المشاكل التي خلفها زحفه، وأهمها موقع جبل «ماورو» في قبيلة بنى سعيد، الذي يعج بالمجاهدين في حال أنه صعب لم يستطع أحد اخضاعه، كما كان عليه أن يفكر في جناحيه الايمن والايسر معا، لانه توغل بمسافة 135 كلم من مليلية، وخلف له ذلك مشاكل التموين والاغاثة واستبدال الجنود، مما جعله يقف ولا يتحرك، ينتظر وينتظر الى أوائل دجنبر 1920» (2) من هذا النص الاسباني يتبين تحركات الجيش الاسباني الاولى تحت قيادة سلفستري الذي انتشى فرحته لقطع هذه المراحل

وقد آن الاوان ليستغفل الجنرال برينكير وهو غارق في سباته، ليفاجئه كما يفاجيء جميع القادة العسكريين بجرأته الحربية، التي لا محال ان الفرصة مواتية، فالارض الشرقية سهلة المسالك، الى حدود أنوال، والقبائل التي على ضفاف وادي كرط قد استأنست بالجنود

(1) ذلك عندما انزلت اسبانيا قوة بالدار البيضاء يوم 4 غشت 1907،

بعدما كانت فرنسا قد انزلت قوتها هناك، يوم 7 غشت 1907،

اغتيال السكان لثمانية من العمال الاوربيين بميناء الدار البيضاء،

بعدما قنبلتا المدينة من البحر، وكان سلفستري اذ ذاك برتبة قبطان.

(2) عشرون سنة من التاريخ .

الاسبانيين يروحون ويغدون وهم أحوج ما يكونون للامتراء من خزائن
مليية الملوأة بالاطعمة، بينما أراضى تلك القبائل ترض بنباتها، أغلب
السنوات، لقللة الامطار التى لا تكفى لريها .

فلم يبق له الا أن يقوم بتنظيم القوات التى وضعت تحت
امرته، والتى تبلغ 20 ألف جندي اسباني عدا التى كانت فى المراكز،
وقد عززها بأربعمائة من رجال القبائل، التى فرض عليها أن تشارك فى
الحملة التأديبية، التى سيقوم بها الى حيث جنود الثورة، وهو الاسم
الذى يطلقه على المقاتلين الارياف استخفافا بهم .

وتشاء الاقدار أن يسلك فى زحفه نفس المسلك الذى سلكه متهور
من قبله، وهو قائد حملة بوحمارة الى الريف الاوسط، حيث عسكر فى
نفس الجهة واستنفر نفس القبائل .

كما شاءت الاقدار أن يلقي من الهزائم ما لقيه سلفه، وان
تنقلب ضده تلك القبائل اثر الهزيمة، كما انقلبت على من قبله، ما عدا
فارقا واحدا يبدو بسيطا، وهو أن الاول، نجى بجلده بعدما انحص
الذنب، وكاد أن يلقي حتفه هناك ولكنه لقي مصرعه فى فاس، والاخير
خلف جزية الدم بنفسه، فلم يشهد المأسى التى خلفها طيشه لمن بقى
من قواته قيد الحياة، وهكذا، فقد جهز كل شىء، وأمر جنوده أن يهبوا
للرحيل بعدما قسمهم ارتالا حسب التنظيم العسكرى، ونادى فى عرفاء
كل رتل أن ينادوا بالرحيل، ليخرجوا من مليية تاركين الوقع المؤثر فى
نفوس المدنيين الاسبان، سكان مليية، بخطواتهم المتتدة التى تحدث
دقات متوازية ذات نغمة موسيقية .

وقد تقدمهم بجواده المطهم فى اختيال وكبرياء، لأنه اتاحت له
الفرصة الثمينة ليكون من نفسه البطل الاسباني الاسطورى، وعلى أى
حال فقد قطع مفازة بوعاك، نفس المفازة التى قطعها من قبله بائس آخر،
ضحكت عليه الاقدار، الى أن وصل الى أنوال، بين قبيلتى بنى وليشك
وتمسامان، على تخوم القبيلة الاولى، فالقى عصا التعاسة هناك، ليسترىح
ويعجم عود قبيلة تمسامان، لتفتح له الطريق الى الامام، حيث طبيعة
الارض قد تغيرت، فامامه جبال مجهولة لديه، ولدى الاسبانيين، فليس

لديه خرائط لقممها الشاهقة وممراتها الصخرية، وودياها العميقة ،
ودروبها التي حفرت مسالكها اظلاف الماعز في غدوها ورواحها .

«(1) وفي أوائل دجنبر 1920 علم سلفستري أن هناك انشقاقا
بين بنى سعيد وقبيلة بنى ورياغل، فانتهزها فرصة لفتح مباحثات مع
زعماء قبيلة بنى سعيد التي يوجد جبل «ماورو» في أرضها (2) .»

«وفعلا فبتاريخ 11 دجنبر استولى على هذا الجبل الصعب
المراس، حيث دخلت قوة الجيش الاسباني واحتلت أولاد عيسى، وفي
نفس الوقت استولى على مراكز: سيدي عبد الله - الحاج بزيان - تيزي
انورن - تمجست - دار الكبداني، وبذلك ضمن حماية الجناح الايمن» .
«وعندما وصل الى هذا الحد، فانه حول أنظاره الى قبيلة تمسامان،
التي تحتضن جبال كيلاتش التي تفصل بين سهول وادي امقران وواد
النكور، وفي سهل هذا الاخير توجد على ضفته الغربية، قبيلة بنى ورياغل،
التي تعتبر آخر العقبات للاستلاء على الحسيمة، واستكمال انتصارات
الجيش الاسباني» .

«وفعلا وبدون سابق اذن، وفي أوائل سنة 1921 تقدم جمع
من أهالي تمسامان الى الجنرال سلفستري ليقدموا له طاعتهم، كما
تقدموا بطلبهم بالحاجة الملحة للسلاح، ليقوا به نقمة
قبيلة بنى ورياغل عندما تعلم بانحياسهم الى الجيش
الاسباني، فوافق الجنرال على ذلك، وزودهم بالسلاح، على أن يسهلوا
نه احتلال مراكز بنى وليشك وسيدي احساين على البحر، وطوق مركز
أفراو» .

«ونظرا الى أنه هناك طريقان للوصول الى واد امقران: الاول يمر
عن حمودة - تفرسيت - تيزي عزة - والثاني يمر عن أنوال، وقد
اختار أهالي قبيلة بنى وليشك الطريق الاخير، وفي 17 فبراير 1921
وصل الجيش الى «بومجان» على بعد 4 كلم عن أنوال» .
«وفي 15 مارس 1921 احتل سيدي ادريس من طرف جنود من

(1) عشرون سنة من التاريخ - باللغة الاسبانية - .

(2) يعلو عن البحر بـ 904 م .

انوال، ثم سير حملة متوغلة في أرض تمسامان متجهة الى واد امقران». والى هذا الحد فان قضية حماية اسبانيا بدت كأنها استكملت مراحلها، فالجبهة الغربية قد وصل الجنرال برينكير الى حيث طوق الشريف الريسونى في قبيلة بنى عروص، ولم يبق هناك شك في القضاء عليه وابن عبد الكريم لم يكن قد أبدى استعدادا للقيام بأى عمل مضاد، والريف بأجمعه كان ينقصه العتاد الحربى، مع تخبطه في مشاكل الغذاء، وعليه فان الفرصة سانحة للضربة الاخيرة، الضربة القاضية مع بساط من الاوسمة التى تنتظره حين يأخذها باعتزاز وفخار الامر الذى يجعله بين قادة الجيش الاسبانى في افريقيا .

ومن جهة ثانية، فان آخر قمة من تلك القمم تشرف مباشرة على القبيلة العاتية، التى راح ابن عبد الكريم يوقظ فيها الوعى المضاد لوعى جنوده وهى تقع على مرعى ومسمع من جزيرة الحسيمة، التى تراقب كل تلك التحركات المريبة التى يقوم بها قاضى قضاة مليلية بالامس، والذى أصبح الآن عدوا لدودا يسخر مزياء الفكرية والشخصية، التى لولا اسبانيا لما قدر له أن يتفوق على أبناء جلدته .

أما وقد علم المقيم العام الجنرال برينكير بتحركات سلفستري الى الامام، لان الرجل المتحمس الذى توصل بتعليمات من الملك رأساء، فى برقية مختصرة، جاء فيها «هيا انى أنتظر» لا يعرف لمجاملة القائد العام المباشر أى معنى .

وعلى كل فان الجنرال برينكير، لما علم بالحملة تقدم على مخاطرة لا يعلم مغيتها، مع ما يعرفه من ارتجال قائدها، فانه استمهله وطلب منه أن يحضر الى جزيرة الحسيمة، حيث ينظم قائدها اجتماعا ببعض الناس من قبيلة بنى ورياغل، يحضرها المقيم، وسلفستري، ومساعدوهما والمسؤولون عن الجزيرة (الحسيمة) .

وكما أسلفنا فقد غادر ابن عبد الكريم مليلية نهائيا فى بحر سنة 1919 م، وعاد الى أجدير وحضر وفاة أبيه بتاريخ شتبر 1920، وقد قام اثر زواجه من فتاة من أجدير من عائلة محترمة من فرقة بوجبار بالمساعى لدى قبيلة بنى ورياغل، لترك الضغائن بينها جانبا، والاستعداد

مُقابلة العدو، والذي آن له أن يتقدم زاحفا الى الامام، حيث أن نذير
السوء قد رفع قرنه من مليلية بتعيين سلفستري، الرجل المعروف بمغامراته
في الجبهة الغربية، التي تتبع ابن عبد الكريم مراحلها من مليلية، وعرف
عنه كل أعماله التي يقترفها، في كثير من العنجهية بصورة وحشية .

وان تعيينه قائدا عاما بالجبهة الشرقية، بعد ما أجلى مجاهدي
الجبهة الغربية من ديارهم الى ادغال بوهاشم، والجبال المحيطة به، لهو نذير
السوء المستطير، وبالاخص أن الرجل ضاعف من حماسه ما أحرزه من
سند ظاهر للعيان من قبل اسبانيا، وقد اعتر بهذا التعيين، لأنه صدر من
أعلى مؤسسة في اسبانيا، أهله لان يفصل في أمر ذي بال، ليس بالنسبة
لاسبانيا فحسب، بل للعالم الخارجي الاستعماري، الذي ينتظر نتيجة
أعمال الفتوحات في شمال افريقيا .

وهكذا ظل ابن عبد الكريم ينتقل في قبيلة بنى ورياغل طيلة
خريف سنة 1920 وشتاء 1921، لالقاء المحاضرات الهادئة المطعمة
بالحجج الدامغة، التي تنفذ الى أعماق القلوب، حيث توقف الضمائر
التي ران عليها ما كانوا يأتون في سبيل الضغائن الدموية بين عشيرة
وأخرى، التي كادت أن تأتى على الأخضر واليابس، باستفحال أمرها
بين الاحلاف الجائرة التي يقوى كل جانب جانبه على الجانب الآخر .

وقد كانت نهاية جماعة جزيرة الحسيمة في سوق أحد المرابطين،
مناسبة أتت ثمارها، بالنسبة للوعى الذي جعل يفتح الآذان للاصغاء،
وقد انتقل من مرحلة التوعية الاخوية بين زعماء القبيلة، الى شرح
التكتيك الحربى، الذي يجب استخدامه أمام الجيش المنظم تنظيما
عصريا، يقاتل حسب خطة مرسومة ومدروسة من المختصين بامعان .

وقد اهتدى الى أن حرب العصابات التي تتفادى المعارك الضارية
هو الاسلوب الذي يجب أن يعتمد عليه المحاربون في المقابلات التي
مع جيش نظامى مزود بالاعتدة الحديثة، مفسرا ذلك بأن هذه العصابات
ستقلق راحته كلية، لأنه حينئذ، سوف لا تجديه أساليب الحرب النظامية،
ولا يهتدى الى مصدر الخطر، فيبقى حائرا، وبالتالي ستكل جهوده فى
أرض وعرة لا يدري عنها أين يسير، ولا أين يتقدم، وكيف يتفادى لسعات
البنادق المنقطعة التي تصيب كل طلقة هدفها منه .

والحقيقة أن هذا التكتيك الذي اهتدى اليه بوحى من ذكائه الخارق، وابتكاراته التي ستظهر فيما بعد، في تنظيم شؤون المجاهدين بالريف، وهى التي جعلت منه القائد الحربى المظفر، رغم أنه لم يدخل أى مدرسة عسكرية فى حياته، وقد يكون لم يدخلها ولو للزيارة .

وفى هذا المصمار فقد قال أحد القادة (1) العسكريين الاسبانيين الذى خاض تلك المعارك فى الريف، ما يلى :

«لكن حينما يتعلق الامر بالحرب مع شعب كالمغرب، فالامر يختلف، لانه يتعلق بمحاربين يجلبون وسائلهم الخاصة من السوق الى السوق، يبتكرون وسائلهم، ويتصل بعضهم ببعض حيث ينسقون العداء للغير» .

«فالحرب فى المغرب مع عدو دائم التحرك ويصعب ضبطه لأجل القضاء عليه» .

«ودور القيادة هنا - نصيحة للجيش الاسبانى - هو أن يقوم القائد بالتهيب، والنسيق، ويقود العمليات ولا بد فى المعركة أن يقودها بنفسه، اذا نظرنا الى أن فى المغرب، لم يكن هناك نقط جغرافية، لتسيير المعركة عندما يكون مع عدو سريع التحرك، يظهر ويختفى، حسب ما يناسبه، ولذا فان دور القيادة - الاسبانية - هو أن يعلم القائد المكان والتاريخ والمهمة، وما هى الوسائل وتنسيقها من بعضها» .

من هذا النص الحرفى المأخوذ بالترجمة للاصل الاسبانى، يبدو أية قيمة كانت لتلك الاساليب الحربية التى ابتكرها ابن عبد الكريم، والتى كان يلقتها للمجاهدين قبل دخول المعركة فى مرحلتها الاولى، أو بعد ذلك، مما كان لا يبخل بوقته كل يوم، تقريبا، فهو القائد الوحيد فى العالم على ما يبدو، استطاع أن يسيطر سيطرة تكتيكية وروحية فى آن واحد، فقد اعتاد الرجل من أول يوم خرج لقيادة القضية الوطنية الكبرى، انطلاقا من حفنة المجاهدين الذين كونهم ببراعته، فى وسط قبيلة مسقط رأسه، التى نزلت بردا وسلاما فى أفق هذه القبيلة، ثم تخطت الى ما بعدها،

(1) الجنرال غوديدو فى كتابه «المغرب ومراحل التهدة» .

حيث ازاحت آثار الضغائن الدموية المحلية، وعوضتها بأخوة اسلامية أصيلة، منبعها الجهاد المقدس في سبيل الله، والوطن، والسيادة .

اعتاد أن يؤم بالناس في معسكر المجاهدين في صلاة الصبح والعصر ، أما الظهر فيصليه في بيت اقامته، والمغرب كذلك، في كثير من الاحيان، وبعد صلاة الصبح عندما يكون ضوء الشمس الذي طلعت بشائره من المشرق، قد اكسبت النفوس اثر السجود لخالق الكون ورب الناس جميعا اثرا قلبيا، يستفتح الحديث بين المجاهدين، الذين يكونون هرعوا كلهم لادائها، ولا يتخلف أى واحد خوفا من وعيد الله، والتماسا لتقبل الجهاد الذى هاجروا أهليهم في سبيله، فيكونون حلقة من حوله، حيث هو جالس الاربعاء، واضعا يديه على ركبتيه، في ثبات القائد، الذى جوارحهم، فيندفع في بلاغة الخطيب التى لم يمل، مستعرضا جانبا من جوارحهم، فيندفع في بلاغة الخطيب التى لم يمل، مستعرضا جانبا من جوانب القضية التى أصبحت الشغل الشاغل للجميع، باثارة الضمائر وايقاظ الحماس فيها، ضاربا على الوتر الحساس عند الجميع، حتى يترك انقضايا التى يتركها ملموسة للجميع، يخيل اليهم أنهم ينصرونها رأى العين من دون أن يستعين على ذلك بنشر أى خريطة حربية أمامهم، ولا أن يرسم ذلك على الاقل في الرمال، وكان في أول مسيرته يطرق في معظم أحاديثه الاساليب التى يجب استعمالها في المعارك، والتى بموجبها ستنهك قوى العدو، الذى ألف أسلوبا آخر، الذى يضطر معه الى تغيير أسلوبه ذلك ، وريثما يقوم بتغييره الذى يتطلب وقتا ليس بالقصير، حسب التقنين العسكرى النظامى، يكون المجاهدون قد فازوا بالسبق، وكثيرا ما يطعم حديثه بنضالات المشرق العربى والتركى بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، أما بعدما اجتازت تلك المرحلة الاولى المسيرية، فانه في غالب أحاديثه كان يتطرق الى التنظيمات التى يجب القيام بها لصالح البلدان المحررة، والتى كان التركيز أكثر على اصلاح الداخلية للثورة من علاقات العشائر بعضها من بعض وتنظيم القيادات القتالية في تلك العشائر، التى دعييت في بعد بالدفاع الشعبى، ثم عن الفائدة لهذا التنظيم، لان البقاء للاصلاح، الى غير ذلك .

يقول جالسوه، انهم كانوا ينتظر كل واحد منهم بفارغ الصبر، أن يحين وقت صلاة الصبح والعصر للاجتماع به، لكى يستتيروا من أحاديثه، التى عبروا عنها بأنها كانت تسرى فى اذهانهم سريان الكهرباء فى الاسلاك، وترزع أفئدتهم شوقا لتنفيذها حرفيا .

واذا ارتكب أحد من المجاهدين خطأ فى تصرفاته المتعلقة بقضية الساعة، وكان الخطأ غير جسيم الا أن له تأثيرا على كل حال، فانه يستطرد الكلام على ذلك الخطأ داخل الحديث من دون أن يسمى الشخص بعينه وانما يهتدى اليه الجميع بالإشارة الخفية، وربما قام الرجل الى وسط الحلقة ليقدم اعتذاره، فيكون ذلك أوعى درس عند الجميع .

وبعدما فاز فى تحركاته هذه فى القبيلة بثقة الزعماء، ترقب عواقب الزيارة التى سيقوم بها الجنرال برينكر الى جزيرة الحسيمة، التى سيجتمع فيها الاقطاب العسكريون، الذين وكل اليهم أمر افتتاح البلاد، التى يسكنها أناس بدائيون حسبما هو مدون فى قاموسهم، وذلك لاجل تمدينهم، وارجاعهم على الاخص الى صف البشر، وفعلا، ففى شهر فبراير 1921 م، أبحر الجنراليسمو من سبتة على ظهر بارجة حربية تخفرها مدمرتان اثنتان، وقد انتهز فرصة المرور على شواطئ غمارة، والريف الاوسط بينما تمخر الجاريات عباب مياه المتوسط، ليلقى نظرات فاحصة بالمناظر المقربة للمسافة ليستكشف ولو اجماليا تلك الجبال المتوحشة، ووديانها القصيرة المنحدرة، وكهوفها الطبيعية الصخرية، ورغم المناظر الطبيعية الخلابة التى يراها، والتى تبعث على انشراح الصدر، الا أنه لم تغب عن وجهه سحابة الكآبة التى لم تفارقه، وقد كان مرافقوه يردون ذلك الى الاشمئزاز من ملاقة ذلك المنافس سلفسترى الذى يتحدى سلطته وشرفه العسكرى، والذى لا يعبأ بالتسلسل القيادى، واثرت هذه الرحلة كان يجتمع بين آونة وأخرى على ظهر البارجة بالمرافقين المغربيين الاثنين وهما السيد محمد شراط من أجدير، والسيد دادى أبو بكر التفنساتى من قبيلة بقيوة، وكان يدعى القائد سى دادى وهو زعيم قبيلة بقيوة، بعد أن مات الحاج على اللوه .

وعلى أى حال فقد ألقت البارجة مراسيها عند الجزيرة وكان

في استقبال المقيم العام، القائد الاسباني بملييلية، وجميع رفاقه، كما استقبله جماعة من رجال الريف الاوسط، الذين دعوا لهذا الغرض، وكان من بين هؤلاء القائد السى بوبكر أشان، والشيخ محمد أبقوى والسى بيرا من بقيوة، والسيد عمر بن زهراء من أجدير، وسليمان بن المجاهد الخطابي من أجدير من فخذة عبد الكريم الخطابي، وأشخاص من بنى عبد الله، وقد صاحبهم وفد من رجال الفولكلور المحليين من فرقة الزفانين من أجدير، الا أن مما يجب التنبيه عليه هنا أن هؤلاء لم يقوموا بما ذكر الا للفراغ الذى كان موجودا، والا فانهم لما انتظمت الثورة كان لهم نصيب في النضال .

وكان حاكم الجزيرة الكرونييل «سييانطو» استعداد للاحتفال بالزائرين، احتفاء يليق بمقام الجنراليسمو ومرافقيه، وكانت الملاقاة في نظر الحاضرين ذات بهجة وحبور، وفي خضم هذا الاحتفال الذى كانت تتخلله مزامير الزفانين بأصداثها، لم يخف المقيم العام أن يوجه الدعوة الى قبائل الريف الاوسط، وبالاخص بنى ورياغل، لاجل القاء السلاح، وترك الجيش الاسباني يكمل مسيرته، بدون اراقة الدماء، وفي الاخير خاطب رجال القبائل الذين اصطفوا أمامه، موجها اليهم الكلام الذى لا يخلو من التهديد ومن جملة ما قال لهم: «انكم تعرفون أن الجيش الاسباني هو معسكر فى أنوال، وليس بين قبيلة بنى ورياغل الا قبيلة تمسامان، التى رضيت بدورها أن يدخلها الجيش متى أراد، وها أناذا جئت الى هنا لاعرض عنكم فرصة السلام، التى ان فاتت فلا وجود الزمان بمثلها، وحينئذ فلا مفر من اراقة الدماء بما يعقبه من الخراب، الذى لا فائدة فيه لان الجيش مستعد لتنفيذ مأموريته، أما الحرب فهى مضيعة للنفوس والوقت والرفاهية، مع العلم بأن احتلال بلادكم هو أولا وبالذات لفائدتكم وحدكم، لوضع الامان فى نصابه نظرا لما توجد عليه بلادكم من الفوضى، التى خلقها عدم تدخل المخزن المغربى لصالحكم، فترككم تقتلون بعضكم بعضا، وذلك ما حمل دولتى فرنسا واسبانيا أن تضعا حدا لهذه الحالة المزرية ولذا فانى أعرض عليكم الآن، بكل الحاح السلام، والوثام لتعيشوا فى أمان وازدهار» .

وعندما التأم الجمع فحص الحاضرين بعينيه الحادثتين، ولم يستطع رجال القبائل أن ينسوا ببنت شفة، لأنه ليس أحد أدري منهم بحالة التضضع النفساني الذي هم عليه، فهم في قبيلتهم معرضون للقتل والتخريب، الذين تعرض لهما من سبقهم من المخدوعين، ولذا أخرجوا مندهشين، وحاول حكام الجزيرة أن يجروهم للرد بنعم لكي يرجع المقيم العام الى تطوان مرتاحا، الا أنهم لم يظفروا منهم بشيء، ليس لانهم لا يوافقونه على رأيه، ولكن للهلع الذي أصابهم مما ينتظرهم عندما ينزلون من الجزيرة الى اليابسة .

أما الجنراليسمو فقد انكب مع قادة الجيوش الاسبانية في المغرب الى دراسة الخطط للحملة المقبلة، ورغم أنه كان يشمئز من سلفستري، لان هذا لم يخف استخفافه بأراء المقيم العام، الذي كلما حاول فتح أريف سلميا، الا ويعارضه من دون موارد، بل بفرض آرائه الارتجالية .

وعلى كل فقد درسوا الاحتمالات من جميع وجوها، وسواء اقتنع المقيم العام أو لم يقتنع، فانه رجع الى تطوان . وبمجرد ما وضع أقدامه في البارجة التي نقله، أمر سلفستري رجال القبائل بأن يجتمعوا لانه يريد أن يتكلم معهم، ولما التأم جمعهم، استهل خطابه بتسفيه رأي المقيم العام، الذي قال عنه بأنه يأسف لانه تكبد السفر من تطوان الى هنا، ليقول قولا هراء، لا يمت الى شجاعة الجندي الاسباني بشيء فالسلام الذي عرضه عليكم، معتمدا على معاونتكم السلمية، لا معنى له، وذلك لانني وجيوشي معسكرون على حدود تمسامان بأنوال، وقبيلة تمسامان طلبت مني بالحاح أن أحتلها، وأنا بدوري لا أنتظر الا استراحة جنودي، لننتقدم بنزهة أخرى، واذا وقع احتلال لتمسامان، كانت فيكم أنتم بنى ورياغل الذين يداهنكم المقيم العام جولة واحدة، أتقدم أنا أمام جيوشي ممتطيا جوادي، وأتحرك بدون حثيث السير الى أن أتناول الشاي في ظهيرة ذات صباح، بدار قاضي قضائنا، الذي لم يجد مكانا عند اسبانيا لانه لا عهد له، فجعل يستغل سداجتكم، وعليه انتظروا انتظروا، فاني وفرسي سنوافيكم ذات يوم قريب» .

اهتبال ابن عبد الكريم لحادثة الزيارة :

كان ابن عبد الكريم اثناء اقامة الحفل بالجزيرة، وطيلة اقامة القادة الاسبان ينتظر على شاطئ البحر المصائب للجزيرة ومعه مملوك يدعى بلخير، وقد تقلدا بندقيتيهما يترقبان نزول رجال القبيلة، ليتلقف منهم أنباء الاجتماع، وما دار فيه لينسج منه ما يلائم مخططة الثورى . وأول من نزل الى اليايسة محمد شرطا، وحمادى بن الحاج سعيد، وعمر بن زهراء، فسألهم عن كل حركة دارت فى الجزيرة من أول وصول بارجة المقيم العام، الى أن أقلعت من هناك دقيقة بدقيقة، ليتمكن من تكوين ارتسامات واضحة المعالم، وقد علم منها أن المقيم العام كان قلقا، وكان مشمئزا من رؤية سلفستري وكان هذا الاخير معتزا بنفسه، باديا عليه عدم المبالاة بالزائر، ذلك ما جعل هذا الاخير تشارد الفكر علاوة على عدم الاقتناع بمن حضر من رجال القبائل، اذ بدا له أنه لا لا حول لهم ولا قوة، بعد مذبحة سوق المرابطين .

وعند ما سردوا عليه خطاب المقيم العام، ثم ما فاه به سلفستري بعد ذهابه، ابتسم ابتسامة الاطمئنان وعرف أن المخطط غير متفق عليه وان سلفستري تمسك بارتجالاته، التى لم تقنع الآخر، وانه سيقوم بما يقوم به بوحي من طيشه، ثم أردف ابن عبد الكريم موجه الكلام للجميع بعدما نزلوا جميعا من الجزيرة «هل تعرفون ما قاله لكم سلفستري، انه انتهك أدنى أعراف المجاملة مع الضيوف الذين هم أنتم» ثم دعاهم أن يذهبوا معه الى داره، ليعييتوا معه، مظهرا اياهم لطفه وعدم الغضب عليهم، بسبب ملاقاتهم العدو، وذلك لكى يستدرجهم، ويطلب منهم الرجوع الى حظيرة المجاهدين، بعدما أبدى لهم بعض النكت المضحكة فقال لهم مثلا: هل أدى لكم ثمن خسارة عملكم؟ وهل أكلتم معه على مائدة واحدة؟ أو رمى اليكم بفتاة موائدة» .

ولبوا دعوته بكثير من الاغتياب، لانهم لم يكونوا يظنون أن يقابلهم بمثل اللطف الذى قابلهم به وقد طرق معهم فى الدار بعض النقط التى تهم الشريف، أو التى تهم الاسبان، وكل ذلك كان بالغاز يفهم منها هو كل الجوانب التى يريدونها، وفى اثر ذلك، ارسل الى رؤساء القبائل لعقد اجتماع فى سوق اربعاء سيدي أبى العفيف، على الضفة الشرقية لوادى غيس، للنظر فى عواقب اجتماع بعض رجال القبيلة بالجزيرة، وما يمكن أن يترتب عنها من أخطار، وعرض ارتساماته على الهدف من ذلك الاجتماع، وما يمكن أن يتخذ ازاء ذلك .

وقد لبى جموع الزعماء لمختلف عشائر قبيلة بنى ورياغل، وقبيلة بقيوة، وبنى عمرت، فانعقد الاجتماع، وقرر بعد مناقشات عروض ابن عبد الكريم فرض غرامة مالية على الذين ذهبوا الى الجزيرة، ومبلغها 500 ريال اسباني، على كل واحد منهم، وهم: عمر بن زهراء، وموح ابقوى والسى بوبكر أوشان، وسليمان الخطابي، والسى دادي بن مسعود بوبكر ابقوى، ثم ارسلوا اليهم لياتوا الى مؤتمر يعقد من بعد بأنفسهم مصحوبين بالمال المفروض عليهم، محذرين اياهم بأن من لم يحضر، ولم يأت بما فرض عليه، فان القبائل تكون حرة فى فرض عقوبات أخرى، أولها الهجوم على داره وتحريقها، وقد أذعن الجميع للحضور، وتقديم المبالغ المفروضة عليهم، ما عدا اثنين منهما وهما السيد بوبكر أوشان فانه حضر ولم يصحب معه مبلغ الذعيرة، ولما سئل من طرف أحد زعماء القبيلة، وهو احمد بودرة، أجابه السى بوبكر بأنه لا يؤدي شيئاً الى أن يرجع فحمة - أى الموت - ، واشتبك الاثنان فى جدال عنيف، كاد أن يؤدي الى مالا تحمد عقباة، حيث أن السى بوبكر أوشان له عصبية فى أجدير، وقد عمد كل فريق الى وضع سبابته على زند بندقيته، ولما رأى السيد عبد السلام بن الحاج محمد ما آل اليه الجدال، عمد الى أصحابه فأخذ منهم خمس بندقيات، ووضعها أمام المؤتمر، قائلاً انها فى مبلغ ذعيرة السى بوبكر أوشان - وكان لهذا الاخير مصاهرة فى فرقة آل طاعة من بنى بو عياش - فهدأت الحالة، ورجعت السكينة الى القلوب وقد حمدها ابن عبد الكريم للسيد عبد السلام المذكور، كما حمدها الجميع .

وفيما يخص سليمان الخطابي، فاننا نروى هنا قصته عن أحد أبناء أعمامه وهو السيد مولود المدعو أزروق قال: فعندما بلغه ما قر عليه رأى القبيلة، امتنع من اداء الغرامة، نظرا لأنفته التي تولدت لديه بوجود أحد أعمامه وهو ابن عبد الكريم يتولى فرض الغرامة، والتجأ الى الجزيرة نيلا، وطلب من اسبانيا حمايته، وقد قبلت ذلك بارتياح، نظرا الى أنه من عائلة ابن عبد الكريم، رجاء أن تجد منه ندا لهذا الاخير .

أما الزفانون الذين ذهبوا الى الجزيرة كما سبق، فقد قرر رأى المؤتمر أن يجلد كل واحد منهم مائة جلدة، ومن جملتهم كان اخوان، احدهما يدعى الشيخ عمر، والثانى الشيخ مسعود، فلما اتموا جلد الاول، قدموا الثانى للجلد، وكان ذا بداهة، فقال لا حاجة لك مبي، وما دام أخى موجودا تحت العذاب وهو أخى فانى أمنح له حقى من العذاب، فأتموا مائتين، وقد ضحك الجميع لنكتته، وفى أثناء ضحكهم، قفز وراء شريف من بقيوة يدعى سيدى محمد، وكان محترما فاستجار به، فأجره هذا، وقال للقبيلة لماذا تجلدون هؤلاء التعساء لانهم لم يذهبوا الا لاشباع بطونهم، والذين يستحقون الجلد هم السياسيون الذين ذهبوا لاطماع دنيئة، فغفوا عن الشيخ مسعود .

وقد حملت حادثة اجتماع الجزيرة كل خير وبركة لمخطط ابن عبد الكريم، فقد جمع حوله المجاهدين، واقتراح عليهم قفل باب الجزيرة فى وجه القبيلة تماما، بحيث يعاقب كل من ثبت عليه أنه ذهب الى هناك ليلا أو نهارا، لانها بيت الاعداء، ولان قطع المخالطة يضع سياسة الجزيرة فى عزلة مضمية بالنسبة للجيش الاسبانى، وفى 20 شتنبر 1920 ميلادية، تمكن من دعوة زعماء قبيلته الى عقد مؤتمر فى قرية أمزورن عند البئر وكان محلا لعقد المؤتمر ضد بوحمارة، ومنه انطلقت الشرارة الاولى، التى كانت القاضية عليه، كما سبق، ويعقد المؤتمر تحت اشجار التين، وقد كانت أوراقها تذروها الرياح، وقد تقاطر الزعماء مصحوبين بخفرائهم من عصبيتهم، كل واحد مدجج بسلاحه وكان الموقف بالنسبة لقائد الثورة الجديد ذهبيا، فتلك العصابات المسلحة لم تعهد أن ترى قاضى قضاة مليلية

مجتمعا بها وانما تسمع خبره عندما تهجم على دار عائلته، عندما كانت تنتهما بالركون الى جيش العدو بمليية .

ومع هول الموقف، فقد ظهر كمن اعتاد أن ينظروا اليه كمرشد للسفينة التي ترتطم بين الصخور تدفعها الاغصان، وعندما التأم الجمع، فحص الحاضرين بعينيه الحادثين اللتين تنضحان حزما ونفاذا، الى أعماق الاعماق، كنظرات الصقر، وهو قابع على رأس حجر في قمة جبل، يفحص المناظر التي تمتد تحته الى مد البصر، لكي يعثر على فريسة ينقض عليها، وقد افتتح المؤتمر بهدوئه المشبوب بشهامة المؤمن المتمكن من نفسه، فذكر الحاضرين بالخطر الداهم الذي يحبوا حبوا ريثما يستقيم، لينقض انقضا على فرائسه، التي هي نحن هنا وحرمانا وأموالنا وديننا، لكي يسلم منا هذا الدين، لارجاعنا الى حظيرة الدين المسيحي، وهي حلقة من حلقات اضطهاد المسلمين في أقطارهم، وسلخهم عن دينهم لتنصيرهم، وليس عملها في الاندلس المسلمة بمجهول عندنا نحن الذين هاجر الينا من تمكن من النجاة بدينه، فأنتم أنفسكم أبناء الاندلسيين كلا أو بعضا، وهامهم تبعوكم الى هنا، انى أعرف كل نوايا الاسبان، وكنت معهم، وقد بعثنى أبى لاطلع على نواياهم، ومدى قدرتهم، وبرامجهم المخططة، والآن ها أناذا بين أيديكم ليس اننى غير صادق فيما أسعى اليه، أو اننى متأثر بدعوى الانتقام لاننى تكسرت من رجلى فى سجنهم بقلعة مليية، ولهذا فاننى أتقدم قبل أى واحد منكم لاضع يدي اليمنى على هذا المصحف الكريم، الذى يضم الآيات البينات المنزل على النبى محمد صلى الله عليه وسلم، لا قسم عليه، ثم يخرج المصحف من حقييته كانت على حجرة، ويملى على أحد الحاضرين من الفقهاء، وهو الفقيه ابن على بولحيا، ليكتب صيغة القسم، التى يجب أن يؤدى عليها الجميع القسم، وهى كما يلى :

- 1 - أعاهد الله أن أدافع عن دينى ووطنى وشرفى الى الموت .
- 2 - أعاهد الله أن ألتزم بتنفيذ الاحكام الشرعية، التى يأمر بها القرآن الكريم، والسنة النبوية، ولا تأخذنى فى ذلك لومة لائم، ولو كانت ضد أعز أقربائى .

3 - أعاهد الله أن لا أثير الضغائن الدموية، وان الثأر موضوع بين عشائرتنا من هذا اليوم، ولا ضغينة بعد اليوم .

ثم أردف، هل أنتم موافقون؟ فأجاب الجميع بحماس، نحن موافقون، ثم قال، وعليه فالاسلام محفوظ بهذه الديار ان شاء الله، والنصر بيد الله «ان ينصركم الله فلا غالب لكم»، غير أنكم تعرفون أننا نقسم على المصحف الكريم، الذي لا يمس الا المطهرون، وعليه فمن لم يكن منكم على وضوء، فليذهب ليسبغ وضوءه في السواقى الجارية، فهرول البعض الذين لم يكونوا على وضوء، وقد تهامسوا في ذهابهم وإياهم بعضهم البعض، متعجبين من الرجل، وسحر بيانه، وصدق طويته، لأنهم لم يسمعوا مثل هذا الكلام منذ ما توفي الزعيم المجاهد القاضي سيدي محمد العزوزي، وعلامة الاستبشار بادية على وجوههم، وأحاديثهم؟

فلما رجعوا والتأم جمعهم، قام وصلى ركعتين، ثم قلده جميع الحاضرين، وتفرقوا للصلاة فرادى، وبعد ذلك استفتح القسم بتلاوة فاتحة الكتاب، التي قرأها الجميع بالجهر، ثم آيات «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... الخ» ثم تقدم، ووضع يده اليمنى على المصحف، وأقسم جهارا على الصيغة المتقدمة ثم تلاه الحاضرون من بعده، حسب ترتيب الزعماء كما يأتي :

الفقيه السيد محمد بن علي بولحيا، محمد بن السي أحمد الاجديري، الحاج حموش الاجديري، السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشي، أحمد بودرة، الحاج مسعود الاجديري، عبد الكريم ابن الحاج بودرة، السي علي اشهبار، شعيب بن محمد بن عمر، حمادي بوزلماط، السيد عبد الله بودرة، محمد أكوح بوضريمت، محمد أحمد بوضريمت، محمد بن عمر الولقاضي، حدو اوسار، حمادي بن الحاج سعيد، اليزيد بن الحاج حمو عمر بن علوش، الهادي بن عزوز، طاهر الولقاضي، الحاج الراضي، موح بن طاهر البوعياشي، موح بن حميش البوعياشي، عبد الرزاق بن الحاج محند البوعياشي، علوش المرابط، السي عمر بن حمادي الحنديحيابي، محمد أكوح، الحاج علي بن الحاج محند أمزيان، حدو بن امحمد بن علي، موح بن عمر موحند

العبدلاوى، موح أبرقاش العبدلاوى، موح بن صديق الحذفائى، بوطاهر
مكوح الحذفائى، السيد محمد بوقشوش المرابطى، موح بن الحاج عمر،
محمد بن الحاج محند المجوضى .

وهؤلاء من الاعيان، ثم تلاهم من بعدهم عصبيات كل زعيم،
ممن كان منهم يقرأ تلاها بدون تلقين، ومن لم يقرأ تليت عليه بواسطة
الفقيه بنعلى بولحيا .

وقد كان الموقف حقا رهيبا، ليتصور المرء أنه كان وسط المجمع
الذى يحتضن كل فرد منهم غدارته وقد دعاهم للاجتماع رجل كان
بالامس القريب مع جانب العدو، وقد بدأوا ينظرون اليه شزرا، وفجأة
أتى القوم من حيث يوخذون، فقضية الدين حساسة وقضية الحرم أكثر
منه حساسية، ثم أن القوم لا ينقضون العهد عندما يعاهدون عهدا عاديا
بدون يمين، أما وقد أقسموا على المصحف الكريم بعد الصلاة وقراءة
بعض الآيات البيّنات، فان النظرات التى تحدجها الآن كانت نظرات
تقدير، ومحبة عارمة وقد صرح الجميع فى ضجيج أنك زعيمنا، وقائدنا،
نحن نسير وراءك، لكى نخوض البحر على الاقدام، لا، لا يمكن
«لبوجروان» أن يطاء أرضنا الطاهرة، وكلمة «بوجروان» هذه تغنى
فى اصطلاح القبائل، الاسبائى، لانه يأكل اجروان وهى الضفادع .

وبعدما هدأهم من فورة الايمان والاخلاص والصدق، جعل يتطرق
الى المخطط العملى، فاقترح أولا تكوين لجنة هو من بينهم، مكونة من
ثلاثين شخصا ممن هم مذكورون آنفا، على أن تعمل على تهىء معسكر
بقبيلة تمسامان، ينتقل اليه المجاهدون، ويكون فى موضع يسامت معسكر
العدو بأنوال، يواظب فيه المجاهدون، حيث هناك تدبر المخططات للمستقبل،
ويجتمع فيه الزعماء باستمرار، ويكون هو حاضرا أيضا .

وقد اقترح بعضهم حالا موضعا يدعى «القامت» وهو محل
فى أعلى قمة بتمسامان، يشرف على هضبات بودينار التمسمانية، ويطل
مباشرة على وادى «امرواس» الذى ينزل من قبيلة بنى توزين ويشق
قبيلة تمسامان فى وسطها، ثم يصب عند سيدي ادريس فى البحر، (وهو
أحد المهاجرين العرب الذين أسسوا امارة النكور حسبما سبق)، وقد

عقب عليه بعضهم بان المحل يقع في تمسامان، التي بعض زعمائها قد غرهم العدو، فطالبوا منه أن يتقدم لاحتلالها، وهنا قرر الرأي على أن تتصل اللجنة أولاً بزعماء الفرق الغربية لتمسامان، لاقتناعهم بفكرة الجهاد، على أن يكتب ابن عبد الكريم رسالة اليهم، تتضمن فحوى الاتفاق بين المؤتمرين دعاهم فيها الى عقد الاجتماع بزاوية «بوزويقة» على الضفة الشرقية لوادي النكور أو في سيدي بوداود، وقد انعقد الاجتماع فعلاً، حضره من تمسامان كل من القائد علال بن بوعزة، والحاج حمادي بوضراست، وحمادي بن دادي، والمختار، وغيرهم، وقد عرضت عليهم اللجنة القصد من الاجتماع وهو تأسيس مركز للتجمع في القامت، فما كان من القائد علال بن بوعزة الا أن اعترض عليهم، وأبى بكل صرامة اقامة تجمعات في قبيلته، متذرعاً بأن الجيش الاسباني حينئذ سيصيب جام غضبه على هذه القبيلة التي تكون خطاً وقائماً لقبيلة بنى ورياغل، واذ وصل الحوار الذي احتدم الى هذا الحد، فان القوم وجهوا التهم الى علال بن بوعزة، الذي كان يوصف بأنه عميل اسبانيا، وأنه كان يتقاضى العلاوات المالية، كما ذكرود بمعارضته في قضية بوحمارة أيضاً، وكاد بعضهم أن يفتك به، لولا أن ابن عبد الكريم ذكر الجمع بالقسم الذي أدوه على المصحف

وقد تدخل في الحوار ضد علال بن بوعزة الزعماء الآخرون، من تمسامان، منهم المذكورون اعلاه، بعد ما أرغموا علال بن بوعزة بأن ينسحب، وأعطى هؤلاء الموافقة على البرنامج بحذافره، وأقسموا على المصحف نفس القسم، ثم تقدموا أمام اللجنة الى محل القامت، لفحصه واختبار الموقع، وقد تكفل هؤلاء الزعماء بتموين المجاهدين وحشد الرجال من قبيلتهم، لنفس الاهداف المقدسة .

محكمة الشعب والقصاص الشرعي :

بدأ ابن عبد الكريم يدعو المجاهدين الى تقبل نسيان الضغائن الدموية التي استحكمت جذورها في النفوس، وأصبحت عسيرة الاقتلاع الا لمعجزة من السماء، وأول حادثة برزت من هذا النوع، وطبقت فيها

بنود القسم، هي حادثة في قبيلة بنى ورياغل، ذلك أن شخصا من زاوية سيدي يوسف، وهي قرية كبيرة محترمة من فرقة المرابطين، يدعى حدو بوراس، قتل شخصا أخذا بالثأر، فقبض عليه أهالي المقتول، وأوثقوه، وساروا به إلى مجمع المجاهدين، بمركز القامث، وكان من المألوف أن ينقضوا عليه قتلا، حينما يعثر عليه، ولو أدى ذلك إلى ما أدى إليه

وها هي الآن بوادر الإصلاح تبدو مؤثرة في النفوس العامة، وهي حالة يستبشر بها، وعندما سلموا غريمهم لقيادة المجاهدين، قدمه ابن عبد الكريم لمحكمة الشعب، برياسة الفقيه بن علي بولحيا من قبيلة بنى توزين، وعضوية الفقيه السيد محمد الشركي من بنى توزين، والفقيه محمادي الشمس من بنى ورياغل والفقيه صالح التسماني، وامام جمهور الحاضرين، بدأت المحاكمة في العراء، باستنطاق المتهم الذي لم ينكر الحادثة، ووقائعها، ثم نودي على أولياء المقتول، فتقدموا وأثبتوا صلة البنوة به بالمقبول الشرعي وبعدد أصدرت المحكمة حكما بأعدام الجاني، على أن يتولى أحد أولاد المقتول الاقتصاص بالوسيلة نفسها، التي قتل بها أبوه، بعد تفويض من باقي أولياء الدم، وكان اليوم مشهودا عندما حضر الجميع مشاهدة أحد أركان الشريعة الإسلامية تقام، فبعد تنفيذ القتل، كبر الجميع تكبيرة دوت بها جوانب الموضع .

وجرت بعد ذلك محاكمات أخرى، منها ما صدرت فيها البراءة ومنها ما صدرت العقوبة فيها، ومن القضايا الأولى محاكمة السيد محمد شراط، الذي اتهم بخيانة قضية العهد المقدس باتصاله بأحد الضباط المغاربة الذين يعملون في الجيش الإسباني بسبتة، ويدعى موح بن سعيد الورياغلي، وكان أتت به قيادة الجزيرة إليها، عندما وقع قطع العلاقة معها، فاستقدم إلى معسكر المجاهدين، حيث قدم إلى محكمة الشعب لمحاكمته، وانعقدت المحكمة وتقدم أحد الزعماء للدفاع عنه وهو السيد عبد السلام البوعياشي، الذي أبرز في دفاعه عدم ثبوت اتصاله، وأن مثل هذه التهم أن تطورت فإن عواقبها تكون وخيمة، لأن الناس يعمدون إلى مثل ذلك في أحياء نفس الضعائن التي عاهدنا على تركها، خصوصا وأن

الشاهدين عليه يعتبرون واشين به، وليسوا شهودا، وبالخصوص فانه بمجرد ما قدم للمحاكمة تسابق بعض الناس لتجريد من بندقيته، ومسدسه، وبهيمه ركوبه، مما أثار ضجة، فحكمت محكمة الشعب ببرائته، فاسترد أمتعته .

وممن حكم بادانته شعيب بن الحاج تهاى الدردوش من فرقة المرابطين، فقد اتهم باتصاله بنفس الضابط المغربى الذى مده بالسلاح والمال لاهياء الفتن، وكان له ضلع مع عمر بن احميدو المرينسى واحداث المصاعب ازاء المجاهدين، ولما استدعى الى مركز المجاهدين، اعتصم بداره، ولم يلب الاستدعاء فأرسل المجاهدون أشخاصا نصبوا له كميناً حول داره، وكان معهم أحد أصدقائه، ممن كان موضع ثقته فطرق عليه الباب ليلاً، طالبا أن يخرج اليه، ليبلغ اليه أمراً يهمه، وحيث أنه لا يشك في ثقته، فقد خرج اليه فانكب عليه الكمين وأوثقوه، وقد بدا في وثاقه كالأسد في القفص، يزمجر تارة، وينتفض تارة أخرى، أسفا على أنه وقع فريسة الثقة العمياء، ولم يتمكن من استعمال سلاحه الذى خرج به من الدار، وكان فى الاقدام وركوب المخاطر ممن يقرأ له الحساب، وهكذا قدم للعدالة فاعترف وثبتت وسائل الاقناع، فصدر عليه الحكم بالاعدام، حيث تولى اعدامه أحد عامة الشعب، الذى وقع الاختيار عليه من الشعب والمحكمة .

وسياتى تفصيل هذه القضية بالتام .

عمل فدائى وبطولة نادرة :

بينما المجاهدون يرابطون فى مركز القامث، كان من بينهم اثنان من الابطال المغاور، وهما: السيد عمر بن علوش من زاوية سيدى عيسى، ومن ابناء أعمام المجاهد الشهيد السيد محمد الغزوى والسيد احمد شعيب الغزوى من تماسينت، ولم يكن نشبت أية معركة أو مناوشة مع العدو المرباط على الجبهة الشرقية لمركزهم، بل كل فريق صار لتنظيم نفسه، واخذ الاستعدادات اللازمة لليوم المشهود، وكان العدو أحاط خطه العام «أنوال سيدى ادريس» بمواقع ثانوية على الهضاب المحيطة

بذلك المركز، فمن هنا بومجان، ومن هناك اغريين ومن هناك أمزاورو، وكل ذلك بقبيلة تمسامان .

وفي أحد الايام خطر لهذين البطلين أن يقوموا بتسلل فدائي لاشعار العدو «بأننا هنا»، ولم يكن ذلك بمشورة من ابن عبد الكريم، ولو شاوراه لمنعهما، حذرا من العواقب الوخيمة على حياتهما، وذات ليلة قاما بتنفيذ ما عزم عليهما، فذهبا هما الاثنان فقط من دون أى احتياطي آخر، الى أن وصلا الى قشلة بومجان، وكانت تقع قبالة «أنوال» يسكن العدو هناك في قباب بيضاء محوطة بدائرة من الاسلاك الشائكة مع متارس من أكياس التراب هنا وهناك .

وكان كل شيء عاديا في تلك الليلة، لا يزعجهم أى طارق يطرق، وكانت الحامية تضم حوالى مائة جندي وضابط وكانت فيه القيادة وسط القباب يحتلها ضابط برتبة الكبطان، وكان الضباط في ذات ليلة مجتمعين في قبة الكبطان، يلعبون الاوراق ويضحكون ويمرحون وكان جندي بائس يحرس باب القشلة الخارجى عند ملتقى دائرة الاسلاك، تعاونه جماعة لا تتعدى السبعة على رأسهم السرجان، وكان من بينهم جندي واحد من المغاربة المنخرطين في الجيش النظامي قديما، وكان الحارس يضع بندقيته على كتفه تارة، ويسير الى الامام في خطى متوازية، ثم يقف فجأة لينقلب الى الوراء، بنفس النغمة، وقد أنهكه العياء ينتظر انهاء الساعتين من حصته الليلية، وقد فوجيء في تلك الليلة على غير العادة أن نادى أحد هذين البطلين باللسان المحلى، «أيها الجندي اصغ»، فلما كان الجندي المغربي حاضرا في قبة الحراسة المضروبة على قيد خطوات من الحارس فقد نهض واقفا، وأجابه نعم ماذا تريد، فقال البطل اننا نريد أن نتحدث مع قائد القشلة، فهل لنا من اذن بذلك؟ وبدون وعى ولا تفكير أجابه الجندي المغربي تقدم، وكان يبدو لجنود الحراسة أن الشخص ورفيقه يريدان الافضاء بسر يخص الحامية فلم يعباوا بهما، ولا بهيئة دخولهما، فاجتازا باب القشلة الخارجى، ومعهما سلاحهما الذى أخفياه تحت جلابتيهما، ولم يسألا عن قبة القيادة، تعمدا منهما أنهما يعرفان كل شيء، وانهما طالما طرقا القشلة، لانهما من عيون الجيش، جاء بخبر في حال انهما لم

يصعب عليهما أن يهتديا إليها للضوضاء والضوء معا، وحتى لما وصلا إلى باب القبة لم يعبأ بهما أحد، فاندفع الرصاص يحصد الضباط، وقد هلع الجميع، كما اختلط حابل الجنود بنابلهم، فلم يهتدوا إلى ما وقع، وقامت حركة عشواء داخل القشلة أما البطلان فبعدما أنهما مهمتهما، نكصا راجعين حيث أتيا، ولكن كان الباب مسدودا بالجنود فتنكبا إلى جهة أخرى حيث سهل على عمر علوش أن يتخطى الأسلاك بقدرة قادر، ولم يشعر إلا وهو خارج الأسلاك، أما أحمد بن عزوز، فقد وقع في الأسلاك فتقطع ثيابه وجلده، ونادى على رفيقه الذي تقدم لفكأكه، بينما يطلق النار بسرعة فائقة، اشعارا للعدو بأن هناك قوة تحرسهما، وبهذه المهارة استطاع أن ينقذ رفيقه، بعدما ترك أطرافا من لحمه على أشواك الأسلاك، وقد هناهما ابن عبد الكريم حين وصلا، كما حذرهما من مثل هذا العمل بدون استئذانه.

معارك أنوال
وهزائم إسبانيا على ضفاف وادي كرت

بدء المعارك الحربية ومقتل الجنرال سلفستري

1 - معارك أنوال «ادهار ابران»

كلمة ادهار في اللهجة المحلية تطلق على القمة الشاهقة، وكلمة ابران اسم للحجل الذكر أما الحجل الانثى فيقال لها «تسكورت»، والحجل هو طائر معروف أحمر المنقار والرجلين يصطاد في موسم الصيد يطلق في اللغة العربية على الذكر والانثى .

وتقع «قمة ابران» شمالي مركز المجاهدين، ببعد 6 كلم تقريبا بين مركز القامث للمجاهدين، ومركز سيدي ادريس للعدو، وتشرف قمة ابران على واد «المكثن» المنحدر من وادي «اكرمواس» فهو في موقع هام بالنسبة لمراكز العدو الخلفية، التي تجمع القوات المعدة للزحف، فضلا عن أنه يسيطر على الممر الهام الذي يكون المخاض الى منبسط النكور وعيس لبنى ورياغل، رأس الافعى، الذي لم يبق للاشراف عليه الا تحرك بسيط، الى قمة أخرى، تشرف على ذلك المنبسط، حيث يكون في متناول المدفعية أن تزرع الهلع في سكان ذلك المنبسط .

حقا ان الصعود الى جبل ابران كان مضنيا، فالطريق اليه معلق لا يمكن الوصول اليه الا على دروب الماعز، وبالنسبة للاهالي الذين يلبسون نعال القش بشراكها، فان التسلق اليه عادي، كما تتسلق الماعز بأظلافها، أما الجنود الذين يلبسون أحذية ذات الكعاب، فان التسلق متعب جدا، لان الجندي معرض للسقوط، في حال كونه مثقلا بأدوات ينوء تحت عبئها، وفرقة التجهيز تحمل القباب وأعمدتها وأوتادها، لان البغال أو أدوات النقل الأخرى مستحيلة هنا، فاماوقع تختف به ذرى تسامت الجبل

في الارتفاع، وليس هناك من سبيل الا الصعود على الحائط المحصوص بأكوام من الاحجار التي لفحتها شمس الزمان الغابر، من منذ ما خلق الله الارض ومن عليها، الا أنه رغم كل هذا فالتمكن من الاستعلاء عليه يسيطر سيطرة تامة على ما حوله، ويجعل النزال معه عسيرا، ان لم يكن مستحيلا، وبالاخص اذا كان له متسع من الوقت لوضع المتارس في وضعها اللائق، وحفر الخنادق، وتسايحها بالمدافع والمورتر، حيث يكون للقلعة في طلقاتها ترجيع صداها بين تلك الذرى والشعاب، التي تسلمه بدورها الى أعماق الوادى، ليحدث الفزع والرعب، مع شرط ضمان ورود الماء والمؤون، ولكن في الواقع شتان ما بين ما يرتجى من التحصينات، وبين ما جبل عليه القوم المتربصون من ركوب الاخطار، وتخطى الصعاب، الذين يعتبرون اختيار عدوهم لتلك القمم، للاستعلاء عليها من الفرص التي قل أن يجود بها الزمان، فقد توفرت لهم المتارس الطبيعية بين تلك الشعاب التي يسلكونها عدوا من دون أن يعثروا ولو مرة واحدة، ثم أنهم يتمكنون من الكر والفر بصورة عادية تماما، ان لم يكن بصورة افضلية، على أنهم اذا أتبطحوا في غضون ذلك المنحدر فان أية قافلة للتموين لا يمكن أن تصل الى هدفها، بينما القاؤه بواسطة الطائرة يطيش عن الثكنة بصورة قطعية، ثم أن الحامية تحتاج الى الماء، الذي تراه يجرى في قعر الوادى ببصرها، ولا تصل اليه، مما يزيد لها لهفة العطش .

وعليه فان التفكير في ارسال هؤلاء البائسين الى هذا الموقع، يعتبر في حد ذاته من طيش القيادة ما دام ارسالها كان بصورة جزئية منقطعة عن المؤخرة، التي قبعت في مراكزها، التي لا تستطيع أن تعمل شيئا لصالحهم اذا حز بهم الامر، وهو ما وقع فعلا .

كان اليوم يوم رمضان من عام 1339 هـ . موافق لسنة 1921 م . (وبالاضبط في شهر ماي)، حينما ظهرت رغبة ابن عبد الكريم أن يلتحق بداره بأجدير، التي تبعد بحوالى 40 كلم، وعليه ان يسلك منحدر متعبا، وهو راكب على بغلة شهباء، الى أن يسلمه الى المنبسط الفسيح، المكون لسهل الخسيمة الذي تخف فيه وطأة السير، وقد بدا له أن بعض رفاقه اشتاقوا أهلهم، بعد طول الانقطاع والعمل، فأذن لطائفة منهم، على أن

ضرب لهم ميعاد الرجوع بعد ثمانية أيام، وقد خلف على مركز المجاهدين السيد عبد السلام بن الحاج محمد، والفقيه بن علي بولحيا، ولم يكن سبب رغبته هو بالحاق بداره ان يستريح فقط، وانما كان أهم تلك الاسباب أن يطلع على التحركات السياسية، على الصعيدين الاثنين: صعيد حكام جزيرة الحسيمة، وصعيد أصدقائهم القدامى الذين ربما يحنون الى العلاوات الباردة، التي تترف عيشهم على حساب اخفار ذمتهم، واخوانهم، ودينهم، وذلك جوعا من طعن المجاهدين من الورا عن غفلة .

ومع الاحتياط اللازم لرحلته، واخوانه، على المركز لتبقى سرية مكتومة، فان عملاء العدو من بعض قبيلة تمسامان، الذين لا يمكن أن تكون غيبة بعض المجاهدين خافية عليهم، بحكم اظهارهم الانابة، ومنهم عمر أقرقاش، والتهامي أمغار، من بنى بويدر، والحاج عمر بويوزان، والحاج بلفقير من أمزاور، وعبد الرحمن أوسدول من تيفزة، هرولوا ليلا الى سيدي ادريس، وطلبوا من سلفستري أن يهتبل غياب بعض المجاهدين، ليتقدم الجيش لاحتلال جبل، يكون قريبا الى مركزهم الامر انذى يشنت الباقي، فيفت في عضدهم، فلا تقوم لهم قائمة من بعده، وألحوا عليه بأن يستغل عنصر السرعة، وبما أن ارتجال سلفستري لا يترك له ترويا أو دراسة مع أركان حربه، فقد اكتفى بتوجيه أمر الى الكرونييل بيار الذي كان على رأس حامية بومجان، يأمره فيها بدراسة الوضع بكل عناية، مع رؤساء قبيلة تمسامان، ووجه للجنرال ليسمو برينكير يعلمه بما قر عليه رأيه، جاء فيها «يلزم أن نفكر طويلا قبل أن نقدم على أى عمل جديد، وقد أبرقت للكرونييل بيار في بومجان وطلبت منه أن يدرس الوضع بكل عناية مع رؤساء القبائل من تمسامان، حتى اذا ما توفرت لدينا الضمانات الكافية، أقوم بالعمل في تلك الجهات، وانى من جانب سوف أعطى الموضوع ما يستحق من العناية، نظرا لكوننا سنجابه سلسلة من المعارك، تختلف تمام الاختلاف عن سابقاتها» .

وقد أمر بتحسين الخطوط الخلفية، لجبل ابران، التي تقرر الاستيلاء عليه، لتهديد مركزا لمجاهدين بالقلعة، وفعلا أشرف الكولونيل بيار على تلك التحصينات، كما انتقل سلفستري من سيدي ادريس الى

أنوال من هناك للإشراف على توزيع الجيوش على المواقع الخلفية، لابران، ولان يعجل بارسال الحملة الى ابران، ومتابعة عملها، وعلى الساعة 12 ليلا من ليالى ماي 1921، تحركت الحملة الى ابران، وعند الفجر كانت قد استقرت على قمته، وبعد ما اتصل سلفستري مع قائد الحامية بالهلوغرافى، واطمأن على سلامة الوصول، وعدم أى رد فعل من طرف المجاهدين، رجع الى سيدى ادريس، وقد أبرق الى تطوان، يعلم برينكير، بأن الحملة قامت بمهمتها خير قيام، مشيرا الى أن مفتاح الحسيمة قد حصل باليد، وأنه لم يبق الا تحريك المزلاج لفتح الباب الى النصر .

احتلال الجبل كان على الكيفية التالية :

تكون الرتل الذى وضع على عاتقه احتلال الجبل من 500 جندي بقيادة القبطان سالنسى نتا، هكذا جاء فى كتاب عبد الكريم الخطابى أمير الريف للانجليزى روبرت فورنو المنشور مؤخرا، وهذا يخالف ما جاء فى أغنيات بنات تمسامان، اللائى شاركن بأهازيجهن فى المعركة، حيث يقلن ما معناه : أن القبطان بياربا هجم على تمسامان، واحتل جبل ابران مفتت العظام، ما الذى غرك لما نصبت الخيام كما يأتى قريبا .
وقد نقل هذه الاغنية، أو النشيد الحربى، الكولونيل الاسبانى مندولازو تحت اسم الطبجى فى كتابه «الكشكول المغربى» .

وقد تسلق الرتل فى عناء مضمّن المنحدر الصاعد الى القمة، بعد ما كانت كوكبة المقدمة المركبة من 25 جنديا ذوى سواعد مفتولة، وحركة سريعة، يحملون بنادقهم بين أيديهم، وسبابتهم على زنادها يصلون الى أعلى القمة، يفحصون المكان فحفا، متنقلين بسرعة بين صخرة وصخرة، وأعشابها الوطيئة، فلما لم يجدوا حسا لكائن حى، فانهم أعطوا الإشارة للباقي للتقدم .

وهكذا بعد بزوغ الفجر الذى أردفه الشعاع الاول للشمس اللافحة، أصبح الجبل حيا بعدما كان بالامس ميتا، لا حراك عليه، واستيقظ المجاهدون على منظر غير مألوف لهم، فقد رأوا أخبية بيضاء منصوبة فوق القمة، وبعدها احدثوا النظر متفحصين كل قمة يرونها من أماكنهم

بعثوا الى أمكنة أخرى من يستقرىء خبر الذرى الاخرى الغائبة عن
أنظارهم، هذا هو العدو قد استغلنا، من يا ترى كان وراء الخديعة؟ أين
أقرقاش؟ أين بويوزان؟ هو أمر دبر بالليل، ولكن لكل حرج مخرج، ابعثوا
بالرسل الى ابن عبد الكريم، وإلى الرئيس فلان، والرئيس فلان، انتظروا
أيها الشباب لا تزعجوا الزنابير في خليتها، فتتقض عليكم بلسعاتها الموجهة،
انتظروا الى أن تصل الاغاثة، فان الغنيمة ان قدرت لا تفوتكم .

هكذا دبر الامور رئيس المجاهدين السيد عبد السلام بن الحاج
محمد، الذى خلفه ابن عبد الكريم مكانه، مع الفقيه بولجيا، وقد استمر
اليوم كله للاستعداد المحلى، بتوزيع الحفنة الموجودة هناك على المواقع
المركزة للدفاع، ان جد أمر، وعندما غربت الشمس تفرق الشباب على
الهضاب المنظورة من قبيلة بنى ورياغل، وفرقتى بنى بويدر وبنى بوداود
التمسمانيين، لايقاد نار الخطر المعهودة لدى الجميع، التى هى الوسيلة
المثلى لسرعة الاتصال بالهاتف المنظور، وان أنس شيئاً فلا أنسى هذا
المنظر الرائع والمفزع معاً، وأنا صبى في قريتنا، أنظر الى الوجه الغربى
لجبال تمسامان، وبعض جبال بنى توزين، المتصلة بالاولى، وقد ظهرت
منها نقط النار، تلمع، تقترب بعضها من بعض تارة وتبتعد تارة أخرى،
وتنتشر بسرعة فائقة الى الاسفل، أو الاعلى، الى اليمين أو الشمال، حتى
أصبحت كأنها زرقة السماء فى كبدها النجوم تلمع، بينما سرت شائعات
النساء فى القرية تقول بعضها بأن العدو قد انحدر الى جهتنا، والبعض
الآخر تحمل الاطمئنان، أما الرجال فلا متسع لهم لتسمع منهم أى شىء،
لأنهم اختطفوا سلاحهم اختطافاً، فذهبوا مسرعين، ولم يودعوا .

وقد بقيت القرية موحشة، لان أبى موجود منذ زمن فى المركز،
مما زاد فى حرج موقف العائلة التى لا تسمع الا الأناث من الامهات
والاخوات .

وهكذا فى الصباح الباكر لليوم الثانى، كان كل من استطاع حمل
السلاح قد وصل الى موضع الخطر، فاختلف القوم بين أن يقتحموا حالا،
أو ينتظروا الى وصول ابن عبد الكريم، أو على الاقل الى الليل، وشعر
فى توزيع المواقع التى يجب أن تحتلها كل عشيرة من العشائر، على أن

يكون المهم هو الموقع الخلفى للثكنة، حتى يقطع على العدو خط الرجعة، أن حاول الفرار، وكان الحماس باديا على وجود المجاهدين، الذين هاجروا الضغائن الدموية بينهم، بحكم قسمهم قبل، فلما عسعس الليل راح كل فريق الى حيث عين له، على أن يكون الهجوم العام بعد الهزيع الاخير من الليل، وبعد ما أحاط المجاهدون بالثكنة احاطة السوار على اليد، بدأ الهجوم من جميع الجهات، وقد فرض حماس المجاهدين وخفة حركاتهم، أن لا يتقيدوا بالتعليمات التى تلقوها من رياسة المركز، بل تسابقوا لكسب النصر، وقد دافع الجنود خلف متارسهم التى أقاموها فى اليوم السابق، دفاع المستميت، وكان أول من استفتح القفز الى داخل القشلة أحد من أولاد بوصريمت، وهو محمد بن احمد الذى استشهد فى نفس المعركة بعد حين، وقد قبض مأسورة بندقية أحد الجنود الذى أرسلها من فوق المتارس، يطلق منها النار، فانحرف بها جانبا من دون أن يطلقها، وقفز وراء الترس، حيث اشتبك مع الجندى بالسلاح الابيض، وفتك به، وقد اختل دفاع الجنود القرييين منه، فتبعه مجاهد آخر، ثم تقاطروا، فجعلوا يحصدونهم حصدا، وهم الجنود بالفرار، فكان الضابط قائدهم يردهم، وينادى فيهم، دافعوا لا تجبنوا، ثم استل سيفه، ووقف على صخرة ويقول ها أناذا تشجعوا، وفى هذه الحال صوب اليه أحد المجاهدين النار، فأرداه قتيلا، فلما رأى الجنود قائدهم صريعا، اتجهوا نحو الفرار، من دون وعى، وتشتت من كان الى ذلك الوقت حيا متعثرين فى الاحجار، والاعشاب، وقد تعقبهم المجاهدون بالقتل، ويقال أنه لم ينج منهم الا ستة، فروا الى مركز سيدى ادريس، واستشهد من المجاهدين أربعة فقط: وهم: الشيخ عمر أفقىر الحبقوشى من تمسامان، وبوطاهر بن بلحسن الدردوشى من بنى ورياغل، وموح بن احمد بوصريمت من بنى ورياغل، وعمر أفقىر من تمسامان، ودامت المعركة من الصباح الى ما بعد الظهر .

وغنم المجاهدون مدفعا واحدا جبليا، ومدفع مورتر، وأربع رشاشات وخمسائة بندقية (موزير) وعددا هائلا من الخرطوش .

ولما انقضى المجاهدون على القشلة كان المدفع الجبلى عامرا مهيا لرمى القذيفة، وقد حاول العدو فك الحصار على الحامية وتقديم الاغاثة

بعدما ظهر للعدو أن المجاهدين أحدقوا بالحامية من جميع جهاتها، وأنهم أخذوا مواقعهم المحصنة تحت طبيعة تضاريس الجبل، كما تبين له أنهم يعملون جاهدين لقطع طريق تراجع الحامية، وأنها مهما حاولت التراجع فإنها لا تلجد لذلك سبيلا، كما أن أية اغاثة في أنوال أصبحت من ضرب المحال .

وعلى ضوء هذه الاحتمالات فكر سلفستري في فك الحصار عنها فسير اغاثة تحت قيادة الكبطان «سلافرانك»، ولكن باءت بالفشل، فلم تغن شيئا من المصير المحتوم، الذي خلف موجة من التساؤلات المختلفة، فقد كتب الكرونيل موراليس رئيس المخابرات الاسبانية بالجبهة الشرقية يقول «لقد ظلت مأساة ابران المشؤومة شغلنا الشاغل أكثر من شهر كامل، وقد كان علينا أن نقبل بالنتيجة، ونطمئن اليها مادام لم يقع ما هو أفظع، وإن خسارة مركز وضياح بضعة مدافع كان أول حادث من نوعه، إلا أنه قد أثار هيجانا كبيرا، داخل المراكز وخارجها» .

أما الجنرال ليسيمو برينكير الذي ألف كتاب «المعارك في الريف وجبال» فقد حمل فيه على الجنرال سلفستري ونسب كل الهزائم التي حصلت في الجبهة الشرقية الى خفته وطيشه، ومما قاله فيه عن معركة «ابران» ما يأتي :

«لقد كانت ابران مفاجأة كبرى، وكانت نتيجة لتفاحش الثقة، كما كانت مصدرا للتأكد من موقف لم يكن قبل ذلك معهودا في تمسامان وبنى ورياغل» .

وبعد ما أبحر الجنرال برينكير اثر هزيمة ابران الى سيدي ادريس ليجتمع بالجنرال سلفستري، ويطلع على الحالة التي أعقبتها، كتب تقريرا الى الوزارة الحربية بمديره جاء فيه :

«يعتقد قائد جيوش مليلية، أن الحالة أصبحت مستقرة في واجهة تمسامان، وغامضة بعض الشيء في بنى وليشك، وتفرسيت، وقد ظهر بعض تضعف في بنى توزين، غير أن هذا كله لا يدعو الى القلق أما خطوط المواصلات مع الواجهة فهي سالمة، ويبدو أن بنى سعيد مسالمة، وتظهر التأييد، والذي يظهر أن النكسة — يعنى نكسة ابران — لم تحدث

أثرا بالنسبة للقبائل في الداخل، بيد أنه لا يستبعد أن تتكون حركة جديدة». وختتم تقريره بقوله: ان الحالة حسب رأى قائد الجيوش - يعنى سلفستري - تعتبر على العموم غير مستقرة، وهى تتطلب الاخذ بالحيلة، والعمل باتزان، وائى (يقول بريנקير) لا أرى ان الحالة تدعو لقلق كبير». ومن جملة ما غنمه المجاهدون في هذه المعركة المدفع الجبلى، الذى كان معبأ بالقذيفة واثّر الهلع الذى أصاب الطبعيين من الجيش المنهزم، بقى المدفع كذلك، وحكى لى والدى شخصيا، أنه ذهب ليتفقد السلاح الثقيل، ليأمر بالاحتفاظ به، وقد مر أمام المدفع بينما أخذ المجاهدين وهو يجهل كيفية ايقاد زنده، جذب اليه شريط الزند، فاندفع برمى قذيفته، فى حين تخطى (آى أبى) خطوة واحدة مأسورة المدفع فسلمه الله، وقد اختفى فى دخان البارود، ولم يصب أحدا.

هذا وقد روى لى السيد محمد شراط، الذى كان حاضرا للمعركة، أنه بعد الهزيمة، ذهب يعدو مع خمسة من أجدير، لاخبار ابن عبد الكريم الذى لم يكن وصل بعد هزيمة العدو، فتلاقاه فى أربعاء أتروكوت، وكان معه حمادى بوزلماط، وعبد الكريم بن حدو بن زيان، كلاهما من أجدير، ولما قص عليه خبر الهزيمة، نزل على بغلته وأطلق بعض الرصاص فى الهواء، فرحاً، ثم حث السير وأمر بعض رفاق شراط الشباب بأن يعدو متسلقا بسرعة ليبلغ السيد عبد السلام بن الحاج محمد رئيس المركز، أن يحتفظ بالموقف الذى هم فيه، ولا يتبعوا العدو كى لا يقع مالا تحمد عقباه، الى أن يصل.

وكان بعض المجاهدين قد خفوا الى قشلة سيدي ادريس، فمنعهم خوف حصدهم بالنيران من البحر.

ويبدو من هذه الرواية عن شاهد عيان أن الزعيم ابن عبد الكريم لم يكن حاضرا فى المعركة، لان المجاهدين عالجوها بخفة الروح والاشتياق الى الجهاد، فلم يمكن لهم أن يضبطوا أعصابهم الى أن يصل ابن عبد الكريم رغم الحاج بعض زعمائهم بالتريث الى أن يصل.

وعنصر السرعة جاء بوحى من غريزة الايمان القوى، وتعطش المجاهدين الى فضيلة الجهاد، الذى كان مر عليهم زمن لم يسعفهم الحظ

المواتى لذلك، نظرا للضغائن القبلية والعشائرية من جهة، ونظرا لعدم وجود من يقود مسيرتهم متحدين من جهة أخرى .

وكون ابن عبد الكريم لم يحضر في معركة دهار ابران، هو المتداول عند المجاهدين الذين حضروا المعركة، وهو خلاف ما ذكره الانجليزى «روبرت فورنو» في كتابه «عبد الكريم أمير الريف» الذى بعدما قام بجولة في جهات الشمال، مع ولد الزعيم السيد سعيد، وسأل بعض الاحياء، ومنهم السى على اشهبان الذى كان يبلغ فى ذلك الوقت 16 سنة، فقد ذكر المؤلف ان ابن عبد الكريم وأخاه أشرفا على المعركة، حيث قال : «وارتاح المتسلقون قريبا من ذروة القمة ينتظرون الاشارة من عبد الكريم الذى كان يستلقى مع رجاله فوق المنحدرات الجنوبية» .

«وأدار عبد الكريم رأسه فى اتجاه الشرق، وراح ينتظر الفجر وهمس فى أذن جاره يقول: انى أمسك بندقيتى بيدي، واضع رجلي الواحدة فى القبر» وتلك كانت هى الطريقة الريفية للقول بأنه يتوقع أن يقتل لكنه سيقا تل الى النفس الاخير» .

ويظهر من هذه الحكاية أن ابن عبد الكريم كان يكمن مع المجاهدين خلف قشلة العدو، ويسدد بندقيته اليه ليقا تل ، وهذا يخالف أولا حكاية شاهد عيان، وهو القائد محمد شرابط من أجدير البذى أرسل عن عجل ليعلم ابن عبد الكريم بالهزيمة وحكى كيفية ملاقاته ومحل الملاقاة وأكد حكاية شرابط جمهور ممن حضر المعركة .

كما يخالف أيضا الاعراف السائدة، والتي استمر عليها ابن عبد الكريم فى جميع المعارك، فان تلك الاعراف تقضى عليه بأن لا يزج بنفسه، وهو الزعيم الاوحد للثورة، فى خوض المعركة بنفسه، حيث يضع رجله فى القبر، لان موته موت الثورة نفسها من أساسها، وهو أمر لا يتركه المجاهدون أنفسهم ان يرتكبه، لما فى ذلك من خطر على الجميع، ليس لان أحد رجله كانت أصيبت بعرج لما حاول الفرار من السجن بقلعة مليلية، وان حياته هناك لم تجعله قادرا على الكر والفر، وانما خوفا على حياته الغالية .

فالرواية على ما يظهر من تنميق الراوى السيد على اشهبان الذى استكى الانجليزى نفسه من ثرثرته التى اتعبته من دون جدوى .

وعندما قرأت حكاية اشهبار مع الانجليزى على جماعة من شيوخ المجاهدين الاحياء ضحكوا ملء أشداقهم، وقالوا ان الانجليزى له حساسية صحيحة، فأشهبار ممن يمكن أن يقال فى حقهم، أن أما ريفية لم تلد جباناً مثل ما ولدته أم اشهبار، وذكروا أنه لم يكن له شأن فى الثورة بدليل انه لم يرد فى لائحة الذين اعتقلوا بعد الاحتلال، كما أنه كان أول من تسارع لقبض المكوس فى الاسواق، وهو أمر لا يمكن أن يرضاه من له عزة من المجاهدين، وقالوا أنه ذات مرة رآه ابن عبد الكريم يقلد بندقيّة جديدة وعرف أنه لا يستعملها، فأمره بأن يدفعها لاحد المقاتلين، وكلفه بشراء القرطاس من الاسواق .

الا أن هذا الانجليزى قد طغت عليه فى كتاباته عن حرب الريف تخيلات، لا أساس لها فى الواقع .

فأغرب ما قرأت له من هذا القبيل، ما جاء فى صحيفة 57، اذ قال «ان محمدا (الخطابى أخ الزعيم) تصارع مع كبطان حامية ابران أثناء المعركة، وكان الخطابى يحمل فى يده سكيناً، بينما الكبطان يحمل مسدساً، وانهما انقلبا والتويا من فوق حافة، فسقطا فى هوة على الصخور، متعانقين عناق الموت» .

ويظهر من كلامه أنه استوحاه من قصص الافلام الخيالية، أو أراد أن يؤلف من كتابه فلما فتخیر قصة مثيرة للمشاهدين، والافالواقع. أن محمدا الخطابى لم يكن حاضرا فى المعركة، وانما أتى بعدها صلبة حمل من الذخيرة اعانة للمجاهدين كما سيأتى :

وأغرب مما ذكر أيضا ما ورد فى صحيفة 63 من ذلك الكتاب، فقد جاء فيها أن ابن عبد الكريم لما تذكر غزوة بدر وانتصار النبى فيها، مسح بيده على المدفع الذى غنم فى المعركة، فقال «ولم يكن النبى يملك مثل هذا السلاح»، ان هذا القول تمجه الاسماع، ولا يصدر الا عن جاهل بمقام النبى لدى المسلمين وءاداب ذكره، فضلا عن أن يصدر عن متخرج من كنية الشريعة بالقرويين المتمسك بأداب الاسلام وعقيدته .

وعلى كل فان المعركة كانت بدء الانتصارات، وقد تشجع المجاهدون حينما أبيع لهم أن يملكوا غنيمة السلاح الخفيف، ما عدا

السلاح الثقيل، فانه وضع رهن اشارة الثورة، وقد كلف أحد أعمامنا وهو محمد بن شعيب بوثرذيث بالتدريب على استعماله، وقد حذق فيه حتى أنه كان لا يخطيء برميهِ الهدف الذي يقصده .

ان الاستلاء على السلاح الخفيف قد أيقظ نشوة الانتصار في المقاتلين، الذين من طبعهم التشوق لكسب بندقية جديدة، فقد حدث في نفس المعركة أن بعض اعمامى قد انشأوا شركة لجمع السلاح والذخيرة، فجمعوا سبعة من البنادق، وهم أربعة: على - وبلاح - ابنا الحاج محمد - وحماى - والعباس ابنا السى محند، ولكن عند القسمة اختلفوا، حيث أن أحدهم رمى بندقيته العتيقة، فحاول استبدالها باحدى البنادق السبعة، فمنع عليه الآخرون ذلك، وكادت الفتنة ان تقوم بينهم، فتدخل والدى لانهاء الخلاف، وقد جمعهم في عشية يوم عيد الفطر فتباروا بالرماية، وأتذكر أنى كنت نشوانا عندما دعانى والدى للرماية، وكنت صغيرا لا أستطيع امساك البندقية وحدى فأمسكها معى والدى فأصبت الهدف، وصفق الجميع .

وقد شاركت نساء قبيلة تمسامان في المعركة، حيث وقفن على القمم المطلة على المعركة، وهن يولولن تشجيعا للمجاهدين، ثم خلدن فيما بعد هذه المعركة بأهازيجهن الغنائية المحلية .

وكانت هذه الهازيج حافزا قويا على أن لا يجبن أحد ممن يعتر بنفسه، كما كانت تشهيرا بالعملاء .

ومن جملة ما قيل في هذه المعركة الخالدة، هذه الابيات من قصيدة، طويلة، تعتبر مصدرا تاريخيا لنقاط مهمة من تلك المعامع، وهى هذه مع ترجمة كل بيت اثره .

(أيا دهر أبران أيا سوس ايخسان)
الترجمة : يا جبل ابران مفتت العظام .

(ألكبيطان ابياربا احركد أتمسمان)
الترجمة : الكبطان ابياربا هجم على تمسامان .

(أملاى ميشد غارن وامى تكثيذ ثخوزان)
الترجمة : قل لى ما الذى غرك لما نصبت الخيام .

(ما يغر شد أقرقاش أذمر بويوزان)
الترجمة : هل غرك أقرقاش وعمر بويوزان (وهما عميلان من
تمسامان كان لهما ضلع مع العدو) .

(أغرنش تبليغين اتبياسن سيفيلان)
الترجمة : أو غرك البنات المتمنقات بالخيوط (وهن بنات
تمسامان اللطيفات اللائى يتمنطقن بالخيوط لركة خصورهن)
(حاركند آيث ورياغل أمزيان أمقران)

الترجمة : اندفع بنو ورياغل صغيرا وكبيرا .
(كيناس ابو جروان أمنتا أمسلمان)
الترجمة : أوقعوا بأكلى الضفادع وتركوه مثل السمك .

يخاد هذا النشيد الوطنى الحماسى الذى نطقت به بنات قبيلة
تمسامان اسهاما منهن فى المعركة على سجيتهن :

(1) ان رئيس الرتل الذى توجه لاحتلال ابران يدعى الكبطان ابياربا .
(2) انه بمجرد وصول الجيش الى جبل ابران نصب القباب التى
استرعت انتباه المجاهدين .

(3) تسجيل خيانة العميلين أقرقاش وعمر بويوزان .
(4) ان القيمة التاريخية فى هذه المعركة كانت لمجاهدى بنى ورياغل
الذين هرعوا شييا وشبابا .

(5) ان الجيش الذى وقع فى المصيدة قد فنى عن آخره، مثلما يكون
السمك الذى تصطاده شباك اللصيادين، فيخرج الى البر وهو ينتفض
انتفاضة الموت، ثم سرعان ما يستسلم للمصير المحتوم، فيبقى مكدسا
بعضه فوق بعض .

وهى أنشودة تاريخية بديعة وقد سجلها المؤلف الاسبانى الذى
سمى نفسه الطبجى فى كتابه «الكشكول المغربى» ص. 87 .

أما الانشودة الأخرى التاريخية الحماسية لبنات تمسامان
أنفسهن، التى سجلن فيها جميع المعارك التى وقعت بتمسامان من أنوال
وغيرها، فهى التالية مع ترجمتها حرفيا ازاء كل بيت. القصيدة :

(خوئى أيت تمسامان كئ أبريذ أنعدا)
الترجمة : اخوانى بنى تمسامان دعوا الطريق نمر .
(أنعدا أومزاورو أومكان نجنادا)
الترجمة : نمر الى أومزاورو محل اجنادا (أمازاورو واجنادا،
كان فيهما قشلات العدو) .

(كانيو أيت عزة ذى امجاهدان زيلايدا)
الترجمة : أنتم أولاد عزة مجاهدون دائما .
(أنتجهدام سوفوس أنكم أتجهذنت لانتكبا)
الترجمة : تجاهدون بأيديكم كما تجاهد بناتكم .
(المونت خوعرور أنسنت هوانديد أكيسورا)
الترجمة : يحملن المؤمن على ظهورهن ينحدرن مع الشعب.
(تعساست أنبومجان ثكار ذاكس سعريرا)
الترجمة : قشلة بومجان قامت فيها شعيرة (بومجان موقع
قرب أنوال كانت للعدو فيه قشلة أكلت من طرف المجاهدين) .
(كنينت سويث وانوال سلولنت ذمرا)
الترجمة : انتن يابنات أنوال ولولن جميعا: (كناية عن فرجهن
بالهزيمة المنكرة للعدو) .

(تعساست أتمامست غير أئسوذى أمطا)
الترجمة : قشلة اتماميست تذرف الدمع (قشلة ما بين
بومجان وأنوال اكلت) .

(خنيرال نبارو اجو مع اسبانيا)
الترجمة : الجنرال نبارو أبلغ النبأ الى اسبانيا (لأنه الذى
نجى من مذبحة أنوال فهو الذى أبلغ خبر الهزيمة الى اسبانيا) .
(عبد الكريم اقدماد أكتاو نصمبا)
الترجمة : ان عبد الكريم جاء مع أولاد الصحابة (وهو
كناية عن مجاهدى بنى ورياغل) .

(اكمال ألواجب ايناس امك سيدنا عمر)
الترجمة: أتم واجبه كما أتمه سيدنا عمر (أى عمر ابن الخطاب)

ومن هذه الترجمة الحرفية للانشودتين الخالدتين، اللتين سجلتا المعارك الاولى التى كانت فاتحة يمن وبركة على المجاهدين الاحرار، كما وصفت النكبات التى حلت بالعدو، يتبين فداحة المأساة التى أصابت العدو.

فلهاتين الانشودتين قيمتهما التاريخية، لانهما جاءتا على سجية بنات الخدور من القبيلة التى شهدت تصاعد المعارك، وأعطتها وصفا حيا وبلغيا ❖ أبلغ من كل ما ينمق فى كتابات الكاتبين ولذا حرصنا على نقلها أولا بلسانها الذى قيلت به أول ما قيلت، لتبقى غضة طرية، ثم ترجمناها حرفيا الى اللغة العربية، اثر كل بيت من أبياتها، ليتصل معناها، ويدرك مضمونها.

وهى تدل أيضا على مشاركة المرأة الريفية بقسطها الاوفر فى المعركة، من تشجيع بزغاريدها واعانة المجاهدين بايصال المؤن على ظهورهن، متسللات بين الشعاب والادوية، كما سجلن على بعض العملاء ممن باعوا ضمائرهم لعدو وطنهم، وخلدنها سبة فى جبينهم، كما خلدن شجاعة المجاهدين الشجعان ممن ساهموا بالقسط الوافى، فى تلك المعارك التى شرفتهم الى الابد، لان التاريخ لا ينسى .

2 - معركة سيدى ابراهيم :

بعدما وصل ابن عبد الكريم اثر معركة ابران، عكف على تنظيم صفوف المجاهدين، الذين تحمسوا ايما حماس، والدين وفدوا على مركز «القامث» بالكثرة الكاثرة، لانهم استنفروا الى الجهاد خفافا وثقالا، وقد كان حماس الذين لم يحضروا المعركة أشد ممن حضر، لانهم فاتهم أن يعتزوا بحكايات البطولات التى يحكيها غيرهم عن الوقائع التى شاهدوها أثناء المعركة، وفاتهم أيضا أن يحملوا شارة الجهاد من جرح فى الجسد أو خدش، وفوق ذلك فاتهم أن تكون بين يديهم بندقية أو خنجر، أو علبة من الخرطوش غنمها فى المعركة .

ولهذه المؤثرات النفسانية أبوا أن يرجعوا الى ديارهم حتى يقضى الله فيهم، أما بالشهادة، أو الغنيمة، لكى يرفعوا رؤوسهم عالية أمام أقرانهم، بل وأمام بنات أحيائهم فى قراهم، اللائى يخلدن أسماء الابطال

في أهازيجهن، ويغنين بها في الاعراس، وعند ذهابهن لجلب الماء أو الكرا
والاعشاب، وايايهن .

وعلى كل فان الامر يعتبر حياة أو موتا بكل ما للكلمتين من معنى،
وهنا يبدو واضحا أى ثقل وضع على كتف الزعماء المسيرين للمجاهدين،
وعلى رأسهم الزعيم ابن عبد الكريم، فمن جهة يجب أن يكبح جماح هؤلاء
الذين يريدون معركة جديدة مع العدو، وهو أمر يخالف سياسة القيادة في
تسيير المعارك، نظرا الى أن الاندفاع وراء العدو الذي كان حصن المراكز
الخلفية، قد يكون شؤما على المجاهدين، اذا أصيبوا بنكسة، قد تطمس
معالم انتصار ابران، ولذا فان المعارك الآتية يجب الاحتياط لها بوضع
قواعد حربية دقيقة، وتنظيم صفوف المجاهدين تنظيما متقنا، ومن جهة
ثانية، فان عيد الفطر على الابواب، قد يكون الذين حضروا معركة ابران
يذهبون الى ديارهم لا يصل غنائمهم الى ذويهم، لغرضين مزدوجين:
الاعتزاز بذلك، ولأن يطمنوا عائلاتهم، بأنهم لم يموتوا في المعركة، وقد
تكون شائعات الموت راجت في القرى، فتلقفتها النساء بدون وعى، فكل
امرأة هلعت بسبب الشائعات، وقد تمكن ابن عبد الكريم الحضيف الرأي
والفصيح اللسان، والصادق الطوية من اقناع الجموع الهائجة، ورخص
للحاضرين في معركة ابران أن يزوروا أهليهم، لمدة ثلاثة أيام وقد كلف
الرؤساء منهم أن يعملوا على تنظيم بعث المواد الغذائية، التي تتمثل في
ارسال أقراص الخبز من كل قرية على بهائمها بالمناوبة، على أن تكلف
كل قرية واحدا من شيوخها بتنظيم الارسال يوميا، نظرا الى أن قبيلة
تمسامان وحدها لا تكفى لتموين المجاهدين، الذين تقاطروا من شتى
القبائل، وهكذا بعدما رجع أولئك من رخصهم القصيرة الى مركز «القامث»،
عقد ابن عبد الكريم اجتماعا لرؤساء المجاهدين وقرروا نقل مركزهم الى
امزاورو، وهو محل يقع شرقا لوادي «المكشين» الممتد من وادي
«اقرموس» وهو في قلب قبيلة تلمسان، وقريب الى أنوال بـ 9 كلم
ازاء قرية أجدير التمسمانية التي يسكنها الشرفاء أولاد القاضي سبي
عبد الوهاب، وكانت توجد في المحل حامية للجيش الاسباني، فأمر ابن
عبد الكريم بالهجوم عليهم، واخلائهم أو قتلهم، وبسهولة تمكن المجاهدون

من اخلاء المحل منهم، وحينئذ نقل مركز المجاهدين الى أمزاورو حيث جعله معسكرا عاما لهم، وقد قام سكان قرية أجدير بتقديم كل العون للمجاهدين من المسكن والاطعمة وغيرها .

وكان بين أمزاورو وبين انوال حواجز طبيعية من ذرى وقمم وقد فقد العدو مراقبة المجاهدين عن كثب بعدما خسر حامية أمزاورو، وكانت هناك ذروة هي مدفن أحد الاولياء الصالحين يدعى سيدي ابراهيم وكانت تشرف على أمزاورو مباشرة، فعمد العدو الى ارسال كوكبة فى الصباح تتكون من 50 جنديا تمكث هناك الى غروب الشمس، ثم ترجع الى انوال، وهكذا دواليك، ولم يتجرأ المجاهدون لطردهم ما دام أن زعيمهم لم يقل لهم شيئا عن ذلك، وهو يراها بعينه، واصبحت هذه الكوكبة تأتى على المعتاد الى المحل كأنها تذهب الى نزهة، وقد حير سكون ابن عبد الكريم على ذلك المجاهدين الذين لم يفهموا معنى ذلك، مع أن الامر لا يعدو أن تتصدى اليهم طائفة منهم ليجلوهم عن المحل، واحتلاله من طرفهم، ولكن الزعماء الذين يعرفون خبايا الامور لم يكن تملكهم أية حيرة، لانهم يعلمون أن سلفستري كان يحاول عجم عود ابن عبد الكريم، وحاول القيام بلعبته التى كان يقوم بها مع الريسونى، فقد دعى من تطوان ابن سعيد السلاوى، الذى كان يعمل كاتباً فى الاقامة العامة، وهو محل ثقة الاسبانيين، دعاه صحبة الاسباني «انطونيو كونط» ممثل المثرى الاسباني اتشابريطة للحضور الى سيدي ادريس، محل قيادته فى الخطوط الامامية، وعندما حضرا طلب السلاوى بواسطة رسول الى ابن عبد الكريم أن يسمح للسيد محمد ازرقان، الذى يدعى عند الاسبان باخريطو وهو زوج اخته أن يذهب الى سيدي ادريس، لانه هناك أشياء مهمة يجب الافصاح اليه لابلاغها اياه، وقد أذن ابن عبد الكريم لزوج اخته بأن يذهب، وقد أمره بضبط النفس أمام الاعداء، فلا يبوح بأى شىء يكون حجة على الثورة، أو اتفاقاً من أى نوع كان، وان يعتذر دائماً بالرجوع اليه .

وقد ذهب محمد ازرقان الى سيدي ادريس، وحضر اجتماعاً مع الشخصين ومعهما الكرونيل موراليس رئيس قوات الارض فى مليلية،

وعرضوا عليه مثل ما كانوا يعرضون على الريسونى بالذات، وهو أن يكف عن القتال، وتنظيم القبائل، في مقابل أن تتنازل اسبانيا عن التشديد في تطبيق مضمون الحماية، بحيث تترك له حرية تنظيم الريف، تحت اشرافها، في شكل استقلال داخلي، واذا رغب في تمثيل سلطان المغرب في الريف، فان الحكومة الاسبانية تعمل جاهدة لنجاح المسعى، وانه في نطاق هذا الاتفاق، فان القبائل تنزع منها سلاحها، ويستبدل بحراسة منظمة تحت اسم الحراسة الاهلية، وتمده اسبانيا بميزانية مالية، لتسيير دفعة الحكم، على ان يعاونه مراقبون من ذوى المكانة الاخلاقية والانسانية .

أما النقط التي يجب أن يحتلها الجيش الاسباني، فانه يقع الاتفاق عليها، عندما يقع قبول البنود الاساسية المشار اليها .

وبعدما رجع محمد ازرقان محملا بهذه الشروط التي يستحيل قبولها ، حتى من الذي يقاتل بدافع الشهوة والجهاد ، فضلا عن يقاتل بدافع الغيرة الوطنية ، والايمان بالحرية التي تؤخذ ولا تعطى، فان ابن عبد الكريم لم يجب عنها، وانما جمع زعماء المجاهدين الذين كانوا معه اثر ذلك، وبعد صلاة العصر، حيث قعد على عادته لارسال شواظ من نار محادثاته التي تلفح القلوب في سويدائها وبعد ما أخبرهم بمحاولة العدو باغرائه بمغريات صبيانية، وانه أجاب دعوتهم لبعث صهره اليهم لا لانه يطمع في جدية العدو فيما رماده، وانما بعثه لا ستكشاف الحقائق، وها هو الشيخ محمد ازرقاق يروى لكم ما جرى، فتقدم هذا وروى جميع ما ذكر أعلاه .

ثم سألهم ابن عبد الكريم عن رأيهم في ذلك، فاستنكروا مرامي العدو، وجعل كل واحد يقدم شبه لوم الى ابن عبد الكريم، حيث لم يأذن لهم لاقتحام «انوال» «واغربين» على العدو ليرى بأمر عينيه من هم هؤلاء الذين يساومهم، وبعدما هدأ من فورتهم، حول المحادثة الى سيدي ابراهيم، فقال لهم، ان العدو على حق اذا لمس ضعفنا من هذه النزهة التي تقوم بها حفنة من الجنود الذين يحضرون صباحا الى سيدي ابراهيم، ثم يذهبون ليلا، ونحن لم نحرك ساكنا، وقد أجابوه كلهم بأن الكر والفر بيده، فما دام لم يأمر بطردهم، فانهم مسكون، وهى الطاعة

العمياء التي التزمناها لانفسنا، بعدما عودتنا عليها، وهنا تبسم وقال،
حقا انكم مومنون مثاليون، وهكذا فان السكوت عن الكوكبة كان لامر
تقتضيه الخدعة الحربية، أما الآن فهبوا، واياكم الخذلان، فلم تعودونا
الا النصر والعزة، وهنا روى لى والدى كيفية كان القضاء على الكوكبة من
غده، ومع شروق الشمس يوم 15 يونيو 1921، فقد انتدب اليها،
واختار جماعة من الفرسان، وذهبوا ليلا، وكمنوا حول سيدي ابراهيم
على مقدار 50 ياردة منه، وقبع كل واحد بعنايته مع اعشاب العرعار،
وخلف الاحجار، وكان عهد اليهم أن لا يطلقوا النار الا بعد أن يسمعوا
طلقته، وحينئذ ينقضون عليهم بطلقاتهم المتدافعة، وعليهم ان لا يقوموا
من أمكنتهم ابدا واو دعى الى ذلك ما دعى، وان لا يتسابقوا الى جمع
الاسلاب، خوف أن يحصدهم العدو بمدافعه وحتى اذا رأوا العدو يخرج
من انوال أو اغريين فلا يتحركون، وعلى مؤخرة المجاهدين اذا ان تتخذ
موقعها من الاحداث، التي يمكن ان تتجدد .

وهكذا وبعد ان وصلت الكوكبة كعادتها، وجعلت تفرح في المحل،
وولت أمر الحراسة الى بعض الجنود الذين بدت عليهم السامة وعدم
اخذ الحذر، اندفعت الطلقة الاولى من بندقية رئيس الكمين السيد
عبد السلام البوعياشي، ثم تتابع دوى الرصاص يلعلع، فاختلط حابل
العدو بنابله، والجثث تتهاذى ساقطة كأوراق الخريف، بينما لم يهتد
معسكر انوال الى أين يوجه فوهات مدافعه، وبذلك تضى على هذه الشرذمة
المغرورة، وقد حاول اغاثتها فأرسل من انوال جيشا جرارا لنجدتها، بعدما
مهد لذلك بصب نيران مدافعه صوب المجاهدين، وقد رأى المجاهدون الذين
كانوا في قلة ما هالهم فانسحب لأول مرة بعض المجاهدين الى الورا،
ولكن بعض الابطال بقوا صامدين في أماكنهم يقاتلون ببسالة نادرة، وكان
منهم السيد عبد السلام البوعياشي، والحاج على التسماني، وعيسى
بن زييوج الورياغلي، وعلال بوضريمت الورياغلي، ولم يكتف هؤلاء
بالصمود، بل تحركوا الى الامام، فلما رأى باقى المجاهدين الذين كانوا
تضعضوا، رجعوا الى أماكنهم، يقاتلون بحماس من لا يخشى الموت،
ووصلت نجدة أخرى من أمزاورو، أرسلها ابن عبد الكريم، فلما تكاثر

القتلى والجرحى فى العدو رجع على أعقابهم، بعدما خلف نحو 200 ما بين
قتيل وجريح، أما من جهة المجاهدين فقد استشهد ثمانية منهم عيسى
بن زيـوح الورياغلى، وأصيب علال بوضيـمت بجروح فى رأسه وفى
فخذ، وانتهت المعركة التى بدأت بالمناوشة، ثم انقلبت الى معركة ضارية
بانتصار الاسلام مرة ثانية .

مثلث الموت - اغريين - أنوال - أعرويت

3 - معركة اغريين :

كلمة اغريين بياء قبل الباء وكسر الراء بمعنى الغرباء تماما، وهي كلمة اتفقت فيها اللهجة الريفية مع اللغة الفصحى مع تحريف بسيط، وهي إحدى كلمات شتى تتفقان فيها، مثل الدخان الذى لا يختلف الا فى فتح ابدال المشددة فى اللهجة الريفية، ومثل المجاهد التى يقال فى اللهجة أمجاهد، وكلمة التنور التى يقال فيها تينور الى غير ذلك، وقد غلط بعضهم فكتبه اغريين بالباء بعد الراء وهذا غير سليم .

ويقع موضع اغريين بين قبيلتى تمسامان وبنى توزين، على الجنوب الغربى لكل من امزاورو وانوال، يبعد على هذه الاخير بنحو 6 كلم، وهو فى الواقع موقع هام يضاهى استراتيجية ابران بالنسبة لمعسكر انوال، وقد احتله الجيش الاسبانى فى 17 يونيو 1921 م. ونرى من الافضل سرد بعض تقارير القيادة الاسبانية حسبما جاءت فى تقاريرهم فى نفس الوقت .

(1) «كان الجنرال غوديد يلح فى كثير من الخشونة على الضباط الذين تسند اليهم مهام المراقبين فى القبائل المحتلة ان لا يقتصر عملهم على تنظيم شؤون الاهالى» وكان يصدر تعليماته اليهم قائلا: «ان الضابط المراقب الذى لا يعرف الا الحرب لا يصلح ان يكون، لا محاربا ولا مراقبا، وان الضابط المثالى هو الذى يستعمل كل الطرق للاستفادة من الاهالى واستخدامهم للاغراض العسكرية» (1) .

وجاء فى تقرير آخر ، «ان الرجل الاهلى فى الريف يصعب أخذ المعلومات منه ، ولا يمكن الاستفادة منه الا بشق الانفس، لان له غرضين فى غالب الاحيان، يعطى شحيجا ويأخذ كثيرا.

(1) كتاب الكشكول المغربى، للكرنيل منويل مندولا ضابط المدفعية .

وجاء في تقرير الجنرال برينكير. «أن عام 1920 كان مواتيا لاحتلال قبائل بنى سعيد وبنى وليشك أكثر من أى وقت آخر، ذلك أن العام كان عام مجاعة في الريف، وقد هاجر أغلب السكان الشباب الى الجزائر للعمل في الحقول الزراعية هناك». (1)

وقد جاء في بعض التقارير بالنسبة لتسلسل الاحداث السياسية بقبيلة تمسامان ما يأتى :

«يوم 3 يناير 1921 أظهرت قبائل تمسامان شفويا الخضوع للجيش الاسباني، وذهب أكثر من ثمانين شخصا الى مقابلة الكرونييل موراليس، (رئيس القلم السياسى بمليية) وكان هؤلاء يمثلون تمرغنين - بنى بويدر - أيت تعبان - والربع الفوقاني، ولم يحضر احد من ربع التركوت، ولما سألهم موراليس اجابوا بأنهم متآخمون لقبيلة بنى ورياغل التى تتربص بهم، اذا هم ذهبوا الى مليية، الا أن القائد علال بن بوغزة التركوتى أرسل رسالة خفية منهم الى موراليس» .

«يوم 15 يناير احتل الجيش الاسباني مركز انوال، وتغلغلت القوة البوليسية داخل تمسامان، وجاء القائد بوقدور الذى كان يسكن بين انوال واجدير تمسامان، للسلام على الجنرال سلفستري، وكان يصحبه رجال من تمسامان آخرون» .

«وفى هذه الاثناء كان الكولونيل موراليس استعان بالسيد محمد ازمانى المدعو «غاطو» من قبيلة قلعية للقيام بمحاولة مع رجال التركوت، لاجل اقناعهم بالخضوع للجيش الاسباني، لكى يتقاتلوا مع رجال بنى ورياغل» .

«كان رؤساء القبائل: بنى سعيد، وبنى وليشك، ومطالسة، وتمسامان، جاءوا الى دار الدريوش، حيث عسكر سلفستري، ولم يتخلف الا رؤساء تروكوت، وقد حمل سلفستري المسؤولية للقائد علال بن الحاج بوغزة، رغم انه كان يكاتبه احيانا» .

«وقد كان الكمندار بيار يقيم فى جبل بومجان، وهناك عمل على تأليف المحلة من الاهالى تحت رقم 13 وتحت رئاسة الكبطان «مرغايو»

(1) كتاب المعارك فى الريف وجباله للجنرال برينكو .

الذي كان مكلفا في الوقت نفسه بالاتصال مع رجال تمسامان، ومفاوضتهم للخضوع للجيش الاسباني، وفعلا فقد أرسل تقريراً، بأن الاغلبية الساحقة من قبيلة تمسامان، لا يعارضون احتلال الجيش، وهو أمر وضع بنى ورياغل في عزلة تامة» .

«ويوم 28 رفع سلفستري تقريراً عن الموسم الفلاحي في الريف افاد فيه بأن الموسم جيد للغاية وقد نبه من طرف آخرين بأن البربري عندما يمتري ويملاء مطامره، فانه في الحين يرجع الى هويته المفضلة، وهي اللعب بالبارود، حينما لا يكون له من هدف سوى الجيش» .

«وفي هذا الاثناء هجم اثنان من العدو (1) (المجاهدين) على قنشة بومجان، وكان ينتظر محادثة هامة من طرف الكرونيل موراليس، لان القائد علال كتب يقول بأنه لا يمكن له أن يحضر للسلام على المقيم العام، ببومجان، لان المجاهدين يراقبونه، وقد حضر للسلام عليه بعض رؤساء تمسامان، ولاحظ برينكير أن العدد الذي حضر قليل، ومع ذلك فانه لم يحضر القائد بوقدور ورجال آخرون، وحاول سلفستري أن يعتذر بأن الطقس كان ممطرا» .

«وبعد ذلك ذهب من بومجان الى مليلية، راكبا جواده بعدما فحصوا الطريق بالمناظير المكبرة» .

«وقد قرر برينكير أن الوقت لم يحن بعد للهجوم لاحتلال تمسامان، لان المجاهدين كانوا معسكرين في «القامث» وكان من بينهم بعض التمسانيين، رغم وعدهم باعانة الجيش الاسباني، على الاحتلال، ومع ذلك فانه كان يرى القيام باحتلال جزئي لهوقع «بودنار» وآخر بسوق الخميس بأجدير تمسامان، وذلك لتطمين رؤساء قبيلة تمسامان، المواليين للجيش، وتقوية معنوياتهم، ازاء الاهالي، وحماية قراهم» .

«وفي 6 ماي توصل الجنرال برينكير ببرقية من سلفستري يعلمه فيها بأن بنى ورياغل يقومون في معسكرهم بالقامث بتهيء فرق المقاتلين،

(1) سبق الكلام في هذا العمل الفدائي الذي قام به المجاهدان عمر ابن علوش واحمد العزوزي .

وهكذا كونوا فرقة وضعوها في الموضع المدعو أليمان قرب سيدي بويعقوب،
كما وضعوا فرقة في سيدي شعيب، ويظن أن الاصطدام سيقع مهما
تحرك أحد» (1).

وتعتبر معركة اغريين من الناحية الواقعية هي الحلقة الوثقى
في انتصار الوطنيين وهزيمة الدخلاء، لها ما بعدها من الرفع بسمعة الريف،
في حقل النضال المثمر الذي أصبح مضرب الامثال في البطولات، النادرة،
التي يظهر رجل الشرق منتصرا على رجل الغرب، والتي يستعيد بها
امجاده التي نشر بها لواء الاسلام في ربوع العالم، حيث بقي خالدا الى
يوم يبعثون .

ان احتلال موقع اغريين كما أسلفنا كان يوم 17 يونيو — أى بعد
ابادة كوكبة سيدي ابراهيم — وتمركز قوة المجاهدين فيه بيومين، فكان
ذلك يعتبر رد فعل من جانب العدو أولا، ولمراقبة تحركات المجاهدين
ثانيا، فهو يقع في هضبة واطئة متطاولة تشرف مباشرة على جميع هوامش
مركز انوال، بما فيه موقع امزاورو، وكما يقال في المثل العربي «اذا جاء
القدر عمى البصر»، فان العدو لم يحسب حسابا الى أن موقع اغريين
يبتعد عن الماء بحوالى 4 كلم يقتضى التزود منه ان يقطع مسافة وعرة
المسالك، عبر اخدود عميق، تحتف بحافيته أرض صخرية صعبة المراس،
وذلك ما يصحح كل ما قيل عن القائد العام المشرف على العمليات الحربية
من الارتجال الجنرال سلفستري الذي يعتبر نصف قشتالى
ونصف كوبي، بحكم مولده، في كوبا، وكان سريع التأثر، وكان يعتبر
نفسه انه حفيد العالم القديم وابن العالم الجديد، الجندي الذي سيقطب
مسير اسبانيا العملاق، الذي سيوقف مد الزمان، انه الرجل الوحيد الذي
يستطيع أن يغزو الريف، لان برينكير يحترس كثيرا، ويبالغ في تأخ،
التقدم الذي ان نفذت أوامره، فان غزو الريف سيفتقر الى سنوات عديدة،
ولذا لما عقد الاجتماع بين الاثنين في سيدي ادريس عقب ابران أى في
5 يونيو 1921 وابدى برينكير تخوفه في السرعة التي يبتغيها سلفستري،
عارضه هذا، ولما وقع حوار عنيف بين الاثنين، رمى اليه هذا الاخير،

(1) الكشكول المغربى للكولونيل مندولاظو .

ببرقية ملك اسبانيا المقتضبة وهي «هيا فاني أنتظر» وقد وضعت هذه البرقية المقيم العام في ارتباك، فليس له صلاحية معارضة الملك، الذي عينه بنفسه القائد الاعلى لما وراء البحار، فاذا جادل في التقدم فان ذلك يكون معارضة صريحة لاوامر ملكه، فلم يجد اية شجاعة لاصدار امره الى مرؤوسه بأن يرجع الى مليلية، وانما اسدى بعض النصائح، بأن لا يتوغل في غزو الريف، حتى تظهر فرص أخرى، ولكن سلفستري اجابه حيناً، بأن جنوده من القساوة بأشد من قساوة «جنود التنورة» وسبق أن عرفنا أنه يطلقه على المحربين الارياف .

ومع ان بعض المؤلفين العسكريين الاسبان قد دافعوا على سلفستري كما جاء في كتاب منويل مندولازو «الكشكول المغربي»، في الفصل الذي بعنوان «شيء عن ابران» «ذاكرا فيه بأن ما اخذ على هذا القائد (سلفستري) انما هو اغلاط طفيفة، لا تخلو منها حروب الدنيا، وان الوصف العام للرجل، هو الشجاعة والاقدام والاخلاص» الى غير ذلك، مما يعد ردا على حملات الجنرال بريנקير نفسه على سلفستري في كتابه «المعارك في الريف وجباله»، وعلى أى حال، فان سلفستري سواء كان قائدا جريئاً ماهراً، أو كان طائشاً متهوراً، فانه زج بطائفة من جنوده في حرج لا مخرج منه، كما زج بهم في جبل ابران من قبل، وكان جزية عمله هي حياته نفسه، وحياة رجاله الاربعة والعشرين الفاء، الذين جرهم في خيلاء من مليلية، بما فيهم الحركة الاهلية .

وقد وضع المقيم العام بتطوان أمام الامر الواقع، حيث ابرق اليه قائلاً: «لقد قمنا في الساعة الثامنة من صباح يوم 17 يونيو باحتلال جبل اغريين بين سمار وانوال، وذلك لضمان الطريق الواصل بين ابن الطيب (ببنى وليشك) وانوال، وتركيز العمل بينى وليشك، فقمنا بتشديد التحصينات وبالتقوية اللازمة للحامية، كما قمنا بجلب فرقتين من المشاة، وفرقة من أصحاب الرشاشات، وبطرية مدفعية، وقد قام رجال البوليس بتراشق بالرصاص مع جيش العدو، فجرح جندي من طرفنا، وقد اضطر العدو الى التراجع للوراء، وكانت جيوش العدو التي شاركت في هذه العملية تتكون من فرقتين، جاءت واحدة من ناحية زاوية سيدي بويعقوب، والثانية من الرابية الواقعة عند المنفذ» ..

الا أن المفاجأة لم تمهل القائد العام، فآثر ابراقه بالاعلام بتراجع
عدوه الى الورا، جاءت برقية هاتفية بالهيوغراف من رئيس الحامية،
التي استقرت بجبل اغريين، في غده، أى يوم 18 يوليوز، يعلم فيها
رئيس الحامية الكومندان «بنيتيس» قيادة انوال «بأن الحامية مفتقرة
الى الماء، وان محاولتين اثنتين لاجل الوصول عبر الاخدود، قد باءتا بالفشل»
ويطلب نجدة لضمان الوصول الى الماء، واعلم من طرف قيادة انوال بأن
نجدة ستُرسل في اليوم التالي أى 19 يوليوز، وعلى الحامية أن تستعد
لفتح الطريق الى الماء، ويقال أن شخصا من رجال تمسان الذي كان
حاضرا في انوال، ولاحظ تحركات الجيش داخل المعسكر، لما استرق
السمع بأنه يستعد للهجوم على اغريين لفك الحصار عن الماء، اسرع
بصورة سرية يعدو الى المجاهدين بامزاورو مبلغا اياهم خبر ما عزمت
عليه قيادة انوال، منذرا اياهم بالشر المستطير ان لم يأخذوا حذرهم
وفعلا فان ابن عبد الكريم جمع رؤساء المجاهدين، وأمرهم بتعزيز الفرقتين
المعسكرتين على الخطوط الامامية لمعسكر اغريين، وكلف البعض منهم
بتفتيش تلك المراكز الامامية .

وقد صدقت نبوة الرجل المخبر الذي استقى الخبر من منبعه،
ففى صباح اليوم التالى 21 يوليوز اندفعت ارتال ثلاثة من الجيوش من
انوال، وكان كل رتل يضم الف جندي، بينما تقدمت شردمة من حامية
اغريين مندفعة نحو الماء تحت حماية المدافع الرشاشة، من القشلة، فكان
اليوم حارا طبيعيا وعميلا، فشمس يوليوز تلفح الوجوه محدثة للجنود تصيب
عرقهم، الذي اختلط مع غبار التربة من جهة، وتساقط الرصاص كالطر
المنهمر من جهة أخرى، ذلك ما أحدث للارتال الذين يتسلقون الهضبة
على موعد مع الموت الزأوم الذي ينتظرهم من المقاتلين الارياف، الذين
انبطحوا خلف الاحجار الصلدة ووسط الاعشاب الغابوية حتى أن العدو
ظن من أول وهلة أن ليس هناك كائن حى غير جنود الحامية، الذين
نزلوا متعثرين في كعاب أحديتهم، صوب عين الماء، الا أنه لم يكذ يتخطى
المنحدرون والصاعدون مواقع الارياف، حتى صبوا عليهم وابل نارهم،
فارتبك جنود العدو، ولم يتبينوا من أين أوتوا ورأوا بين أعينهم قتلاهم

تتساقط باستمرار، حيث لم يتبين لهم أن أصابوا أحدا من أعدائهم،
أم يضربون في الحديد البارد، ولم ينفعهم الا النكوص على أعقابهم،
فرجع المتسلقون منحدرين، بينما المنحدرون متسلقين بعد ما تركوا 132
قتيلا في لمحة البصر .

وهنا قامت قيامة قيادة انوال، وأصبحت تضرب اخماسا في اسداس،
وتدعو بالويل والثبور، فالى حد الساعة لم يحرزوا ولو على انتصار
بسيط تعزية لانفسهم، رغم عدتهم وعددهم .

واثر ذلك، وبعدما ابرق سلفستري لبرينكير بواسطة الراديو،
يعلمه فيها بالموقف المتجدد المخرج، طالبا نجدة من الجنود اجابه هذا:
«بأن ليس لديه نجدات» بمعنى انك خالفت تعليماتى القاضية بالتباطىء
في التقدم فلتتحمل نتائج ذلك وحدك، ثم نصحه بأن يتخذ موقف الدفاع،
ولا يتوغل، وقد عمل سلفستري على هذه النصيحة ولو مؤقتا، فقد
مرت أيام شهر كامل لم يحدث خلالها الا مناوشات عسكرية من هنا وهناك،
وقد استغل المجاهدون هذه الفترة من الوقت، فعملوا على التعبئة
العامة لجميع قوى المجاهدين، الذين كانوا في الرباط الجهادى، وان كانوا
لا يتعدون 700 مقاتل، الا أنه اذا كان كل واحد منهم مقابل عشرة من
عدوهم، فيكون الجمع من ناحية الكيف هو 17 ألف مقاتل، أى ما يعادل
جيش العدو بجثته الثقيلة، تحت وطأة النكبات، فى أرض افريقيا العذراء.
وفى اثناء هذه الايام التى خلت من المعارك الحاسمة، راح ابن
عبد الكريم ينظم صفوف المجاهدين، ويوزعهم على المواقع التى يجب
أن يقبعوا فيها ازاء كل من انوال، واغريين، عاملين على حفر الخنادق
تحت الارض، وخلف الصخور، واختيار الاخاديد التى تصلح للمواصلات
بعضهم مع بعض، من جهة ومع معسكر المجاهدين «بأمازورو» من جهة
ثانية، وكان رجال ربط الاتصال يمرقون بين الدروب والشعاب، مروق
الثعالب المطاردة، تخطو خطوات ثم تلتفت يمينا وشمالا، احتراسا من
مكروه .

ولم يتعب المجاهدون من المواظبة فى خنادقهم، فقد كان على
اخوانهم الذين بقوا فى «أمازورو» كاحتياطين يخلفونهم أحيانا عندما

تظهر رغبة أحدهم في الاستراحة، وان كانت هذه الرغبة نادرة لما فيها من بعض المعرفة، التي لا يقبلها الشجاع المتمرس على القتال .

وقد كان من التدابير الوقائية التي يستلزمها الدفاع احتلال واد الحمام، الذي يفصل بين انوال واغريين وفي الحال يكون عائقا عن اتصال العدو باغريين، فاحتلال الوادي يعتبر ذا حدين اثنين، وقد تكلف باحتلال وادي الحمام، مائتا مجاهد مشهود لهم بالبسالة، كان على رأسهم السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشي، والسيد موح ابن السى امحمد الاجديري، والفقيه السيد محمادي الشمس، وبوطاهر مكوح الحديفي، كلهم من بنى ورياغل، والحاج بوعلى من تمسامان .

ومن سخرية الاقدار بالنسبة للجيش الاسباني، انه يرى المجاهدين يخندقون ويتحصنون، ولا يقدم على اتيان أية حركة، بل ظل قابعا خلف متارسه، وكلما ابتعد جندي عن المكان الآمن خطوة أو خطوتين الا واصطادته طلقة نارية من حيث لا يدري من أين أتت، فترده قتيلا، حيث يهرول زميله بانحناءة ليجره من رجليه الى خلف القرس .

أما عن حامية اغريين، فقد اقتضت الخدعة الحربية، أن يغفل المجاهدون عن ارتياد جنود العدو ورود الماء خلصة، ليتزودوا شحيحا، كي يتمكن المجاهدون من تمكين أقدامهم في المواقع التي يريدونها لفرض سيطرتهم عندما يحتدم القتال، وكانت عين المال التي تدعى عين عبد الرحمن تقع تحت انظارهم مباشرة .

وعندما مضت هذه الايام التي يصح أن تسمى أيام المناوشات قطع المجاهدون عن حامية اغريين الوصول الى عين الماء فقتلوا المتسللين اليها مرة أولى، ومرة ثانية، فحاول بعد ذلك الكمدان «بنيتيس» ان يصل الى الماء بالقوة، وجرب ذلك مرتين، فلم يفلح، رغم دعم انوال اليه بقوة أخرى، تحاول شغل المجاهدين عن اعاقته .

ولما أعياه الامر أبرق الى سلفستري «بأن جنوده يشربون دماءهم، وان الحالة سيئة الى حد الانتحار، وانه يطلب نجدة قوية» .
وعلم ابن عبد الكريم بالحالة القاسية التي عليها الحامية فأرسل

شخصاً من المغاربة الذين انضموا الى المجاهدين بعدما عملوا مع الجيش الاسباني، حاملاً راية بيضاء، علامة على أنه رسول سلام يطلب من رئيس الحامية أن يستسلم في امان، فأبى هذا وأبرق الى سلفستري يقول: «ان العدو طلب منه الاستسلام ولكنه رفض، كما اقسم جنود الحامية، أنهم لا يستسلمون الا للموت» .

وقبل أن يطلب ابن عبد الكريم من رئيس الحامية الاستسلام، وجه انذاراً الى الجنود المغاربة الذين في صف العدو، والى المتطوعين الذين يدعون «بالحركة» جاء فيه ما يأتي: «انظروا كيف تتساقط مراكز العدو الذي يظن أنه في حرز منيع، وانظروا كيف تفر الجيوش الاسبانية أمام زحف المجاهدين، الذين يتعقبونها حتى يقوموا باجلائهم عن جميع الاراضي التي احتلوها بخيانة الاشرار من الريفيين، وعليكم أن تتخلوا عن المشاركة في جيوش العدو ضد اخوانكم المسلمين، واعلموا أن قتلاككم وأنتم في صفوف الكفار مأواهم جهنم، وبئس القرار، وان قتلاككم، وانتم في صفوف المجاهدين جزاؤهم النعيم هم فيها خالدون، هذا واني أحذركم أنكم اذا تماديتم في صفوف العدو، فانه عندما ينجلي عن جميع التراب، وهو أمر محقق بحول الله فانكم لا تجدون رحمة من عدالة السماء، التي تطبقها محكمة المجاهدين عليكم بصفتكم اشرار المسلمين، قادوا خراباً لبلادهم، اعانة للمغتصبين، هلموا قبل أن يفوت الأوان، ارجعوا الى حظيرة اخوانكم بسلاحكم، لتستعملوه حيث أوجب الله استعماله، هلموا، ولا تتأخروا، فالوقت ثمين» .

وبعد كل هذه الارهاصات، تبين للجيش الاسباني، أن المعركة الفاصلة، آتية لا ريب فيها، وهكذا عندما طلع فجر يوم 18 من يوليوز سنة 1921 م. استفاقت حامية اغريين على طلقات المدفع المأخوذ من معركة ابران، وطلقات المدافع الرشاشة، وقد هرول جنود الحامية يفركون اعينهم من النوم الثقيل، الذي استمتعوا به في جلسات اثر انهك التعب اليومي لاجسادهم الشاحبة التي لم ترو ضماًها منذ أيام .

ان المجاهدين الآن في مركز الهجوم، بعدما تخطوا مركز الدفاع، ذلك ما أحدث ذعراً شديداً في جميع المراكز الاسبانية، وبالاخص في

مراكز مثلث الموت: بومجان، اغريين وانوال، ان المسؤولية المعنوية والمادية يقع ثقلها على قيادة انوال، ولذا شرعت في قصف خنادق المجاهدين على الوجه المنظور اليها، قصفاً شديداً، طبق الحاح حامية اغريين، على القيام بعملية الارض المحروقة، لتخفيف وطأة الحملات ضدها، وكذلك جهزت قيادة انوال قافلة محملة بالمواد الغذائية والسائلية والعتاد الحربى .

وقد تمكنت بعد اى أن يصل من تبقى من القافلة الى مركز الحامية، بعدما خلفت خسائر فى الارواح باهضة، وقد كانت مدفعية العدو تفتت التراب شبرا بشبرا، الامر الذى تعذر على المجاهدين من الوجه المنظور لها أن يتحركوا بحرية، ولم يتمكن الا المجاهدون على هوامش ذلك الوجه .

وقد انضم هؤلاء البؤساء من جنود الرتل المغيث الذين فلتوا الى مركز اغريين الى الآخرين الذين يترقبون المصير المحتوم، فلم يحفل هؤلاء بأولئك، ولم يروا فيهم غنية لهول الموقف، فأسرع «بنيتيس» بارسال برقية الى انوال يقول فيها: «ان الاغاثة التى وصلت الينا لا تغنينا من شىء، لان معظمها ضاع تحت وابل رصاص العدو، وانه يعد هذه البرقية آخر انذار، لان الحالة سيئة للغاية»، وأجيب من انوال، بالتربص وانتظار وصول النجدة، الا أن أية نجدة لم تصل الى الحامية، رغم محاولات عدة من انوال، نظرا الى أن المجاهدين أصروا على أن لا يتركوا للعدو أى منفذ للوصول الى الحامية، ولو اصلتهم مدفعيته ما اصلتهم من نيرانها، خصوصا وان عددا من المجاهدين يقدر عددهم بخمسمائة مقاتل عززوا صفوف المجاهدين على اختلاف مواقعهم، وقد أوصاهم ابن عبد الكريم بالوصاية الاخيرة، وهى أن لا يتحركوا من خنادقهم، وان لا يسرفوا فى استعمال طلقات بنادقهم، الا ما كان يصيب الهدف بذاته، وان يحفظوا خزان البندقية (الموزير) المعروفة لدى الاهالى بالخماسية، بحيث يكون دائما عامرا بالخمس الخراطش حتى اذا كان وقت الضرورة الملحة افادت فى الحين، وانما أمر بالاقتصاد فى الدخيرة خوف نفاذها لانها الى ذلك الحين لم يتعد الوفر منها عنده عشرة آلاف طلقة، كما أوصى بأن يتركوا العدو يقترب الى ما بين 100 و200 ياردة، وحينئذ يكون الهدف محقق الاصابة،

فتخضع شوكتة حينما يفاجأ بسقوط القتلى من بين صفوفه، وحذرهم من مغبة النكوص على الاعقاب، فان ذلك مهلكة .

وهكذا استمرت المعارك بين حامية اغريين والمجاهدين، من جهة وبين النجدات التي ترسل من انوال من جهة ثانية، فامتد القتال يوم 19 يوليو ويوم 20 منه، وفي هذا اليوم ارسل قائد الحامية نداء الى أنوال جاء فيه: «يوجد بيننا عدد كبير من الجرحى والقتلى، وقد نفذ الماء، وتعوزنا المواد الغذائية اننا قد أصبحنا مرغمين على المكوث داخل الخنادق، نيل نهار، حيث ان العدو أصبح لنا بالمرصاد، وقد أشرفت معدتنا العسكرية على النهاية، اننا نرى أن من الواجب ان تستمر بطاريات انوال في قصفها لجيش العدو، ليل نهار عسى أن يكون في ذلك تخفيف من الضغط علينا». وفي هذا اليوم أيضا، وصلت نجدة عسكرية من مليية قوامها فرقة من جنود «كسادوريس دي الكنطرة»، مؤلفة من 1.400 جنديا، يقودها الكبطان جنيرال «نفارو» وقد رفع سلفستري الاعلام بها الى قائد الحامية طالبا منها أن تتربص وتنتظر حتى تصل النجدة اليها، التي أرسلت فعلا صبيحة يوم 21 يوليو، الا أنها لقيت ما لقيته سابقاتها، فرجع منها بعض الفلول لا تلوى على شيء، لان الذعر استولى على الجيش ففقد معنوياته كجيش مقاتل .

وقد استطاع المجاهدون أن يحفروا تحت الاسلاك المستديرة حول المعسكر باغريين الى أن وصلوا الى داخله، حيث وضعوا علما محشوة بكبريت قنابل الطائرات التي تسقط من دون انفجار، فلما ملأوا الخندق اشعلوا النار فيها، فاندفعت تزلزل الارض تحت أقدام الحامية زلزالا، فاندحش الجنود، ولم يكذ أن يتبينوا مواقع أقدامهم من الارض .
واثر هذا الانفجار، أرسل ابن عبد الكريم رسولا يطلب من الحامية الاستسلام، حملت الرسالة امرأة كانت تذهب ليلا بقذحين من الماء الى كمندان الحامية، بثمن ريالين وقد كشف خبرها جندي اسباني هرب من الحامية، فسأله ابن عبد الكريم، وأعطى خبرها، فأرسل الجندي مع مجاهدين الى أن وقفوا على دارها، فجاءوا بها، واعترفت، وكلفها بحمل الرسالة .

وبعد استشارة الحامية، معسكر انوال، أجيبنا بالتربص وانتظار
نجدة أخرى، إلا أن الحال ما حال، ولما يئس الجنرال سلفستري الذي
كان يشرف على ارسال النجديات، يعاونه في ذلك الجنرال نفارو، ويعاين
بنفسه الحالة النفسية المزرية التي قضت على جنوده، حيث يولون الادبار
عند أول اشتباك مع المجاهدين وان مدفعيته التي اصى بها الارض نارا
حامية لم تقده، ففي عشية اليوم نفسه، ابرق الى الكمندان بنيتيس، قائد
الحامية، يأمره فيها بالانسحاب، وفعلا انسحبت الحامية، أى ما تبقى منها،
بعدما حاولت اتلاف المعدات الثقيلة، ولكن أين لها من وقت لذلك؟ لان
زلزلة تلك الساعة شىء شديد، فخرجوا منكبين دفعة واحدة الى جهة انوال،
ملقين السلاح على الارض، بينما مات عدد من الضباط والجنود على الاسلاك
كما ائخذ المجاهدون القتل في قفاهم، ولم يصل الى انوال الا حوالي 20
جنديا، أصيب بعضهم بالبكم، والبعض الآخر بالصمم، وقد وصلوا الى
انوال حيث رأى اخوانهم هناك اناسا خرجوا من عذاب جهنم، التي بدلت
لهم جلود غير جلودهم، حتى أن من كان رفقاء قبل ذلك، انكروهم ولم
يفلحوا ان يتعرفوا على سحناتهم الا بعد لأى .

وقد استشهد من المجاهدين اثناء هذه المعارك كلها حوالي 50
مجاهدا، منهم السيد محمد بن الحاج السى اعلى أبرو من بنى ورياغل،
والسيد عبد الكريم بن الحاج بودرة من أجدير، والحاج حمدش من أجدير،
والسيد موح بن السى احمد الاجديرى، كان في أحد الخنادق فلمح العدو
شخصين من المجاهدين قصدا عين عبد الرحمن للاتيان بالماء فصوب اليهما
طلقة بندقيته، فأصابت السيد موح بن السى احمد في قلبه فمات، رحمه
الله، وكان من صناديد المجاهدين .

4 - معركة أنوال التي قصمت ظهر الغزو الاسباني

ان سلفستري الآن أصبح أمام مسؤوليته، فقد ضاع من يده حلم الامجاد العسكرية في شمال افريقيا فشاربه الكثيف أصبح يرقص على شفتيه لانه أصبح الآن معنيا بالامر أمام المجاهدين قبل أى جندي آخر فحماسهم تضاعف، وايمانهم بالنصر أصبح أقوى من أى وقت مضى، وجنوده قد أنهكهم الذعر من هول ما شهدوا، فأرجلهم لم تعد تقدر أن تحمل أجسادهم الثقيلة، والمجاهدون مخندقون بوادى الحمام على أبواب انوال، وقد انضم اليهم أولئك الذين كسبوا النصر فهم نشوى لا يردهم ردا، ولا يتحزحزون قيد انملة على كسب نصر آخر .

وقبل اقراره أية خطة يتخذها من الدفاع أو الانسحاب أو الهجوم، أبرق الى وزارة الحربية يقول فيها: «لقد انتهت عملية اغريين، انتهى سبق لى أن أعلنت عنها، وقد بذلت قصارى الجهود، فحالت كثرة جيوش الاعداء دون الوصول الى أية نتيجة، نظرا لما قامت به من الرباط فى الخنادق، وأمام استحالة وصول أية نجدة اضطرت لاصدار الاوامر بافراغ المركز، بعد تحطيم سائر المعدات الثقيلة، وقد لقي حتفه بين الاسلاك عدد كبير من الضباط والرؤساء، كما قام عدد آخر بالانتحار» .

«الحالة تعتبر بالغة فى الخطورة والحاجة ماسة لارسال قوات جديدة كاملة العدة، وذلك أمر يلزم أن يكون على وجه السرعة، وانى لست واثقا من الحالة، نظرا لانقطاع أسباب المواصلات، ان المراكز القريبة الاخرى تطلب منا ارسال النجدة، وانى عندما اتسلم نجدة جديدة سوف أتمكن من استرجاع معظم الجهات» .

واثر هذه البرقية، وفى يوم 22 يوليو 1921 جمع أركان حربه لتقرير ما يلزم اتخاذه، وبعدما عرض الحالة العامة فى معسكره، وباقى المراكز أعلن بأنه رغم وجود العدد الكافى من الجنود المدربين أحسن تدريب، الا أنه يعتقد أن الاهالى من قبيلتى تمسامان وبنى وليبشك

سينقضون عليهم من الخلف فينضمون الى العدو، وبعد عرضه للحالة العامة، اقترح أن يقوموا بهجوم عام من طرف الجيش، بعد أن تتقدمهم حركة المتطوعين المغاربة، الذين تحت رئاسة محمد بن علي بوثنشوشنت، من قبيلة بنى سعيد .

وهكذا بعد استراحة يوم الاربعاء 23 يوليوز، وكان اثنان من المغاربة المجندين في الجيش الاسباني فرا الى المجاهدين، وأبلغاهم استعداد العدو لهجوم كاسح غده الخميس، وانها محاولة أخيرة له، أما أن ينتصر أو يندحر. فتسلل ابن عبد الكريم بنفسه الى خنادق المجاهدين عبر واد الحمام، ليتفقدهم وزودهم بالعتاد الحربى الذى توفر لديه، وأمرهم بالثبات مبشرا اياهم، لان أحد المجاهدين رأى فيما يرى النائم أن نملة شربت بحرا، وفسرها بأن قوة المجاهدين الضئيلة ستتفصر على اسبانيا كلها، بل العالم الاستعمارى .

وقد تحقق صدق خبر الجنديين المغربيين، ففي فجر من يوم الخميس شرعت مدفعية العدو تقذف بطارياتها حمما من نارها صوب مواقع المجاهدين، كما شاركت طائرات أيضا فى قصفهم، وعند شروق الشمس اندفع الجنود من معسكر انوال، كالنمل، فغطت أرضية خارج المعسكر، تسبقها قوة المتطوعين (الحركة) وعلى رأسهم محمد بوثنشوشنت، حيث كون مسيرة الهجوم، فاخترق لاول وهلة صفوف المجاهدين، متقدما الى الامام، وكان من بين المجاهدين الحاج الراضى الزفزافى، وهو من الابطال المشهود لهم بالثبات فتصدى لهؤلاء الخونة من اشرار المسلمين، فثبتوا حيث لم يزحزهم اختراقهم لصفوفهم، فصوب الحاج الراضى طلقة بندقيته صوب الخائن بوثنشوشنت فارداه قتيلا، وحينئذ انفل جمعهم، فولوا الادبار منهزمين ولما رأى جيش العدو انهزام المتطوعين ذعروا فكروا راجعين من حيث أتوا، بينما لم يعذرهم المجاهدون بل تابعوهم بالقتل مما أحدث لهم ارتباكا كبيرا .

أما المتطوعون من المغاربة، الذين انهزموا لما مات رئيسهم، فانهم تخطوا معسكر انوال، وذهبوا الى ديارهم فى قبائلهم، حاملين معهم

الاسلحة التي كانوا زودوا بها، متربصين عاقبة المعركة لكي ينقضوا بدورهم على جيش العدو .

وقد أدرك ابن عبد الكريم أن العدو سينسحب لا محالة من أنوال، الى مركز آخر خلفه، ولذا أمر بقطع خط الرجعة عليه، وهكذا تسلسل كل من القاضي السيد محمادي شمس من بنى ورياغل، والحاج بوعلی من تمسامان، على رأس فرقة من المجاهدين الانتحاريين خلف معسكر انوال.

وكنوا هناك في قرية تربيعت، متربصين بالعدو ان خرج للانسحاب، واحتلوا جميع المسالك التي هي محتلمة للمرور، وفعلا ففي غده 24 يوليوز الذي هو يوم الجمعة، حيث يكون المسلمون في مشارق الارض ومغاربها يدعون في صلواتهم بنصر الاسلام والمسلمين، وفي الصباح الباكر، سمع المجاهدون دوى انفجارات داخل المعسكر، يتلف المعدات الحربية الثقيلة، واثرد تدفق من أبواب المعسكر العدو، متجها صوب مركز ابن الطيب بنى وليشك، حيث تقرر جعله معسكرا، نظرا لوقوعه في سهل منبسط خال من الاخاديد والصخور، وقد كانت قشلة مميس وقشلة بومجان انضمت الى انوال، بعدما لقيت من نفس المصير، وتوقف في ابن الطيب لانه لا يمكن للمجاهدين أن يختبئوا هناك، وعندما بدأ العدو يخرج نادى مجاهد من فوق قمة جبل، يقول ان الجيش يفر فأمر ابن عبد الكريم المجاهدين ان يثبتوا في اماكنهم، خوف أن تكون هناك خدعة حربية، وأمر أربعة من المجاهدين أن يذهبوا الى حيث مصدر النداء، وكان من بينهم القائد شعيب ابن موح ابالي من بنى بوغياش، وكان معه منظار مقرب فوقفوا على قمة حيث رأوا انسحاب العدو، فأطلق شعيب ابالي ثلاث طلقات في الهواء، اعلاما للمجاهدين بحدوث شيء غير عادي، وهي طريقة مستعملة في مثل تلك الحالة، ثم اعقبه بالنداء بأعلى صوته، «ان العدو هارب» فهرول المجاهدون من خنادقهم متسللين عتبة الوادي .

وقد اندفع شعيب ابالي بداعي الشعور الذي تملكه الى الامام من دون أية وقاية الى أن وقف أمام الاسلاك الشائكة، وبينما هو يشغله مظهر اندفاع جيش انوال، كالسيل هاربا، فاذا به يرى قشلتى بومجان

ومميس يندفع منها من فيها من الجنود صوب اتجاه انوال فتحول الى جبهتهم وجعل يرميهم بطلقات بندقيته، وهم في حالة من الفوضى لا يكادون يردون عليه ولو بطلقة واحدة، وانما كان دأبهم أن يصرخوا «مينة مينة» وهي كلمة بمعنى الامان .

وهكذا كان أول من شهد ذلك المنظر المسرحي المروع، الى أن وصل اخوانه المجاهدون، أما جيش العدو فلم يفكر الا في الفرار، ما عدا فرقة «كاسادوريس دي الكنطرا»، التي أخذت على عاتقها شغل المجاهدين، وهي محصنة خلف بوابة انوال، كي تخفف من هول الموقف، بينما الآخرون اندفعوا الى الامام، لا يلتفتون الى الوراء، وقد أطلقوا لارجلهم انعان فارين، ولكن اين لهم الوصول الى المأمّن؟، فقد انقلبت الآية عكس ما فكر، وقدر قادتهم، فاللعة الآن تتبعهم، ولا تقيل لهم عثرة، والرصاص ينزل كالمدار المنهمر، ولا يدري أحد منهم أين يتجه، فالارض كادت تبلعهم والموت فاغر فاه امامهم، والقيادة تظلت عن جنودها .

فسلفستري الذي كان يتتبع الانسحاب بالمنظار المقرب على كدية تحت شجرة زيتون، قد لقي حتفه من حيث لا يحتسب، فقد رآه أحد الاهالي العجزة الذي كان يشاهد من منزله الآية الكبرى فعمد الى سلاحه التقليدي «بوحفورة» الذي يحشى بقرطاسة واحدة، تسلل كالثعلب الهرم الى أن كان على مسافة 50 ياردة، فأفرغ القرطاسة اليتيمة في كتف الجنرال المختال وأرداه قتيلا، فصاح في فرح «ايه يا جنرال» وحل من وسطه حزام الجنرالية الحريري، ذا اللون الاحمر القاني، واحتفظ به الى أن قدمه للزعيم ابن عبد الكريم، حيث احتفظ هو بدوره، وزين به متحفه الحربي ليشاهده الزوار مكتوبا عليه «هذا هو حزام الجنرال سلفستري الرجل الذي استخف بعزيمة الريف» .

أما الكرونييل «موراليس» الذي عمل طيلة حقبة من التاريخ في مليلية، على اذلال الاهالي واستغلال سذاجتهم، والذي يعتبر الرأس المدبر لكل الاحداث، التي كانت تجري في الريف فانه لما رأى هول الموقف ركب سيارة عسكرية، وهام على وجهه، فارا بجلده الى جهة ابن الطيب، تاركا الجنود الذين غر بهم، ولما وصل الى دشرة «اقدارا» من فرقة

آل عبد النور من بنى وليشك وجد بالمرصاد له احد الاهالى، كان يرقب هو أيضا من عليّة منزله ذلك المنظر المسرحى، فصوب اليه طلقة بندقيته فصرعه فى الحين، وقد بقيت جثته هناك الى أن أتت زوجته من ملبية على ظهر باخرة، الى العرض البحرى المقابل لسيدى ادريس، فطلبت من محمد أزرقان أن يتدخل لدى ابن عبد الكريم، فيأذن لها بالبحث عن جثته، فأذن لها، وحملت من مرسى سيدى ادريس مع جثتين اثنتين من الضباط الآخرين .

أما جثة سلفستري فانه لم يعثر عليها من بين القتلى، رغم البحث عليها من طرف بعثة اذن لها ابن عبد الكريم، وكانت تضم السيد ابن سعيد السلاوى، فلم تهتد اليها، ولذا قيل فى موته أقوال، حتى قيل أنه لم يموت، وانما اختفى فى قبائل الريف، فرارا من عار الهزيمة، وهى أراجيف فقط فرواية قتله على الكيفية التى ذكرناها، كانت رواية شاهد عيان، ومتواترة .

أما الجنرال «نفارو» الذى كان مساعد سلفستري فى الفترة الاخيرة من معارك اغريين - انوال فقد قاد فلول الجيش المنسحب، وبالاخص فرقة «كاسادوريس دى الكنطرا» التى كانت تدافع عن مؤخرة الجيش المنسحب، يجر وراءه الهزيمة التى لم يكن على أى حال العنصر الاساسى فيها، لانه لم يكن فى وضعية أخذ رأيه بالاعتبار، بل كان رأى «موراليس» والكبطان (مرغيو) أولى بالاعتبار، عند سلفستري، إلا أن الفشل الذريع الذى منى به رأيهما لما جد الجد، ابان عن ضعف مقومات سياستهما، المستوحاة من التخمينات المحبوكة لاغراض دعائية، لا تمت الى الوقائع بصلة، وكان بالنسبة للجنرال نفارو لما كان يقود الفلول المنهوكة، التالى وجدت نفسها ضائعة فى بيداء القبائل التى تتعرض لها لا للترحيب، واسداء العون، وانما لآبادة بقيتها الباقية، فقد اعياهم تسلق الهضاب تارة والانحدار منها آونة أخرى، ثم تجنبها المسالك المطروقة لتختفى بنفسها، ولسان حال كل واحد منهم يقول للآخر «انج سعد، فقد هلك سعيد» .

فى هذه الحالة لو اختير الجنرال نفارو، لما عدل عن اختيار مصير

رفيقيه سلفستري ومراليس، ولكن كما يقول الشاعر العربي :

(وما الموت الا خبط عشواء من يصب يمته ومن يخطىء يعمر فيهرم)

ان على الجنرال الناجي بجلده، أن يضع على عاتقه مسؤولية انسحاب حوالي 300 مركز، من المراكز الخلفية التي كان الجنرال سلفستري، ومن كان قبله من قادة الجيش، أقاموها بين ظهرائي القبائل، التي أخضعوها، على رأس كل مركز ضابط اختير من بين العسكريين الذين يراعى فيه الكفاءة من ناحية الختل والخديعة لاستمالة الاهالي، وهي الاوصاف التي اشتراطها الجنرال «منويل غودييد» في تقارير ينعى فيها على المراقبين أن يكونوا حربيين فقط، أو سياسيين فقط بل يجب أن يجمعوا بينهما، ليصبحوا قادرين على الاخذ من الاهالي دون العطاء .

وقد اختار الجنرال نفارو أن يسلك مفازة بوفرقوقش - دار الدرويش - تترطوطن، بعد أن قطع نهر كرت لانه السبيل الغير المطروق لالاهالي، وقد ركب سيارة عسكرية تتبعه أخريات تسير هويناء، تخفيها على الفارين من المشاة المتعبين .

وقد اكتسح المجاهدون جميع المواقع الخلفية، ولم يستعص منها الا قشلة «تاروضي» بقبيلة بنى وليفك، التي امتنعت من الاستسلام، لمدة يومين وهي تقاتل، ثم استسلمت، تحت ضغط الحصار .

أما قشلة «دار بوزيان» بقبيلة بنى سعيد، فانها استسلمت على يد قدور بن عمر، من بنى سعيد الذي لم يقبل منهم الاستسلام بعد ما نكثوا شرط الاستسلام، بعدم ائتلاف المعدات الحربية، فرجع الى القتال، حيث ابعدوا عن آخرهم .

ومن سوء حظ قدور بن عمر هذا، انه كان هاجر الى بنى ورياغل، لما استرد الجيش الاسباني فيما بعد القبائل التي أجلى عنها، كما سيأتى بعده، وكان يسكن في قرية ازكيرن من بنى بوغياش ثم بدا له أن يرجع الى أرضه، ولا أدري الى الآن على ماذا اعتمد فرجع، وقد اعدمه الاسبان، بمجرد وصوله، بدعوى أنه استأصل قشلة «دار بوزيان» .

ولم يستطع الجنرال أن يقطع المسافة على ظهر جواده مارا على

المراكز وسط القبائل، انطلاقاً من ابن الطيب ببني وليشك الى اسغفغان، كما فعل من قبل الجنرال ليسمو برنكير، عندما بدا للقادة العسكريين أن يقترحوا عليه، ليقف بنفسه على خضوع القبائل بصورة تامة، وبطرق السلم، والاستسلام، فامتطى جواده من «بومجان» مخترقاً وسط القبائل الى أن وصل الى مليلية، وكانت رحلة ممتعة، لان بعض السكان تعرضوا له للسلام حسب التقارير الرسمية الى مدريد .

ولو فعل ذلك (أى نفارو) لما نجى برأسه الى جبل «عرويت» بدّل تأكيد، وعلى كل فقد نجى الى «عرويت» في 3000 جندي في حالة عياء. الا أنه مما ينبغي أخذ العبرة من هذه الاحداث التي قصصنا قصنها الى الآن، لتذكرنا بمحاولة أخرى مرت في ظروف شبيهة تماماً، وبنفس الاسلوب، وعلى أديم الارض نفسها، وهو ما يقال في حقه أن التاريخ يعيد نفسه، ففي حوالى سنة 1909 كان أحد أعوان بوحمارة، يسير حملة من قصبة سلوان، واخترق نفس المفازة لاجل اباداة قبيلة بني ورياغل، التي لم تلت لها قناة، حتى اذا وصلت الحملة الى حيث وصلت الآن حملة الجيش الاسباني، انكسر الاثنان أمام صمود الايمان بالنصر، ورجعت الفلول بنفس الصورة والمتاعب .

5 - معركة عرويت أو هضبة القنفذ

تقع هضبة اعرويت بسكون الرء وكسر الواو بين تيزطوطين وسلوان، وتبعد عن الناضور بحوالى 20 ميلاً، وهى هضبة تشرف على سهل بوعاك، وتكون نقطة الاتصال بين الناضور وسهول بني بويحيى، من جهة وبينها وبين مراكز دار الدرويش وميضار وتفرسيت، من جهة أخرى وتحمى من الجهة الجنوبية مناجم المعدن بأكسان، وسكتها الحديدية، وهى باب المفازة الكبرى، ويسمىها الاسبان هضبة القنفذ .

فاذا ما وصلنا نوا الى تدوين معركة «اعرويت» وتخطينا ما جرى فى المعارك الاخرى، كابن الطيب، ودار الدريوش بمطالسة، ودار الكبدانى ببني سعيد، وغيرها، فلان تلك المراكز أخلتها حاميتها من دون قتال يذكر، الا ما كان من مطاردة الجنود الفارين من طرف الاهالى، ولذا

فان هزيمة انوال تنسحب على تلك المراكز، التى تولى شأنها كل قبيلة وجدت فيها بما فيه مركز سيدى ادريس، المحمى ببحرية العدو، فقد استولى عليها أهالى قبيلة تمسامان، بعد معركة اعرويت، أما هذه الاخيرة، فانها لما وصلها الجنرال نفارو، شرع فى اعداد العدة للدفاع، وقد التأم جيشها، وكان ضمن ضباطها الكرونيل فرناندو دى ريفيرا ابن ديكتاتور اسبانيا من بعد .

وكان من سوء حظ جيش العدو، انه كان على بعد كلم واحد من عين الماء، وكان حماس المجاهدين المتعقبين لفلول الجيش يفوق كل وصف، مع تكاثر عددهم بمن انضم اليهم من رجال القبائل التى فكت عنها اغلالها، فكان وصول جماهر المجاهدين مع جيش «نفارو» على جبل اعرويت كفرسى رهان، وبمجرد ما وصلوا أحدقوا بالمعسكر من جميع جوانبه، لضرب الحصار عليه، حيث أصبح يعانى ما عاناه اخوانه فى اغريين، على أنه الآن لا يترجى أية اغاثة من مليلية، لما أحدق بها من الهول، ولان قوة الجيش قد اندثرت، فهى لا تفكر الا فى النجاة، بقطع البحر من حيث أتت، وأين لها أن تفكر فى الامجاد العسكرية، أو على الاقل حفظ ماء وجهها، أمام العالم الغربى، الذى أرسلها لتمدين البدائيين وهكذا استمر الحصار لمدة 15 يوما كانت حصيلة كل يوم سقوط الجنود، قتلى أو جرحى، حتى أن ابن ديكتاتور اسبانيا لم ينج من قطع ذراعه بانفجار قذيفة أطلقت عليه، يقال أنهرمى بذراعه فى وجه أعدائه، وقد تعفن الجرح، كما تعفنت جروح 169 جنديا آخرين، ماتوا جميعا من جراء ذلك، وبهذا كانت محنة الجنرال «نفارو» أشد من محنة زملائه، الذين قضوا برصاص قاتلة، لاهم غابوا ولم يروا مناظر المأسى التى عاشها .

ان النجدة من مليلية كما قلنا أصبحت مستحيلة، بل لا يعبأ بها أحد، الا ماكان من بعض الطائرات التى ترتفع فى سماء الهضبة بأزيزها، حيث تلقى بعض المواد الغذائية، وكتل الجليد، التى تطيش السى حيث المجاهدون .

ومع مرور الايام، أصبحت الحياة لا تطاق، بسبب الروائح والابوئة التى خلفتها الجثث التى لم تجد يدا تدفنها، وأمام هذه الحالة

فان الجنرال «نفارو» طلب من المجاهدين أن يكفوا عن القتال للمفاوضة للاستسلام، فاشتراط شرطاً أساسياً وهو أن يستسلم على يد القائد ابن شلال القلعي، وكان هذا من القواد الذين جاءوا الى انوال، على رأس «حركة ميكسا»، وعلى أن يكون هو وجنوده في مأمن واشتراط المجاهدون من قبلهم عدم ائتلاف المعدات الحربية الموجودة في الحصن فقبل .

وهكذا تم الاستسلام، بتاريخ 2 غشت 1921، الا أن حادثة بسيطة أدت الى كارثة مهولة، أقامت ابن عبد الكريم وأقعدته، وهو في «تانوت الرمان» بقبيلة قلعية بدار القائد السى امحمد السيد الى، ذلك أن أحد المجاهدين فلتت منه طلقة نارية، لا يعلم أحد الى الآن ممن روينا عنهم أحداث المعارك كيف انطلقت هذه الرصاصة، فظن المجاهدون الذين كانت أيديهم على الزناد، بحكم موقف الاستعداد، ان الامر ينطوى على خدعة حربية، فحدثت مجزرة في الجنود، وقد قيل أن الجنرال نفارو لم ينج الا على يد ادريس خوجة القلعي، الذي خطفه على فرسه وابتعد به.

وعلى أى حالة، فان الجنود الذين نجوا من المجزرة هم 400 نفر، سيقوا أسرى في حالة ذهول، وبينهم ثلاثون ضابطاً، وصف ضابط بين هؤلاء، الآخرين المدعو بسايو، الذي سيأتى الكلام بخصوصه، وقد سيق الجميع الى حيث مركز ابن عبد الكريم بتانوت الرمان، بعدما تركوا جثث احوانهم تملأ الدروب، وعلى الاسلاك، وأين توجهت كان الطيارون الذين يحلقون فوق هضبة القنفذ يشاهدون كل ذلك، ليعودوا الى سكان مليلية ليقصوا عليهم ما يذهلهم، مما يزيدهم رعباً على رعب .

الا أن النتيجة السيئة بالنسبة للافتصار الجديد، ان ابن عبد الكريم لم ترخه هذه الطريقة التي ليست طريقته في الحرب، ولذلك أصبح في حالة نفسانية لا تطاق، فهو محارب نظيف، يتمسك بأسلوب الشرف، في كل الحالات، ولكن انى له أن يضبط حماساً يسير كالأعصار، قد انفطت قيادته من يده أو كاد، فلم يسعه الا أن يصدر الامر اليومي العسكرى القاضى بأن من قتل أسيراً أو مستسلماً فان جزاءه العقاب بدون هوادة، فننادى المنادون في صفوف المجاهدين بأصوات جهورية أصغوا لها، فتقبلوها على مضض، أما القتلى في جنود العدو فقد اختلف الرواة في

عددهم، وقد ابلغها بعضهم الى ثمانية آلاف قتيل، وهو الرقم الذى يمكن تصديقه باعتبار ان الجيش الذى كان فى انوال والجيوب المحيطة به والحاميات الخلفية قد أبيض تقريباً عن آخره، فلم ينج منه الافئات شاردة فقدت كل سيطرة حتى على نفسها، وقد ذهلت القيادة المتبقية المتمثلة فى الجنرال نفارو ان يحصى الاموات أو الناجين، كما شغل أيضا المجاهدون عن احصاء خسائر العدو لانكبابهم عن تعقبه من جهة، وجمع الغنائم من جهة أخرى .

6 - الناصور ومليلية :

صدق الشاعر عندما قال: «أين المفر وخيل الله فى طلب» . وهكذا اندفع المجاهدون كالسيل الجارف فى سهول اعرويت الى الناصور، حيث اقتحموها ثلثا بتاريخ 9 غشت 1921 فوجدوها تشتعل حريقا، لان الجيش المنسحب عنها اضرم النار فى خزائنها، لا فرق بين الحربية منها والغذائية، وقد زرعوا فى سكانها ذعرا شديدا، بحيث انتشرت الفوضى، فجنود الاحتلال يهرعون بدون وعى الى الجهة التى توصلهم الى مليلية، فى دفاع منقطع لا يغنيهم فتىلا، بينما السنة لهيب النار ترتفع من خزائن الى خزائن، والمجاهدون يقتحمون المدينة فى حالة لا مبالاة، يجمعون وينهبون الاسلاب، من دون أن يفرقوا بين ما كان غنيمة حربية سائغة، وبين أمتعة الاهالى التى لا تحل لهم أن يمسوها .

وفى خضم هذا التسابق الاهوج، فان جماعة من الجنود الاسبان نجئوا الى بناية رحيء الىة تقع فى أحد أحياء المدينة المتطرف، واعتصموا بها، يدافعون بالسلاح الخفيف، ويسدون الضربات الى المجاهدين الذين شغلوا بسواهم، فلاحظ ذلك أحد الضباط المغاربة الذى كان فى صف الجيش الاسبانى، والذي كان قبل ذلك فى مركز انوال وكان يسدى عوناً من طرف خفى للمجاهدين .

وهذا الضابط هو الملازم الغول القلعي من مزوجة، لاحظ ضربات الجنود المعتصمين بالرصاص، فعمد الى مدفع كان الاسبان هربوا عنه وتركوه وذخيرته فاستعمله وجعل يدك بقنبله بناية الرحي، حتى اذا

أخذوا من حيث لا يشعرون رفعوا راية بيضاء طالبين تركهم ليخرجوا
مانتظر عليهم القائد الغول أن يتركوا السلاح فقبلوا ولكنهم عمدوا الى
حيلة لاخرجه معهم فقد وطئوا نعش كل جندي مجروح بالسلاح وحملوا
النعش وفوقه المجروح .

وبخروج هذه الشرذمة استصفى المجاهدون مدينة الناضور،
بفصل بسالة هذا المناضل، الذى لقي مصرعه باعدامه من العسكريين
الاسبان بعدما استردوا قبيلة قلعية حيث خدعوه باعطاء الامان على يد
عمالئهم فرجع الى وطنه، والقوا عليه القبض واستدعوا أهالى القبائل
المحيطة بالناضور وجيء به، فطافوا به على أنظار الاهالى معصب العينين
بينما سيف مسدد الى نحره، حتى استنفزوا الاهالى باعدامه بالرصاص
بهذه الصورة الوحشية .

ولما كان المجاهدون فى هذا الهيجان العارم فانه عندما وصل
الخبر الى ابن عبد الكريم صدم صدمة عنيفة، اذ رأى أن المجاهدين
بدأوا يخرجون عن تعاليم الشهادة، التى احتفظوا بها فى معارك انوال وما
حولها، والتى مكنتهم من الانتصار، فلم يتمالك أن اصدر اوامره بالنداء
فى الناس بلزوم آداب الجهاد المرعية، وعدم الاساءة الى أمتعة الاهالى
والا كان العقاب قاسيا، ولكن كان الناس فى صمم .

ولما بدا له أن الجهاد انقلب فتنة عارمة، وأن دخول مليلية على
هذه الحالة من الفوضى قد يؤدى الى أسوء العواقب، لان العدو قد حمى
المدينة بالعمارات الحربية، فضلا عن التحصينات الدفاعية المحيطة بها،
فانه أمر رؤساء المجاهدين بأن يستبقوا الى أبواب مدينة مليلية، لمنع
المجاهدين من اقتحامها فى الحالة الغوغائية التى ذرت قرنيها، وذلك
لأمرين اثنين :

(1) لما يخشى من ابادة المجاهدين فى مجزرة رهيبة، تكون مليلية
مقبرة لهم، فى حين يكونون قد انشغلوا بالاسلاب الثنى أصبحت تشغلهم
عن تحصين أنفسهم أمام بوارج العدو، ومدافعه المصوبة على أطراف
المدينة، بينما لم يكن فى ميسورهم أن يعرفوا بالضبط مواقع الدفاع، ومدى

قوة العدو، الذي كان في ميسوره امداد المدينة بالنجدات بين لحظة وأخرى،
عن طريق البحر الذي يسيطر عليه .

(2) ان اندفاع المجاهدين في فورة الحماس المنقطع النظير، وقد
اختلط بينهم شباب القبائل التي انجلى عليها جيش العدو، وهم اغرار
غير منضبطين، ولم يعوا من تعاليم الجهاد شيئا، سيجعل الانتصار المحرز
يتحول الى همجية بدائية، تطمس كل معالمها، وبالتالي تكون سبة في
جبين القضية الوطنية الكبرى .

وهكذا قدر لمدينة مليلية أن تبقى بمنجاة من السقوط في يد
المجاهدين، أسوة بالمراكز الاخرى، وبذلك بقيت رأس جسر الجيش الغازي،
الذي تمكن بعد استرجاعه هدوءه، أن يعززها، بعد أن كان سكان مليلية
الذين كانوا يقدرون بخمسين ألف نسمة، هرعوا الى المراكب البحرية،
يتسابقون لركوبها، للنجاة بأنفسهم حيث أعدها لهم أولئك الضباط الذين
تتكون منهم حامية المدينة، بمن فيهم، أولئك الضباط الذين كانوا يرأسون
نقط الحاميات في القبائل، قبل هزيمة انوال، والذين كانوا يسمحون
لأنفسهم من دون رقابة رؤوسائهم، أن يختلسوا رخسا للذهاب الى مليلية،
حيث يستمتعون في المراقص الليلية، فلم يلحقهم ما لحق الجنود الذين
يسمونهم باخوان الموت .

وبينما اشتد الهلع، واستولى على السكان، وتسابقوا لركوب
المراكب البحرية، هرع أحد المغاربة الذين اشرب حب الجيش الغازي،
الى حاكم المدينة، يترجى منه أن لا يخلى المدينة لانه علم أن ابن عبدالكريم
أصدر أمر رد بعدم اقتحام المدينة، وهو أمر مطاع، وقد كان
هذا الرجاء بمنزلة صفعه ايقاظ الولهان ، فانتبه الجيش،
واستولى على أعصابه ، فركن الى الثبات ، وصدقت نصيحة
الرجل الذي استمتع فيما بعد بثمرة هذه النصيحة الغير
السليمة من الوجهة الوطنية .

وقد اسندت اليه مهام لا تمت بصلة الى مهامه الحرفية، التي
كانت حسبما يقال هي الاتجار مع الجيش في اللحوم ولذا قيل أنه كان
يسوس الاهالي الذين قدر أن يتحكم في رقابهم، بما كان يسوس به

الابصار عندما يسوقها الى المعسكرات، حاثا اياها بالاصوات الغريبة
بالاسراع امامه يلتهثها بالسياط لانها كانت درايته التي حذقها من
عمله الدؤوب .

ولما اسدى الى اسبانيا من صنيع الاخلاص، فقد قيل أنه وضعت
له صورة مكبرة، يحتضن صورة اسبانيا، وهى مترنحة الى السقوط فى
البحر، وقد احتضنها بذراعيه .

وعلى أى حال، فان ابن عبد الكريم ظهر بمظهر عاطفى عندما
أمر قومه بالوقوف عند أبواب الحصن الاخير لعدوه الذى أوشك على
الانهيار، وهو أكثر منه موقفا حرييا .

وسواء كانت هذه العاطفة سالمة من الوجهة الحربية أو غير
سليمة، وعلى ما شاهدنا فى الحرب الاهلية الاسبانية، وبعدها فى الحرب
العالمية الثانية، فان أى شعور من هذا القبيل لم يحترمه أحد من الطرفين
المتحاربين، وان الجيش الاسباني نفسه عندما تنفس الصعداء وخرج
من مليلية للمرة الثانية مكتسحا القبائل التى كان أجلى عنها، فانه لم
يحجم عن استعمال أعنف وسائل اباداة النساء، والاطفال فى قراهم، فقد
ضربهم بالقنابل المسمومة حيث نشر الدمار، فضلا عن استعمالها فى
ميادين الحروب التى خنقت المقاتلين الارياف، وشوهت أجسامهم، ولم
يحتكم الى أية عاطفة بعد انتهاء الحرب، عندما عمد فى آخر فصل من
فصول المأساة، فارتكب المجازر بالاعدامات، وهتك الحرمات وجلد الرجال
فى قراهم جماعيا أمام أهليهم، وذويهم، ولنضرب مثلا على ذلك، يجدر
أن أروى هنا قصة تعذيب عائلتى فى قريتها بعد الاحتلال :

ففى ذات صباح يوم من أيام رمضان المعظم من عام 1347 هـ.
عندما استيقظت القرية شاهدة كوكبة من الفرسان الغازية تتركب من
25 نفرا، يقودهم ضابط صف يدعى عبد السلام التمسمانى، عمل باخلاص
فى صفوف الجيش الاسباني، شاهدتهم يتسلقون فى صف منعرجات
الطريق الى القرية وقد ارتبكت القرية من هذا المشهد، فتساءلت، وكان
والدى رحمه الله هو المعنى بالامر، وعندما وصلت الكوكبة سألت عن

المسجد الجامع، فهناك حطت رحالها، واستدعت والدي واخوانه، وابناءهم حسب لائحة حملوها معهم، وكانوا يتكونون تقريبا من خمسين نفرا .

وبعد محاورة مع والدي في شأن ما يقال عنه من وجود سلاح مخزون لديه واخوانه، أمروه بالالتحاق بمكان قصي، حيث يشاهد بأم عينه مأساة اخوانه، وهم تحت الجلد والسياط، وقد كان اطلاق سراح والدي في الحين لغزا غير مفهوم، الا أنه تبين فيما بعد مرماه، بعد المحنة التي لحقته شخصيا حسبما سيذكر، أما اخوانه فانهم سلكوا في صف مستطيل أمام هؤلاء الناس الذين تجردوا من كل عاطفة انسانية واخلاقية ودينية، فالיום يوم رمضان والوقت وقت الظهر والمكان هو المسجد الجامع، يحيط به قبور من غير ممن كانوا يعمرن القرية، والكوكبة التي تتركب من المغاربة، كما أسلفنا وحولهم لفيف من جواسيس القبيلة التي كانت لعبت دورها في الاستعلامات المزيفة عن السلاح ومخزوناته، كلهم يمرحون، وهم في حالة خروج عن الصوم، يذبحون ويشوون، بينما الجلادون منه يشوون أجساد أعمامنا بالسياط، واجدا بعد واحد حتى أتوا عن آخرهم في آخر النهار، حيث سمحوا لأبي أن يلتحق بداره، ثم عاودوا الكرة مع شروق شمس اليوم التالي على نفس الأشخاص، واحدا فواحدا على التوالي، وهكذا لليوم الخامس، بينما نحن حول الدار نتلظى من عذاب الضمير، الذي كانت وطأته أشد من وطأة العذاب بالسياط المنصب على أجساد الاعمام، فاذا بضابط الصف مع خمسة أنفار من حراسه يركضون ركضا على خيولهم قاصدين الى دارنا فهرع أبي اليهم، فاختلى به ضابط الصف وبعد برهة أخذوا اخانا الأكبر يوسف، وذهبوا به الى المجزرة البشرية، وقد علمنا من أبينا أن ضابط الصف طلب منه قدرا من المال لم يكن في مستطاعه أن يتوفر عليه ففهمنا لغز اطلاق سراحه من أول يوم، وكان خلال تعذيب أعمامنا يمرون بأحدهم أمام دارنا متصنعين انهم يذهبون به للتدليل عن مخزون السلاح، وعندما يرجعون به، يوجعونه ضربا أمام النساء والاولاد، وفي الطرقات، وقد حاول كثير من أعمامي الانتحار عندما يذهبون

بالحراسة الى شاهق الصخرة أو غدير من الماء مضللين اياهم بأنه
هناك السلاح .

وعندما علم أبى أن كل ما يدور، يدور حوله، وأنه أخيرا سينزل
عليه غضب هؤلاء الوحوش، فانه ركن الى الفرار، وقد صحبتته فى الفرار
وأنا لم أتجاوز سن 12 سنة الى حدود كزناية، حيث أمرنى بالرجوع الى
الدار وذهب هو الى فاس، ثم رجع وسجن فى مليلية للمرة الثانية لمدة
أربع سنوات .

أما الجلادون فانهم بعدما فشلوا فى العثور على السلاح، انتقلوا
يجرون وراءهم أولئك التعساء المعذبين، سالكين اياهم فى سلك واحد،
منتقلين من قرية الى قرية من قرى القبيلة، يفعلون بأهاليها نفس العمل،
وقد مكثوا ينتقلون لمدة شهرين اثنين، وصلوا بعد الى أجدير حيث مقرر
مراقب الدائرة وقد جروا وراءهم رجال القبيلة الذين حملوا السلاح فيما
قبل دفاعا عن وطنهم ودينهم واعراضهم .

وهكذا يبدو أن العاطفة التى غلبت النزعة الحربية فى ابن عبد الكريم،
لم تكن شفيعة لدى الغزاة ليرحموا قوما اعزاء ذلوا عندما غلبوا، على أنه
فى نفس اللحظة التى كان ابن عبد الكريم يصدر أمره بعدم اقتحام مدينة
مليلية، كانت «سنيورا نفارو» لما سقط زوجها أسيرا فى معركة جبل
عرويت طلبت قتل جميع المغاربة الذين يتواجدون فى ذات الوقت بمدينة
مليلية ولم يحل بين اقتراحها وبين قتلهم الا عندما علمت أن زوجها
أسيرا، وانها ان أقدمت على قتل المغاربة، قد يدعو ذلك الى قتل زوجها
الاسير، أخذا للثأر، فكفت عن مطلبها .

مصاعب داخلية نجمت عن الانتصار

أولا : ان ابن عبد الكريم بعد معركة ابران ونقل مركز الجهاد إلى «امزاورو» أصدر قرارا يقضى بجمع السلاح الذى يغنم فى المعارك ليكون ملكا للثورة، وكذلك الذخيرة، والدواب، وجهازات التليفون، مقابل قيمة حددت فى 20 ريالا اسبانيا (الريال = 50 سنتيم) للبندقية (الموزير قصيرة أو طويلة) 15 للبغل و20 للفرس، ولكن عندما بدأ المجاهدون تنفيذ القرار وقع التساهل من حيث الاداء وقد يكون لهذا التساهل ما يبرره، نظرا لفقدان الاطر بالمرة، لان المرحلة مرحلة قتال، لا خبرة للمقاتلين الا وضع الاصبع على الزناد، وكان يمكن الاغضاء عن جمع السلاح الى ما بعد انتهاء العمليات الكبرى وهى عمليات تطهير الارض، وبالاخص ان أمانى مكبوتة عند المحاربين كانت حافزا قويا على الاستبسال وهو الاحراز على غنيمة الخماسية، ذات الخزان من نوع جيد، ينباهى بها عندما تقاس ماسورتها بالرصاص الى أين يصل، علامة على جدتها أو رداءتها، ولاكن ميلاد تنظيم الثورة يقتضى توفير السلاح لديها .

وكان يمكن السماح لكل مجارب أن يحرز واحدة من هذا النوع، ويصادر الباقي، وللاستدلال على ذلك أسوق هنا حادثة رواها لى شعيب ابالى، وهو من المجاهدين الذين قاتلوا باستبسال قال ان القائد حدو بن موح أمزيان كان رئيس جماعة من المجاهدين فى دار عبد القادر بن الحاج الطيب حرمة من غنيمة بندقية تمشيا مع تعليمات جمع السلاح فغضب، ورجع الى داره، وترك الجهاد .

ثانيا : عندما استسلمت قوة جبل أعرويت، عمد بعض المجاهدين للاجهاز على بعض الجرحى من الاعداء، الامر الذى أقام ابن عبد الكريم وأقعدده، كما مر، واستحث السير من «ماورو» الى أن وصل الى تنوت الرمان، فأصدر قرارا يقضى بأن كل من ثبت عليه أنه أجهز على الجرحى يعاقب عقابا صارما، وفعلا اتهم بعض المجاهدين، فلما قدموا

اليه، تقدم اليه أحدهم قائلاً ان جندياً كان سالماً، الا أنه لما بغته الامر امتد بوسط الجرحى والموتى، ولما مر عليه أحد المجاهدين، تحرك وأخذ البندقية فصوبها الى المجاهد الذى ادار اليه ظهره، ولما رأيت ذلك عاجلته باطلاق النار عليه .

وتقدم اليه آخر ان جريحاً جر نفسه الى بندقيته كانت مطروحة على خطوة أو خطوتين، فأخذها وسدد الى عندما كنت ملتفتاً الى جهة أخرى، وقد لاحظت تحركه فعاجلته، ومات، وهكذا كل من قدم اليه تقدم بعذر مقبول الا أنه لم يثق ببعض الحالات فادين مرتكبوها، وقد استاء بعض المجاهدين الذين يعتبرون مخضرمين من المؤلفة قلوبهم من القبائل التى جاءت مع السيل، ولم يستقر اخلاصها بعد .

وقد يبدو من أول وهلة أن التدبير الوقائى الذى اتخذه ابن عبد الكريم هو سليم داخل فى اختصاصاته، من حفظ سمعة الثورة الوطنية، من كل ما يشينها أمام الرأى العام العالمى، وان لكل معضلة حلا داخل اطار حفظ التوازن بين المصالح والمضار، ولا يتنافى وما يجب عمله لاجل رفع معنوياتهم القتالية، وبالاخص أن العدو لم ينقرض بعد، وقد تكون مليلية هى الحصن المنيع الذى حشر فيها كل قواته، التى تلقت نجات من الضفة الاخرى للبحر الابيض المتوسط .

ثالثاً : عندما وقف المجاهدون عند أبواب مليلية مكتوفى الايدى، شرع ابن عبد الكريم فى تنظيم القبائل التى انجلى عنها الجيش الاسباني، والتى كان زعماءها ممن جروا جحافل المتطوعين الذى دعيت «بحركة ميككا» استهزاء بها، وغنت بها بنات القبائل فى أهازيجها، وقد حاول أن يختار من رؤساء القبائل من كانت له غيرة على الجهاد، فجمعهم وطلب منهم أن يتساوروا فيما بينهم لتقديم من يرويه صالحاً وضرب لهم مدة أسبوع، كميعاد لموافاته بالنتائج وقد حدثت فى سبيل هذا التدبير مساحنات بين العشائر مما خلفت بعض الاثر فى معنويات المجاهدين الجدد. ورغم ان تدبيره قد يكون مستوحى من الديموقراطية التى ما فتىء ينادى بها، الا أن الظرف كان ظرف حرب، يجب الاخذ بالاحوط فيها، من تعيين الاشخاص تعييناً مزودين بصلاحيات تؤهلهم لحفظ الاستقرار.

رابعاً : ساهمت الاقدار في خلق المصاعب اذ أصابه مرض اضطره الى أن يغادر الجبهة الى مسقط رأسه بأجدير، وأمر بنقل مركز المجاهدين الى الناضور، حيث أمر عليهم الفقيه ابن علي بولحيا، وهو من فقهاء قبيلة بني توزير، ورغم اخلاصه وتفانيه، إلا أنه تنقصه حنكة ابن عبد الكريم كما تنقصه صفة المحارب المغاور، ليكون قدوة للآخرين، الذين يرون فيه الكفاءة القتالية، التي هي شرط أساسي ليقنتوا بجدارته للرياسة عليهم من ناحية البطولة، وبالأخص فان الشقة الآن أصبحت متباعدة بين المراكز الامامي في الناضور، والقيادة الفعلية في أجدير ببني ورياغل، فالامر يختلف عنه لما كان المركز بتمسامان .

خامساً : وعندما وصل الى أجدير وشفى من مرضه بعد أسبوعين توافدت عليه وفود قبائل غمارة، كما توافدت عليه قبائل ورغة وقد هيئتها أخبار الانتصارات المهيولة، فجاء أعيان ورؤساء قبائلها تحبو متسابقة مع الزمان، وقد خربوا كلهم على وتيرة واحدة، فطلب رجال غمارة بعث أخيه السيد امحمد الخطابي لترتيب قبائلهم وتنظيم صفوفهم، فلبى دعوتهم، ولم يكن في امكانه غير الازعان، ولما كان الامر يتعلق بصنوه فانه يلزمه أن تصحبه نخبة من مجاهدي الريف، وفعلا جهزه بلفيف منهم وبالضرورة، فان اختزال المجاهدين لا يكون الا على حساب المركز الامامي لمليلية، كما دعاه رجال قبائل ورغة للقيام بنفسه برحلة الى مريسة وبني ويلد، من قبائل ورغة، الامر الذي اصطدم فيه مع عمر بن احميدو المرنيسي، وكان عليه أن يستجيب للمطلبين لرفع معنوياتهم .

سادساً : من المقارنة بين التعزيزات الاسبانية والمجهود الريفي حول مليلية، المنخفض قد لا يكون التفسير لذلك الا ما يكمن في محاولة شغل العدو في الجبهة الشمالية الغربية بتنظيم قبائل غمارة، للمساهمة في المجهود المشترك للثورة، التي يجب أن تندلع في كل مكان من الشمال، ولكن العدو لم يحفل لهذه العملية التي لم يكن قد وضع أقدامه بعد على تراب قبائل غمارة، وانما اكتفى بتركيز حاميات على الجوانب الحساسة لمعارك جبالة، فقد حصن معسكر «وادلو» واقام حامية بقاع اسرع التي تبعد عن وادلو بحوالي 7 كلم .

ونترك الآن الكلام على التنظيمات التي قام بها الامير الصغير المبعوث الى هذه الجهة وما نشأ عنها من الاصطدامات مع العدو وتمرد بعض قبائل غمارة على التنظيم الذي قام به هناك، وعلى رحلة ابن عبد الكريم الى قبائل ورغة، لنتم الكلام على التعزيزات الاسبانية الى مليلية .

وقد سبق أن أشرنا الى أن الجيش الاسباني الذي كان يكتسح قبائل جبالة قاصدا مركز الريسوني بتزروت، وصل الى خميس بني عروس، ولم يبق لاحتلال تزروت الا حوالي 6 كلم، بينما الريسوني لجأ الى ادغال جبل بوهاشم، ولم يفك الحصار المضروب على المجاهدين في بوهاشم الا وصول نبأ هزائم انوال، فقرر الرجوع (بالجيش) الى المراكز الحليفية، بينما طار الجنرال برينكير الى الريف، وكان من الجيوش التي تعمل في نواحي تطوان فرقة (اللفيف الاجنبي) تحت امرة المقدم ميلان ستريبي ويوجد على الكتيبة الاولى منها الكمندان فرانسيكو فرانكو، فقرر على ضوء احداث الجبهة الشرقية التي وصلت خطوطها الامامية الى أبواب مليلية، ان يعمل على انقاذها عوضا عن الجلاء عليها، فأمر بتهييء فرقة «التريسيو - اللفيف الاجنبي» التي تضم 8 آلاف جندي للرحيل الى مليلية، على وجه الكتمان حتى عن الجنود أنفسهم، الذين قطعوا مسافة ما بين تطوان الى سبتة في 24 ساعة، وهي سرعة متناهية حسب اعراف تنقلات الجيش بمعداته الحربية، التي تستلزم حسب تقديرات القادة العسكريين ما لا يقل عن 72 ساعة ولم يكن من الذين يرأسون الكتائب على علم أين يتوجهون الا رئيس الكتيبة الاولى الذي توصل باشعار مقتضب من المقدم ميلان استريبي في برقية جاء فيها: «ان مليلية على وشك السقوط لم يبق شيء البتة فقد هزم جيش سلفستري، وأصبحت المدينة بدون دفاع، وفقد الناس صوابهم» .

وقد فوجيء الجنود حينما وجدوا أنفسهم ينزلون بميناء مليلية تحت ستار من الكتمان والحدر .

وهكذا استمرت الامدادات العسكرية تصل من اسبانيا الى مليلية، حتى بلغت في أواخر غشت 1922 الى ستة وثلاثين ألف جندي، وقد تمكنت

هذه القوة في منتصف شهر شتبر 1922 ان تندفع من مليلية يقودها
المقدم ميلان استريبي المذكور صوب الناضور التي أجلى عليها المجاهدون
بعد معارك أسفرت عن قتل وجرح 61 ضابطا بينهم المقدم ميلان استريبي
نفسه، وفي أوائل اكتوبر اجتازت تلك الجنود مدينة الناضور يقودها
الكمندار فرانكو متجهة الى جبل «اعرويت» عن طريق وادي سلوان الذي
سماه «طريق الآم» نظرا لما ازدحم به من جثث قتلى الجيش الاسباني
المتعفنة .

سابعنا : ولما علم ابن عبد الكريم باستعداد العدو للزحف مرة
أخرى على قبائل الناضور، خف الى الخطوط الامامية فمسك بقوة
المجاهدين في معسكر «أزروهمار» بقبيلة قلعية، وعندما خرجت قوة
«التريسيو» من الناضور، اصطدمت بقوة المجاهدين بسهول الفيض فيما
بين الناضور، واسغنغان، وقد عمد العدو الى أن يقدم في صفوفه صف
من البهائم شد على رؤوسها صفائح من حديد تسمية على المجاهدين ليظنوا
أنها وسائل دمار جديدة، وقد خرج من ورائها بقوة كثيفة، ورغم ثبات
المجاهدين فانه تكاثر عليهم ولم تجدهم .

حكى لى السيد مرزوق (1) بن عمر من شرفاء زاوية سيدي
عيسى ومن الشجعان المغاور شارك في هذه المعركة، كما شارك في عدة
معارك أخرى سيأتى الكلام عنها، (لا زال حيا الى الآن) أنه كان ممن حضر
المعركة وكان معه عمه موح أمزيان، وكلاهما كان سلاحهما رديئا أى
بوحفورة، الا أن مجاهدا من بنى بوغيث (قرية امنوذ) كان معهما
وهو مسلح ببندقية الخماسية، وهى جيدة، ومعه ذخيرة فى «اقراب»
مالقة وهى محفظة القرطاس، ولما رأينا العدو فى تلك الكثافة وسلاحى
وعمى لا يغنى شيئا، قلنا للبوعياشى هيا بنا نبتعد الى جهة أخرى
نتحصن فيها، فأجابنا بتؤدة ورزانة قائلا: اصبروا تروا، فصرنا، أما
هو فقد صب الذخيرة على الارض وجعل يضرب بكل طلقة جندي صريع
الى ان كاد ان يأتى على الذخيرة، فقال الآن هلموا، انتقلوا لان العدو

(1) شاهد عيان .

لم يفت فيه كثرة القتلى، بل لا يبالي فكل من سقط حمل حالا، والآخرين يقاتلون، وقد استمر القتال من الفجر الى أن أرخى الظلام سدوله، حيث تعذرت الرؤية، وتعد هذه المعركة كارثة على المجاهدين، فقد انسحبوا تحت جناح الظلام الى حيث يوجد ابن عبد الكريم (وكان يدعى الى ذلك الوقت الفقيه) بأزروهمار، أما العدو فقد وصل الى اسغنغان، كما تقدم لاحتلال اعرويت .

ثامنا : وقد زاد في محنة المجاهدين، أن بعض الغوغاء ممن كانوا يرتادون مليلية قبل الهزائم جعلوا يهمسون فيما بينهم حول وجود المجاهدين الذين هم من قبائل بعيدة كبنى ورياغل، وبنى سعيد، وتمسامان، وبنى توزين وبنى وليشك، وهم ديارهم بعيدة عن النار، حيث يوجد ذووهم وأموالهم في مأمن، أما هم، فإن المعارك ستجرى على أديم أرضهم، وعلى انقاض ديارهم .

وبدا فعلا أنهم كانوا يحنون الى عهدهم مع الجيش الاسباني، وفعلا ففي صباح اليوم التالي بينما ابن عبد الكريم يتعبر الحالة مع المجاهدين الذين يقدر عددهم بنحو الف، فاذا بجماعة منهم ممتطين صهوة خيولهم، يقفون في دائرة خلف القوم موجهين الكلام اليهم قائلين، انكم يا بنى ورياغل جئتم لتوقدوا الفتنة هنا على أرضنا، والآن وقد انسحبتم أمام الجيش الزاحف، فانكم تريدون أن تتركونا للخراب وحدنا، وابن عبد الكريم يصغى من دون أن يرد عليهم، وانما نظر الى قومه ممن معه فنادى على القواد واحدا بواحد، قائلا لفلان خذ مائة من المجاهدين واذهب بهم الى موقع فلان، وخندق هناك بقوتك وقاتلوا العدو الى الموت، ومن قام من خندقه وحاول الفرار فاقتله حيناً، وأنت يا فلان اذهب بمائة الى كذا، وهكذا وزع القوم على المراكز، ولما سمع أولئك الغوغاء علموا أن معنويات القوم لازالت مرتفعة، فخافوا وتفرقوا عنهم، أما ابن عبد الكريم فانه نقل مركز العمليات الحربية من أزروهمار خوف طعن المجاهدين من الخلف، وبالاخص وجود صيد ثمين يقدمونه للمصالحة مع العدو، وانتقل المجاهدون الى أن وصلوا الى قبيلة بنى سعيد ثم تقدموا الى أن عسكروا «بماورو» وهو جبل حصين طبيعياً، وجعله

ابن عبد الكريم معسكرا عاما لمدة الحروب فيما بعد الى أن انتقل الى
أخشاب أمغار، أما العدو فقد واصل تقدمه الى أن احتل قلعة اعرويت
التي كانت جثث القتلى فيها وفي جوانبها متراكمة بعضها فوق بعض، لم
يستطع الجيش الاسباني ان يعمل شيئا لمواراتها، فعمل في يوم مشت
قارس البرد أن يسكب عليها البترول لاحتراقها، وابادة الروائح الكريهة
المنبعثة من تفسخها، على قارعات الطرق اينما توجهت .

كما احتل أزروهمار، وجعله معسكرا للحمالات داخل قبيلة قلعية.
وفى هذه المرحلة الحاسمة المشحونة بالاستعدادات الواسعة
من قبل العدو، كانت تلك المصاعب تزيد في اعباء المجاهدين الثقيلة، فابن
عبد الكريم بعدما أمر بعدم اقتحام مليلية الذي بقى الى الآن لغزا غير
مفهوم، رغم تعليله بنفسه في بعض أحاديثه مع زائريه من أن قتل
النساء والاولاد سيضطرم العالم، بينما القضية الريفية تحتاج الى
تأييد انكلترا والولايات المتحدة، كما أكد بأن الخراب والدمار ليست هي
الطريقة الحربية التي يتبعها .

وقد يكون السبب الحقيقي غير ذلك لانه كان عليه أن يتخذ
التدابير الكفيلة وبالاخص فان كلمته كان لها وقع الطاعة العمياء، على
أن المدينة كان سيجدها المجاهدون شبه خالية من السكان المدنيين الذين
هرعوا الى المراكب .

والذي يبدو أن الباعث الحقيقي هو كون المدينة محمية من
البحر، وكان يخشى أن تكون مدينة مليلية مقبرة المجاهدين الذين
يكونون قد انكبوا على جمع الاسلاب، فتكون النتيجة من اقتحامها
عكسية، وهذا التفسير له وجه من النظر، لان المجاهدين لم يكونوا
استطاءوا جر جميع المدافع التي تركت في أيديهم في انوال، واعرويت
واغريين الا مدفعاً واحداً نصبوه على جبل «بوحردوف» على رأس
قمة تشرف على مليلية يضرب به القائد قدور أزرار من قلعية يعاونه
اسباني أسلم وحسن اسلامه، وكان عمله تحت اشراف السيد اليزيد
ابن الحاج حمو من بنى ورياغل الذي تولى نظارة الداخلية في التنظيم
الثوري، على أن المدفع لم يكن ليؤدي مهمة فعالة، لان بطاريات العدو

من مليية ومن البوارج البحرية كانت تسكته، ولم يكن له مفعول كبير، وقد استشهد الطبعي الاسلامي حيث اصابته شظايا قذيفة العدو على بطنه، فجعل يكرر الشهادة الى أن توفي رحمه الله، أما قدور أزارر فانه بعدما استولى الجيش الاسباني قبض عليه وسجن ومات في السجن، وتقول عائلته بأنه سم .

وقد كان المجاهدون قطعوا الطريق عن قشلتين خلفوهما من ورائهم، الاولى تدعى قشلة تمشارط والاخرى قشلة دار بونو في بنى شيكار بالموضع المدعو تيزي الذي عسكر فيه المجاهدون تحت رئاسة السيد عبد السلام البوعياشي، وقد حاول العدو الاتصال بهما فلم يفلح، فقد عمد الى ارسال التموين على ظهر دبابتين، ولكن المجاهدون اسرعوا الى حفر خنادق أمامها، فوقعت أولاهما في الحفر وارتبك على الاخيرة، فأحاط بهما الرجال الفولاديون، وقلبوهم على ظهرهما، في حين اشتبكوا مع الحامية التي أتت من خلفهما بالسلاح الابيض وجها لوجه، الى أن استسلمت القشلتان الا أن الذي يلاحظ أنه كان في الامكان وان لم يقع اقتحام مليية أنه في وسع المجاهدين أن يحاصروها حصارا لا يترك لها مجالا للعيش فيها، وقد يضطر العدو في هذه الحالة الى احدي الطريقتين .

أما اخلاؤها نهائيا، أو الرضوح لمفاوضة يكون الريف في موقف القوي المنتصر الذي يكون في استطاعته فرض شروطه . وبالاخص أن الحصار كان يكتمل بجلب المدافع التي غنمت، ويأما أكثرها لوضعها في موضعها اللائق بها على القمم المطلة رأسا على مليية، مع احاطتها - أي مليية - بالرجال الاشداء، على أن يتسلل الانتحاريون منهم ليلا لاحداث الرعب في ثكنات العدو، حيث لا يعوزهم مثل هذه التسللات التي يحذقونها .

واذا تذكرنا أن العدو كان محاصرا طيلة ثلاثة قرون خلت بدون المعدات الثقيلة فانه لا ينكر فعالية هذا التدبير وهو ضروري ومنتظر .

تنظيم مختلف مرافق الثورة

تنظيما يتلاءم ومهام الثورة

التنظيم الثوري وتلليل المصاعب الداخلية :

عندما وصل العدو الى قلعة «ازروهمار» وقلعة «أعرويت» وعلم ابن عبد الكريم بالتعزيزات التي يمد بها الجيش الاسباني، فكر هو من جهته أن يعزز المجاهدين بوحدات قتالية منتظمة وقارة، بحيث تعتمد على تنظيم مستمر، وبكيفية هضبوطة حتى يضمن المحافظة على توازن القوى المتكافئة مع قوات العدو، واسقط من حسابه الاعتماد على عنصر المفاجأة والحماس التلقائي لان البوادر تدل على أن الحرب ستطول وتتطور، فتلد العجائب في ميدان الصراع، وهكذا عمد طيلة السنة التي جمد القتال فيها الى تنظيم الاهالي تنظيما عصريا، يتلاءم والمسؤولية التاريخية الجسيمة التي تحملها، بحيث أصبح كل شخص بلغ سن 20 وما دون 60 سنة، يعد من المحاربين بالتناوب، واذا دعى داعي النفير العام، فالجميع يلبي داعي الجهاد، ولو لم يكن في حالة التناوب، وكان التنظيم حسب التالي :

قائد الطابور تحت امرته 300 مقاتلا .
يساعده قواد ثلاثة كل قائد على رأس 100 مقاتل .
وكل قائد مائة يساعده قائدان على رأس كل خمسين مقاتلا .
وكل قائد خمسين يساعده قائدان على رأس كل 25 مقاتلا .
وكل قائد 25 يساعده قائدان أحدهما على رأس 12 والآخر على رأس 13 مقاتلا .

وهكذا ضبطت الوحدات القتالية في اللوائح التي تخص كل واحدة، بينما يكون قائد الطابور مسؤولا أمام المكلف بالدفاع، وأعدت في كل قرية ساحة وسطها يتمرن فيها أولئك الذين لم يكونوا ذهبوا الى خطوط القتال .

وقد كانت التمرينات على الخطوط الرتيبة في صفين اثنين تحت

نغمات صوت المدرب: (واحد جيج واحد جوج) يحدث شعورا بالواجب في غاية الارتفاع .

وكم كان لنا شعور نحن التلاميذ الصغار الذين لم نبلغ مبلغ التتقيات الحربية، حينما ننظم في صفوف تخطو تلك الخطوات الوتيدة. تحت صياح منظم صفوفنا، فقد كان شعر رأسنا يوشك أن يطير من منبته للموقف الرهيب، الذي يحدثه دوى السباحة .

وعلى كل فانه رغم هذا التنظيم المبكر الذي يعتبر حكيما وسالما من الوجهة الفنية الحربية، فانه لابد من الاشارة الى العراقيل الجمة التي صادفت تلك التنظيمات في بادىء الامر، وبالاخص بالنسبة للصراع على الجبهة الشرقية. في هذه المرحلة، وذلك بالنسبة لتسابق الامدادات من اسبانيا لاغاثة مليلية التي أشرفت على الهاوية .

(أ) منها ان التنظيمات بدأت في قبائل الريف الاوسط (الحسيمة الآن)، وتحتاج الى وقت لتعميمها الى جهة قبائل الجبهة الشرقية .

(ب) ان خطوط القتال حول مليلية أبعدت المسافة بين الريف الاوسط وبينها، فعلى المحاربين الذين يحل دورهم في الذهاب الى الجبهة، أن يقطعوا مسافة لا تقل عن 130 كلم راجلين، لكي يأخذوا مقعد اخوانهم الذين عليهم أن يعودوا عبر نفس المسافة، وهي حالة بمقتضى الدوام عليها مضمينة .

(ج) ان القبائل التي أجلى عنها الجيش الاسباني لم تكن بلغ حماسها المبلغ اللائق، لانها كانت استكانت الى جيش الاحتلال، فربطوا معه صلات المعاملات التي تدر عليهم أرباحا، وفرت عليهم رغد العيش، بينما في ظل المجاهدين يجب أن يتحملوا أعباء تموينهم، وتوفير السكن، مع شظف العيش الذي يصحب ذلك الفتحة، الذي لا يحمل بين طياته الا مزايا معنوية عاجلة أو آجلة، فالعاجلة ما يمكن أن يتمتعوا به من الاعتزاز بالحرية الوطنية وما شاكلها، وآجلة ما يرجوه من ثواب الله جزاء الجهاد ولهذه الاعتبارات، فان على المقاتلين الغرباء عن القبائل، أن يأخذوا حذرهم من طعنة الخلف التي ربما يسدها أحد من أولئك الذين آثروا أطماعهم على شرف دينهم ووطنهم .

ويوجد هذا العامل من العناصر القوية التي استلزمت حذر المجاهدين، لأنه عندما كانت هذه القبائل محتلة كان يسهل على المجاهدين يجابوها مثل الاعداء سوية، ولكن الآن أصبح أهلها في عداد المجاهدين لا يجوز من الاحوال تمييزهم من غيرهم، فلهم ما لهم وعليه ما عليهم، ولكن اذا كانت النفس المنطوية على شر فيصعب تمييزها .

وقد كشفت الاحداث فيما بعد، أن تخوفات المجاهدين من استعمال العدو بعض الاشخاص ذوى النفوس المريضة كانت في محلها، وللاستدلال على ذلك، نأتى هنا بحادثتين اثنتين رويتها عن مصادر متعددة، وهى شهود عيان ومن جملتهم والدى الذى كان رفيق ابن عبد الكريم عند الحادثتين .

ذلك أنه بعد ما عكف ابن عبد الكريم فى أجدير على تنظيم الوحدات القتالية، وعلى توزيع المسؤوليات على مستوى مجلس الثورة .

قام برحلة تفقدية الى الخطوط الحربية، على الجبهات الشرقية، وكانت هذه الخطوط تمتد على طول حدود قبيلة قلعية المتاخمة لقبيلة بنى سعيد، وبنى وليشك، ودار الدرويش وجزء من قبيلة بويحيى، لأن جيش العدو كان استعاد مواقع قلعية كلها وكذلك دار الدرويش .

وبعدما وقف ابن عبد الكريم على الاستعدادات القتالية للمجاهدين وعزز كل مركز بالرجال والعتاد، رجع الى مركز مورو فى بنى سعيد، وهناك فى قرية حط الرجال للمبيت فى دار رجل من نفس القبيلة ويقال أن شخصين من رجال بنى سعيد الذين لهم علاقة وطيدة مع الجيش الاسباني وتمتعوا فى عهد الحماية بنفوذ شخصى، دبوا ليلة مصيدة لابن عبد الكريم ورجاله الذين يسيرون فى ركابه، وكانوا حوالى 50 شخصا أغلبهم من زعماء بنى ورياغل، فاتفق مع رب الدار الذى استضافهم على أن يياغتهم الجيش الاسباني ليلا، عندما يكونون قد اخلدوا الى الراحة، واوصى رب الدار أن يبدى كل ما يطمئنهم من كرم الضيافة وحسن الاستقبال، وان لا يغيب عنهم طرفة عين، ولكن كان من اللطاف الالهية، أن جاءت النجدة من حيث لا يشعرون، فقد جاء رجل آخر من نفس القرية، وكان أطلع على المؤامرة فأخبر ابن عبد الكريم بما يدبر خدهم،

وكان أصحابه مفترقين على دور القرية، فأوعز الى حراسه لاعلامهم ودعوتهم حالا للاستعداد ثم أمر بالرحيل الى جهة أخرى، مبقيا على رب الدار معهم كي لا يبلغ انتقالهم الى العدو، فيأخذ حذره، وفي الحال نصب المجاهدون كمينا مضادا، حتى اذا وصل الوقت المحدد للعملية وهرع العدو الى الاستيلاء على القرية، كانت العاقبة غير ما توقع، فوقع في الكمين، أما الشخصان المتواطئان فقد انحازا معا الى المواقع المحتلة، وهيئا هجوما على موقع دار الكبداني حيث مسكنهما، ورغم ذلك فان ابن عبد الكريم لم يمس الشخص المستخدم لهذا الغرض الدنيء باذى، بل أطلقه وأوصاه بأن لا ينخدع مرة أخرى لاغراض العملاء، الذين باعوا ضميرهم ودينهم، قائلا له انهم اذا ضحوا به فانهم لا يعبتون، وليس لهم وازع يردعهم، كما أن الجيش الاسباني لا يخسر شيئا، مادام انه استخدم بعضا ضد بعض، وأخذ عليه العهد بأن لا ينخدع مرة أخرى، وانه يرجع بقلبه الخالص الى حظيرة المجاهدين فأقسم على ذلك، وأصبح بعد ذلك من المجاهدين المشهود لهم بالاخلاص والنجدة .

أما الحادثة الثانية فقد وقعت عندما كان ابن عبد الكريم مع أصحابه ذاهبا الى سوق سبت بنى وليشك وكان الركب يمتد صفا واحدا عبر الطريق المؤدى الى السوق، وكان ابن عبد الكريم وسط الركب اذ لاحظ شخصا وسط جموع الذين جاءوا الى السوق، فأمر باستدعاء الشخص اليه، ولما مثل أمامه، أمر أحد الحراس بتفتيش محفظته المعلقة الى كتفه (اقراب)، فوقع العثور داخلها على ورقة من مكتب الاستخبارات الاسبانية بمليبية ترخص للشخص أن يدخل ويخرج من مليبية متى شاء، واوصى الجنود بتسهيل مروره، فدل هذا على أن الجواسيس من أهل البلد منبثون في صفوف المجاهدين وفي القرى والاسواق، حيث يلتقطون الاخبار، وقد يستعملهم للاغتيالات وغيرها، ولذا فان رجال قبائل الريف الاوسط، ونعنى به بنى ورياغل وتمسامان، وبقيو، وبنى عمرت، وبنى يطف، وبنى بويفرح، وتركيست وبنى توزين وغيرها، من حقهم أن يكونوا على حذر من أولئك الذين تجرى العمليات العسكرية على اديم أرضهم، واذا كانوا على حذر فان حرية العمليات تكون مكبوتة، وهو أمر يحط من معنويات المقاتلين .

أما الثالثة فقد كادت أن تكون قاصمة ظهر الثورة لولا الأناة التي يتجلى بها الأمير ويظهر أن ذلك هو الذي دعاه إلى التعجيل بالغياب عن حصار مليلية إلى أجدير، لأن بعض رؤوس الفتنة قد ذرت قرونها في بنى وريياغل، حيث حن أصدقاء جزيرة الحسيمة إلى عهدهم القديم، وكان من جملتهم المدعو شعيب بن الحاج تهاى الدردوشى، وهو من عشيرة المرابطين، وكان ذا جاهلية وعنجهية، فقد أرسل هذا أخاه الحاج حمو إلى عمر بن حميدو الرئيسى، الذى كان موقفه ظاهر العداء للثورة .

ذلك أنه نظرا لكون قبائل بنى عمرت ومرنيسة من القبائل التي لها شأن يذكر في ميادين البطولة، فإن ابن عبد الكريم أراد أن يشد بها أزر الجهاد، فقام برحلة إلى بنى عمرت ونظم شؤونها، ثم رحل إلى مرنيسة، وكان زعيمها القوى عمر بن حميدو، فقصده بجموعه إلى داره، وقد استضافهم وأنزل ابن عبد الكريم وعلية قومه في الطابق العلوى من داره مضمرا الشر وحاول أن يضع ديناميتا في الطابق السفلى، لينفجر فتذهب ريحهم، ولكن أخاه عبد السلام أبى عليه ذلك، لأنه يخالف شهامة الضيافة، فما كان من عمر بن حميدو إلا أن أظهر في المفاوضات ليئا، أعقبها اتفاق على جمع كلمة القبيلة تحت رياسته، لاجل أن تنضم إلى الثورة، وقد بدا الانشراح على ابن عبد الكريم وصحبه، وفي الصباح الباكر تقدموا إلى الامام إلى قبائل نهر ورغة لجمعهم على الكلمة المتحدة، وقد كان عبد المالك الجزائرى نازلا في سيدى على بن داود، بمرنيسة، ولما رحل القوم اتصل بعمر ابن حميدو واقترح عليه اعتراضهم عند الرجوع للفتك بهم، وكان عبد المالك هذا يعمل بوحى من الإقامة العامة بتطوان .

وقد تظن للمؤامرة أحد زعماء مرنيسة وهو السيد عبد السلام النيدري، فجاء إلى ابن عبد الكريم، وأعلمه فجمع ابن عبد الكريم قومه وتنكبوا الطريق الذى ذهبوا عبره ولما وصلوا إلى قرية عمر ابن حميدو وجده قد حصن داره بوضع تسع بندقيات نوع تساعية من صنع (فرنسيس) سلاح بها رجاله، فكانت داره كخلية الزنابير، لا يقدر أحد أن يقترب منها، وكان الرصاص يلعلع من أعلى داره يصك الآذان، فلم يستطع أحد أن ينال

منه منالا، واستمرت المناوشات ثلاثة أيام مات اثنائها من رجال عبد الكريم
الحاج الراضى الزفرانى وهو شهم فى الحروب، وقبل بدء
القتال مع عمر بن احمدو كان - أى الحاج الراضى - أجرى مع ابن
عبد الكريم حوارا مرأ، اذ ضرب على وتيرة هى فى الواقع تفحم الخصم،
فقد قال له، لما كنت تأمرنا بقتال الكفار كنا عرفنا صدقك، أما أن تأمرنا
بقتال المسلمين فهذا لا يمكن تصديقه، فأجابه ابن عبد الكريم بلباقة مقنعة
اذ قال، ان هذا أشد ظلما من الكفار، فقد انحاز اليهم، وهو مسلم، فقتاله
واجب، فاذعن الحاج الراضى وذهب توا للقتال، وكذلك مات هناك احمد
ابن شعيب بن عزوز أيضا، واثنان آخران، وقد بقيت جثثهم بين الخطين
لم يقدر رجال ابن عبد الكريم ان يقتربوا لحملها، لشدة الرماية، فتركوا
هناك لمدة ثلاثة أيام، لم يأذن لهم لاخذهم الا بعد ان جاء كل من السيد
احميدو الوزانى والسيد التباع أخ سيدى محمد أمزيان، القلعى، فحملوها،
وعندئذ رجع الجميع الى الريف تاركين عمر بن احميدو فى حصنه بمرنيسة.
وقد حدث عقب ذلك حادثان هامان كانا نذير شؤم لو لم يعالجهما
بحنكة معهودة .

أ) انه دعى الى عقد مؤتمر فى زاوية من زوايا عشيرة المرابطين،
لاجل الاستماع الى آرائهم حول القضايا الدموية، التى جرت نتيجة لخيانة
بعض رجالها، وحول الغرض من بعث الحاج حمو بن الحاج تهاى الى
عمر بن احميدو المرنيسى، وقد كان شعيب بن الحاج تهاى عالما بنوايا
ابن عبد الكريم، وخاف أن يوخذ على غرة، فاستعد للقيام بحشر حوالى
50 رجلا، مدججين بالسلاح تركهم بعيدين عن محل الاجتماع، بقدر 20
ياردة، حتى اذا وقعت محاولة مسه بمكروه قاموا برد الفعل حيناً، وقد
حضر الى المؤتمر جميع زعماء بنى ورياغل وبقيوه وبنى عمرت وتركيست
الذين استمعوا الى جدال عنيف بين ابن عبد الكريم وشعيب بن الحاج
تهاى، فقد قال الاول للثانى أين أخوك الحاج حمو، فرد عليه الثانى أين
أنت أخوك محمد - وكان ذهب مبعوثا الى فرنسا حسبما يأتى - ولما
ظهر عنف رد الثانى، فان أحد زعماء عشيرة بنى عبد الله، وهو موج
ابن عمر أبا محمد اشعر ابن عبد الكريم بطرف خفى، وأشار الى جماعة

شعيب بن تهامي التي سددت مأسورات بنادقها الى جهة المؤتمر، فأمسك ابن عبد الكريم عن الكلام، ولم يستطع أن يزيد، ولو كلمة واحدة، وانفض المجلس، حتى اذا مرت أيام او عز الى بعض زعماء بنى ورياغل للذهاب اليه والاتيان به، وقد وثق بهم فجيبىء به الى المجاهدين بشاطيء الحسيمة. (ب) أما الحادث الثانى فيتمثل فى اغتيال السيد احمد بورجلة وقد كان شخص من قرية تيجرت من عائلة موح بن الم رابط على، قتل أثناء هجوم بنى ورياغل على دار السيد احمد بورجلة، فى قضية اتهام القبيلة اياه بالاتصال، صحبة الحاج محمد شدى بجزيرة الحسيمة، وقد تقدم ذلك. ففى ذات يوم من أيام وجود ابن عبد الكريم فى «أبو دينر» بتمسامان نصب سلام بن حدو الم رابط على كميناً للسيد احمد بورجلة فأرداه قتيلاً، وهرب الى السوانى حيث دخل دار السى محمد ونظرا الى ان ابن عبد الكريم قد جعل حدا باليمين للضغائن الدموية، فان القائد أحديدن على رأس جماعة طافوا بالدار التى التجأ اليها وحاصروه، فما كان منه الا أن تحدى لهم بالرصاص، فتبودلت معه النار فأصيب بجروح بيده، فأخذ وقتل هناك من دون محاكمة وقد راجت اشاعات تقول بأن اغتيال السيد احمد بورجلة كان بوحى من ابن عبد الكريم .

والواقع أن التهمة غير صحيحة، فان الذى تواتر ان وراء اغتياله جماعة من زعماء الم رابطين وهم حمادى بن الحاج سعيد الذى كان تزوج أرملة ولده عبد السلام بورجلة، والسيد عمر الهشامى وكان ينافس السيد احمد بورجلة، وموح بن السى شعيب أقيعان وكان يعيش معه، وقد تبين أن هذا الاخير كان مع السيد احمد بورجلة يوم اغتياله فى ازغار، حيث كان يستخرج الشعير من مطمورة له هناك، وقد استغفله وخفف من ابرة زناد بندقية بورجلة، فلما عاين الكمين عمد الى بندقيته ليسبقه، وكان راميا ممتازا، وشجاعا صنديدا، فأوقد الزناد أولا وثانيا وثالثا، فلم يحصل على نتيجة، وكان خصمه قد أرداه قتيلاً .

وكان ابن عبد الكريم فى ذلك الحين فى بودينار من تمسامان، فلما علم بالحادثة اقامته وأقعدته، وجاء الى السوانى ووجه السيد أحديدان على رأس 14 رجلا لاخذ القاتل .



Si Muhand Uzarqan of Ajdir, Aith Yusif w-'Ari, the former foreign minister of 'Abd al-Krim; photograph taken in Tangier, 1960

Waryaghar in general. Although there are minor discrepancies in the sources,²⁰ the offices and their incumbents may be listed as follows:

1. *Khalifa* to 'Abd al-Krim and Commander of the Rifian Army in the West (with headquarters at Targist): his younger brother Si Mhammad.
2. Minister of Finance (*wazir al-maliya*): his paternal uncle Si 'Abdssram r-Khattabi.
3. Minister of Foreign Affairs (*wazir al-kharijiya*): his wife's brother or sister's husband, Si Muhand n-Muhand Azarqan, also from Ajdir (nicknamed, in Spanish, both *Pajarito*, "Little Bird," and *Punto*, "Cigarette Butt"—for the Spaniards said that as a boy he used to pick up and smoke discarded cigarette ends). He died in Tangier in 1969.
4. Minister of War (*wazir al-harb*): three incumbents: (a) Muhammadi n-Si Muhammad bil-'Ali

I-Hatimi of Aith Qamra; (b) 'Abdssram nj-Hajj Muhand of ar-Rabda in the Aith 'Adhiya subclan of the Aith Bu 'Ayyash; and after his defection to the Spanish in mid-1923;²¹ (c) Hmid Budra, from Ikattshumen in the Aith Yusif w-'Ari. Later, under the Spanish administration which had once jailed him, he became *quid*, first, of the Uta *quidate* in Waryagharland, and in 1953 of the *quidate* of the Nkur. He died in 1966. A post was also created for an assistant Minister of War, and this was filled by Muh n-Bu Rqjar, of Tifarwin in the "true" Aith Bu 'Ayyash.

5. Minister of Interior (*wazir ad-dakhiliya*): three incumbents: (a) Haddu n-Si Ziyyan r-Khattabi of Ajdir; upon his death, (b) Shaik I-Yazid nj-Hajj Hammu of Tafrasth in the Imhawren subclan of the Aith 'Ari; and upon his death, late in the war, (c) Si Muhammad n-Si 'Abdssram r-Khattabi of Ajdir, the son of (2) above and a very young cousin of 'Abd al-Krim.
6. Minister of Justice (*wazir al-adliya*): four incumbents: (a) the Qadi sh-Shims, from the Aith Bu 'Ayyash; (b) the Fqirash-Shargit-Tuzani from the Axt Tuzin; upon his death, (c) Muhand n-'Amar 'Abdallah t-Timsamani from the Thimsaman; and finally (d) the Fqih Muhammad n-'Ari Bur-Hiyan (or Bu Lihya, "bearded"), from the Axt Tsafth clan in the Axt Tuzin (he died in Safi in 1942).
7. Minister of Property (*wazir al-amlak*): two incumbents: (a) Hajj Aghyayar "Rubio," from the Aith Waryaghar, but clan unidentified; and upon his death, (b) Hajj Hmid Shiddi, of Lower Ikattshumen in the Aith Yusif w-'Ari.
8. Inspector of Marine: two incumbents: (a) "Severa" of the Ibbuquyen; and upon his defection to the Spaniards, (b) Haddu w-'Ari nj-M'addjim of Ajdir.
9. Chief Qadi (*qadi qudat*): Muhammad n-Salah from the Thimsaman.
10. Chief Tax Collector: Si 'Amar n-Si Muhammadi I-Kammuni from the Imrabdhen.
11. *Nadir* of *Habus* Property: Si Hmid Ugarrudh from the Imrabdhen.
12. Chief Paymaster (*mutasarraf*): Si Muhammad Bu

²⁰Our list comes from three general sources of information: 1) personal fieldnotes based on interviews, in 1953-1955, with informants who had themselves held positions of responsibility under 'Abd al-Krim; 2) unpublished and undated documentation from the files of Col. Emilio Blanco Izaga in Madrid; and 3) published materials, especially Hernández Mor, op. cit., 1926-1927, vol. III, pp. 11-24; Gen. Godea, op. cit., 1932, pp. 78-104; and a roster dated Christmas Day, 1924, which is given in Gabrielli, op. cit., 1953, pp. 41-52. There are some mistakes in this last source which my informants in the field were careful to rectify.

²¹This infuriated 'Abd al-Krim who imprisoned him; but 'Abdssram nj-Hajj Muhand escaped and lived to become a *quid* under the Spanish. He died about 1948. His son, Ahmad bin 'Abd al-Salam al-Bu 'Ayyashi, a *quid* in the early 1950's and a *quid* in the Tetuan Province after Independence, is one of the leading traditional Rifian historians; cf. his *al-Rif bu'd al-Fath al-Islami* (The Rif Since the Muslim Conquest), Tetuan: Instituto Mulay al-Hasan, 1954. As of about 1966, Bu 'Ayyashi had in preparation a second volume to his work, going up to the present day. Although we have not seen it, we have nonetheless greatly profited from numerous discussions with the author himself.

صفحة اخذت بالصورة من كتاب باللغة الانجليزية بعنوان «ايت ورياغل» مغاربة الريف، التاريخ والدراسة البشرية» لمؤلفه دافيد منتغومري الاميركاني. تضم الصفحة صورة سيدى محمد ازرقان المكلف بالخارجية وتبين القيادات العليا لثورة الريف، مع تعليق أحدها تحت رقم (20) لبيان المصادر الاربعة التي استقى منها معلوماته. وثانيهما تحت رقم (21)، شرح فيه من هو أحد المكلفين بالدفاع السيد عبد السلام الحاج محمد من الربضة بنى بوعياش مع ترجمة موجزة لبلده الضعيف هذا «المؤلف».

وكان هذا قد قتل برصاصتين أطلقهما شعيب بن الحاج عياد وعمر بن الحاج شعيب، وقد وجد جماعة من بنى حذيفة لما سمعت باغتيال بورجلة، جاءوا تحت زعامة بوطاهر مكوح، فجادلوا ابن عبد الكريم في قتله، ورموه بتهمة تحريضه، مما الجأه الى القسم أمامهم، بأنه لا يد له في قتل احمد بورجلة .

فرار شرطا الى تطوان :

استفحل أمر الاتهامات التي يكيلها زعماء بنى ورياغل بعضهم لبعض أثر هاتين الحادثتين اللتين كادت أن ترجع بالقوم الى نفس الضغائن الدموية ، التي حلفوا على نبذها .

فبعد اغتيال السيد احمد بورجلة، عمد موح بن الحاج عمر البوهامي، وكان رئيسا في مركز المجاهدين بشاطئ الحسيمة الى تحرير رسالة الى ابن عبد الكريم، الذي رجع الى بودينار بتمسaman، يطلب منه تسليم محمد شرطا الذي هو أخو زوجة السيد عبد السلام بورجلة، وصديق شعيب بن الحاج تهامي لحاكمته، وكان شرطا في بودينار أيضا، فأطلعه على الرسالة، وقد تألم ابن عبد الكريم من صيغة الرسالة التي تأمره بتسليمه، فركب في جماعته، وذهب بشرطا، ولما وصلوا الى وادي سيدي ادريس بتمسaman، استغفلهم شرطا وذهب على فرسه الى جهة كزناية، ومنها الى فاس، ثم التحق بتطوان، حيث رحب به المقيم العام «منويل سلفيلا» الذي كان بصدد أن يقوم برحلة الى مليلية، للاشراف على عمليات الحرب بتفرسيت، وكان يروم من شرطا ان يستعمله على رأس الحركة، التي كان يرأسها السيد ادريس الريفى، على ان يتصل شرطا بالمجاهدين، ليفت في عضدهم، وفعلا توجه الى مليلية على ظهر مركب تحرسه مدمرتان، وكان على ظهر نفس المركب الشخص المدعو حموش بن الحاج عبد الله بوعزة من أجدير، ويلقب ببلقيش، ويدعوه الاسبان بابن كريشتو، وسيأتى الكلام نقلا عن شرطا نفسه عمله في مخابرات الثورة .

وفعلا وصل المقيم صحبة شرطا الى تفرسيت، وطلب من شرطا ان يكتب رسالة الى قائد المجاهدين وهو الحاج محند بن السى قدور أرغاي،

فكتب كتابا وحمله لشخص يدعى الشيطان من بنى توزين، ولما وصل هذا برسالته أخذ وقدم لابن عبد الكريم وصحبه عندما وصلوا الى فرقة آيت عكى من بنى توزين، وحالا عقد مجلس محاكمته هناك فأصدر المجلس حكمه بالقتل فقتل فعلا ثمة وقد اعترض على هذا الحكم الفقيه السيد محمادى الشمس، لان قتله كان ارتجالا، وقد رد عليه ابن عبد الكريم بأن الرسالة أرسلت للتشويش على المجاهدين، لكى يتهم بعضهم بعضا، ولاجل أن يتجسس علينا، فقتله كان طبق التشريع الاسلامى من قتل العين بدون جدال، لانه لو تركناه لدخل الشك فى بعضنا، أما المقيم العام، فقد تلقى برقية من مدريد، تطالبه بالحضور اليها، وهناك لم يرجع، أما شرط فذهب الى تطوان، ثم أمر ابن عبد الكريم والده الشيخ محمد ابقوى بأن يكتب اليه ليرجع الى الريف، وفعلا رجع وبعد استنطاقه من قبل ابن عبد الكريم عن جميع مراحلہ التى قطعها، واعترف له بكل شىء (يقول شرط)، انه قال له لينتهى أقدر على أن أمنح لك عقلا وتفكيرا، ثم أمره بأن يذهب الى دار والده ليمكث فيها وعفى عنه .

تنظيم القيادات العليا للثورة

ونتيجة لهذه الاحداث كلها ولاجل توزيع المسؤوليات على الرجال الذين خلقوا الثورة وذلك ليخفف على عاتقه الثقل الذى يئن تحته، فقد عمد الى تنظيمات مستوى القمة على الشخصيات التى أهلها مركزها وسط القبائل أو أهلها مجهودها الحربى، فكان التنظيم حسبما ورد فى كتاب الجنرال منويى غوديد كما يلى :

- الرئيس الاعلى : ابن عبد الكريم الخطابى
- نائبه : أخوه امحمد الخطابى
- المكلف بالمالية : عمه عبد السلام الخطابى
- المكلف بالخارجية : محمد أزرقان المدعو باخارطو
- المكلف بالدفاع : عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى
- المكلف بالقضاء : محمد بن صالح التمسمانى
- المكلف بالضرائب : عمر بن محمد

المكلف بالاحباس : احمد أكروذ
مفتش البحرية : حدو بن على المعلم
المكلف بالداخلية : اليزيد بن الحاج حمو
المتصرف : محمد بوجبار
المكلف بالبروتوكول : حدو بن زيـان
أمين صندوق الجيش : على بن محمد بن فطومة
وهكذا أصبحت الثورة منظمة عصريا ومجسمة في رجال القبائل
الذين ساهموا بالقسط الاوفر من كفاءتهم القتالية أو سمعتهم في وسط
عشائريهم التي يرأسونها والذين كان لهم رأى حصيد في قضايا الساعة.

تنظيم القبائل :

وعقب تأليف القيادات الثورية على مستوى القمة شرع فى
تنظيم القبائل فى وحدات عشائرية ووحدات قتالية تحت رئاسة قائد
كل قبيلة .

فقسم بنى ورياغل حسب عشائرها الى خمسة أخماس، كما
كانت تسمى، فوضع على فرقة بنى بوغيثش قائدا وعلى فرقة المرابطين
قائدا، وعلى بنى حذيفة قائدا وعلى بنى عبد الله قائدا، وعلى آيت
على وآيت يوسف وعلى قائدا .

وقسم تمسامان الى قيادتين اثنتين، وبنى توزين الى ثلاث
قيادات ولبقيوة قيادة واحدة وبنى يطففت قيادة واحدة، وترجيسست
قيادة واحدة، وبنى عمرت قيادة واحدة، وكزناية قيادة واحدة، وبنى
وليشك قيادة واحدة، ومطالسة قيادة واحدة، الى غير ذلك من القبائل
التي نظمت تنظيما عصريا .

وقد كان لهذا التدبير اثره الفعال فى حشد القوات القتالية، التي
استمرت طيلة الحرب بالتناوب الا عند هجوم العدو فى جهة من الجهات،
فحينئذ يكون لزاما على كل قادر على حمل السلاح ان يهرع الى حيث
الخطر، بكل ما أمكن من السرعة، وكانت العبارة المصطلح عليها، التي
ينادى بها البراح فى السوق أو الدشرة هى «على حد الصائم» .

المحاكم :

وتنظيمات القيادة للعشائر غير تنظيمات تأسيس المحاكم، وهي عبارة على مقر الحاكم السياسى والعسكرى لكل ناحية من نواحي المنطقة المحررة، التى يرجع اليه أمر القواد الذين يعتبرون مسؤولين أمامه، فى الشؤون الحربية والسياسية والاجتماعية، وكانت هذه المحاكم مزودة بالحراس والكتاب والتلفون، وتكون مخزونا للسلاح الذى تفتقر اليه تلك الناحية، أما كلية أو فى بعض الحالات .

وهذه المحاكم هى التى تعطى الاشارات اللازمة لاية عملية من العمليات الحربية، وهى التى تقوم بالتخطيطات الحربية التى يرجع فى كل شادة منها وفادة الى ابن عبد الكريم، أما رأسا أو بواسطة ناظر الدفاع، وعلى ضوء تعليماته الرسمية تؤلف الكتائب للهجوم على العدو، وقد عممت هذه المحاكم فى جميع المنطقة المحررة .

الا أن المحاكم الرئيسية كانت معدودة، وكثيرا ما كان ابن عبد الكريم ينتقل بينها للمكوث فى هذه مدة، وفى الاخرى مدة، لاجل الاشراف على جميع العمليات الحربية والتنظيمية . فكانت من جملة المحاكم الرئيسية :

(1) محكمة آيت قمر، حيث توجد له سكنى بعائلته بعيدة عن أنظار جزيرة الحسيمة، وهى التى كان يقضى فيها أكبر الاوقات للتنظيم السياسى .

(2) محكمة المزمة جنوبى أجدير على الضفة الشمالية لواد غيس كانت تشرف على شواطئ الحسيمة وتراقب حركاتها، وفى الحين يعتبر المرجع المباشر لقبيلة بنى ورياغل .

(3) محكمة اخشاب امغار بثلثمسامان، كان لها دور فعال فى تهيب الجبهة الحربية الشرقية، كما كانت مرجع قبائلها، وكثيرا ما كان ابن عبد الكريم يقيم فيها، وعندما يغيب عنها يخلفه ناظر الدفاع، أو أحد القواد المشهود لهم بالحنكة الحربية .

(4) محكمة بنى بويفرح، وكانت مهمتها تضاهى مهمة اخشاب

امغار، نظرا لكونها تراقب تحركات العدو السياسية في جزيرة بادس، كما كانت تدير عمليات الحرب في جهة غمارة ومراقبة قبائلها، وكانت المبرر الوحيد للمقاتلين الارياف الى الجبهة الغربية، وكثيرا ما كان يحل بها السيد امحمد الخطابي ومنها نظم الهجوم على جزيرة بادس، وكان رئيسها الدائم السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشي بعدما تأخر عن نظارة الدفاع .

(5) محكمة تركيست، كانت هذه أيضا من المحاكم الاساسية، وبالاخص عندما نشب الخلاف مع الجيش الفرنسي، قد انتقل اليها ابن عبد الكريم، ومنها كان يدير العمليات الحربية من الجبهة الجنوبية التي كان يشرف عليها مباشرة أخود امحمد كما سيأتي .

(6) محكمة تغزوت، هذه المحكمة تأسست عند اجلاء الجيش الاسباني عن شفشاون، ووادي لاو وتلامبوط كما سأتى، وكان يقيم بها السيد امحمد الخطابي قبل افتتاح الجبهة الجنوبية مع فرنسا، ومنها باشر معركة الوطاء الحمراء من بنى حسان التي قتل فيها الجنرال سرانو وضباط آخرون كما سيأتي .

تنظيم المخابرات السرية :

وفي نطاق الاستعدادات الحربية التي من أهم أساليبها تنظيم المخابرات السرية المضادة لمخابرات العدو، فان ابن عبد الكريم نظمها تنظيما دقيقا، بحيث كان جل تحركات العدو تصل اليه عن طريق المخبين الذين يضربون في طول الجهات المحتلة من الاسبان، أو الفرنسيين وعرضها، وكان بفضلها تصل اليه الجرائد المختلفة النزعات .

وقد لعب حموش بن الحاج عبد الله بوعزة المدعو بلقيش، المار ذكره وهو من أجدير، أكبر دور في هذا المضمار، وكان الاسبانيون يعرفون عنه هذه المهنة التي يكثر التنقل لاجلها، ما بين الريف وطنجة وملييلية، ومعرجا على الحدود القتالية، حيث كانت أعين المراقبين تتغاضى عنه .

ذلك انه كان يوهم الجيش الاسباني انه ينقل اليهم الاخبار

من الجهة الاخرى، وكان ذلك باذن من الامير ابن عبد الكريم، لكى لا يحاصر عن مهمته الاساسية من طرف الاعداء، ومع معرفتهم لازدواجيته في نقل الاخبار، فانهم يغضون الطرف عنه، وسموه لذلك بمغيل استرغوف الريفى، وهو اسم يطلق على شخصية غامضة اسبانية، حتى أنه في رحلة قام بها المقيم العام الاسباني السنيور منويل سلفيلا من سبتة الى مليلية، لما كان الجيش الاسباني وصل في زحفه الثانى الى تفرسيت بعد معارك انوال، وما بعدها وكان الغرض من الرحلة وقوف المقيم العام على تسيير الاعمال السياسية في الجبهة الشرقية، خوفا من كارثة أخرى، مثل كارثة انوال، اذ تقع تفرسيت في منطقة انوال، التى تركت هلعا مسيطرا على أفئدة الجيش الاسباني .

وفي عرض البحر بدا للمقيم أن يظهر على ظهر الباخرة الحربية التى أقلته فوجد على ظهرها السيد محمد شراط الذى كان ضمن رفاق الرحلة، يتحدث مع بلقيش .

وقد روى السيد محمد شراط انه لما فاجأت المقيم رؤية بلقيش يتحدث معي، جاء ووجه الى الكلام قائلا اياك أن يخدعك هذا الانسان الغامض الذى هو انسان فلبنى، وعندما ذهب علق بلقيش قائلا، انهم عندما يرتبكون يهرعون، قالها وهو رابط الجأش، لم تحدث فيه قولة المقيم أى تأثير لانه جلس الاسفار، ويصح أن يسمى تأبط شرا، بالنسبة لاسبانيين، فكان يحمل كل الجرائد التى تعتنى بالثورة، ويحمل البريد المرسل من مختلف المنظمات الوطنية التى تهتم بشؤون القضايا الوطنية في العالم العربى، والاسلامى، وقد زعم الجنرال غوديد أن عمل بلقيش في المخابرات حال بين التفاهم مع ابن عبد الكريم .

ومن جهة قبائل ورغة، وفاس كان مكلفا بمخابراتها المدعو موح امنوح من بنى ورياغل، بمعاونة عمر السبوح من بنى عمرت، وكان مركز المخابرات في قبيلة بنى عمرت، حيث كانا يرسلان من يكون أهلا للثقة، وحمل الاسرار، ليجوب جميع الجهات المحتلة بالجيش الفرنسى .

وفي جهة وجدة والجزائر كان حدو الاكل البقيوى له علاقة متينة مع المراقب المدنى بتاوريرت المدعو غابريلى الذى كان يعتبر حجة

عند الدوائر الفرنسية بالمغرب في شؤون الريف، فكان حدو الاكل يستفيد من صداقته، حيث يأخذ الصحيح ويعطى السقيم، وبفضل هذه الصداقة كان يمكن له أن يجوب تلك النواحي، حتى يصل الى القطر الجزائري، حيث كان يسكن في عجرود مع عائلته التي لحقها تشريد عند حملة بوشتي البغدادى، ضد قبيلة بقيوة، فاستقرت هناك، وقد جاء أى حدو الاكل الى الريف ليساهم في الثورة مع أخيه الذى كان سائقا للسيارات وقد أفاد الثورة من ناحية أخبار العدو، كما أفادها في شراء المعدات الحربية من بينها طائرات وسيارات .

ويقال أن من بين هؤلاء المخبرين شخص المانى يسمى خوسى كلمبس، وكان يدعى عند المجاهدين القائد الحاج الالمانى، وكان فنيا ماهرا، يقوم باصلاح المدافع والرشاشات وغيرها، وكان يذهب الى المنطقة المحتلة من طرف الجيش الفرنسى، متسترا في لباس الالهالى، من جلباب وعمامة، الا أنه فى نطاق مهامه عندما زار مدينة تويريرت، تعرفت عليه المخابرات الفرنسية، تحت اشراف المراقب المدنى غابريلى فالقى عليه القبض، وعد أسيرا حربيا .

وكان هناك غيرهم كثيرون منهم التيجانى من طنجة . وهكذا كانت التنظيمات الوطنية للمخابرات احدى المهام التى لا تستغنى عنها أية حركة ثورية، فأفادت المقاتلين افادة جمة، كانت على حسابها، تحركات العمليات الحربية، أو مفاوضات الاستقلال أو غيرها.

القتلى والغنائم :

الواقع أن الجيش الذى خرج من مليلية لتمدين البدائيين قد فقد جميعا، ما بين قتلى وجرحى وأسرى، وقد اختلف في تقدير القتلى من معركة جبل ابران الى الوقوف عند ابواب مليلية، فقدره بعضهم في 18 ألف جندى، وقدره البعض الآخر حسبما وقفت عليه في تقييد للسيد محمد بن عمر القاضى 20 ألفا، ما بين قتيل وأسير وجريح .

وبناء على أن الجنرال سلفستري كان جر جيشا مكونا من 20 ألف جندى من مليلية الى أن وصل الى انوال، واحتلها وما حولها، وان

الجنرال نفارو عززه على رأس فرقة «كاسادورس دى القنطارا» وتقدر هذه الفرقة بحوالى 1.400 جنديا، فيكون مجموع الجنود التى وصلت الى انوال هو 21.400 جندي ما عدا من كان فى المراكز التى وضعت لحماية المؤخرة .
واذا قدرنا أن الجنود الذين فلتوا الى مليية شذر مذر بحوالى 500 جندي .

واذا أسقطنا الاسرى الذين هم 1.100 أسيرا حسب تقدير (روبيرت فورنو) وقدرهم بعضهم بأكثر فيكون مجموع ما قتل تقريبا هو 20 ألف جندي، ما عدا من قتل من رجال «حركة ميكا» التى ألفت من أهالى القبائل المحتلة، والتى كانت تقدر باربعمئة مقاتل .

أما الغنائم فكانت كما يأتى حسب تقدير بعضهم :

19504 بندقية (الخماسية صغيرة أو طويلة)

352 رشاشا

129 مدفعا

ملايين الذخيرة لمختلف الاسلحة

عدد من الخيول والبغال

أدوات الارسال والاستقبال

وقد وجدت فى تقييد السيد محمد بن عمر القاضى العدد التالى:

100 مدفع ثقيل

200 مدفع خفيف

1000 رشاش

30.000 بندقية

ملايين الذخيرة

جميع البهائم والادوات الحربية الاخرى .

وعلى كل فان العديدين متقاربين فى الجملة، وليس هناك داع للاخذ بتقدير دون آخر، ما دام المراد أن المجاهدين استغنوا من ناحية العدة الحربية التى جمعت أكداسا فى مراكز المجاهدين وقد حكى لى أحد الذين حضروا فى معارك انوال، واغريين، وهو الحاج محمد السكاكى،

وكان مرافقا لابن عبد الكريم في أمزاورو بتمسامان، أنه لما انتهت تلك المعارك، وجمع سلاح العدو ووضع أمام المركز في ركام استهواه ذلك، فارتفع فوق الركام، ونام على السلاح، لحفظه من الضياع، ولما رآه ابن عبد الكريم نائما فوقه، تبسم، وقال له السكاكي ها أن العدو بقي بلا سلاح، فأجابه ابن عبد الكريم هيهات لو تعلم الاحوال التي تنتظرنا من قتال العدو .

قضية الاسرى :

قدر بعضهم عددهم بأحد عشر مائة أسير ما بين جنود وضباط والبعض قدرهم بأكثر من ذلك .

وقد جمعوا في مركز أمزاورو بعد انتهاء العملية الحربية الى أسوار مليلية، وقد جيئ بهم الى أمزاورو، حيث يوجد ابن عبد الكريم بما فيهم أسرى انوال، وجبل عرويت وغيرهما، ولما جمعوا هناك وكان ابن عبد الكريم أصابته بعض الحمى من جراء الجهد المضني، خرج اثرها على شفتيه، وبعد عددهم وسلوكهم في كتائب، أقام على كل وحدة منها حراسا من المجاهدين انتقل بهم يتقدمهم بنفسه، وسلك بهم مسلك القامت، ثم عبر وطاء النكد، فغيس، ومر بهم أمام جزيرة الحسيمة على شاطئ البحر، وقد نبهه بعض رفاقه بأن لا يمر بهم على الشاطئ، كي لا يتعرضون لقذف الجزيرة بالمدافع، فأجابه بأنهم لا يستطيعون ذلك ما دام معنا اخوانهم، وفي الحال فانهم سيرون بأعينهم هذا الحشد من الاسرى، حتى لا يعودوا يتبجحون أمام دوائر مدريد .

ولما وصل بهم الى أجدير فرقمهم، فوضع الجنود العاديين ومعهم 17 ضابط صف منهم «بساو»، وكان هذا الاخير ذكيا جريئا، يعرف كيف يستغل الظروف، في معتقل بآيت قمرة في دار هناك .

أما الضباط ومنهم الجنرال نفارو والكبطان الرايس الذي سقطت به طائرته في رأس سيدي شعيب بتمسامان، فتركهم بأجدير، بدار «باجذيد أشريك» .

وكان مكلفا بآيت قمرة السيد الشديد، من أعمام ابن عبد الكريم،

ثم التحق به مولود بن محمد محند من أجدير، ومن أعمام ابن عبد الكريم، وكان هذا الأخير من جملة المكلفين بحراسة الأسرى، عبر الطريق من امزاورو، وكان مع ابن عبد الكريم على رأس القافلة، ولما وصلوا الى مقر المجاهدين، طلب منه ضابط الصف بسايو أن يأتي له بالماء، ليشرّب، فمنح له الماء، ولما أصبح نائب مدير معتقل آيت قمرّة، فقد تعرف عليه بسايو هذا، واحتفى به، وكان الجنود في أزمة غذائية، لما منع ابن عبد الكريم قبول ارسال الاغذية من اسبانيا، بعدما كشف حشوها بالأمواس، وقد اقترح بسايو على مولود ان يذهب الى جزيرة النكور ليبلغ الى رئيسها رسالة من عنده، لكي يأتي بالمال والجواب، وكان عند مولود اخوان اثنان أحدهما عمر والآخر حموش، فأوعز الى عمر أن يذهب الى الجزيرة، وذهب معه ليلا الى أن وصلا قبالة الجزيرة، فقطع عمر سباحة بعدما دفن لباسه في الرمال، تحت زورق على الشاطئ، وقطع سباحة، ولم يرجع في نفس الليلة، وقد استمهله رئيس الجزيرة الى أن يتخابر مع رؤسائه في مليلية، وبقي هناك الى ليلة غده، حيث زود باثني عشر ألف بسيطة مع رسالة، وضع الجميع في قارورة بالشمع، وعلقها الى عنقه .

وقد وصلت الامانة الى بسايو، وكان مولود هذا هيا امرأة تأتي بالبيض واللحم ليلا، حيث يكون مولود واسطة في نقذ الثمن، وقد كانت حالة الجنود جميعا تحسنت، بفضل هذه التغذية، ولما خاف بسايو أن يلاحظ مدير السجن السيد الشديد، فقد ابتكر حيلة أخرى، وذلك أنه ذهب بثلاثين ريالاً، ودفعها للشديد هذا قائلاً له ان احدى البنات السجينات (وكن خمسة) أخذن كلهن من قرية ازغنان كان بعضهن عاملات في البارات، وبعضهن في مفوضية الشرطة) كان في مبطن ثيابهن بعض الاموال الناض، وانها أظهرته الآن، وطلب منه الاذن في شراء بعض المواد الغذائية، فاذن لهم وهكذا انطمت الحيلة على الشديد، هذا، ثم أنه لما تمت الدراهم طلب من مولود الى ارسال أخيه عمر للمرة الثانية، وأتى بمبلغ ثمانية آلاف بسيطة وهكذا بقيت العملية في خفاء، الى أن نقل المعتقلون الى قرية آل موسى وعمر، فوق أمزورن لاجل شغلهم في بناء محكمة هناك، ولم

يبقى في آيت قمرة الا المرضى، وهناك كان المكلف بمعتقلهم المسمى الهادي بويلازىضن فجرب بسايو معه الامر، وطلب منه أن يقوم بالاتصال بالجزيرة للاتيان بالمال، وأعلمه بأن العملية أجريت في آيت قمرة مع مولود، فنجحت وما كان من هذا الا أن أعلم ابن عبد الكريم بالامر، فأمر بتفتيش زنزانه بسايو فعثر على الرسائل مشتملة على أرقام الدراهم، مع اقتطاع مولود منها ثلاثة آلاف وخمسمائة بسيطة أجرة عمله، ثم اعترف بسايو بكل ما جرى .

فاستدعى ابن عبد الكريم مولودا، واستنطقه عن الامر، وحاول الانكار، ولكن داهمه بالحقائق، فاعترف الا أنه ذكر أن المبلغ الذي توصل به هو ألفا بسيطة فقط، فأمره بأن يأتي بها، ولما وصل الى داره امتنع من تسليم نفسه، فأرسل ابن عبد الكريم 14 من رجاله للاتيان به، ولكنه اعتصم، وهددهم بقتلهم اذا هم تخطوا عتبة الدار، وكان مسلحا ببندقيته، فما كان من الحراس الا أن واضبوا على حصاره من دون أن يدخلوا الى أن حضر القائد موح بن السى بوبكر اثنان وكان له قرابة مع مولود، فدخل اليه، وأمره بأن يذهب معه الى ابن عبد الكريم في آيت قمرة، وأثناء الطريق سمع نساء كن في سوق سبت النساء بآيت قمرة يهمن فى شأن قتله .

ولما وصل وجد أخويه عمر وحموش تحت الحراسة، وقد وجه هو الى السيد امحمد الخطابي الذي عين قاضى التحقيق فى خيمته قرب دار الحاج محمد الحاتمي التي فيها ابن عبد الكريم، لاجل استنطاقه فادخل عليه، واستنطقه واعترف له بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة بسيطة، وقد وجد مركز آيت قمرة عامرا برؤساء المجاهدين استدعاهم ابن عبد الكريم لمحاكمته، ثم سلمه للحراسة التي كان يقوم بها المدعو الكامبو، أما الدراهم فقد أرسل شخصين من أجدير الى الدار، وأتيا بالمال ما عدا 30 ريالا كانت فضة تركاها لاولاده .

وعندما قرب وقت العصر فان الحارس الكامبو أخذته سنة من النوم، وكان فى باب البيت المعتقل به فتخطاه مولود، وخرج حيث هرب بجلده، وقد سمع قبل الغروب بطلقات نارية علامة على حدوث هروبه

فاختفى عند علوش بن حموش من ادردوشا، وكانت له معه علاقة قرابة .
وبقى عنده هناك، حيث ذهب علوش بن حموش الى سوق أحد
بقيوة وأخوه حمادى الى شاطىء المجاهدين لاستطلاع الاخبار، فعلموا
أن قيمة رأسه هي عشرة آلاف بسيطة، وكان غرضه أن يقطع سباحة
الى جزيرة الحسيمة، للالتحاق بالقائد سليمان الخطابي بتطوان، وهو من
أعمامه، وكان يدعى الشيخ سليمان، وقد رجع عن هذه الفكرة، لما علم
أن الحراسة مشددة على الشاطىء، وان الناس يبحثون عليه لكي يظفروا
بالبسيطات، فذهب الى جهة فاس، حيث وصل الى بنى عمرت، ووجد
هناك موح امنوح من بنى ورياغل، وكان يبعثه ابن عبد الكريم الى قبائل
ورغة أو فاس للاتيان بأخبار الجيش الفرنسى، والقبائل هناك، ووجد
معه موح السبوح من بنى عمرت لنفس الغرض، كما سبق وقد تعرفا عليه،
وحاولا اعتقاله، الا أن امرأة للاخير قالت لزوجها اطلقوا الرجل، فهل
تريدون أن تكون لنا عداوة مع رجال أجدير، فأطلقوه وذهب الى فاس ،
حيث وجد هناك احميدو بن موح ابقوى من أجدير، يشتري السلعة،
ومن هناك ذهب الى تطوان، حيث التحق بالقائد سليمان الخطابي، وكان
معه هناك السيد محمد شراط، والرايس شعيب من أجدير، والقائد موح
ابن حمادى ازحاف وكان ينافس القائد سليمان الخطابي على الاخلاص
لاسبانيا، وقد قتل هذا في قرينته بازغار، لما نزل مع الجيش الاسباني
في الحسيمة، وهم أخوة أربعة القائد موح هذا وحدو ازحاف (لازال حيا)
وحمو ازحاف مات أخيرا، وصديق ازحاف .

أما حدو ازحاف فقد كان من جملة حراس دار ابن عبد الكريم
في أجدير، الا أنه لا يذهب معه الى المراكز الحربية حسبما رواه لى
جمع ممن صاحبوا ابن عبد الكريم في رحله وترحاله .
وأما مولود فقد رجع الى أجدير، بعد النداء الذى وجهه ابن
عبد الكريم الى جميع الارياف الموجودين في تطوان .

معاملة الأسرى :

قد قيل كثير من جانب الدوائر الاسبانية عن معاملة الريف للأسرى، وكان القصد من ذلك هو ترويج الاشاعات التى تمس ديمقراطية ثورة الريف، وانسانيتهاء، التى يحق مع الانصاف ان يضرب بها المثل فى حسن معاملة أسرى الحرب، الذين يلقي بهم حظهم التعس فى أيدي أعدائهم، ومن الجدير بالذكر ان نعرف أن أسرى الاسبانيين لم يكونوا يعتقلون فى معتقل تخنوست باسلى بين أجدير والحسيمة، وهو أكبر معتقل للثورة، بل كان يعتقل فيه المغاربة، وانما كانوا يوضعون وحدهم فى معتقلات بأجدير وآيت قمرة، وبوصالح، التى خصصت فيها ديار لايوائهم، وكان الضباط معتقلين فى أجدير، وآيت قمرة بما فيهم الجنرال نفارو، الذى كان رافقه ضابط ألصف بسايو، وكان هذا الاخير ماهرا فى تدبير الامور، وهو الذى اتصل بالسيد مولود لاجل الاتصال بجزيرة الحسيمة، كما اسلفنا، وكذلك كان الضابط الطيار المدعو الكبطان الرايس الذى سقط بطائرته فى تمسامان برأس سيدي شعيب وسمى الاسبان باسمه مطار امزورن .

1 - ان قضية الاتصال بجزيرة الحسيمة التى عثر فيها على رسائل متبادلة، وعلى دراهم أرسلت اليهم بواسطة أخى مولود المدعو عمر، دلت على أن الأسرى كانوا فى مأمن من أى عقاب، رغم ثبوت ارتكابهم مخالفات تدينهم، بوصفهم أسرى حرب، فلم يقدم لا الجنرال نفارو ولا بسايو للمحاكمة، وانما قدم الاشخاص المغاربة الذين استخدموا كواسطة، كما تقدم، وهو أمر يحمل ردا قاطعا على الدوائر الاسبانية المشار اليها، من أن امحمد بن عبد الكريم كان اعدم ضابطا اسبانيين والجنود، حسبما جاء فى كتاب غوديد «المغرب ومراحل التهدة» اذ قال «ان ابن عبد الكريم اساء معاملة الأسرى الاسبانيين اذ اعدم الضباط والجنود وان الامر بالاعدام صدر عن أخيه امحمد وعمه عبد السلام» .

ويدل على أن القضية مختلفة، انه لم يذكر اسماء الذين اعدموا وبالاخص الضباط مع أنه تتبع كل شئ بالاسماء والمواقع فيما عدا ما زعمه من الاعدام .

2 — على أنه ليس لابن عبد الكريم أية فائدة في اعدام الاسرى،
لأنه كان يعلم ان اسبانيا ستدفع غالبا لفدائهم، فهو أمر يدعو الى الاحتفاظ
بهم، بل والاعتناء ، وهو ما وقع .

3 — وعلاوة على ذلك فان تموين الاسرى كان يأتي من اسبانيا
نفسها، فقد كانت ترسل باخرة مملوءة بالمواد الغذائية واللبسة على رأس
كل أسبوعين، حيث تذهب زوارق من مراسى الحسيمة لجلب ذلك الى
أجدير، حيث يوزع على المعتقلين، فلو كان القصد اضعافهم لتركوا
وشأنهم من دون فتح الباب على مصراعيه لمعرفة كل ما يدور في شأنهم
في معتقلات اعدائهم، والحال ان المعارك تجري في امكنة أخرى، بكل
ضراوة، حتى اذا اكتشف ان المواد المرسله تدس من بينها السلاح الابيض،
فأوقف ارسال ذلك سدا لما عسى أن يترتب عن ذلك من الاخطار .

4 — ولو كانت معاملة ابن عبد الكريم للاسرى من القساوة بمثل
ما زعموا، لما اصدر قراره في معركة جبل اعرويت بمعاينة كل من يجهر
على مجروح، أو قتل أسير، وقد كان لهذا القرار رد فعل غير مرض من
جانب المجاهدين ، كما أسلفنا .

5 — ولما كان اذن للبعثة التي طلبت الدخول الى أرض المعركة في
انوال للبحث عن جثث الضباط والتي كان يرأسها السيد السلاوي، فعثرت
على جثث ثلاث ضباط، أخذت الى مليلية عن طريق سيدي ادريس بحرا .
نعم ان بعض الارياض أساءوا هذه الثقة، فهربوا الاسرى الذين
عندهم الى جزيرة الحسيمة، ومنهم الريكي، ولما ألقى عليه القبض، طلب
امها له ليأتي بمن يعوضهم من الجزيرة، فذهب وطلب من اثنين أن ينزلا
الى الشاطئ، ليأخذا أسرى آخرين، ولما نزلا حجزهما، وكان احدهما
يدعى انطونيو وكان متخصصا في التليفون، وقد استعمل في اصلاح
التليفونات .

6 — ولو كان من القساوة كما يصفون لما أصدر قراره بعدم
اقتحام مليلية لما كان المجاهدون على أبوابها ينتظرون اشارة الاندفاع
لينقضوا عليها، ليدعوها قاعا صاففا، وهو أمر لم يكن طريقته في الحرب،
كما صرح به لروبرت فورنو الانجليزى في القاهرة .

7 - بل كان اعتناؤه بالاسرى الاجانب فاق هذا التقدير، اذ أمر كل من استطاع من رؤساء الثورة المشهود لهم بالاحسان، أن يأوى اليه فئة منهم، وهكذا كان ابي جاء بسبعة منهم الى قريتنا ببنى بو عياش، وكنا ونحن تلاميذ استأنسنا بهم ايما استئناس، بحيث عددناهم كأفراد عائلتنا، يأكلون مما نأكل، وينامون في دارة متصلة بدار العائلة، ولم تكن عليهم حراسة تذكر، واصبحوا بذلك معتادين للحياة عندنا، ويطرون معاملتهم اطراء جعلهم عندما جاء الامر لنقلهم الى أجدير لافتدائهم، ينتحبون كأنهم يفارقون عائلاتهم، وهذا الواقع شهد به المراسلون الاجانب الذين وجدوا ترحيبا بهم في الريف، فأطلعوا على ماجريات الامور، فلم يذكر ولا واحد منهم شيئا من مزاعم الدوائر الاستعمارية الاسبانية، التي اطنبت بأمر لم يكن لديها أية حجة عليه، بل بالعكس كانت هناك حجج قاطعة اضفت على معاملة الاسرى كثيرا من التقدير، فقد كان من بين الاسرى أربعة عشر جريحا أصيبوا بجروح خطيرة، ردوا الى الاسبانيين بجزيرة الحسيمة في الحال، لعلاجهم .

8 - وكان ابن عبد الكريم يتفاوض مع الجنرال نفارو لحمله على الالتزام، بأن لا يفر الاسرى حتى لا يضطر المجاهدون الى مطاردتهم باستعمال الرصاص حينما يعجزون عن ادراكهم باليد، ولكن الجنرال نفارو لم يستطع أن يتعهد بشيء، ولذلك حدثت بعض الحالات من هذا النوع، فكان رجال الارياف لا يستعملون السلاح الا اذا وجدوا ان الفارين يسبحون في البحر، قاطعين المسافة الى حجرة الحسيمة حيث ييأسون من ادراكهم، ذلك ما وقع لجنديين اثنين، أما الضابطان فقد نجيا الى الجزيرة بواسطة زورق أرسل منها لالتقاطهما .

9 - وقد كان علاجهم مضمونا حسب المألوف في الريف، فقد كان هناك افراد مشهورون بالطب المحلي المستخرج من النباتات الطبيعية، بل تعدى ذلك الى استعمال الجراحة لاستخراج الرصاص من الجرحى المجاهدين، فقد شاهدت ان أحد اعمامي يدعى سلام بن عمر أصيب برصاصة في ظهر قدم رجله، حيث مجمع العروق، وبقيت الرصاصة داخلها فاستخرجها عمى السيد محمد بن الحاج محمد بعدما استعمل الامواس المحممة على النار، وقد شفى بعد ذلك مع عرج طفيف .

وعلى كل فان الاطباء التقليديين كانوا يعالجون مرض الاسرى، كما كانوا يعالجون اخوانهم اذ أن الامراض لم تكن متفشية في الناس، وبالكثرة التي عليها الآن، ويعزى ذلك الى ان المواد الغذائية كانت طبيعية تماما، كما نبتت، ولم تلوث بالحضارات المتمدنة، ولم تلحقها طبيعة المخلوق، كما كان من طبيعة البيئة دوام الحركات التي تجعل العضلات تؤدي وظيفتها الاصلية التي من أجلها خلقت، الا أن الحالة تغيرت عندما صب الجيش الذي جاء لتمدين «لحم الثور الوحشي» قنابله المسمومة التي لم تدع قرية ولا عين ماء ولا الابار والاودية الا ولوثته تلك القنابل، التي تطلقها الايدي الاثيمة، وسلخت جلود وجوههم، فلم تبق شعرة في رؤوسهم وأعينهم، وبدوا كأنهم مخلوقون غرباء عن الارض، وحينئذ استعصى العلاج، وكل الطب الاهلي، ولم يكن ذلك ذنبهم، وانما ذنب المتمدنين .

10 - وفي الحقيقة فان الفارين من الجنود الاسرى كان يمكن أن يكون وقع الاغصاه عنهم، لما في بقائهم من عبء ثقيل على الثورة، وبالاخص عندما قطع ابن عبد الكريم ارسال المواد الغذائية من اسبانيا بعدما كشف ان الاحذية المرسلة تكون محشوة في داخلها بالامواس والرسائل، ووكل أمر تغذيتهم الى أهالي قبيلة بنى ورياغل، وقد أدى ذلك الى حوار مع الفقهاء الجامدين حيث زعموا ان المرأة المسلمة، لا يجوز لها أن تهىء الطعام للكفار، وترغم هذه النظرية الفقيه السيد عمر اكشوط من بنى بوغياش، مما دعا الى عقد مؤتمر في سوق اثنين بنى بوغياش لمناظرة هذا الفقيه، وتولى ابن عبد الكريم نفسه هذه المناظرة بمحضر جمع من فقهاء الريف، فاحتج ابن عبد الكريم عليه بأن الفتوحات الاسلامية توجهت ضد الفرس والرومان وهم ليسوا على دين الاسلام، وكان هناك أسرى تحت قبضة المسلمين ومن أين كانوا يأكلون؟ فأفحم الفقيه السيد عمر اكشوط، ولم يجد جوابا .

11 - مما هو ماثور في قضية الاسرى الاسبانيين، أنه كان بينهم نساء أخذن في مواقع المعارك مع الرجال وهن ثلاث: ايزابيلا ولاروبيا وسييريانيا، وكانت احدهن تشغل في احدى الحانات، والاخرى

تعمل في مفوضية الشرطة الاسبانية، والثالثة كانت متزوجة وأما لاولاد،
وانها عاشت في الريف عيشة لا تمت الى الاسر بصلة، وقد أحبت الريف
حبا جما، حتى اذا أطلق سراحها بعد انتهاء الحرب، رجعت هي وزوجها
لتعيش في الارض التي احبتها، فقضت عمرها في الحسيمة الى أن توفيت
عام 1940 م. وقد طافت على معارفها خلال السنوات الخمس التي قضاها
بين ظهورهم حتى انها لم تنس ابن عبد الكريم حينما نزل بالقاهرة ان
تكتب اليه، تذكره بالمعاملة الحسنة التي قوبلت بها، أثناء الاسر،
وتشكره على ذلك .

ومن الجدير بالذكر أيضا ما أورده الصحفي بول سكوت مورو
الذي زار أجدير سنة 1924 م، حينما تحدث الى الاسيرة ازابيلا التي
أجانبته عندما سألها هل هي خائفة؟ فقالت له في جملة مقتضبة قاطعة:
«مم أخاف»؟ ثم أعلمته بأنها تلقى معاملة طيبة، وكانت محبوبة عند
أهالي الريف، للباقتها، وقد عينت كوصيفة في البعثة الطبية بأيت قمر،
وكذلك تزوجت إحدى الاسيرات برجل من الريف الذي قتل قبل نهاية
الحرب، فرجعت الى اسبانيا، وهي المدعوة «ماريا» وكان معها أخوها
أوربانا أثناء رجوعها الى اسبانيا بعد الحرب .

ان هؤلاء الاسيرات اللائي القى عليهن الاضواء من طرف مراسلي
الصحف، كن اسرع الى التشكى من الرجال لو كان هناك سوء معاملة،
لانهم خلقن من ضلع أعوج، كما يقال، ويتأثرن بادننى اهانة لشدة
حساسيتهم، الا أنه لا ينكر سوء تغذية لما قطعت الامدادات الغذائية،
كما أسلفنا .

عمر سينتو وتهريب الاسرى :

أحيانا يكون تهريب الاسرى عملية تستهدف الارباح من ورائها
وبالخصوص فان قطع التموين عنهم من اسبانيا جعل تغذيتهم يشملها
شظف العيش الذي اعتاده الاهالى بحكم افتقارهم الى العيش في كنفهم
وتحت انفاقهم، لان نظام الثورة كان يئن تحت كابوس العسرة، فقد
افتقر ذلك النظام الى منابع المال، فلم يعثر عليها، بعد، لان موارده كانت

عبارة عن لا شيء، فلم ينتظم شيء من اسباب الجباية، سواء عن طريق الديوانة أو الاحباس أو الزكاة .

ولذا كان الاسرى يهرعون الى مبدأ الهروب بأية واسطة، وكانت الدوائر الاسبانية تستعمل كل الوسائل لانقاذ الاسرى بواسطة تهريبهم. وقد كان عمر هذا وهو من رجال بقبووة الاقوياء، ومن قرية ازمورن، وله علاقة مصاهرة مع عائلة بوطاهر عزى من اجدير، وفخسلا عن ذلك فكانت ثروته الفلاحية اذا قيست بالنسبة للثروات المحلية محترمة، وقد اكسبه كرمه احتراماً لدى السكان، ونظراً الى أنه كان يسكن قريباً لآيت قمرة، وله دلة على اجدير، فقد اوصله الطمع ان يذهب الى عجرود بالجزائر، حيث كان هناك أخوه المدعو حدو الاكل، الذى سيأتى الكلام عليه عند الكلام على دور دور في ادخال الوسائل العصرية الى الريف، كالطائرة والسيارة، وقد كان الاكل هذا يسكن في عجرود، مع فريق من أهل بقبووة، الذين فروا الى الجزائر على ظهر باخرة فرنسية في حادثة مذبحة بوشتى البغدادى لهذه القبيلة، وكان الفريق الآخر غرب الى مراكش، حيث اودع غياهب السجون هناك .

وقد ذهب عمر الى عجرود مصحوباً بحمادى مورينو أخى بوطاهر عزى من اجدير، لغرض الاتصال بأخيه الاكل، ليتصل بالاسبانيين فى الجزيرة الجعفرية للاتفاق معهم على تهريب الاسرى، وثمان كل واحد من الجنود، وفعلاً ذهب واتصل مع رئيس تلك الجزيرة، على أن ثمن الجندي العادى هو 35 ألف بسيطة، وأما ما فوق الجنود العاديين فثمانهم أعلى، ولكن ليس لدينا تحديده .

وهكذا رجع عمر سينتو وحمادى مورينو ليعملا على تنفيذ الاتفاق، إلا أن الخبر كان سبق الى ابن عبد الكريم بواسطة مخبريه، فاستدعى عمر سينتو فقط، لانه الرئيس المدبر، أما حمادى مورينو، فكان فيه طيش وسفه، ولما حضر عمر سينتو الى ابن عبد الكريم انكر كل شيء، ومع ذلك فان هذا الاخير انذرده بأن يقلع عن صنيعه، ورغم ذلك فقد صمم عمر سينتو على عمله، وفي ذات ليلته، حاول تهريب جماعة منهم وليس لدينا عددهم بالضبط، إلا أن وسائل نقلهم بحراً تدل على أنهم دون عشرة كما

سيتضح، وفعلا جاء بهم الى مرسى الحسيمة حيث يوجد الآن المصطاف السياحي لمدينة الحسيمة، فوجدوا هناك زورقا صغيرا، ولما عومود في الماء امتلأ ماء، ثم افرغود، ثم عومود، ثم امتلا، ماء، وهكذا مرارا ولم يدروا من أين يأتي الماء، الى أن قرب الصباح، فرجعوا واختبأوا في دار حمادي مورينو التي كانت على قمة مظلة على المرسى، ولكن اجتازوا على دار موح بن صديق بو المقاصر، وكانت الدار الوحيدة التي هناك، وقد سقط مطر، فلما عاين اثر الاقدام عرف انها لجنود مهربين، فذهب واعلم محمد أزرقان الذي اعلم بدورده ابن عبد الكريم، فأرسل جماعة من حراسه، وأحاطوا بدار مورينو، فأخذوا الاسرى، وعمر سينتو وآخرين، الا ما كان من حمادي مورينو فانه هرب .

وأخذ المهربون الى سجن المجاهدين، ماعدا مورينو والشخص الذي كان موثقا وكذلك شخص آخر وجده الحراس خارجا من الدار، ولما أوقفوه أعلمهم بوجود الاسرى في الدار فنجى .

وهكذا عقد مجلس لمحاكمتهم، فكان الفقيه بولحيا هو رئيس المجلس بوصفه فقيه الثورة، فحكم باعدام عمر سينتو والشخص الثاني معه من آيت قمرة وشعيب بن الحاج تهاى، الذي كان مسجوننا كما تقدم، فصفوا وصف الجنود، فأعدموا بالرصاص، وكان ابن عبد الكريم في أجدير.

التنظيمات المالية وفدية الاسرى

بعدما فرغ من تنظيم الوحدات القتالية، ومن توزيع المسؤوليات على مستوى مجلس الثورة، كما سبق فانه استمر في استكمال الجهاز الثوري، بتنظيم ماليتها التي يتوقف عليها احداث نظام الجنود النظاميين الذين يتقاضون مرتبات من خزانة الثورة، وشراء المعدات الحربية وكان أهم الموارد التي جعلت اساسا لتنظيم المالية :

1 - الفدية التي حصل عليها ابن عبد الكريم من اسبانياء، مقابل اطلاق سراح 350 أسيرا، الذين تبقوا بعد فرار الباقى بمختلف أشكال الهروب الى مختلف حصون الجيش الاسباني، وقد أجريت مفاوضات مضمينة، توجهتها بعثة من السنيورين فرناندس الميدا المختص بشؤون

انصرف، والويس دي اورتيذا رئيس تحرير صحيفة لبيرتادو الاسبانية انتى حضرت الى أجدير، وفاوضت ابن عبد الكريم رأسا لرأس، فكان الاتفاق على تحديد الفدية في أربعة ملايين بسيطة، دفعها الاسبان الى مجلس الثورة، عن طريق باخرة حضرت الى جزيرة الحسيمة خصيصا، لدفع صناديق الفضة، ثم تعود بعد ذلك محملة بالجنود الاسرى، واعتبرت هذه الفدية أضخم اعتماد مالى لثورة الريف، خلال تنظيم شؤونها وشراء المعدات الضرورية للحرب الضروس التى تنتظر الريف .

ولذا فان الدوائر العسكرية الاسبانية، هلت حينما علمت بمقدار الفدية، واستنكرت ذلك على حكومة مدريد، مدعية ان الجيش فى استطاعته تحرير الاسرى، بدون هذا المال الوافر، الذى تستعمله الثورة للاستمرار فى العمليات الحربية، حتى أن الكرونيلى قائد الليفى الاجنبى ميلانو استريى الذى عهد اليه بمواجهة خط الجبهة الشرقية فى شهر نوفمبر 1922، استقال احتجاجا على دفع الفدية للريف، وكان هذا القائد رجلا خشنا يصل الى حد الجنون، نزوعا الى القتل، وكان يلتذ بتعذيب جنوده، ويسمىهم أخوة الموت وعندما يقع فى نوبة الجنون يشتم ويلعن ثم يبكى، وكان جنوده يكرهونه، وعندما استقال تنفسوا الصعداء، وقد خلفه الكمندان فرانكو الذى اقترح الملك نفسه تعيينه، وقال « انه الرجل الكفاء » .

2 - مداخل الزكاة الشرعية التى فرضها الله فى الاموال المنقولات من محصول الفلاحة السنوى، وكل ما يتمول من تجارة ومائشية، ويعتبر مدخول الزكوات ملكا للمجاهدين، يستعمل فى خاصة تموينهم بالمواد الغذائية، وقد اجاز التشريع الاسلامى استعماله فى كل ما يتوقف عليه الجهاد من سلاح ومركوب، ولذا أصبحت أموال الزكاة موردا من موارد خزينة الثورة، وقدرت قيمة مدخول الزكاة السنوية بمبلغ 75 ألف بسيطة، وكانت تجمع الحبوب فى كل قبيلة، وتخزن فى المطامر هناك، وكان المشرف على جمع الزكوات السيد احمد أكرود الذى هو فى نفس الوقت المشرف على تسيير الاحباس ومداخلها .

أما مداخل الاحباس فكانت تصرف فيما حبست لاجله، ولذا

لا يمكن ادماجه في خزينة الثورة، لان أمر صرفها منظم طبقا للتعليمات الدينية، فلا يمكن تخطي تلك التعليمات، والا كانت اليد التي تتعدها آثمة، لا يجوز الاقتداء بها .

3 - مداخل الغرامات التي تفرض على القبائل التي اظهرت التمرد، ثم ارجعت الى حظيرة الثورة بالقوة، ففرضت عليها عقوبات مالية، وذلك مثل ما فرض على قبيلة بنى زروال سنة 1925 م، لما تمردت بسبب دعاية عبد الرحمن الدرقاوى الغمارى، الذى هو صنيعة فرنسا، فقد فرضت عليها الثورة مبلغ 500 ألف بسيطة .

ومثلما فرضت على قبيلة الاخاس التي تمردت على المجاهدين سنة 1924 م، لما حاصروا لفيفا من الارياف في زاوية الشيخ التادلى بالاخماس العليا، فقد فرض عليها مبلغ 20 ألف بسيطة .

وكذلك على قبائل غمارة التي تمردت عام 1923 م. على السيد امحمد الخطابى لما ذهب لتتخيم قبائلها، بناء على طلبها، فقد فرض عليها مبلغ 30 ألف بسيطة .

4 - مداخل الديوانة على الخارج والداخل من السلع، الا أن ذلك كان ضئيلا، وكانت السلع تجلب من فاس أو الجزائر، الى سنة 1924م حيث أصبح الاتجار عبرهما محفوف بالاطار، وقد قدر مدخول الديوانة بمبلغ 5 آلاف بسيطة يوميا وهو مبالغ فيه .

المصاريف :

كانت توجد ميزانية مدققة للمصاريف، فمثلا اذا أخذنا سنة 1924 م على حسب اللوائح التي عثر عليها بعد انتهاء الثورة، نجد أن المصاريف مقسمة الى الابواب الثلاثة :

1 - صوائر الجيش .

2 - صوائر الموظفين .

3 - صوائر خاصة .

فبناء على تلك اللوائح، فان الصوائر للسنة أشهر الاولى من تلك السنة كانت كما يأتى :

صوائر الجيش كانت 165 ، 311 بسيطة .

صوائر الموظفين كانت 221.936,75 بسيطة .

الجميع : 533.101,75 بسيطة .

صوائر خاصة : 200 بسيطة .

أما المداخيل السنوية لسنة 1924، فكانت 6.000.000 بسيطة،
فاذا اسقط منها مختلف الصوائر المذكورة آنفا تبقى من الرصيد مبلغ
566.699,75 بسيطة .

وهو احتياطي هائل، وهذه نظرة على تسيير الاعمال، بدقة
وحنكة متناهيين، وقد كانت الاوامر المتعلقة بالمصالح المالية سواء منها
المداخيل أو الصوائر، تصدر من السيد عبد السلام الخطابي عم الامير
ابن عبد الكريم، وهو المكلف بمالية الثورة، وهو مسؤول أمام ابن
عبد الكريم مباشرة .

وكان يقوم بمراقبة الصوائر تحت اسم المتصرف السيد محمد
بوجبار، يساعده في ذلك السيد احمد بن الحاج شدي .

ما قيل عن البنك الريفي

قيل كثير عن تنظيم مصرف مالي، يدعى البنك الريفي، على أن
تصدر الثورة عملة مالية ريفية، وأن الاوراق المالية ستطبع في انكلترا
(بلندن)، ويكون لونها أخضر، ويكون مقر البنك بأجدير، وأن السيد
امحمد الخطابي هو الذي كان تكلف بمفاوضة الانجليز وقالت بعض
المصادر الاسبانية انه معروف في المغرب ومن المرجح أنه المدعو غرداني.
وهكذا اختلقت قصة البنك الريفي .

أما الواقع فليس هناك أي تفكير في اصدار أية عملة ريفية، والا
كان ابن عبد الكريم يخالف ما وصف به من قيادة حربية من النوع الفريد،
في الذكاء وحصافة الرأي، وبالتالي لم تكن هناك مفاوضة حول اقامة
بنك ريفي، الا أنه كان هناك أحد الانتهازيين الانجليز ويدعى غاردني،
كان يتاجر في تهريب الاسلحة وقد حاول أن يبيع للريف 16 مائة بندقية
المانية من نوع ليبل، حسب تقارير المراقب الفرنسي الذي كان في توريرت،
والذي كان محل ثقة الفرنسيين في شؤون الريف، ويقول ان انزالها كان

غربي الحسيمة في عام 1924 م. على ظهر يخته «سيلفا»، وحاول مع ابن عبد الكريم ان يغريه ببيع آلة لاصدار الاوراق المصرفية، بعدما قدم نموذجا من تلك الاوراق، واشترط لذلك أن تكون الضمانة كل ما يملكه الريف من الناض، الا أن ابن عبد الكريم لم يصنع لذلك، نظرا الى أنه من المعروف عن ابن عبد الكريم أنه خبر الاساليب العصرية، وهو من الافذاذ فيها، بشهادة اعدائه أنفسهم، وفوق ذلك فهو سياسى مجرب، وله دراسة قوية فاذا كان بهذه المثابة من اليقظة فان تفكيره في مشروع كهذا ينتج العكس، لان انشاء عملة لا تكون الا للتعامل بها، واذا عرفنا ان المنطقة المحررة محاطة بسياج من الاعداء الاجانب احاطة فكى كماشة، الامر الذى يجعل التفكير في عملة لا تستهلك في الاسواق الدولية، ولا تعتبر عملة صعبة يعد نوعا من الشذوذ الفكرى، هو ما لم يظهر قط في أفكار ابن عبد الكريم، الذى حافظ رغم كثرة المتاعب التى لقيها على التفكير السليم، فاذا كان يعرف مسبقا أنه لا يتوفر على الضمانة الناض، فلماذا يستهلك الوقت الثمين؟ الذى لم يترك له الغازون أية دقيقة للراحة، مع العلم بأن المشروع مثل هذا يستنزف الطاقة العقلية لمدة غير قليلة .

وجوابا عما عسى أن يقال من أنه عثر على بعض الاوراق من هذا القبيل مطبوعة، فان الامر لا يعدو أن يكون هذا الانتهازى الانجليزى طبع أوراقا نموذجية لعرضها عند المفاوضة، وهو أمر لم يتم، ولم يفكر ابن عبد الكريم فيه، فبقيت بعض تلك الاوراق، وقد يكون جمع منها بعض من أصحاب هواية الاوراق النقدية لحفظها، أما اساس التشهير بهذه العملة فقد جاءت في كتاب الجنرال غوديد (1) .

الاعانة الخارجية :

وكذلك فيما يخص ما أشيع من ذات التاريخ، ان المصريين حفزتهم غيرتهم الوطنية، فجمعوا مالا اغاثة للثورة الريفية، التى أحييت في نفوسهم العزة القومية، ولكن الحقيقة ان شيئا من هذه الاعانات لم تصل الى الريف وهذا ما صرح به ابن عبد الكريم نفسه .

(1) صحيفة 93 .

فالثورة كانت مولت نفسها بنفسها، سواء فيما يرجع للمال للاكتفاء الذاتي، المبني على التقشف، الذي اعتاده المجاهدون، كحالة عادية، أو ما يرجع للمعدات الحربية، نظرا الى اكتفائهم أيضا بما يحرزون بسواعدهم المفتولة في المعارك الضارية، حتى امتلأت خزائهم، بمختلف الانواع، وحتى ان السلاح الذي هرب لم يكن شيئا مغريا، ذلك لان السلاح المهرب الذي قيل عنه بأنه سلاح الماني، يحتاج الى ذخيرة عندما ينضب القدر المستورد، مع السلاح، بطريق التهريب، فيبقى حينئذ معطلا، بخلاف ما يحرزون عليه في المعامع، اذ تمدهم بكل ما يلزم .

أما ما قيل من ان الثورة كانت تلقت اعانة في شكل المواد الغذائية، فان ذلك يعتبر أيضا اغراقا في الاختلاقات، لان أقطار الاسلام كانت كلها تترشح تحت نير الاستعمار، فلا يمكن ان تحرك ساكنا مع بعد الشقة، فيما بين الريف ومصر، التي وحدها أيدت تأييدا مع تسامح المحتلين الانجليز، ولكن من أين تمر هذه الاعانة الغذائية؟ والحال أن البحر الابيض المتوسط محروس ببوارج الاعداء .

اللهم ما كانت ترسله اسبانيا لابنائها من أسرى الحرب في الريف، وهو خاص بهم، لا تعدى فيه أيدي الغير .

ثلاثة رجال من بنى ورياغل في الجانب الآخر

سليمان الخطابي :

مما يجدر ذكره كحادثة تاريخية لجوء الشيخ سليمان بن المجاهد الخطابي الى الجيش الاسباني، وهي قضية تلقى ضوءا ساطعا على بعض الاحداث التي أعقبها تنظيم ابن عبد الكريم للثورة .

قد سبق ان ذكرنا أن برينكير لما حضر الى جزيرة الجسيمة ذهب لفيف من رجال اجدير لملاقاته هناك، وكان من بينهم سليمان الخطابي، فلما ذهب برينكير، فرضت قبيلة بنى ورياغل غرامة على الذين حضروا الى الجزيرة، فما كان من اموح ابقوي ان دفعها، وكذلك السى بوبكر كما تقدم، أما القائد سليمان فقد امتنع عن دفعها، واعتصم بداره، وقد بعث اليه ابن عبد الكريم يعرض عليه أن يذهب الى مؤتمر سيدي أبي

الضعيف، على أن يؤدي عنه ابن عبد الكريم الغرامة، وقد أجابه سليمان بأنه مادام بيده بندقية فلا يخضع لاداء الغرامة، وكان شجاعا مغامرا، حملته الانفة ان لا يخضع لابن عمه، وهنا نروي الحادثة عن أحد أعمامه الاشيب مولود أزروق كنيته فقد قال ذهب الى جزيرة الحسيمة، وقرر مع رجالها على أن يشعلها حربا على رجال القبيلة، وطلب منهم أن يعينوه بمدفعية الجزيرة، عندما تحدثم المعركة، مع القبيلة، ثم رجع الى أجدير، وذهب توا الى دار موح ابقوى، وقد وجده دفع الغرامة، وبدأ منه عدم رضاه على مجيئه، وجماعته منهم مولود بن محمد موحند المذكور الى داره، فقرر أن لا يشعل الحرب، لانه بقى وحده في الميدان، فأرسل مولودا هذا الى الجزيرة يعلم رئيسها بأن يعدل عن الضرب بالمدافع، لانه لم يجد انصارا لخوض المعركة، واعلمه بأنه سيلتحق بالجزيرة، وفعلا ذهب معه اخوانه علال والعياشي وولده عبد الله، وقطع الى الجزيرة في زورق، وبقي مولود في أجدير، وقد أرسله ابن عبد الكريم الى سليمان يطلبه بأن يرجع، قائلا له ان الاسبانيين لا يصلحون لك لانهم لم يصلحوا لي، رغم ثقافتى، ولكن سليمان امتنع لانفته من ابن عبد الكريم وقد ذهب الى تطوان، الى أن كان القتال مع الجيش الاسباني على شواطئ غمارة، وكان الكبطان كباص مكلفا بالقسم السياسى فى تطوان، وكانت له اليد الطولى مع قبائل غمارة، حيث يقال أنه كان يختفى فى قبائلها فى صورة طالب علم، فانه اعلم سليمان الخطابى بأن رجال غمارة وعدوه بأن يلقوا القبض على قائد المجاهدين فى تلك الجبهة وهو السيد عبد الكريم الحتاش، وكان مخيما فوق نيكساس، فى موضوع يدعى تدقات، وكان الجيش الاسباني معسكرا بتيكساس، وكانت القوة الاسبانية، متمثلة فى رجال مغاربة بقيادة الكمندان ابرابو .

فذهب سليمان مع جماعة من رجاله لمقابلة قوة الحتاش، وانسبوا معهم القتال، ولكن المجاهدين تغلبوا على قوة سليمان، فهربوا الى تيكساس، وبقي سليمان هناك يقاتل مع بعض أشخاص، وكان هو وحده المسلح ببندقية جيدة، لان الاسبان لم يكونوا يثقون به وبجماعته . وفى هذه الاثناء ظن الكباص أن سليمان خدعه، وأنه رجع الى

أخوانه المجاهدين، فأرسل رسولا، فأخذه المجاهدون، ثم رسولا ثانيا، وهو محمد بن موح بن حموش، فألقى عليه القبض، وقدم للقائد الحتاش، ولما تعرف عليه أطلق سراحه، وتركه معه، ولما لم يرجع الرسولان فقد اعتقد الكباش بأن سليمان التحق بأخوانه، فأمر بإطلاق عيارات المدافع تجاه المحل الذي يوجد فيه سليمان، أما هذا فقد جرح في صدغه الأيمن حيث علم الكباش بجرحه، فأنجده بكتيبة برياسة ابرابو، ثم نقل الى سبتة للعلاج .

ولما انزل الاسبان جيوشهم في الحسيمة نزل في الموضع المدعو سباديا، تحت قيادة الكمندان بريلا، وعند الهجوم على أجدير، حاصر سليمان الخطابي في دار حدو بودراهم بأجدير، وكاد أن يسقط في قبضة المجاهدين، وكان معه ثمة القائد محمد ازحاف الذي قتل بعد ذلك في قرية ازغار، ولم ينج - أي سليمان - الا باغاثة من الكمندان بريلا حيث جاء اليه ليلا بقوة من المغاربة (الحركة) وجعل ينادى سليمان سليمان، ففك عليه الحصار وكانت قوة التريسيو على الجبل الكبير، وتقيشت، وسيأتى تفصيل ذلك عند استعراض أحداث الحسيمة وبعد انتهاء عملية الثورة عين قائد القواد على بنى ورياغل، ثم باشا على الحسيمة الى أن توفى، ومن الانصاف أن نسجل أن الرجل كان شجاعا شهما مداوما للصلاة، وان عمله هذا كان باعثه الانفة وعدم الخضوع لزميل له وابن عمه.

القائد الورياغلى موح بن سعيد من زاوية سيدى يوسف

وفي اثناء وجود قوة الحركة تحت امرة ابرابو في غمارة، كان من ضمن قواد المغاربة المدعو الورياغلى من المرابطين، وكان برتبة اليوتتان، وكان محل ثقة الجيش الاسباني، حيث كان الساعد الأيمن للكمندان ابرابو الذى عسكر في مثار من غمارة، واستدرجه أحد المجاهدين، وهو عمر بوكليط من بقيوة، فقد طلبه هذا ان يتلاقى معه خارج معسكر الجيش الاسبان، حيث نصب له كمينا، فلما خرج احتجزوه، وكان ابن عبد الكريم أمره بأن يستدرج الكمندان ابرابو، ولكن هذا لم يستجب للخدعة، أما الورياغلى فقد جيىء به الى سجن المجاهدين، وبقي هناك الى أن أوتى

به الى سجن سيدي العابد بالحسيمة بحراسة عبد السلام بن الحاج أفقير، وأعدم بأربعاء تروكوت بتمسان بعد محاكمته بالمحل المعروف بالمجاهدين من طرف محكمة الشعب .

القائد موح أزحاف

كان هذا شجاعا، وقد التحق بتطوان، حيث كان من رؤساء المغاربة، وكان ينافس سليمان الخطابي، ولم يرجح عليه الخطابي الا بقرابته لابن عبد الكريم، حيث حاول الاسبان جعله نداله .

فقد جاء مع الحملة التي نزلت في الحسيمة، وكان ضمن حركة الكمندان بريلا، ولما حوَصر سليمان الخطابي في دار حدو بودراهم، كان يكد له لاجل ايقاعه بيد المجاهدين، فقد هيا حيلة لاجل القبض على سليمان، وذلك أنه اتفق مع جماعة امن الرجال يلبسون لباس النساء ثم يقتحمون دار بودراهم، حيث يلقون القبض عليه، وكان الغرض من ذلك ليس مصلحة المجاهدين، وانما كان ذلك ليبقى له الجو فارغا للتقرب الى الاسبانين، ولكن الحيلة لم تنجح لان الكمندان بريلا سارع اهانجده، وكانت علامة الاشارة هو أن ينادى موح ازحاف بكلمة السر وهي «السبينية حضرت» .

سلاح القتال :

في بادى الامر كان امر السلاح موكولا الى ما يملكه كل شخص من بندقية الموزير (الخماسية)، أو بوحفرة حسب مستطاع ومركز الشخص الذي يعنيه الامر، وكان سلاح الموزير يتسرب من الجيش الاسباني نفسه مهربا بصورة أو بأخرى، حيث يقع التعاضى عن تهريبه، لاجل أن يقتل الاهالى بعضهم بعضا، فى قضايا الدم الموقور، وكان الرقباء السياسيون من الاسبان، يقول بعضهم لبعض شغل الناس، هلموا لاختلاس الاحتلال تدريجيا، وذلك ما وقع بعد موت سيدي محمد أمزيان القلعي، والقاضى السيد محمد الغزوزى، الورياغلى حتى امتد ذلك الاحتلال الى الشطر الشرقى من تمسان ببومجان، وسيدي ادريس .

وكان يبدو للعدو، ان الاحتمال بصورة التدريب، هي الخطة المثلّية، التي لا تثير ضجة، أو انتباهها من الاهالي المنشغلين في ضغائنهم المحلية، ولم يثر انتباههم الا عندما اصطدم الخصمان المتحاربان في أولى المعارك الحاسمة بقمة ابران، حيث كان لهذا السلاح الدور الحاسم، للاحراز على ذلك الانتصار الذي بهر الاعداء، والذي كان فاتحة انتصارات تالية .

ان أولى المفاجآت المفرحة والمغرية للمجاهدين، أن يجدوا فرصة ثمينة للاحراز على الاسلحة التي خلفها العدو بين أيديهم، فجعلوا يرمون السلاح العتيق، ليأخذوا خماسية جديدة .

وهكذا تدفق السلاح اثر الانتصارات في المعارك المتتالية . وقد حار العدو بعد ذلك، فلم يجديه الاسلوب القتالي الذي يعرفه، وتمرن عليه، فجعل يشتكى من فلسفة قتال جيوشهم النظامية، التي فشلت أمام المقاتلين المغاربة، فقد قال أحد قادة الغزاة الاسبانيين (1) ما معناه «للحرب المغربية مظاهر خاصة، بالنسبة للارض وللعدو (المغاربة)، ورغم ان الفنون الحربية لها مبادئ مبسطة ولازمة، ولا بد من تطبيقها، لان الاستهانة بها قد تؤدي الى أoxم العواقب، لكن عندما تطبق هذه المبادئ لابد من اعتبار طبيعة الارض، وشكل العدو، وماذا يستعمله من الادوات، ولذا نرى ان الامر يختلف عندما نحارب في بلد كالمغرب، لان الامر يتعلق بمحاربين يبتكرون وسائلهم الخاصة في فنون القتال، مستوحاة من اتصال بعضهم ببعض، حين يتفقون على العداء للغير» .

«وعليه فالحرب في المغرب لها أهميتها الخاصة، ولا يمكن أن تكون كالحرب في أوروبا، لان المغاربة لا يرتكبون أي خطأ، بل يستغلون اخطاء عدوهم في الحين» .

وزاد يقول: «وقد يستغرب بعض القادة العسكريين حين أقول، بأن للمغاربة مبادئ أصيلة في فنون الحرب، يطبقونها بحذافرها، فاذا

(1) الجنرال غوديد في كتابه المغرب ومراحل التهذئة صحيفة 41 .

أردنا دراسة أسلوبهم الحربى، نجدهم يستغلون أية فرصة تسنح لهم نظرا الى أنهم سريعو التحرك، ويصعب ضبطهم فى القتال، لاجل القضاء عليهم، أولا لحالة الطقس، وثانيا للارض الوعرة، وثالثا للتحرك الدائم، حيث يظهر العدو ويختفى بسهولة، بحسب ما يناسبه، وفى هذه الحالة يصعب الحرب مع هذا العدو» .

«ولهذه المبادئ الاصلية من أن الحرب المغربية لها ظروفها الخاصة، غير ظروف الحرب فى أوربا، وان المغربى محارب صعب الاخضاع والانتصار عليه نهائيا، فان جيوشنا تكونت فى عقليتها القتالية، بصورة ضعيفة» .

«ولهذا فان الحرب فى المغرب لا يمكن أن تطبق فيه العلوم العسكرية»، لان المغربى فى قب جلابته يأخذ التموين، ويمكن أن يقاوم بسهولة، جيشا منظما، من حيث التموين، والصحة، وجميع الامكانيات، ومنطقة قتاله، حيث يصل نار بندقيته وهو حر فى تلك المنطقة، يتحرك كيف يشاء، وبصورة فردية، فهو بذلك يكون محاربا كاملا، ولذا قال المارشال بيتان، ان الجنود المغاربة من أشجع الجنود فى العالم، وكمحارب لا يوجد من يماثله فى المعركة، فالريفى والجبلى والغمارى، كلهم محاربون، سريعو التحرك، أقوياء يقاتلون ببسالة نادرة، لانهم متعودون على استعمال العنف من منذ الطفولة» .

واذا كان السلاح متوفرا بعد انتصار انوال، فان المحاربين الاريايف نشطوا الى درجة ازعجت الاعداء، ازعاجا كونت لديهم عقدة عدم غلبتهم بأى حال من الاحوال، وهى حالة اسدت كثيرا من المعونة المعنوية لدى الوطنيين المقاتلين، وقد أصبح العدو لا يملك أن يثبت فى القتال، بل من أول وهلة يفكر من أين النجاة بجلده، لانه حسب تعبير غوديد فى مكان آخر «أنه رسخ فى ذهن جنودنا، أن الجندى الريفى له الشرف كل الشرف أن يموت فى المعركة هو موت الحق ضد الباطل، ولذا فلم يمكن تساوى الطرفين المتحاربين فى المعركة وهو سبب انتصار المحاربين الاريايف القليلى العدد على الجحافل الاستعمارية» .

فالسلاح المستعمل في هذه الحرب التحريرية المثالية كان على الشكل التالي :

1 - سلاح مملوك للثورة، مما غنم بعد معركة ابران وأخذ في المعارك ضد اسبانيا، وضد فرنسا، وهذا السلاح يعتبر سلاحا أساسيا، له احتياط مهم في المخازن والمستودعات، تحت يد حكام المحاكم، وكان يشتمل على السلاح الخفيف كالبنندقية (الخماسية والرباعية والتساعية)، والثقيل كالمدافع والرشاشات ومدافع الهون .

ومن هذا النوع السلاح الذي أخذ من الريسونى عند القبض عليه.

2 - السلاح الذى كان عند الاهالى عند معركة انوال، والذى كان ملكا خاصا لكل فرد، وقد أمر ابن عبد الكريم بجمعه وايداعه فى المراكز الامامية للمجاهدين، على أن يأخذه المقاتلون فى تلك المراكز، وعندما يرجعون الى ديارهم، يدعونه تحت يد أمناء سموا أمناء السلاح، ولم يترك السلاح الا لبعض الشخصيات المسؤولة .

الا أن هذا التدبير قد أحدث بعض الفتور فى همم المقاتلين الذين اعتبروا أنهم بذلك يكونون كجنود محترفين، الذين يطلقون الرصاص اعتبارا الى الامام، من دون تصويبه تصويبا دقيقا، الى الهدف المعين .

ذلك ان السلاح عندما لا يكون مملوكا لصاحبه، لا يهتم به ، ويتعرض للصدأ، وحينئذ لا تكون الطلقة النارية تسير باتجاه مستقيم يحقق الاصابة، فضلا عن البندقية اذا كانت غريبة عن الرامى بها لا يعرف جدتها من حيث كونها غير مستعملة بالكثرة التى تدعها مخروطة الماسورة، الى حد تستوعب الرصاص بتمامه، وهى فنية يعرفها حذاق الرماة. وهكذا قامت وسوسة، أعقبها تذر، عند فراقهم لبنادقهم الخاصة.

ومع أنه يبدو أن هذا التدبير ضرورى لحفظ سلامة المواطنين، فيما بينهم، وعدم اثاره الاحقاد الدموية، الا أنه اثر تأثيرا ظاهرا فى معنويات المقاتلين، وانحطت الى درجة معنويات الجندى المحترف، لانهم أصبحوا يرون أنهم مجرد دميات تتحرك بارادة الغير، تقاتل بسلاح لا رقابة لها عليه، ولا سابق عهد بها، فقد تكون بندقية فاسدة لا تصلح للقتال، يأخذها من وسط البنادق كيفما تيسر، والحقيقة أن كل من قابلته



Example of 'Abd al-Krim's paper money, which never went into circulation. Photograph from personal archives of the late Col. Emilio Blanco Izaga.

صورة الورقة البنكية المزعومة التي قيل ان ابن عبد الكريم اصدرها.
ولا يخفى على القارئ افتعالها، وبالاخص عبارات خمسة ريوانات وهي كلمة
غير مفهومة، ولا يمكن لعربي قح مثل ابن عبد الكريم ان يرتضاها في عملة للتداول
وكذلك اتمام كلمة حكومة بعد بنك، كما لا يرتضى النجمتين السداسيتين
وهو وطني صميم .

من رجال الثورة اشتكى من هذا التصرف الذى كاد أن يؤدى الى فتور همم القتال .

3 - ومن السلاح القديم المدعو بوحفرة، وهو نوع كان عند المخزن المغربى قديما، الا أن هذا السلاح لم يعد صالحا للاستعمال، بعد ما أحرزت الثورة على ما أحرزت عليه من الانواع الجديدة .

وقد فكروا فى استعماله كعبوات ناسفة تستخدم لنسف ثكنات العدو، فكانوا يحشون ماسورته، الحديدية من الديناميت الذى يحصلون عليه من قنابل الطائرات التى تسقطها أرضا ولا تنفجر، يضعونها فى الخنادق التى يكونون قد حفروها ليلا، تحت أرضية الثكنة، ويشدون خيطا طويلا فى زناده، وعند الوقت اللازم يجذبون الخيط من بعيد، حيث تنفجر العبوة، فتتسف الثكنة بمن وما فيها .

4 - من القنابل اليدوية التى يصنعها فنيون بدائيون من الاهالى، على هيئة الرمانة، والتى تحشى أيضا من ديناميت قنابل الطائرات الغير المفجرة، ممزوجا بشظايا القنابل المتفجرة، ذلك أن قنبلة الطائرة التى تزن 200 كيلو، والتى تدعى «غلياط» يصنع منها هؤلاء الفنيون 470 قنبلة يدوية، تستخدم بشكل مفيد جدا، وحاسم عند الهجوم على كمين أو ثكنة .

5 - أما الطائرات فقد حصل الريف على ثلاث طائرات، احدهما كان اشتراها من الجزائر بواسطة حدو الاكل بالقيوى باشراف السيد محمد أزرقان الذى سمنى ناظرا للخارجية، اشترى من ربان الطائرة الذى هربها، والذى انتحل صفة السائح المتجول، وقد جاء بها هذا الربان مصحوبا بالقائد حدو الاكل الى أن نزلت أولا بالموضع المدعو توفست، بين قبيلتى بنى ورياغل، وبنى يطف، ثم أصلح لها مطار فى أزهورا من قبيلة بقيوة، بالموضع المدعو بازغار، حيث وضع لها هناك خندق تأوى اليه عن انظار طائرات العدو. أما الثانية فهى طائرة اسبانية سقطت بتمسيمان فى رأس كىلاطو، كان يقودها الكبطان «هيرايس مرتين» وهو الذى كان يدعى عند الارياف بالكبطان الرايس، وكان معتقلا بأجدير مع الجنرال نفارو .

وسبب سقوطه انه ضل الطريق، حيث لم يكن يعرف جهات الشمال، فلما وصل الى تركيست دخل في برد قارس، حيث وقع له عطب في الطائرة، فلم يستطع مواصلة الطيران الى أن نزل بها سالمة على اليابسة فاحاط بها المجاهدون والقوا القبض عليه .

أما الثالثة فانها اسقطت في وادي لو، وبقيت سالمة .

وقد قامت هذه الطائرات بتحليق الى جهة الخط الجنوبي على مرنيسة، ويقال أنها قامت بتحليق صوب مليلية وتطوان، وكان الطيار حدو الاكل يعلم الارياف قيادتها .

ورغم أنه قتل شقيقه عمر سينتو في قضية تهريب الاسرى كما سبق، فانه أسدى عملا للثورة لا ينكر .

وقد كان الطيران الاسباني يترصدها الى أن عثر على مخبأها بأزمون، فجاء سرب من الطائرات الاسبانية من خليج الحسيمة، طار من حاملة الطائرات مارا على مرسى الحسيمة، فصب قنابلها التي حطمتها نهائيا، ويقال أن أحد عملاء العدو ذهب الى تطوان، وأطلع المقيم العام على مخبأها .

وكانت نظرية ابن عبد الكريم أن يملك غطاء جويا يهرب به العدو، ويكون غطاء للمقاتلين في المعارك .

6 - السيارات التي كانت تسهل تنقل أركان الحرب، ولذا يمكن عدها من الادوات الحربية، فقد كانت للثورة ثلاث سيارات جلبت كلها من الجزائر بواسطة القائد حدو الاكل وعمه محمد بن عمر عياذ الذين كانا يسكنان في عجرود من الجزائر، وكان هذا الاخير سائقا ماهرا احداها رونيت والثانية فورد والثالثة توركان بيرى .

وقد سلكا بها طريق حاسي وينرزكا - كروا - ووادي كرت - وادي النكور - عقبة ازغار - فأجدير .

وقد هيا لها ثلاثة مآرب (كراجات)، احدها بازغار، وثانيها ببوهم، وثالثها بتركيست .

وقد اهتم ابن عبد الكريم بتعبيد طرق السيارات للمواصلات السريعة، فكانت هناك طريق ثانوية مفتوحة من أجدير الى آيت قمر،

وكانت حسنة جدا، كما كانت هناك طريق ثانوية من آيت قمرة، الى تركيست وهى دون الاولى فى الجودة، وكانت صالحة للسير، كما فتحت طريق ثلاثية من أجدير الى أربعاء توريرت، ومن توريرت الى سيدى على بوعقبة بكنزناية، وكان الغرض من تعبيد هذين الطريقين تسهيل اىصال السيارات التى تشتري مهربة من الجزائر، أو المناطق المحتلة من فرنسا بالمغرب، كما تسهل تهريب قطع الغيار للسلاح .

وقد كانت هندسة هذه الطرق على يد موح موزور من أجدير وهو أمى، ومع ذلك فان الطرق التى عبدها هى التى سارت عليها اسبانيا بعد الاحتلال، مع تغيير بسيط .

وعندما انتهت الثورة عثر الاسبان على تصاميم للطريق من مليلية الى تطوان، عبر تركيست - باب برد - باب تازة - شفشاون - تطوان، وكانت الطريق مرسومة فى التصاميم بالكيلومترات ما بين 200م و300م وهى التى اتبعها الاسبان بعد الاحتلال .

وذلك لان تنقل المدفعية الى جهات القتال، كان يفرض بالحاح تعبيد الطرق، لتسهيل نقلها حسب الحاجة، فقد لقي المجاهدون مصاعب جمة، حيث ينقلون المدافع على البهائم فى الفترة الاولى، التى أحرزوا فيها على المدافع، واضطروا لنقلها مثالا الى بادس والى غمارة الى أن تمكنوا من الاستلاء عليها فى كل جهة، فاستخدمت فى جهاتها .

كمية السلاح الخفيف :

كان تدفق السلاح فى مختلف أنواعه من اسبانيا وفرنسا على مراكز القتال، وخزائن الثورة، مما يغنى فقط من معارك القتال، بلغ الحاجة الكافية لترسيخ اقدام الثورة الى ما شاء الله، ولم تكن هناك حاجة لشرائه بالتهريب، ومع ذلك فقد وصلت بعض الشحنات عن طريق البحر الى مراسى بقيوة، على ظهر يخت أتى به نقيب انجليزى، وانزل السلاح فى مرسى اسلى وغطى اليخت بغابة كثيفة، كى لا تكشفه الطائرات الاسبانية، وقد بقى هذا النقيب عند الهادى بن دادى التسولى بداره ثمانية أيام، وبالتفصيل التالى، يتضح أن السلاح كان فى الكفاية الكافية، فقد ضبط الجيش الاسبانى عند الاحتلال وحده حسبما جاء

في تقاريره من البنادق المختلفة الأنواع من خماسية (اسبانية) وسباعية ورباعية (فرنسية) 110.000 (مائة ألف وعشرة آلاف) بندقية عدا ما أخذه الجيش الفرنسي من قبائل تافوغالت الى وزان، ويقدر بنحو 35 ألف بندقية وعدا ما كان من السلاح القصير، كالمسدسات ومدافع الميدان، ومع ذلك فان العدد غير مدقق، لان الاهالي اخفوا كثيرا منها استخرجها منهم بعد الاحتلال بالتعذيب والتقتيل .

الرشاشات :

كانت الرشاشات بلغت حوالي 300 كانت تحت الجيش النظامي منها 100 كانت على شواطئ البحر مركزة على المواقع المهمة تحت التعبئة العامة .

ولاجل اعطاء المثال حسب رواية القائد حدو أوسار، (1) (لازال حيا) الذي كان قائد الرشاشات على شاطئ البحر من خليج الحسيمة الى سيدي ادريس بتمسامان، قال: كان تحت امرته مائة من الطنجيين المتمرنين على الرشاشات، وكانت تحت تصرفهم 25 رشاشة بحساب أربعة طنجيين على كل رشاشة، وكانوا موزعين حسب التالي :

1 - 50 طنجيا على ساحل خليج الحسيمة، من سيدي العابد غربا الى وادي النكور شرقا، تحت تصرفهم 13 رشاشا، منبثين في أعشاش ابتكروها هم بأنفسهم، تحت سقف من الاخشاب الغليظة المغطاة بغطاء سميك من الرمال، وقد حضرت تلك الاعشاش بكيفية معوجة، اتقاء من شظايا قنابل المدافع، التي تنفجر في مدخل العش، وعندما ابتكروا هذه الاعشاش واعلم بها الامير ابن عبد الكريم، جاء بنفسه ليزورها، فاستحسنها وأمر لرجالها بكميات من حبوب الزكاة، الا أن الطنجيين لم يقبلوها، معتذرين بأنهم يحتسبون عملهم في سبيل الله، ولا يريدون عليه جزاء ولا شكورا .

2 - 25 من الطنجيين على شواطئ تسمامان من سيدي عمر اموسى غربا الى سيدي ادريس شرقا، وكان تحت تصرفهم ستة رشاشات.
3 - 25 منهم فوق قمة تيزي عزة بتمسامان، في منطقة انوال،

(1) شاهد عيان .

تحت تصرفهم ستة رشاشات، موزعين على القمم المقابلة لمراكز العدو، وأهمها قمة تيشاوين وجمعية اقدارا، بينى وليشك، وكان من جملة الطبجيين في هذا المركز الاخير محمد بن الحاج تهاى ازغراف، وكان شابا قويا مومنا بالانتصار دائما، وهو من عائلة محترمة في بنى ورياغل، (لا زال في قيد الحياة) .

وقد قال حدو أوسار قائد الرشاشات أن هؤلاء الطبجيين يعدون مسؤولين عن اصلاح الرشاشات وتعهدوا حتى أنهم يعتبرون أنفسهم كأنهم مالكون لها، ملكا خاصا، بحيث لا يستبدلون الى رشاش آخر، فكل أربعة لهم رشاشتهم، يعرفون عيوبها ومزاياها، وانما خصص أربعة لكل رشاش لاجل ان يتناوبوا على زيارة الال اثنى اثنى .

أما المائتا رشاش، فقد زود بها الجيش النظامى الريفى الذى ألف تدريجيا، وكان الجندى الرشاش يعتبر أعلى رتبة من جنود المشاة، ولهم ميزات من ناحية الاجرة اليومية، فقد كان لهم 17,50 بسيطة وهى أعلى حتى من الجندى الرشاش الاسبانى، كما تميزهم عن أفراد المشاة بعمامة كحلاء، أو خضراء حسب الرتب، وهم تحت قيادة القائد احمد السوسى .

المدافع :

عند انتهاء الثورة، كان يوجد عند رجالها، حوالى 150 مدفعا، من مختلف الاجسام يستعملها طبجيون ريفيون بمهارة فائقة، وكان الطبجيون لهم مميزات خاصة فيما يتعلق بالاجور التى يتقاضونها فكان أجرهم اليومى 17,50 بسيطة مثل جنود الرشاشات .

وقد تدرب هؤلاء الطبجيون على يد الكبطان سرييو الاسبانى، الذى كان اسلام وحسن اسلامه وكان فنيا فى المدفعية بكل معنى الكلمة ومخلصا للثورة الريفية، وقد قتل بجبل بو حردوف بينى شيكار من قلعية، لما كان يضرب مليلية بالمدفع الذى نصب هناك، فأصابته قذيفة من مواقع العدو على بطنه فاستشهد هناك .

وقد خلفه فى مهمة الفن المدفعى أول مواطن له خبرة بالفن، يعرف بموش كان أسود اللون أبيض القلب، وكان تمرن على المدفعية

أيام المولى عبد العزيز، وبتاريخ 1923 التحق بالثورة الريفية على رأس المدفعية، فكان مخلصا للثورة، وماهرا في استعمال واحلاح المدافع، وقد توفى رحمه الله سنة 1924 اذ أصابته وهو يؤدي عمله قذيفة من طائرة العدو، ثم خلفه شخص فرنسى كان على رأس مدافع خليج الحسيمة .

ولاجل اعطاء فكرة عن تركيز مدفعية الثورة، نبين بعض المواقع الحربية الهامة التى نصبت عليها بعض تلك المدافع .

1 — مدفع واحد فى جبل اجداين من النوع الاسبانى (كيمانىة)، كان تحت مسؤولية محمد بن دادى ومعه أربعة طبجيين آخرين، وهو مصوب نحو البحر يقوم بمهمة حراسة شواطئ المراسى الصغيرة بين جبال الحسيمة .

2 — مدفعان اثنان فى الجبل الكبير (ادهر امقران) من النوع الاسبانى (كيمانىة) تحت مسؤولية القائد عمروش بن عبد السلام، ومعه تسعة طبجيون ريفيون بمهمة حراسة أجدير، وشواطئ الحسيمة .

3 — مدفع واحد فى دهار تمسامان من النوع الاسبانى تحت مسؤولية احمد بن احميتوش مع أربعة من الطبجيين الارياف، ومهمتهم رقابة خليج الحسيمة الشرقى .

4 — مدفع واحد بدهر طارفة بأجدير، وهو من النوع الفرنسى تحت مسؤولية حدو بن على الورياغلى مع أربعة مدفعيين آخرين .

5 — مدفع واحد برأس الطايث، وهو من النوع الاسبانى تحت مسؤولية محمد بن شعيب، ومعه أربعة مدفعيون مواطنون .

6 — ثلاثة مدافع على ادهر اسدون، اثنان من النوع الاسبانى والثالثة من النوع الفرنسى تحت مسؤولية حدو البحرى الاجديرى المعروف بكيوخوطى لذكائه ولباقتة، وكان معه عشرة من المواطنين والمائى واحد برتبة سرجان .

7 — مدفعان اثنان على قمة الروكوصا وهما من عيار 7 1/2 نوع اسبانى، تحت مسؤولية علال بن الحاج وعمر بن علوش، كلاهما

من أجدير، ومعهما عشرة مدفعيين مواطنين، وقد استشهدوا مع مدافعهم
ماعدًا اثنين منهم .

8 - مدفعان اثنان على جبل المساحين من النوع الاسباني تحت
مسؤولية محمد بن علوش ومحمد بن مسعود كلاهما من أجدير استشهدا
مع مدفعييهما، وكان يعاونهما سبعة من المواطنين .

9 - مدفع واحد على جبل كيشوش تحت مسؤولية حدو بن
عبد السلام، مع أربعة من المواطنين .

10 - مدفعان اثنان على جبل اعيساوي، وهما من النوع
الفرنسي تحت مسؤولية سلام بن الحاج حمادي ومعه فني فرنسي
وسبعة من المواطنين .

11 - مدفع واحد على جبل اخزيون من النوع الفرنسي تحت
مسؤولية حدو بن عبد السلام، مع مواطنين اثنين .

12 - مدفع واحد من النوع الفرنسي على جبل مرتاح تحت
مسؤولية محمد بن مسعود، مع أربعة من المواطنين .

13 - مدفعان اثنان من النوع الاسباني على رأس كيلاطاس .
هذه المدافع كلها على القمم والجبال التي تشرف على خليج
الحسيمة، وما حوله، حيث كان يعتقد أن يقع انزال جيوش الاعداء من
البحر، وهي التي أغرقت البارجة الحربية «خوان دي خوانين» التي كان
ارسلها المفوض السامي الجنرال برينكير في بحر سنة 1922 الى خليج
الحسيمة لاستطلاع تلك المنطقة استعدادا لغزو ذلك الخليج من البحر
بانزال الجيوش هناك الى اليابسة، ولما اقتربت البارجة الى جزيرة
الحسيمة اغرقها المجاهدون بثلاث طلقات من المدفعية التي على قمم
الخليج، وقد جرت في ذات الوقت معركة حاسمة بالمدفعية بين مدفعية
جزيرة الحسيمة للاعداء، وبين مدفعية المجاهدين على قمم الخليج، كانت
اصابات كثيرة لحقت بالجزيرة، ولكن لتحصينها بالاسمنت المسلح لم
تتل مدفعية المجاهدين منها منالا .

14 - مدفعان على مركز سيدي سعيد بتمسان احدهما من نوع
اسباني والآخر فرنسي .

15 - مدفع واحد اسباني على جبل وديا بتمسامان، قبالة مراكز العدو في خط القتال بتيزي عزة - تفرسيت - سيدي مسعود - سيدي احساين .

16 - مدفع واحد من نوع فرنسي على جبل افرني قبالة تفرسيت، وكان للعدو بتفرسيت مدفع من النوع المعروف عند الاهالي «بولخناشي» وهو مدفع وحشي مزعج، وسمى بذلك لان قطع الديناميت التي تندفع به قذيفته كان يوضع في اكياس (الخناسي)، فعندما يشتعل الديناميت بالضغط على الزناد يحدث دويا كالرعد القاصف، يصك الآذان، فتخرج القذيفة مرتفعة فوق رؤوس المجاهدين، في هرج من الاصوات المرعبه، حاف حاف حاف، وكان مصوبا ضد مدافع المجاهدين هناك التي يسكتها احيانا .

17 - ثلاثة مدافع على قمم قبيلة بني توزين على الجهات التي تقابل العدو، اثنان منها اسبانيان والثالث فرنسي .

هذه هي بعض المدافع التي كانت مصوبة ضد مراكز العدو في الريف الاوسط، أما المدافع التي كانت الى الجهة الغربية فكان هناك :

18 - مدفعان اثنان احدهما من نوع اسباني والآخر فرنسي وكانا في شواطئ بني بويفرح مصوبين باتجاه جزيرة بادس .

19 - مدفع واحد من نوع اسباني في قبيلة متيوة على شواطئها على الضواحي الشرقية لفرضة الجبهة بغمارة .

20 - مدفع واحد من نوع اسباني على الضواحي الغربية لتلك الفرضة .

21 - مدفع واحد اسباني على قمة فوق مرسى تيكساس بغمارة .

22 - مدفع واحد اسباني على قمة فوق قاع اسراس بغمارة .

23 - مدفع واحد نوع فرنسي على جبل بوزيتون بقبيلة بني حزمارة الجبلية مصوب ضد مدينة تطوان .

24 - مدفع واحد من نوع فرنسي في قبيلة بني يدر مصوب تحت عنق الممر أمام ظهر القيطون .

25 - مدفعان اثنان احدهما نوع اسباني والآخر فرنسي على قمم قبيلة بنى حسان، مصوبان باتجاه الممر الوحيد الى شفشاون .

26 - مدفع واحد اسباني بجبل تازروت بقبيلة بنى عروص، وهو الذى استخدم ضد الريسونى .

27 - مدافع أربعة من نوع اسباني مبنوثة حول المركز العام لقيادة الامير امحمد الخطايبى فى قرية تغزوت من قبيلة بنى حسان .

مستودعات الآلات الحربية والنخيرة

وهذه 42 مدفعا عدا ما كان مبنوثة فى جبال قبائل ورغة ضد الجيش الفرنسى، وعدا ما كان فى مستودعات الثورة التى تستوعب الآلات الحربية .

وهذه المستودعات كانت تخفى، ليبقى أمرها سرا، حتى لا يتسرب خبرها الى العدو فيرسل طيرانه لالتلافها .

1 - المستودع المركزى فى قرية ازغار بينى ورياغل قرب أجدير وهو الذى كان يحرس فيه حدو ازحاف مع بوراس بدار السى حدو أكوح، وقد استوليا عند هجوم العدو على أجدير على الاثاث وسلع الكتان التى كانت أخذت من الريسونى والعياشى الزلال، ومما أخذ فى المعارك التى جرت فى بعض القرى الحضرية فراحا يخفيان تلك الاشياء لحسابهما الخاص، تاركين واجب الدفاع المحتم عليهما، فى هذه الحالة التى لا يملك المرء شعوره لجمع الحطام الذى لا تبقى بيده لان اكتساح العدو كان سريعا .

2 - مستودع فى بوهم بينى ورياغل وهو موضع جرت فيه معركة دعيت عند الاهالى والاسبان معا بمعركة ابلوقا، وكان هذا المستودع يتوفر على 30 مدفعا، وقذائف الطائرات، والآلات حربية أخرى .

3 - مستودع بوصالح من بنى ورياغل، بوصالح قرية على أعالي نهر غيس، وهذا المستودع خاص بالرشاشات، ولم يعرف بالضبط كم كان فيه، وكان قريبا لمركز سى عبد الله بن يوسف، الذى نقل اليه ابن عبد الكريم مركز قيادة الثورة العامة بعد نزول العدو فى الحسيمة، وقد جرت فى هذا الموضع معركة دعيت بمعركة تندى وامعيش ذاق فيها الجيش

الاسباني مرارة أخرى من مرارات الانهزامات، حيث كان فى عون المجاهدين امطار غزيرة نزلت مصحوبة بالرعد بينما كانت طلقات المجاهدين يرددتها صدى الوديان، والجبال الشاهقة، حيث كان البطل المدعو قوشيج من عشيرة بنى عروص الريفية من بنى ورياغل، يرسل طلقات التساعية من أعلى قمم جبل حمام .

4 - وفضلا عن ذلك فكانت هناك مستودعات على مستوى المراكز الحربية تابعة لمحاكم قواد تسيير الحرب، وبالاخص المستودع الهام التابع لمحكمة اخشاب امغار بتمسامان، ومستودع فى دشرة ايعكيا من بنى بويعاش، ومستودع بدشرة اكدابا من بنى عبد الله .

طريقة خروج السلاح ودخوله :

المسؤول الاول على السلاح والدخائر الحربية هو السيد محمد بوجبار، الذى دعى متصرفا، ويعمل تحت امرته الفقيه محمد الغمارى الذى يقطن بتمسامان، وهو المكلف باستصدار الاوامر الرسمية من بوجبار باخراج السلاح من المستودعات او ادخالها، وتكون الاوامر كتابيا، حيث يحيط بوجبار ابن عبد الكريم بذلك، وذلك طبقا لطلبات اكابر المحلات بالجهات المختلفة .

اصلاح السلاح :

يجرى اصلاح المدافع والبنادق التى يعثرها فساد تحت اشراف المدعو المعلم محند من قبيلة تمسامان، وكان ماهرا فى ذلك، وله حدادات خاصة لذلك الاصلاح فى المراكز المهمة، وتحت اشرافه 26 عاملا، جلهم من قبيلة بنى بويفرح، عشرة منهم كانوا كخبراء فنيين حربيين مكلفين بالتفتيش على الاسلحة اينما كانت، صالحة او غير صالحة، وكان العمال الآخرون يقومون باعانة المعلم محند فى تأدية عمله على الوجه الاكمل، وفضلا عن هؤلاء، فكان هناك مجاهدون فى مختلف المراكز يحذقون اصلاح المدافع كما كان يفعل شعيب افدح .

مخزن البنزين :

كان بقبيلة بنى بويفرح خزين خاص للبنزين، الذى تستعمله السيارات الثلاث، والذى جمع مما يؤخذ من الغنائم، وقد أوصى ابن عبد الكريم بالاحتفاظ به، وأرساله الى بنى بويفرح، فكان الخزين يتوفر على كمية كبيرة منه، ووضع بعيدا عن أنظار الطيران الاسباني، بعد احتياط كبير، ليبقى سره مكتوما بين افراد قلائل متحلين بالثقة الكاملة، الى أن استولى عليه الاسبانيون عند انتهاء الثورة، كما استولى على السيارات الثلاث سنة 1926 م .

الوسائل البحرية :

وصل الى الريف فى اثناء الثورة زورقان اثنان من الزوارق البخارية ذات المحركات من نوع «لا نشا» واحد هذين الزورقين اشترته القيادة البحرية التى يشرف عليها حدو بن على المدعو المعلم من أجدير، الذى يعمل مفتشا وكمندان البحرية بشواطئ الريف، اشترته من أمريكانى حيث أوصاها الى فرضة الشاطئ الجميل بالحسيمة، الذى يدعوها الاسبان كالا بونيتا، وهناك وضعت عليه أكوام من الغابة، لكى لا يهتدى اليه الطيران الاسباني، فيتلفها، وكان تحت امرة كمندان البحرية، قائد بحرى برتبة كبطان، وسائق فنى فى الميكانيك، وهو جزائرى يعاونهما طاقم بحرى، مكون من 30 بحارا من المواطنين، وهم بصفتهم جنودا نظاميين يتقاضون 60 بسيطة شهريا مثل جنود المشاة.

الخيالة :

لم تكن هناك فرقة للخيالة تشارك فى المعارك، وانما تكونت كوكبة من الخيالة، كانوا يركبون خلف ابن عبد الكريم فى ترحاله، وكانوا يدعون «الحفاظ»، كلمة مشتقة من الحفاظ، وكذلك كانت فى المحاكم الاخرى خيالة يقوم بمهام المأمورين المعينين لتلك المحاكم .

الجيش النظامى :

رأى ابن عبد الكريم أنه من أكد المهمات ان ينشئ جيشا

نظاميا يكون درعا للعمليات الحربية، وذلك بعدما أحرز على فدية الاسرى التى تجعله فى الامكان اداء أجوره، طبق سنن الجيوش النظامية .

ففى بحر سنة 1341 هـ. موافق 1922 استدعى شعيب بن حمادى (1) المدعو افلاح، وهو من قرية احدوشا قرب أمزورا (لازال حيا)، تعرف عليه ابن عبد الكريم فى انوال، الذى جعله مركزا لقيادة الثورة بعد هزيمة الاعداء، وذلك بسبب حذقة فى اصلاح قطاع المدافع، فأمره بأن يلتحق بأزغار، حيث توجد حدادة للمعلم محند لأجل استكمال الفن المدفعى، وهناك وجد أشخاصا آخرين منهم القائد احمد السوسى، وشخص تركى وآخر المانى، ومكثوا هناك يصلحون المدافع، وذات يوم أصلح زكروم (2) مدفع وتركه فى الطاير، وذهب لزيارة أهله، وكان بعض الناس غاروا منه فآخفوا الزكروم، ولما زار ابن عبد الكريم الطاير وجد المدفع معطلا، فأرسل الى شعيب افلاح ليستفهمه وربما ليوبخه، وعندما جاء بحث عن الزكروم فوجده مهيا فى المدفع، وأطلق منه قذيفة فسر ابن عبد الكريم، ثم ان شعيب افلاح ازال الزكروم من المدفع وأخذه عنده، وكان بمحضر ابن عبد الكريم فسأله فى استغراب، لماذا أزلت عنه وتركته معطلا؟ فقال أن حسادى آخفوا الآن الزكروم، وفى يوم ما يقولون بأنه باعه للعدو، ولذا فأنى عندما أذهب آخذ الزكروم لأحتضنه، حتى اذا جاء وقت استعماله ركبته فيه، فتفرس ابن عبد الكريم فيه الصلاحية وأمره بتجنيده الجيش النظامى .

وهكذا ففى بحر عام 1341 هـ. ذهب الى سوق اثنين بينى بوعيش يعاونه القائد عمر بن موح بن سعيد وهو من الشجعان المحوظين (لازال حيا)، فاستطاعا جمع 60 نفرا كونا بهم نواة الجيش النظامى . وقد تدربوا على يد احديدان من أجدير، ثم تتابع انخراط الافراد فى الجيش النظامى بعد تدريبهم بأجدير على يد احديدان المذكور . وأول فوج كان تحت رياسة شعيب افلاح 50 جنديا، وتحت امرة عمر بن موح بن سعيد 25 جنديا، الى أن وصل الجيش النظامى الى 900 جنديا فى ظرف قصير، حيث قسموا على طوابر ثلاثة .

(1) حكاية عنه وهو شاهد عيان .

(2) يطلق على قطعة الغيار التى توجد فيها ابرة الزناد .

الطابور الاول : تحت رياسة القائد موحـبـ ن عمر الجوع من المرابطين .

الطابور الثانى : بقيادة شعيب افلاح .

الطابور الثالث : تحت قيادة محمد بوحوت من قلعية (لازال حيا).
كان الجندى يحمل بندقية مقلدا من جهة الشمال محفظة الذخيرة تدعى اقرب مالقة، ويزيد الضابط من قائد خمسين فما فوق توשיحه بمسدس عن اليسار .

وأما شعارهم فعمامة من ملف أخضر، جلبابة قصيرة من لون بنى، ويزاد للقواد شارات مميزة لهم على الجندى العادى، فلقائد الطابور ثلاثة خيوط حمراء على العمامة، ولقائد المائة خطان احمران، ولقائد الخمسين خط واحد أحمر عريض والمسؤول عن 12 ويدعى المقدم (برتبة سرجان) خطان صغيران أحمران .

أما الاجوز فلقائد الطابور 150 بسيطة شهريا ولقائد المائة 100 بسيطة ولقائد الخمسين 80 بسيطة ولقائد خمسة وعشرين 70 بسيطة، وللجنود العاديين بما فيهم المقدم 60 بسيطة شهريا .

وعندما يكون الجيش فى منطقة من المناطق الحربية فيكون خاضعا لحاكم تلك المنطقة، الذى يدعى كبير المحلة، ويبلغ الامر الى الجنود حسب التسلسل العسكرى القيادى، سواء ما يتعلق بالتنظيم العسكرى، أو ما يتعلق باطلاق الرصاص .

وهذه التعليمات ينفذها قواد الطوابر بدقة .

وأول استعراض لهذا الجيش النظامى، كان فى تيكساس بقبائل غمارة، التى كان يعمل فى تنظيمها الامير امحمد الخطابى، وذلك فى سنة 1923 م، حيث أقيمت له دعاية فى الاسواق تحت اسم الجيش الريفى، وكان يصل فى مجموعه فى ذلك التاريخ الى مائتين، اذ انضم اليه المتقاعدون المغاربة من الجيوش الفرنسية الذين حاربوا فى الحرب العالمية الاولى، وكذلك المتقاعدون من الجيش الاسبانى، أو الذين هربوا من ثكنات الاعداء، وعلى كل فان الامير امحمد جدد تنظيمه فى تيكساس، وأمر الذين انضموا الى

الجيش الريفي ممن عمل مع جيوش الاعداء أن يدربوا الآخرين على
التعاليم العسكرية الاجنبية .

تنظيم السكان في الوحدات القتالية :

وحسب تقارير العسكريين الاسبان سنة 1927 م ، فان القبائل
نظمها على نفس أسلوب الجيش النظامي من ناحية التسلسل القيادي
وكان في التقارير التي حصلت في أيدي الجيوش الاسبانية، أنه فكر في
تنظيم دقيق سواء بالنسبة للقبائل أو القوة المحاربة النظامية بما فيه
قضية التموين الحربي، ونهضة الاقتصاد الوطني التي كانت تشغل
باله كثيرا، حتى يكون الاستغناء على الاعانات الخارجية، وقد وضع
لذلك مشروعا لمدة خمس سنوات، أبرز فيه كل الجهود التي يمكن أن
يبدلها لاجل تكوين امارة منظمة تنظيما عسكريا عسريا وان يستغل كل
الامكانيات التي يعثر عليها من رجاله المناضلين، الذين يعتبرون أهلا
لكل الاختيارات التي يراها، لانهم من الناحية الخلقية الدينية فهم
متحطون بها الى درجة مستحسنة جدا، وهي عنصر هام في تسهيل المهمة،
لان الرجل المتدين له وازع خلقى سالم لتنفيذ أية خطة .

ومن الناحية القتالية فانهم شجعان أقوياء محاربون بطبيعة
تكوينهم، وفوق ذلك فهم متصفون بالعدالة نفسانيا .

ولذا تقول تلك التقارير الاسبانية، فان مشاريعه هذه لم تكن
خيالية، بل كان في استطاعته أن يكون جيشا نظاميا من البواسل يبلغ
تقريبا 80 ألف رجل، وذلك بناء على العملية الحسابية التالية، التي
أجراها المراقبون الاسبانيون :

«فاذا قدرنا ان المنطقة التي حررها يبلغ سكانها 500 ألف نسمة،
يسقط نصفها من النساء والصبيان، يبقى 250 ألف من الرجال، واذا
أخذ منهم من يبلغ ما بين 20 سنة الى 40 سنة، يكون مجموعهم 100
ألف رجل، واذا أسقطنا من هذا العدد من هم مجندون في الجيش الاسباني
أو الفرنسي من رجال المنطقة المحررة، واسقطنا العجزة، يبقى صحيحا
حوالي 65 ألف جندي قوى، على أن السلاح كما أسلفنا لم يكن ليعوزهم،

طالما أن المعارك مستمرة، وانه باستطاعته شراؤه مهربا بطريقة أو بأخرى، فانه كان من الممكن اذا أحرز على الاستقلال أن يكون امارة مثالية فى شمال المغرب» .

الاستعراض الضخم للجيش الريفى :

وقد بدت هذه الافكار واضحة عندما رجع الامير امحمد الخطايبى من الجبهة الغربية، مصحوبا بالجيش النظامى فى سنة 1924 م، حينما تحرشت الجيوش الفرنسية بقبائل ورغة، فقد وصل الامير والجيش الى محكمة بنى بويفرح، وتعتبر مركز القيادة العامة للخط الغربى الشمالى حيث يسرى نفوذها على قبائل بنى بويفرح، وبنى يطففت وبنى اكميل ومسطاسة وقبائل غمارة .

روى قائد الطابور شعيب افلاح قال: جاء الامير مصحوبا بأركان حربه من تغزوت، بعد افتتاح شفشاون وبعد معركة الوطاء الحمراء ببنى حسان، وجاء معه من الجيوش النظامية طابوران اثنان، قوامهما 700 جنديا على رأسهما شعيب افلاح هذا، والقائد موح بن عمر الجوع. وقد وصل الجميع ذات صباح الى محكمة بنى بويفرح، حيث كان على رأس القيادة العامة فيها السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى .

وبعد تنظيم استعراض ضخم أمام الامير، والقائد العام، للجبهة الغربية الشمالية، وناظر الدفاع السيد احمد بودرة، وناظر الداخلية السيد اليزيد بن الحاج حمو والفقيه بولحيا، مع جمع من زعماء القبائل الذين جاءوا لملاقاة الامير .

وقد ملك هذا الاستعراض اعجاب الحاضرين، اذا جاء بعد الانتصارات المحرز عليها ضد الجيش الاسبانى المنسحب من شفشاون ووادى لو، وتلامبوط، وجميع المراكز، التى كانت خارج تطوان، كما كان أول استعراض للجيوش النظامية فى الريف .

وبعد كل ذلك، تقدم قائدا الطابورين بابلاغ القائد العام الذى يعتبر رئيس الجيش المباشر ما دام الجيش فى منطقة نفوذه، تفاصيل عن عدد الجيوش والضباط، وحالتهم المعنوية والاجتماعية .

واثر ذلك أصدر القائد العام الامر اليومي بتسيير ما يحتاجه الجيش للمبيت، من الاخبية والمؤونة وعلف الدواب، فكانت ليلة مريحة، شعر فيها انفار الجنود والاهالى بالاعتزاز .

وفى غده ارتحل الامير، وارتحل الجيش معه، ولما وصلوا الى سوق أحد بقيوة، تقدم الامير الى آيت قمرة مع أركان حربه، أما الجيش فقد بات في سوق الاحد حيث كان على رأس هذا المركز القائد علوش بن شدى وفى غده التحق بآيت قمرة، وقد أصدر الامير ابن عبد الكريم الامر اليومي بأن يتحرك الجيش الى محكمة ازغار، حيث يجب أن يعسكر هناك، الى صدور أمر جديد، وذلك لاجل اقامة احتفال كبير يتناسب والانتصارات التى أحرزت عليها الثورة في جميع الجهات، حيث كانت منطقة الثورة تمتد من ضواحي تطوان وطنجة والعرائش الى حدود قبيلة قلعية، أى جبال الريف تقريبا كانت تحت نفوذ الثورة. وقد جرت احتفالات شيقة في قرية أزغار، لعب فيها أصحاب الخيول لعبة البارود، الذين تقاطروا من مطالسة وبنى توزين وكزناية وتمسامان وبنى وليشك .

وهكذا أصدر الامير الامر اليومي بعد الاحتفالات بأن يستريح الجنود لمدة 15 يوما، تعطى الرخصة بالتناوب على أفواج منه، وذلك استعدادا للرحيل الى ورغة، لفتح الجبهة الجنوبية مع الجيش الفرنسى الذى كان تحرش مع قبائل ورغة، والذى طرد الحامية الريفية التى قوامها خمسون جنديا، والتى كانت معسكرة في قبيلة بنى ونجل، تحت قيادة السيد عبد الكريم البحرى من أجدير حسبما سيأتى مفصلا عند الكلام على الجبهة الجنوبية .

تنظيم الصحة :

ان اقامة جهاز لعلاج السكان من الامراض التى اشاعتها بالخصوص القنابل السامة التى تسقطها طائرات العدو بدون هوادة، وبدون التمييز بين النساء والمرضى والعجزة وبين المجاهدين في ميادين القتال، كانت شغل ابن عبد الكريم الشاغل .

فقد استقدم أحد الاطباء المغاربة من فاس يعرف في الريف بالمحبوب، وهو ملون البشرة، وكان نظيفا حسن المعشر، وله خبرة واسعة في الطب العام، وكان عمله شاقا، نظرا لعدم وجود أى مستشفى أو مستوصف يتوفر على أدوات العلاج والادوية، ومع ذلك فقد قام بمجهود، وان كان محدودا الا أنه يعتبر نواة مع ما يجده في الاهالى من استعداد للقيام بعلاجات بدائية من تضميد بالنباتات ومن القيام بأعمال جراحية بدائية لاستخراج شظايا الرصاص من أعضاء المجروحين، ومن جبر الكسور بطريقة شد القصب على العضو المكسور الى غير ذلك من تلقيح الجذرى وداء الكلب .

ورغم ان الاسبانيين، زعموا أن حرب الريف ما هى الا معركة قام بها عصاة، وانهم بذلك لا يستحقون الاستفادة من أعمال الصليب الاحمر. فان ابن عبد الكريم فى نطاق الاحتياجات استقدم سنة 1923 م، طبيبا، وقابلة فرنسيين، وتدعى القابلة الأنسة بونزو، حيث بدأ فى علاج أخت الامير التى كانت فى حالة النفاس، التى سببت لها فى اعراض مرضية خطيرة، وقد شفيت بعناية هذا الطبيب، الا أنه لم نعثر على مدة بقاء هذه البعثة بالريف، وما هى الأعمال الصحية التى قامت بها الا ما نعلمه من كاتب فرنسى آخر يسمى فونتين فى كتابه «الظاهرة الريفية العجيبة» الذى حكى أشياء غريبة عن علاج أخت الامير، اذ زعم «أن المريضة تمنعت أن يراها الطبيب مفضلة الموت على ذلك، وانه سمح له (فونتين) بالدخول، وكان يتصل بالطبيب فى غرفة أخرى تفلونيا، ليعلمه بالامراض التى تعاني منها» .

وبالبداهة، فان المرء لا يستشيع هذه الحكاية، ذلك أنه اذا سمح له برؤية المريضة، وهو أجنبى أيضا فلماذا منع الطبيب بالخصوص، وثانيا فانه كان هناك قابلة وهى امرأة لا تمتنع المريضة منها، وهى أقرب الى قبولها من فونتين .

وقد ذكر أن الدخول الى آيت قمرة كان فى مارس 1923 وانه رجع الى الريف فى شهر ماي لمعالجة المرضى بالجذرى، ولكن لم يذكر هل البعثة الطبية ذهبت معه الى فرنسا أو بقيت فى الريف .

على أنه من المعلوم أنه في بحر سنة 1925 م، جاءت بعثة فرنسية وجهها الصليب الاحمر، تحت اشراف طبيب فرنسي يدعى (كود)، كان الغرض من مجيئها معالجة المرضى الفرنسيين، ولكن البعثة اسدت كثيرا من الخدمات الانسانية للاريف .

وقد استغل ابن عبد الكريم فرصة وجود الدكتور (كود)، فطلب منه أن يخطط لمستشفى كبير في الموضع بأعلى أجدير، في أرض عين حلوف بالراس الجديد، وكان الدكتور وافق على ذلك وظهر استعدادا لخدمة الانسانية في هذا البلد المعزول عن الحضارات التي ينعم بها غيره، نظرا لجشع الاستعمار، الا أن المشروع فشل لسبب الهجوم العام الذي قام به الجيش الاسباني على أجدير .

تنظيم العديلة :

كان هذا الجهاز أيضا يشغل بال الامير، لانه جماع أمر الجنس البشري الذي يراد له أن يحفظ في ممتلكاته، واعراضه، ودينه التي هي أمور ضرورية للحياة الجماعية في الوحدات السكنية، مهما كانت البدائية، أو كانت الحضارات .

وقد رأى أن التشريع الاسلامي كفيل بكل احتياجات الانسان في ميدان الحياة العامة، ولا ينقصها الا تطبيق مصادره على الوجه الذي أريد منه .

وهكذا كانت المالية تجبى عن طريق القانون الشرعي من الزكاة والاحباس مثلا، وقد نصب على رأس كل قبيلة قاض، يفصل بين الناس، طبقا للتشريع الاسلامي ولا دخل فيها لرؤساء المحاكم (الادارات) بل القاضي يصدر حكمه بوحى من المصادر التشريعية الاسلامية وبكامل الاستقلال .

ويجدر بي أن أذكر قصة كنت عشتها، وأنا تلميذ في كتاب قريتنا «الربضة»، ذلك أنه بايعاز من والدي عين الفقيه الامام لمسجد القرية وهو العلامة النحوي الصوفي شيخى وعمدتي في المرحلة الابتدائية السيد محمد بن محمادي التوزاني الحساني قاضيا على بنى بوعياش،

وكان المسجد هو موضع التقاضي حسبما هو مستحب لدى أئمة الفقه الاسلامي، تسهيلا على المتقاضين، لان المسجد محل عمومي يؤمه كل واحد فكان لعمي السيد محمد بن الحاج محمد خصومة مع بعض أفراد جماعة خربوش في شأن عقاره، ولما كان عمي لا يتوفر على الحجج الكافية، فان القاضي حكم عليه، مما أثار حفيظة عمي ففارق مجلس الحكم تعنتا فما كان من القاضي الا أن تبعه وأمر المتقاضين جميعا أن يكونوا عوناً للقضاء، وأن يرغموه على رجوعه لتنفيذ الحكم عليه، ففعلوا، وسر أبي كثيرا حيث لم يجعل القاضي في حسابه أن الذي عينه هو شقيق المحكوم عليه .

وهذا ان دل على شيء، فانما يدل على مدى استقلال القضاء لدى قادة الثورة .

أما ما يخص الاحكام التي يستوجب الاعدام أو قطع بعض أعضاء الجسد في السرقة مثلا، فان ذلك موكل الى الفقيه السيد ابن علي بولحيا، الذي يرأس مجلسا للقضاء يتكون من الزعماء المرموقين من الناحية الخلقية، وصفاء الطوية، وشهامة المجاهد، وغالبا ما يكون ذلك اما قصاصا حسب الآية القرآنية «ولكم في القصاص حياة» ويدعى هذا المجلس محكمة الشعب .

وقد وقعت حادثة فريدة من نوعها، اذ قتل الشخص المدعو الازعر من قبيلة بقيوة الزعيم المدعو مورو السبي بيرا من بقيوة أيضا، فأحيل على المجلس القضائي الذي أصدر الحكم باعدام القاتل، واعطى السلاح لورثة المقتول بموجب أنهم أولياء الدم، فنفذ فيه القصاص، وتحققت حكمة الآية «ولكم في القصاص حياة يا أولى الالباب» فان هذه الحادثة التي مرت على وجهها الشرعي قضت على الانتقام للضغائن الدموية فحفظ جنس البشر من الاغتيالات وهو عين الحياة .

أما حادثة قتل السيد احمد بورجلة الذي قتله سلام بن حدو ابن المراتب على، فان القاتل هرب الى دار بالسواني، ولما طلب بتسليم رأسه للعدالة أخذ يطلق النار، الامر الذي تبودل معه اطلاق النار فجرح ثم مات، فلم تتمكن العدالة من اصدار الحكم عليه، لانه كقاتل نفسه،

الا أن حالات الاعدام بسبب خيانة الثورة، فهي متعددة، فقد أعدم شعيب ابن الحاج تهامي لانه أرسل أخاه الى مرنيسة لدى عمر ابن احميدو الذي اعتبر عميل الجيش الفرنسي، وسبق أن تمرد على المجاهدين، وأطلق النار عليهم من داره بمرنيسة فصرع أربعة منهم .

كما أعدم عمر سينتو البقيوى، شقيق القائد حدو الاكل، وذلك في تهريبه لجماعة من الاسرى من سجن آيت قمرة عوض رشوة مبلغها 35 الف بسيطة لكل جندي عادى، ورغم انها لم تتم نظرا لعرقلة هياج البحر وكان ذهب الى الجنرال حاكم الجزر الجعفرية، واتفق معه على كيفية التهريب، وأخذ الثمن، فحوكم من طرف المحكمة الشعبية، وأصدرت الحكم باعدامه، فأعدم حالا، كما أعدم شريكه من آيت قمرة .

وكما أعدم موح بن سعيد المدعو القائد الورياغلى الذى كان منخرطا في الجيش الاسبانى برتبة ملازم أول، وقد حصل على ثقة الاسبانيين، وقام بادوار في جزيرة الحسيمة، ولما جاء مع حركة ابرابو فى تيكساس، القى عليه أحد المجاهدين القبض فحوكم وأعدم كما سبق. وكان ينعقد مجلس المحاكمة غالبا في مسجد المجاهدين، بموضع نادى البحر الابيض المتوسط الآن .

أما موح أزرقان وولده عمر الذين ارتكبا خيانة ضد الثورة، حينما سولت لهما نفسيهما أن يذهب الولد عمر أزرقان الى مليلية، واتفق مع حاكمها السياسى ان يبدأ الاغتيالات فى صفوف المجاهدين، ابتداء من والدى السيد عبد السلام بن الحاج محمد، الى ابن عبد الكريم، وزود بالسلاح والذخيرة، فان الغالب أن احدهما وهو الوالد موح أزرقان لم يحاكم بل أعدم فى تمسينت بعدما هجم الجيش الاسبانى بحرا على بنى ورياغل، أما ولده عمر فقد حوكم قبل ذلك وأعدم .

وكما أعدم أيضا محمد بن الحاج عمر التفرسيتى لخيانة الثورة لاتصاله بمليلية، برئيس مصلحة الشؤون الاهلية، لتدبير مؤامرة ضد الثورة .

الاهتمام بالتعليم :

وفى نطاق تكوين الاطر للثورة فان الاهتمام توجه نحو تنظيم التعليم تنظيما عصريا يتلاءم وأهداف الثورة، لتكوين المؤسسة على قواعد عصرية، وكانت باكورة الاعمال فى هذا المجال هو تأسيس :

1 - مدرسة بأجدير عاصمة الثورة استقطب الشبان الذين حصلوا على جملة صالحة من التعليم، وكان برنامج التعليم الذى وضعه ابن عبد الكريم بنفسه يشمل الرياضيات والعلوم، والقواعد العسكرية العامة، وعين لادارتها أحد علماء بنى ورياغل، وهو العلامة السيد محمد ابن الحاج حدو من قرية ازغار، الذى كان مثالا للرجل الوطنى الصالح، وكان ابن عبد الكريم يشرف عليها اشرافا مباشرا بحيث يزورها كلما سنحت له الفرصة، ويختبر التلاميذ فى معلوماتهم، ويسدى النصائح للادارة، ووضع مرتبا للمدير بمبلغ 20 ريال اسبانيا، وكان مبلغها مغريا فى ذلك التاريخ .

2 - مدرسة زاوية ادوز معقل الشيخ الحاج حسون البكرى بقبيلة بقبووة، وقد اشرف ابن عبد الكريم بنفسه فى وضع منهاجها فى احدى تحركاته الى تلك الجهة، حيث أقام عليها مديرا الفقيه السيد محمد مشبال أحد علماء قبائل غمارة، وقد استقدمه بعدما طرد فقيها كان فى الزاوية المذكورة، بعد ما حاول معه أن يفهم فى أمر التعليم فلم يتفهم، وعين له نفس المبلغ .

3 - كما أنه لم يغفل أيضا التعليم الدينى ففى شفشاون أسس معهدا دينيا بواسطة أخيه السيد امحمد الخطابى وعين فيه مديرا الفقيه العمرتى بنفس المرتب .

وهكذا فى جميع الجهات، فضلا عن التعليم العام الذى فى مساجد القبائل التى غيرت مفاهيم التعليم بادخال أناسيد وطنية والحساب .

شعيب أفلاح يروى المعارك الاولى فى قبائل غمارة :

عند انتهاء شتاء سنة 1922 بعد احراز الانتصارات بالجهة

الشرقية وقد وصلت اصداؤها الى قبائل غمارة، فتلقوها بالاكبار والاعتزاز، فان هذه القبائل كونت وفدا هاما يضم حوالى 300 زعيما وعالما، جاءوا حاثين السير الى ابن عبد الكريم، ذلك الرجل الذى رن اسمه مقرونا بنلك المارك والذى دعى صنيع الانتصارات، ولما وصلوا الى بنى ورياغل، وجدوه فى قرية أمزون، حيث محل عقد المؤتمرات بعيدا عن انظار جزيرة الحسيمة، بعدما كانت تعقد فى أربعا، سيدى أبى العفيف على ضفاف وادى غيس .

وكان الغرض من عقد ذلك المؤتمر :

1 - عرض نتائج الانتصارات التى أحرزت فى الجبهة الشرقية انطلاقا من ابران، الى أسوار مليلية، حيث اتسع نطاق المساحة بين بنى ورياغل، والخطوط الامامية حول مليلية .

2 - تقديم اقتراحات فيما يخص الامدادات التى يجب أن يستمر بعثها الى مراكز القتال، وتنظيم الارشاليات القتالية بالتناوب، حتى لا يتطرق العياء الى المجاهدين .

3 - دراسة كيفية تموين المجاهدين الذين ابتعدت الثقة عنهم، وفيما اذا كان الاستغناء بمؤونة القبائل التى أجلى عنها جيش العدو .

4 - تنظيم مسؤولية القبائل الداخلية حتى لا تنبعث الضغائن الدموية فيما بينهم .

وقد وصل الوفد عند ما كان الاجتماع منعقدا، فجاءوا يرددون الاستفتاح التالى :

أهل الله جنناكم قصدنا حماكم
ولولا فضل الله لما زرناكم

وقد تقبلهم ابن عبد الكريم، ورحب بهم، فتقدموا بالتهنئة واشتكوا لقائد الثورة ما عليه قبائلهم من فوضى طالبين أن يعيرهم قسما من خبراته الاسلامية والحربية، لكى يستتيروا بأرائه فى تنظيم شؤون قبائلهم على أن يبعث اليهم أخاه امحمد الخطابى يقوم بالمأمورية على أن يجد منهم طاعة وعونا، فأجابهم ابن عبد الكريم الى ذلك، وأمرهم بأن يرجعوا الى بلادهم ليهيئوا الجو المناسب على أن يلحق بهم أخوه

عندما يجهزه بالرجال الاكفاء، والمعدات الحربية، مما غنمت في معارك الشرف بعدما يتم احصاء وضبط الاسرى، وقد استمروا طيلة مقامهم بالدعاء للمجاهدين بالنصر، وقامت قبيلة بنى ورياغل بضيافتهم على أحسن حالة .

وهكذا بعد أن هيا قوة تتكون من حوالى ألف مجاهد، مشهود لهم بالمهارة القتالية، أرسل أخاه على رأس تلك القوة، فقد خرجت من أجدير في يوم مشهود، وقد قطعت المرحلة الاولى الى بنى بويفرح حيث حطت الرحال في جنانات، وكانت تحمل مدفعين اثنين على ظهر البغال مع ذخيرتها، ثم قطعت مراحل أخرى على الترتيب التالى: مرحلة تالوت بقبيلة مثوية، مرحلة خميس ووزاي ببني خالد، مرحلة الخميس بقبيلة بنى سلمان، مرحلة سوق أحد بنى زيات، وهناك حطت الحملة رحالها، للاستقرار، وجعلها مركزا للعمليات .

وكان على رأس تسيير المدفعين الطبيحيان :

1 - شعيب افلاح المذكور وهو من بنى ورياغل نصب مدفعه بموضع تندمنت، شرقى تيكساس، حيث يوجد مركز جيش العدو .

2 - محمد بن الحاج مسعود الاجديرى، نصب مدفعه بموضع «كلدت» غربى تيكساس، وكان مستشارى قائد الحملة السيد احمد بودرة، وصديق الشاوى وعلوش بن حدو بن على البقيوى، وكان هذا الاخير هو الواسطة بين قبائل غمارة وبين السيد امحمد، عندما مر بقبائل غمارة، التى كان يجتمع الى أعيانها، لاختد رأيهم فى حشد رجالها للجهاد، وكيفية تموين المجاهدين، وقد كان يبدو على القوم أنهم مستعدون للتضحية بكل ما يقدرون عليه من جهد وتجمع منهم حوالى عشرة آلاف شخص .

وهكذا احتشد الرجال الى مركز المجاهدين بأحد بنى زيات، فبدأ انشاب القتال على موقعين اثنين للعدو، فجماعة من المجاهدين بما فيهم الارياف وغمارة الى حامية «قاع اسراس» على الضفة الشرقية لوادى لو، وجماعة قليلة بقيت مع المدفعين الذين يصبان النار على قشلة تيكساس، بسيدى احمد بوزيد، واستمر القتال سبعة أيام، لم

يحرز أى من الطرفين على الانتصار، وقد بدا للمجاهدين أن يتراجعوا عن القتال، نظرا الى أن قبائل غمارة بدت تتراجع عن حماسها، مما فت في عضد بنى ورياغل، الذين رأوا أنهم أفرطوا فى الاتكال عليهم وبالاخص فيما يخص تموينهم، الذى هو ضرورى لوجودهم، فقامت جماعة تتكون من حوالى 200 مقاتل من بنى ورياغل، واقترحت الرجوع من حيث أتوا وهنا كان للطبجى شعيب أفلاح موقف حازم، اذ نادى جهارا فى القوم بأنه عار وشنار أن نرجع ونترك المهمة التى جئنا من أجلها عرضة للضياع، وعلى كل فان الخوف تسرب الى الجميع، لان رجال غمارة سرعان ما ينقلبون مع انقلاب التيار الذى يعصف بهم. فالقائد الخطابى ورجاله يتوقعون كل لحظة أن يهاجموا من جهة غمارة، وقد قطعوا عليهم التموين، الا ما يشترونه. وقد يمنعون عليهم حتى الشراء، ولذا فكر أولا: وضع شعيب افلاح على رأس حراسه، وزوده ب ذخيرة لبندقيته، وأمره أن لا يبتعد عنه. ثانيا: كتب رسالة على لسان قبيلة الاخماس اليه نفسه، كأنهم يعلمونه بالقدوم عليه، للاتصال به فى موضع ازلكان، بين قبيلتى بنى خالد وبنى سلمان وأرسل علوش بن حدو بن على البقيوى بها الى رجال غمارة، ليقرأها عليهم وأعلمهم بأنه عزم على الرحيل الى ازلكان، وكل ذلك اتقاء لشركهم حتى لا يأتوا بحركة ضدهم، لان الاخماس كانت لها غلبة على قبائل غمارة، عند نشوب خلاف دموى بينهم حيث تركن تلك القبائل الى الدعاء على الاخماس بقولهم «الله افلس الاخماس» ، وقد وصل الارياف الى ازلكان، ومن الصدف انهم وجدوا هناك بعض رجال الاخماس، وقد رحل السيد امحمد وقومه الى أن وصلوا الى باب برد، وهناك وجدوا رجال غمارة قد اعترضوا طريقهم، فبدأوا بالتحرش معهم اذ طالبوا القوم بأن يشتروا ثورا يذبحونه على قبيلة بنى خالد، لكى يتركوهم يمشون، واذا شاور القوم فى الامر، فقد اعترضوا على الخضوع لهم، وكان من بين المتحمسين الطاهر الولقاضى، وعلال بوضريمت وعلوش بن المدنى وقالوا اننا سنمر بالقوة . وهكذا طلبوا من السيد امحمد أن يركب على فرسه، كما ركب

من كان له مركب، ثم تابعوا السير شاهرين أسلحتهم مخترقين وسط جموع قبائل غمارة، التي بقيت مشدوهة، لا تقدر على الاتيان بأدنى حركة، خوفا منهم، وقد همس بعضهم الى بعض قائلين: «اتركوا المصيبة تمر» .

وقد استمر السير الى أن نزلوا على الشيخ حمامو من قبيلة بنى رزين، فاستضافهم وأحسن ضيافتهم ثم رجعوا الى الورا حيث نزلوا بقبيلة بنى سميح بتالا الحسن، ومكثوا هناك شهرا كاملا، كان الأمير خلالها يكتب الرجال العقلاء من غمارة، وبنى سدات، وبنى كميل، ومسطاسة، وقد تقاطر الرجال، واسترد القوم قوتهم، وجعل رجال غمارة ينقلبون مع التيار الجديد، ثم قفل الجميع راجعا بما تبقى لديهم من رجال بنى ورياغل الى الجبهة ثم الى الريف .

الهجوم على جزيرة بادس :

بعد أن رجع من قبائل غمارة بدا له أن يهاجم جزيرة بادس، وهي تقع في حدود قبيلتي بقيوة وبنى بويفرح، وكان حمل معه مدافع أربعة، وكان يرأس الطبيجين الاشخاص التالية :

احميدو اعراص من أجدير، شعيب بن المعلم من أجدير، شعيب بوجبار من أجدير، عمر بن الحاج من بقيوة من مدشر تذكنت، وقبل الهجوم فتحت المدافع نيرانها على الجزيرة، ففتحت فيها ثغرة في الطابق الاول السفلى وحينئذ تقاطر المجاهدون بدون وجل للدخول من الثغرة وكان امحمد الخطابي يسير العمليات الهجومية من غار يدعى «غار المشور»، وكان بيده منظار مقرب يرفع الجزيرة كاملة أمامه، وكان حماس المجاهدين كبيرا، ومع ذلك فلم يمنوا بخسائر كبيرة في الاول، وانما استشهد شخص واحد من قرية تفنسة من قبيلة بقيوة .

ودام حصار الجزيرة لمدة شهر كامل، رغم وجود الحماية من البحر التي تقذف حممها على المجاهدين والتي كانت السبب العائق لاستسلام حامية الجزيرة، الا أنه رغم عدم استسلامها فان المعركة كانت نصرا بالنسبة لما أقدم عليه السيد امحمد، ذلك أن القبائل المحيطة

بالجزيرة جاءت تسعى كلها للمشاركة في الهجوم، وكانت سمعت عن الانتصارات في الجبهة الشرقية، فأرادت أن تحرز شيئاً من هذا القبيل، واعتبر هذا الهجوم خطة حربية هامة، نظراً لاستقطاب تلك القبائل بما فيها قبائل غمارة، التي لاجلها شد الرحال لتنظيمها، وعليه فإنه استوفى غرضه من المعركة، فإذا لم يصل إلى هزيمة العدو، فإنه كسب تلك القبائل المحيطة بالجزيرة .

امحمد الخطابي في مهمة دبلوماسية :

واستعداداً للأيام المشهودة التي يجود بها الزمان في خضم الأحداث التي يعيشها العدو، فإنه قرر :

1 - تعزيز الجبهة الشرقية بالمناضلين الأشداء على أن يقود المعارك هناك ناظر الدفاع السيد عبد السلام البوعياشي، ويكون الخط ممتداً ما بين ميسار وتفرسيت وسيدى مسعود .

2 - تعزيز الجبهة الغربية بالأمير امحمد الخطابي على رأس الجيوش النظامية والمجاهدين المتطوعين وقبل القيام بالعمل الحربي في الجبهة، تقرر بعث بعثتين اثنتين إلى عواصم أوربا التي لها احتكاك بالشمال .

وهكذا بعد رجوع امحمد الخطابي من تحركاته إلى غمارة وبعد هجومه على جزيرة بادس عقد الزعيم ابن عبد الكريم اجتماعاً حضره كل من أخيه امحمد وعمهما السيد عبد السلام وصهرهما السيد محمد بوجبار وصهرهما السيد حمادي الحاتمي، كما حضره من بنى بوعياش السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشي، وحضره من بقبوة حدو الاكل وقد عرض الزعيم فكرة ذكر لهم أن أخاه هو الذي ابتكرها، وأنه بدت له مواتية، ولذا فهو يتبناها وشرحها لهم حسب التالي :

- 1 - من المعلوم أن فرنسا قد احتلت الشق الجنوبي من المغرب، ولذا فإن عملنا في الشق الشمالي يعنيها بالذات وانها وان التزمت الحياد الآن فإن الحوادث التي تجري هنا تدق منها على الوتر الحساس.
- 2 - ولذا فإن اكتفاءنا بالانتصارات الحربية وحدها لا تجدينا

في الميدان الدولي وبالأخص أن الاستعمار الاوربي الآن ينظر الى الاقطار الشرقية بنظرة الاحتقار، ولا يسمح لنا أن نحزر امجادا حربية على حساب سمعته .

3 — وقد فكرنا الآن أن نقوم بحركة دبلوماسية لتؤازر عملنا الحربي وذلك ببعث بعثتين: احدهما الى فرنسا التي كما أشرنا، يعنينا أمرنا مباشرة، وذلك لاتصال برجال حكوماتها واحرار شعبها لعجم عود الجميع ومعرفة الاستعداد لاستغاثة تضحياتنا ضد اسبانيا، وقد توخينا من فوائد ذلك على الحد الأدنى ان نعرف دولة فرنسا اننا معها في سلام وان احتلالها للجنوب لا يزعجنا ما دام هي لا يزعجها انتصارنا هنا. أما انلكترا فانها يعنينا أمرنا أيضا لموقع جبل طارق من أرضية معاركنا الآن مع اسبانيا ومالها من المصالح في مدينة طنجة التي لا يفتأ انتصارنا أن يصل اليها .

4 — ونظرا الى أن أخى امحمد عاش وقتا في احدى عواصم أوربا وهي اسبانيا وعرف أساليب سياستهم وتقاليدهم وطرق التواء سياساتهم فأنى أقترح أن نعينه للبعثة التي نوجهها الى فرنسا يرافقه في ذلك السيد حمادى الحاتمي نظرا لحيويته مع ما يتحلى به من الثبات، ونعين السيد امحمد بوجبار لبعثة انجلترا لما له من مزايا كبح جماح السرعة ولما يتحلى به من برودة الدم مثل رجال انكلترا، يرافقه السيد عبد الكريم اللوه .

وهكذا كلف حدو الاكل بتهييء جواز سفر امحمد الخطابي والحاتمي من الجزائر، أما بوجبار ورفيقه فقد هيبى لهما جواز السفر في طنجة بواسطة بنكريستو بلقيش لعبد الكريم اللوه، وفي فاس لبوجبار. وفعلا سافرت تحت ستار التخفي البعثة الاولى خلال سنة 1923 عن طريق فاس فالدار البيضاء حيث مكثت فيما بين فاس والدار البيضاء مدة 20 يوما تنتظر الفرصة للسفر .

ثم سافرت الى باريس تحت أسماء مستعارة، وقد وجدنا ان أبواب الوزراء التي يطرقونها موصدة ضدهما فاتصلا بالاحزاب الاشتراكية وقد اظهر زعماءها تفهما لآذايا الاستعمار التي يناهضونها، ولكن لم

يكن في ذلك كفاية، فانقلبا راجعين، بعدما مكثا في باريس قرابة سنة لم تسفر عن أية نتيجة، الا ما كان من النتيجة الواحدة، وهى أن مبدأ الاستعمار مبدأ واحد اينما كان، وان ما كان متوقعا منه قد بدا واضحا وان على الثورة الزيفية ان تعتمد على نفسها وعلى توضحياتها لكى يضى اليها أساطين الاستعمار في فرنسا كما في اسبانيا .

وحتى عندما عادا من باريس عن طريق الجزائر وجدا صعوبة كبيرة للوصول الى الريف نظرا الى أن الدوائر العسكرية الفرنسية فى الجزائر شددت الحراسة على الحدود بين المغرب والجزائر لما علمت عن طريق رجال المخابرات الفرنسية من أن الرجلين الذين كانا في باريس قد غادراها للرجوع الى الريف، فشددت الحراسة عسى أن تعثر عليهما، وبفضل الطرق المخفية تمكنا من الافلات من قبضتهم .

أما وفد بوجبار فقد ذهب الى لندن عن طريق طنجة وقد قابل اللورد سيبيل وطلب منه المساعدة لاجل عرض قضية الريف على العصابة الاممية، وذلك على الاقل لاجل نفى مزاعم العسكريين الاسبانيين من همجية الريف ولألفات نظرها الى نضال الريف، لاجل حريته ضمن مجموعة أحرار العالم الذين ييغون العيش فى سلام ووئام، وبالاخص مع جيرانهم وان الريف ينسى كل الآلام التى أحدثتها المعارك الدامية التى جرتها اسبانيا فى ربوعه، وانه مستعد لنسيان كل ذلك لخير الشعبين. وقد رجع بوجبار أيضا كما رجع زميلاه مقتنعا بالمبدأ الصحيح القائل «الاستقلال يؤخذ ولا يعطى» .

ومما تجدر الاشارة هنا أن بعث البعثتين معا الى الخارج كانت تحت الكتمان من رجال الريف، ولذا كان الاجتماع الذى نوقش فيه مصغرا مقتصرا على الخواص، وقد تبين فيما بعد أن هذا التدبير كان سالما، اذ عندما علم به بعض الزعماء الآخرين سارت بينهم همسات فى شأن ارسالهم الى عواصم النصارى الذين هم أعداء الاسلام كما يفهمون .

وقد جاهر بعضهم وهو شعيب بن الحاج تهاى الدردوشى فى تحد سافر لما عقد ابن عبد الكريم مؤتمرا فى زاوية آل هشام لاجل الحوار مع شعيب المذكور، عن بعث أخيه الحاج حمو الى عمر بن احميدو

المرنيسى الذى بدا منه تمرد على الريف فأجابه، وأنت أيضا أين بعثت أخاك؟ وقد كاد زمام الامور أن يفلت من أيدى الجميع لولا ثبات بعض زعماء بنى ورياغل، وقد أدى ذلك فيما بعد الى اعدام شعيب بن الحاج تهاى فى ظروف أشرنا اليها فيما قبل .

توزيع العمل الحربى :

وعندما استجمع ابن عبد الكريم هذه النتائج المرة وعرف عن كثب بواسطة البعثتين أن لا سبيل الى الخلاص من الاستعمار الا مجد السلاح، فانه على ضوء ذلك عمد الى توزيع المسؤوليات الحربية فوكل لنفسه أمر تسيير العمل الحربى مباشرة على الجبهة الشرقية، ووكل الى أخيه التسيير على الجبهة الغربية على أن يتولى تأليف جيش يكون نواة للقوة النظامية، الذى كان يتمتع بسمعة المقاتل الصنديد الكفو لما أقدم عليه وبالاخص فانه يعتبر مثقفا عاليا أحرز هندسة المعادن .



امحمد الخطابى
وهو طالب فى مدرسة
الهندسة بمدريد

المناضل امحمد الخطابي فى جبهتى جباله وورغة



من هو البطل امحمد الخطابي

كما سبق أن قلناه عن الزعيم ابن عبد الكريم، من أننا لا نضفى أوصافا من وحي قلمنا، وانما نستشهد بأقوال أعداء الثورة الريفية فى ابانها، كذلك نستشهد هنا أيضا بما قالوه فى حق بطل معارك غمارة وجباله ووادى ورغة .

فقد وصفه الجنرال غوديد فى كتابه «المغرب ومراحل التهذئة» فقال: «انه كان العضد الايمن لاختيه (ابن عبد الكريم) وهو متخرج من مدرسة الهندسة الاسبانية بمدريد، وهو بطل شجاع، يظهر أنيقا بمناظره التى يلبسها على عينيه، قاد الهجوم ضد الجيش الاسبانى فى جزيرة بادس، وقاد جحافل المحاربين الارياف الى جبهة جباله، فهجم هناك على الجيش

الاسباني، ورد الامور الى نصابها، حتى بين تلك القبائل التي حاولت التمرد، ثم قاد حملة أخرى الى جبهة قبائل ورغة حيث اصطدم مع الجيش الفرنسي» .

وقال المراسل الاميركي «شيان» مراسل جريدة «شيكاغو تريبيون» «أنه زاره في الجبهة الغربية، حيث وجده في خيمة كبيرة، بيضاء، تعج بركام من الاوراق ومجموعة من نماذج الصخور التي جمعها من مختلف أرجاء الريف، وكان ضليعا في علم المعادن، ومهندسا عسكريا» .

وذكر غر ابيلي المراقب السياسي الافرنسي في تاويريرت في ذلك التاريخ «ان جهاز الهاتف الريفي، كان من صنع امحمد بن عبد الكريم، الذي كان طالبا في مدرسة المهندسين الاسبانية» .

وقال المراسل الاميركي وارد برايس مراسل ديلي ميل الذي زار الريف عام 1923 «كان امحمد الخطابي في الثانية والثلاثين من عمره، وقد برهن على أنه اداري كفؤ وقائد ممتاز» .

«ومهما يكن من شيء فان تعاونه القلبي، واخلاصه التام، كانا عاملا عظيم الاهمية في النجاحات الريفية» .

وانه يمكن أن يكون رئيسا للاركان مثاليا» .

وأهم من ذا وذاك، ما قاله أحد قادة الاسلام العصاميين، الذي أنجبه هذا الوطن العزيز، في سلسلة من أنجب من العظماء، وهو الزعيم الخالد الاستاذ علال الفاسي .

فقد قال في حقه وأخيه الكبير وعمهما هذه الشهادة الماثورة (1) «وقد ساعدنا الحظ بالاجتماع بالامير الكبير وأخيه (امحمد الخطابي) وعمه، فرأينا منهم روحا متيقظة، وفكرا متتورا، وعزما على النضال لا يكده، الامر الذي يدل على أنهم من الابطال الممتازين، الذين يفتخر بانجابهم» .

(1) المغرب العربي منذ الحرب العالمية الاولى ص 134 .

امحمد الخطابي يقود المعارك على الجبهة الغربية

بعد فشل المحاولة الاولى لتلتف قبائل غمارة حول الثورة الريفية التي قام بتجربتها البطل امحمد الخطابي، وبعد الرحلة الدبلوماسية التي قام بها الى فرنسا بعد ذلك مباشرة، والتي باءت بالفشل أيضا كما أسلفنا، رأى ابن عبد الكريم على ضوء هذه الاحداث التي أتت بعكس ما كان الاستعمار يقدرها من الفت في عضد الثورة فكانت النتيجة شد عزيمة المجاهدين ليبرهنوا لأولئك المتربصين، أن السلاح هو خير المفاوض الذي يسمع صوته باهتمام، قرأه على توجيه الضربة الاخرى على أبواب مقر القيادة العامة للجيش الغازية بتطوان، التي طالما جذبت الحبل مع المجاهدين الذين يقطنون على حدود الخط الممتد من «واد لو» الى شفشاون فأصيلا والقصر الكبير .

الجيش النظامي يتحرك :

ولتفادي ما عسى أن يحدث من تفكك المتطوعين، ولضمان عناصر النجاح الاولى للحملة، فانه شرع في تنظيم كوكبة من الجيش النظامي، وبعد اتمام التمرينات الاولى رحل هذا الجيش الى قبائل غمارة حيث التحق بالقائد عبد الكريم الحتاش من أجدير قائد تلك الجبهة المحلية، اذ ذاك، وكان يقيم في مركز بأعلى تيكساس من قبيلة بنى زيات الغمارية حيث كان يعسكر بالمتطوعين من المجاهدين الارياف ومن انضم اليه من قبائل غمارة، معسكرين قبالة معسكر العدو على الشاطئ، من تيكساس الى «ود لو» .

وعندما التحق هذا الجيش بقبائل غمارة ففتح المجال للمجاهدين الذين كانوا في حالة تطوع للانخراط فيه، فلم ينصرم عام 1341 هـ. حتى كان هذا الجيش يصل الى 300 جنديا على رأس كل مائة قائد، فكان شعيب افلاح قائد مائة وموح بن عمر الجوع من بنى ورياغل قائد مائة

ومعه قائد الخمسين عمر بن موح بن سعيد، وعمر بوكليط من بقيوة قائد مائة .

وعندما استكملت هذه القوة تنظيماتها اللازمة، شنت هجوما معززة بالمجاهدين المتطوعين على مراكز العدو على شاطئ البحر الابيض المتوسط .

وهكذا تمكن المجاهدون من استرداد المواقع التي كانت بيد جيوش العدو، فاستردت تيكساس، وميباخ من بنى زيات، وقاع اسراس، وامغوس على وادي لو، وتبرنيس .

وبعد هذه الانتصارات الاولى، عمدت المخابرات الاسبانية التي يرأسها الرائد الكباس بتطوان الى بث الشقاق في قبائل غمارة، لاجل ان تنشق على المجاهدين .

وعندما شعر بذلك القائد الحتاش، وزع الجيش النظامي على قبائل غمارة، لتحذيرهم من مغبة مسعى الكباس، فترك معه مائة القائد شعيب افلاح، وارسل مائة القائد موح بن عمر الجوع الى امثار، وكذلك مائة القائد عمر بوكليط، حيث تمركزت على المواقع التي يظن أن تشعر القبائل بوجودها، كقوة نظامية تردع المنشقين من الغوغاء .

وهنا افترقت القبائل على اتجاهين اثنين :

احدهما مستمر على ولائه للثورة، وكان تحت زعامة القائد السيد المحراش وكان شجاعا، يحكم القبائل المتاخمة لوادي لو، والقائد السيد اليزيد بن صالح، من قبيلة بنى رزين، وينحذر من دار علم وصالح ورياسة في قبيلته، وكان كفؤا لتك الرياسة .

أما الاتجاه الثانى يعاكس الاتجاه الاول اذ استثقلوا تموينهم من جهة ولان الكباس لعب دوره هناك وكان أقوى شخصيات من هذا الاتجاه هم السيد محمد الاحياوى من بنى سلمان والشريف المكى الوزانى من بنى زيات (1) والحسن بن صالح من عائلة اليزيد بن صالح، وكان قلب لعائلته ظهر المجن .

(1) الشريف الوزانى هذا شارك بعد ذلك في الثورة الريفية مشاركة فعالة، اذ انتقل الى أجدير، وكان أحد قادتها المخلصين .

وقد كاد هذا العمل أن يفت من عضد المجاهدين لولا هذه الفئة التي هاجرت من مساقط رؤوسها لاجل جمع شتات المجاهدين، ولرد عادية الطغيان الاستعماري واحباط أساليبه المتشعبة، لولا عقلاء غمارة .

فقد قطعت تلك القبائل المؤن على المجاهدين، واتلفت أسلاك التليفون التي تربط بين الريف مارة على محكمة بنى بويفرح التي كانت مقر القيادة العامة للجبهة الغربية، ومركز المجاهدين فى تيكساس ، ونواحيها، وفى هذا المجال يستملح ذكر ما ورد على السنة المتفكهن أن جماعة من غوغاء غمارة لما قطعوا أسلاك التليفون، أخذت جماعة طرفا من السلك التليفونى والاخرى الطرف الآخر، على بعد عدة أمتار، فجعلت هذه الجماعة تنادى الاخرى بواسطة السلك، ولما لم تسمع احداها نداء الاخرى، رموا بالسلك، قائلين ان ولد عبد الكريم الريفى، يكذب علينا بهذه الاسلاك، التي لم توصل كلامنا بعضنا الى البعض . كما يشاع، ان بعض أولئك الغوغاء قالوا فيما بينهم عندما شرع المهندسون الارياض لفح الطريق، لا نأذن لمد أسلاك التليفون، التي يتكلم فيها الشيطان، ونأذن بفتح الطريق، كما قالوا، اننا نقبل اداء خمسة ريال ونمتنع عن اداء خمس بسيطات، وهى حكايات منقولة عن الالسن للتفكه، قد تكون صدرت عن بعض الاغبياء أو تكون مصطنعة الا أنها تدل على أى حال، على الحالة النفسية التي كانت يتردد صداها فى ذات الوقت .

وعلى كل فانه مع كل الاسف، فقد وقع اصطدام بين الاخوان الامر الذي يكون قد لى بعض مخططات العدو، فقد تجمع جماعة فى امثار، محاولين حصار الجيشين الذين كانا معسكرين هناك، لولا ان جيش القائد شعيب افلاح خف من تيكساس الى امثار، ايضا، حيث عسكر بالموضع المدعو أحذران، حيث احاط الجيش النظامى بالجموع المتمردة من جهتين اثنتين، كان على احدهما القائد موح بن عمر الجوع، يقود 180 جنديا، وعلى الاخرى القائد شعيب افلاح يقود 130 جنديا، ونشبت بين الطائفتين معارك قتل فيها من الغوغاء أشخاص، واعتقل 45 منهم، كما

اعتقل القائد محمد البيحياوى وسبق الى سجن أجدير وكان ذا شخصية قوية فى القبائل الشمالية لغمارة .
وقد ترتب عن ذلك حصار فى قبيلة بنى سميح التى وقعت على اديمها تلك الاصطدامات، اذ آوت أولئك الغوغاء، الذين اختفوا فى الدور حاملين أسلاك التليفون بعد قطعها، لاختفائها هناك، فكان الجيش يبحث على الاسلاك، لارجاع ربطها كما كانت، وقام عقلاء تلك القبيلة برشق تلك الفتوق .

وبعد القضاء على الفتنة، انتقل الجيش النظامى الى دار السيد اليزيد بن صالح بقبيلة بنى رزين، وقد وصلت الاغاثة من الريف، حيث وصل القائد المغوار، موح ازداذ من بنى ورياغل، الذى أصبح مضرب الامثال فى الشهامة والنجدة، وقد أتى معه بفوج من الجنود النظاميين وان لم ينخرط هو فى الجندية .

وبهذا الفوج تم تكوين طابورين اثنين، احدهما تحت رئاسة القائد شعيب أفلاح، والآخر تحت رئاسة القائد موح بن عمر الجوع .
وقد أصبح قوة تحفظ مكاسب الثورة، ولا سيما بعدما خاض معها مناوشات برزت قدرته على حفظ الامن، ورد الامور الى نصابها، فاستكانت هذه القبائل، ورجعت الى الجادة، حيث قطع الطريق على المخابرات الاسبانية من أن تتال منالا فى مؤامراتها السرية .

وهنا يجدر بنا حفاظا على امانة التاريخ، ان نروى التحركات والوقائع حسبما حكاها لنا القائد شعيب افلاح (1) الذى يعتبر أول قائد للجيش النظامى الذى رافق تلك التحركات، وخاض جل المعارك فى تلك الجبهة، وقد يعجب المرء حينما يسمع من الرجل عن وقائع مر عليها 50 عاما، وهى محفوظة باسمائها واسماء الاشخاص على ظهر قلبه، قال: انه بعدما هدأت الحالة فى غمارة، واستتب الامر، وأخذ المجاهدون الامر بيد صلبة، التحق بالمجاهدين هناك السيد امحمد الخطابى، وكان محبوبا عندهم لحنكته، ودمائة اخلاقه، وسعة صدره، ومعرفته بالاساليب

(1) شاهد عيان .

العصرية القتالية، وكان ميمون الطلعة، يتيمن به المجاهدون، لانه لم تتكسر له راية في الجهاد .

وأول ما نزل كان بموضع نفسي، فالتفت حوله قوتان، نظامية ومتطوعة، اذ بلغ عدد مجموع القوتين 1.500 مقاتلا من بواسل المقاتلين، الذين يمثلون قول الله تعالى «ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وان تكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا» .

انتهاء مهمة برينكير والحالة في الجبهتين

اعتبر الاسبان ان الجنراليسمو برينكير، مسؤول عن هزائم الجيش الاسباني في الجبهة الشرقية سنة 1921، ابتداء من دهر ابران الى الناضور، والواقع أن المسؤول الحقيقي هو الجنرال سلفستري كما أسلفنا .

وقد حاول برينكير أن يستقيل من منصب الإقامة العامة، والقيادة العامة بالمغرب، ولكن حكومة مدريد التي عرفت أسباب الهزائم الحقيقية، لم تقبل منه عرضه، فاستمر في مهمته الى أواسط سنة 1922 م، حينما عينت محله الجنرال الريكارد وبورغيث بتاريخ ماي، ثم رأت أن تجرب شخصية مدنية عوض العسكريين، الذين قد تكون العطرسية العسكرية هي التي جلبت نفور الاهالي من التفاهم مع اسبانيا فعينت السنيور لوبس سلفيلا، في هذا التاريخ كانت وضعية الجيش الاسباني، سلبية بالوضعية التي كانت قبل معركة انوال، اذ استرجع الجيش في جبهة الشرق المواقع التي كان أجلى عنها سنة 1921، واستولى عليها واحدا بعد الآخر، الى أن وصل الى تفرسيت، واحتل قمة تيزي عزو، وسيدى مسعود، وسيدى احساين على شاطئ البحر، كما احتل ميضار من بنى توزين، ثم حاول الاستلاء على قلب قبيلة بنى توزين، فهجم على موضع الما من فرقة اغربيان، بالباء بعد الراء وهي غير اغريين بالباء بعد الراء التي كانت احدى مثلث الموت سنة 1921 .

وقد كانت المعارك تترجح بين الشدة والليونة حسبما سيأتي :
وكان المقيم العام المدني بعد أن جمد المعارك في الجبهة الغربية

التي يمتد خطها من تيكساس فاخدود تلامبوط الى شفشاون شمالا ومن
أربعاء عياشة الى مشرع القلة جنوبا، حاول أن يجرى اتصالا في الجبهة
الشرقية، فأرسل السيد ادريس الريفى مع ابن سعيد السلاوى الى
تفرسيت لاجل فتح حوار مع زعماء الريف هناك، ولما لم يحصل على
نتيجة ما، فانه قرر أن يرحل بنفسه الى الريف، ليحاول أن يجرى اتصالا،
وقد صاحب معه القائد محمد شراط، الذي كان هرب من الريف الى فاس،
ثم التحق بتطوان، كما سبق .

وهكذا ارتحل المندوب السامى الى تفرسيت، ولكن لم يكد يستقر
هناك، حتى وصلت اليه برقية من مدريد تستدعيه للمثول اليها .

بريمو دى ريفيرا والانسحاب المفجع

في هذه الاثناء ، كان الدكتاتور الاسباني الذي كان معجبا
بالانظمة الدكتاتورية، حيث يرى أنها أصلح لنظام الحكم في اسبانيا،
أسوة بدكتاتورية موسولينى بايطاليا، وذلك للقضاء على الانحلال الذي
أصاب الدوائر الحاكمة بمدريد، قام بتاريخ شتنبر سنة 1923 بتدبير
انقلاب حكومى، فاستولى على الحكم وأخذ الامور بيد من حديد .

وبعدما استتب له الامر باسبانيا، حاول علاج قضية الثورة
الشمالية، بأسلوبه الخاص، على أن يعمل على تجميد العمليات الحربية
في الجبهتين معا، الشرقية والغربية، على أن يأمر بانسحاب الجيوش الى
خطوط تكون درعا للمدن المحتلة، والتي بدا فيها الاستقرار، مثل مليلية،
وتطوان، والعرائش، والقصر الكبير، ويحتفظ بهذه المواقع، على أن
يستعمل الوسائل الاخرى التي تغنى عن وسائل اراقة دماء الشبيبة
الاسبانية، وينتظر ما يأتى به الوقت، الذي يكون فيه الحوار المشوب
بالخدعة للاهالى السذج حسب رأيه .

وهكذا سمى نفسه مقيما وقائدا عامين لاسبانيا بالمغرب، علاوة
على أنه الحاكم بأمره في اسبانيا .

وكان واثقا من نفسه على أن يأتى بمعجزات لم يأت بها أحد
قبله معتمدا على سمعته الكبيرة، التي كان يتمتع بها في أواسط الجيش

الاسباني، والجماهير الشعبية على السواء، نظرا للامجاد التي يعتز بها في قضايا استعمارية بالفلبين والمغرب .

ان الرجل الذي كان يحكم كاتالونيا، كانت تعتمل في نفسه من ذلك التاريخ عبث اراقة الدماء الاسبانية وضياع المال في المغرب، وعندما استولى على الحكم في اسبانيا، كانت الفكرة في المستطاع تنفيذها لانها كانت اختمرت واقتربت من الحقيقة، حسب تفكيره .

وفي نوفمبر 1923 عمل على الاقدام على خطته بكل جرأة، ضاربا عرض الحائط باحتجاجات قادة الجيش عن المخطط الذي يتوقع أن يلاقى كارثة، قد تكون أقسى من كارثة 1921، ومع أن الرجل متشبع بالدكتاتورية من قمته الى أخمص قدميه، فانه لا يثنيه عن عزمه ذلك الاحتجاج الحارخ، واذ سمى نفسه قائدا عاما للجيش في المغرب، فانه ذهب الى تطوان، ليتكلف بنفسه على تنفيذ مخطط الانسحاب وكان عليه أن يجيب عن أسئلة الصحفيين، الذين يتلقفون التصريحات، للاحراز على السبق في نشرها. وعندما يكون المرء مشبعا بفكرة، مومنا بها، فانه يكثر من تردادها، ولا يبالي، وهكذا صرح للصحفيين بمخططة كاملا مبرزا كيفية الانسحاب، ومتى يكون، ومن أين يتم الانسحاب، وقد اعتبرها الزعيم ابن عبد الكريم هدية المقيم العام الجديد الى الثورة، فعمل على انتهازها فرصة لتكبيد العدو هزائم أخرى تنسيه هزائم 1921 م .

في طريق الانتصار الاكبر سنة 1924

يحاول بعض الكتاب الذين يلتقطون أخبارا متقطعة من هنا وهناك، من دون تنسيق تواريخها، ولا معرفة مواقع احداثها، ان يغطوا جهلهم بتفاصيل المعارك، فيزعمون أنه لم تقع معارك كبرى ما بين سنة 1922 وسنة 1924، فقال أحدهم، وهو روبرت فورنو في كتابه «عبد الكريم أمير الريف» في صحيفة 86، «انه لم تقع الا معارك قليلة بين سنة 1922-1924 على الرغم من وجود مائتي ألف جندي اسباني في مراكش، حوالى أواخر عام 1922، كانت اسبانيا اذا تتخذ موقف الدفاع» .

واذا تتبعنا ماكتبناه عن المعارك التي جرت في الشرق من أول

الزحف الثاني للجيش الاسباني من مليلية، لاستعادة ما فقدته في الهزائم سنة 1921، حيث لقي في زحفه ما عهده من خلايا الزنابير التي طالما أوجعته، وعن المعارك التي جرت في الشمال الغربي على وادي لو، المنحدر من جبال شفشاون، متعرجا بين الجبال الشاهقة، ذات الصخور الصلدة، حيث اختار العدو قمة تلامبوط ذات التضاريس الوعرة، لمركز قيادته، ليشرف فيها ذات اليمين وذات اليسار، لضمان طرق المواصلات الى شفشاون، ولحماية الحاميات الموزعة على طول شاطئ البحر، الى تيكساس شمالا، فان المعارك، وان كانت سجالا، فان العدو لم يخط خطوة الى الامام، الا بعد ان يخلد تاريخا في المآسى والالام، فاذا مكث في أزروهمار، وجبل عروى مدة سنة، قبل أن يخطر بالزحف الى الامام، فانه لم يكن ذلك الا للمعارك الضارية التي لقيها، وعند ما تخطى هذه المواقع، فانه شهد هولا في دار الدريوش، وناصور بنى وليشك، وسيدى احساين، وسيدى مسعود وتفرسيت، والما وميضار وتيزي عزة .

كما شهد هولا في تيكساس، ووادي لو وتافوغالت والفران وتملابوط، وتاغزوت .

وكل هذه المعارك جرت ما بين 1922-1924، ولم يلتزم قط خطة الدفاع، بل قام بهجمات كبيرة في جميع الميادين، الا أن الصمود الذي لقيه من المقاتلين الوطنيين، جعله يرتطم على صخور الايمان، والثبات، فهو الذي أردعه رغم بلوغ قوته الى مائتي ألف جندي، وبالتالي هذا الصمود هو الذي جعل شعب اسبانيا، وبعض دوائرها ان يناديا بالشغب، على حكومة مدريد، اذ وصفا مراكش بأنه مقبرة الشباب الاسباني، وقد تعدى الشغب الشعب الى الجنود، فتمردت فرقة برشلونة العسكرية، حينما اشعرت بالعبور الى المغرب، وقتلت ضباطها، وكادت البلاد أن تقع في فوضى لا قرار لها .

فلولا تلك المعارك الكبرى، والخسائر الفادحة التي منيت بها اسبانيا في جيشها وماليتها، التي بلغت تكاليف الحرب سنة 1923 عشرين مليون ليرة استرلينية، لما تسنى للدكتاتور الاسباني الجنرال بريمو دي ريفيرا أن يصعد من الحضيض الى قمة زعامة اسبانيا، ونقول من

الحضيض، لان الرجل كان يحتل رتبة في اسبانيا لا تؤهله لان يكون الزعيم
الواحد، والدكتاتور الحاكم بأمره .

وعلى حسب وصف بعض الناقدين، وهو «البرتكار» قائلاً على
أنه (أى بريمو) أكثر لباقة من ان يكون دكتاتورا صالحا .

وحكى عن الدكتاتور نفسه أنه قال: «لو أننى كنت أعرف أنى
سأصل ذات يوم الى سلطان، فقد كنت درست أكثر» (1) .

وهذا كله يفيد أن الرجل لم تؤهله الى ما وصل اليه الا المعارك
الكبرى التى سالت منها دماء الشباب الاسبانى على ربوع الشهامة
والنجدة فى الثورة، لانه لما عجزت حكومة مدريد رتق الفتوق التى انخرقت
عنها، بسبب الغزو الاستعماري فى المغرب، بحثت عن رجل له شعبية فى
الجيش الاسبانى وله ميولات استقرائية ونزعة انسانية، فاهتدت الى
(ريفيرا)، لانه سبق انلقى خطابا يدافع عن الانسحاب من المغرب،
حيث أبعد الى كتالونيا بسبب تلك النزعة الانسانية، التى أظهرها عندما
كان أساطين الاستعمار الاسبانى يعتبرون الفكرة، نبلا من مجدهم
العسكري، واجراما يرتكب ضد ذلك المجد، ولكن عندما اصطدمت العظمة
الاستعمارية، بالصخرة الوطنية فى الشمال، ذهبت اعتبارات الامجاد
العسكرية ادراج الرياح، فجاءت تلك الرياح بما يشتهى الديكتاتور
الاسبانى، الذى قدم مساعدة لا تنسى من حيث لا يشعر، الى الثورة
الريفية، فاستكملت أو كادت سلطتها على الشمال، من الاطلس الى ملوية.
لولا أن الحرب الصليبية انبعثت على مستويات الدول الاستعمارية،
فنادت بالتضامن وجرت جيوشها الجرارة، معززة بوسائل الدمار، لاجل
ضرب الحصار على «لحم الثور المتوحش» حسب تعبير البروفيسور كون،
أو الوعول الوحشية حسب تعبير أحد وزراء بريطانيا .

بريمو دى ريفيرا — والريسونى — واخريرو :

وهكذا ، وفى 13 شتنبر سنة 1923، تسلم دفعة الحكم بمديرى،

(1) كتاب أمير الريف صحيفة 88 .

وعندما أسلمت اليه مقاليد الامور، بادر الى عبور البحر الى تطوان، ففى نوفمبر من تلك السنة، وزيادة على مهامه الكبرى، عين نفسه مقيما عاما لاسبانيا بالمغرب، وحاكما عسكريا مطلق التصرف، وكان مخططة الاساسى ترك الحروب فى مراكش، وعدم اراقة مزيد من الدماء، على أن يكتفى بالاحتفاظ بما يمكن أن يكون حفظا لشرف اسبانيا العسكرى من المدن الهامة .

وقد كان مولاي احمد الريسونى، يتتبع باهتمام مخططات ريفيا انتى تقضى بتهدة الامور وعدم اثاره الضغائن الدموية التى سار عليها اسلافه العسكريون، ولذا بادر لما وضع أقدامه فى المغرب، بتقديم تهانى رقيقة، مرحبا بقدومه الى المغرب، واضعا نفسه رهن اشارته، لكى يتمكن من تنفيذ مخططاته السلمية، حسب تعبيره، وكان الريسونى يسعى من وراء هذه التهنة تخفيف المصاعب التى أهدرت كرامة الايتام والارامل الذين خلفهم الغزو الظلوم، ويكون عائلاتهم فى البيوت والطرقات، وعند منابع المياه، وفى أى مكان من قرى وقبائل ايالته، التى عليها أن تحكم حكما استبداديا متسلطا على مشروعاتها النضالية .

ولم يكتف بمجاملة التهنة بالكتاب، بل شفع ذلك بأن أرسل ولده البكر الخالد، محفوبا بوفد من أعيان أنصاره، من قبائل جباله، الى مدينة أصيلا، حيث شهد مع ريفيرا الذى خلف الجنرال اسبورو على الاقامة العامة، استعراضا ضخما، شارك فيه الجيش الاسبانى وأهالى القبائل المحتلة، والتى اعترفت بالهدنة التى كان الريسونى اقامها مع المقيمين العامين قبل ريفيرا، انطلاقا من عهد الجنرال بوركيطى، الذى جاء ليخلف الجنرال برينكير، والذى غير موقف اسبانيا مع الريسونى أساسا، اتسم بعطف اسبانيا عليه، لاستعماله لابعاد قبائل جباله عن الريف، واذ اقتضى الحال، استعمالها لصد أى تحرك يقوم به الارياف جهة الغرب، وحتى اذا دعت الحاجة، فان الريسونى اولى بزعماء منطقة الشمال، وليس ابن عبد الكريم .

وهكذا عمد الجنرال بوركيطى، فأرسل مولاي مصطفى الريسونى الذى كان يسكن بطنجة ومحمد بن المكى الريسونى الذى كان يسكن فى

تطوان، أرسلهما الى تزرورت، يقترح على مولاي احمد الريسوني أن يجتمع بالجنرال كاسترو خيرونا أولا لمعرفة الشروط الاولى للريسوني، فيما يتعلق بموقفه ازاء الريف ، فاجتمع به ، ووقع الاتفاق على الاجتماع بين المقيم العام والريسوني في الموضع المدعو «دباز» يقع هذا الموضع قبالة ثلاثاء بنى يدر، اسفل ضريح مولاي عبد السلام .

وقد انفض الاجتماع على الاتفاق على مبادئ الهدنة، ريثما يقع الاتفاق النهائي، واثّر هذا الاتفاق نقل الجنرال بوركيطي من الإقامة العامة، وخلفه الجنرال اسبورو على الإقامة العامة، وقد سار هذا على منوال خلفه، فاستمر في مفاوضة الريسوني، وقد عقد معه اجتماعا بالموضع المدعو سيدي موسى بأسفل تزرورت، معقل الريسوني، وقد كان الجيش الاسباني، وصل في زحفه الى تزرورت، مما جعل الريسوني ان ينتقل الى جبل بوهاشم، بما تبقى معه من الانصار .

ولاجل أن يهيء جو الإقامة العامة لقبول شروطه، فانه اشاع بأنه سيرحل الى الريف، حيث ينضم الى المجاهدين، وقد أوعز الى قبائل الاخماس، التي تعتبر القبائل الاشد لاء له، أن يعلنوا أنهم يهيئون المراكب لرحيله ، وقد يكون قصده صحيحا .

ولما علم المقيم العام بذلك، بادر الى الاجتماع به بسيدي موسى، فوقع الحوار على القواعد التالية التي قدمها المقيم العام :

1 — ان يدخل الريسوني الى تطوان لتنصيبه خليفة للسلطان، في مكان الخليفة مولاي المهدي العلوي الذي توفى .

2 — ان تدخل الإقامة العامة الاصلاحات الادارية، والتنظيمية، على القبائل المنضوية تحت سلطة الريسوني حالا .

3 — نزع السلاح عن القبائل الخاضعة له، ووضع القوة الاحتياطية من المغاربة، لحفظ الامن والاستقرار .

أما الريسوني، فقد اشترط شرطين اثنين، مقابل موافقته على الشروط الآتية الذكر :

1 — ان ينسحب الجيش الاسباني من منطقة نفوذه (جبالة) .

2 - ان لا يتخلى عن معقله بتزروت، بل يكون هذا المعقل هو مركز الخليفة السلطاني، ومن هناك يدير أعماله المنوطة به .

وعندما جاء ريفيرا كان كل شيء مع الريسوني على مايرام، فألح عليه بتولية الخلافة في تطوان، وليس في تزروت، لان تطوان هي العاصمة، واذا لم يكن مستعدا لنفسه بذلك، لتقدم سنة، فاسبانيا تكتفى منه بالاذن لولده خالد، ليتولى مكان الخليفة السلطاني، وقد رضى بهذا الاقتراح، فتوجه ولده خالد الى أصيلا، لمشاهدة استعراض الجيوش، والاهالى أمام حاكم اسبانيا، الذى لم يرق له أن يرى استعراض الاهالى، وهم مدججون بالسلاح، فأنكر ذلك على قادة الجيش الذين سمحوا لهم باستعراض كمقاتلين، وليسوا دميات تتحرك .

أما خالد، فإنه التحق بعد ذلك بالاقامة العامة بتطوان، حيث اجتمع بالمقيم العام رأسا لرأس لوضع الصيغة النهائية، للاقتراح الذى يحمله المقيم العام الى اسبانيا، وقد شيعه خالد الى سبتة، وعندما رجع من اسبانيا الى تطوان كان احمد الريسوني قد استفحل مرضه، ولزم الفراش، ولم يشأ أن يغادر معقله (تزروت)، رغم الحاح المقيم العام عليه بأن يحمل الى مدينة سبتة أو طنجة لعلاج، ولكنه امتنع لاستجابة تلك الرغبة الملحة، مفضلا أن يموت في معقله، على أن يغتال تحت ستار العلاج، حسب رأيه، ولما اشتد عليه المرض، استدعى ولده خالد من تطوان للالتحاق به، وقد التحق به فعلا، وبقي معه الى أن وقع الهجوم على تزروت من طرف المجاهدين، كما سيأتى، وقد بقى مقام الخليفة السلطاني بتطوان شاغرا مدة بقاء الريسوني، وولده في تزروت، فلم يعين فيه الخليفة مولاى المهدي الا بعد مصير الريسوني الاخير .

انفصال احمد اخيرو عن الريسوني وثورة قبيلة أنجرة عن الاسبان

كلمة اخيرو هكذا، بفتح الهمزة وسكون الخاء وكسر الراء الاولى وضم الثانية مشبعة، هي لقب المجاهد الخطير، المدعو احمد بن محمد اسبو، وهو من اهالى قبيلة بنى حزم، قرية تمزقت، اظهر من البسالة في الحروب الريفية الاسبانية، ما جعله من الخالدين، وقد كان من أنصار مولاى احمد الريسوني، ثم انضم الى المجاهدين، لما وصل الامير احمد

الخطابي الى قاع اسراس، فأظهر بطولات نادرة، الى أن استشهد رحمه الله في موقعة المناصرة بقبيلة بنى يدر، حيث حملت جثته ودفن بضريح مولاي عبد السلام من مشيش، بجبل العلم .

ذلك أنه لما كان في ركب ولده خالد، أطلع عن كذب بالنوايا الخذلانية التي تسير عليها قضية الجبال، ورغم أن عائلة اخيرو، كانت مهاجرة الى ترروت، وعين لها محل الاقامة بالحصن الذي قبالة ترروت، فانه لم يستطع أن يقبل الصدمة التي صدم بها، من جراء ما بدا له، من تلك النوايا المنطوية على غير ما عاهد المجاهدين عليها مولاي الريسوني، لما كان فارا الى جبل بوهاشم، والذي كان يبدو عليه العزم على الجهاد، لما كان يطوف بضريح مولاي عبد السلام مع أطفال الكتاب، حاملين الواح القرآن على رؤوسهم، يدعون الله برفع الغمة عليه، وعلى أنصاره، ولكن لما انفرجت أزمة ضميره بالمهادنة مع الاسبانيين، قلب ظهر المجن لتلك الدعوات .

وفي أثناء وجوده - أي اخيرو - في تطوان قرر أن ينفذ يده من الريسوني، وما يرومه، وان يلتحق بالامير امحمد الخطابي في قاع اسراس، وقد ابتدأ انفصاله بأن جمع قوة من أنصار الجهاد من قبيلة بنى حزمار، وآخرين من قبائل أخرى، فهجم ليلا على تطوان، ودخلها، الى أن وصل الى ساحة الفدان، (ساحة الحسن الثاني الآن)، سالكا شارع المصلى القديمة، الذي كان يعتبر الحي الجديد الذي يسكنه الاسبان، فاحدثوا ذعرا شديدا في السكان، باطلاقهم الرصاص على من وجدوه من الجيش الاسباني، فكان لعملهم هذا نذير شؤم على الاقامة العامة، والجيش الاسباني الذين ارتبكا ارتبكا شديدا حتى انهما لم يهتديا الى ما وقع، الا بعد أن انسحب اخيرو وجماعته صوب جبال غرغيز الصلدة.

وهنا تجدر الإشارة الى عدم صحة ما قيل من أن هجومه على تطوان، كان بايعاز من قادة الجيش الاسباني بتطوان الذين يعارضون مخطط (ريفيرا)، وانهم أرسلوا علي الريسوني (وهو ولد أخى مولاي احمد الريسوني) ليوغز الى اخيرو بالهجوم على تطوان، انتقاما من المقيم العام. كما لا صحة لما رواه في كتاب «عبد الكريم أمير الريف» مؤلفه

روبت فورنو من أن سبب انفصاله عن الريسونى هو أن اخريرو، استبد
بأكثر من حقه من غنائم معركة بوادى لو، فشنع عليه ذلك الريسونى،
فتشأ بينهما خلاف، فانفصل عنه .

فكل هذه الارجيف عارية عن الحقيقة، وانها حيكت للحط من قيمة
البطولية، التى لم يغفل عنها التاريخ، لانه أمين .

واثر هذا الهجوم الخاطف على تطوان، والانسحاب الى جبال
غرغيز، تحولت أنظار المجاهدين الى معقل الريسونى الذى يهادن الاسبان
على حساب الجهاد، فقاموا بتحرك، وقد انضم اليهم مجاهدون آخرون،
حيث بلغوا حوالى 400 مقاتلا، وقد وصلوا الى قبيلة بنى عروص،
فعسكروا فى قرية اشقاقرة بمسجد سيدى بوبكر .

وكان مع الريسونى بتزروت حوالى 750 من أنصاره، ولما علم
بتحرك اخريرو وجماعته أمر أنصاره بأن يتلاقوه لاجل ان يردوه الى
حظيرته، بالطواعية أو القتال .

وهكذا تحركوا أيضا الى أن نزلوا بمدشر الحمدانش بمسجد
سيدى الحبشيش، وتقابل الفريقان ولم يشأ احدهما أن يقترب من الآخر،
خوفا من الاصطدام بالسلاح، بل اعتصم كل منهما فى موقعه الا أنه بعد
حوار بين بعض الزعماء، قرر زعماء فريق الريسونى أن يذهب الى الفريق
الآخر، فبعد النقاش تبين لانصار الريسونى أنه لا حق لهم فى استعمال
السلاح فى اخوان لهم بسبب انهم لم يستطيعوا أن يقاتلوا اخوانهم، بينما
الاسبان يبقون فى مأمن، يتفرجون على الجميع .

ولما أدرك الريسونى أن سلطته على وشك انقلاشى على قبائل
نفوذه، أمر أنصاره بأن ينصحوا اخريرو وجماعته بأن يتعدوا عن قبائل
جباله، ويتجهوا الى قبائل غمارة التى وصل اليها رجال الريف، حيث
لا يكون هو محل شك فى خرقه للهدنة مع الجيش الاسبانى .

ثورة قبيلة أنجرة على الاسبان

وقد كان لهذه الانتفاضة التى قام بها اخريرو اثرها المحمود
فى قبيلة أنجرة، هذه القبيلة التى كانت ضمانا خلفية للجيش الاسبانى،

والتي كانت المعبر المأمون للجيش فيما بين سبتة وتطوان، وسبتة وطنجة على شاطئ البوغاز .

ولما علم زعماء القبيلة بانتفاضة اخيرو وجماعته، قام زعيمها السيد العربي بن الخضر، فهاجم على حامية اسبانية كانت في المنار على الشاطئ، واسر رجال الحامية كلهم، وساقهم الى حيث مسكنه بأنجرة، واحتفظ بهم، وانضم اليه رجال انجرة، في ثورة عارمة ضد حاميات العدو، وقد ارتبك قادته من هذه الطعنة الخلفية، التي تنذر بشر مستطير، وقد كان ممن حرضوا على هذه الثورة المجاهد ولد السي احميدو الخراز، من بني عروص، وهو أخو البطل الشهيد السي محمد ولد الخراز .

وقد طلب الامير امحمد الخطابي من السيد العربي بن الخضر، أن يرسل الاسرى الاسبان اليه في قاع أسراس، بينما الريسوني طلب أيضا منه أن يرسلهم اليه، لكي يردهم الى الجيش الاسباني، عربونا على استمرار الهدنة التي حامت حولها شكوك من طرف الاقامة العامة التي ترى ان كل الذين فتقوا الفتوق عليها، هم من أنصار الريسوني، فتلح عليه بأن يكف عاديتهم .

ورغم انفلات زمام الأمور وشيكاً، إلا أنه لم يرض أن يعلم الاقامة بذلك، لأنه سيكون موقفه آنذاك ضعيفاً، وإنما يعتذر بأن جماعة من الاغرار لا قيمة لهم، هم الذين يحاولون تعكير صفو الهدنة، التي يحافظ عليها بما له من شرف الكلمة .

معارك على اخدود وادي لو

وبعد هذه الاحداث التحق اخيرو وجماعته بالامير الخطابي، حيث شارك في جميع المعارك التي ستذكر، فقاد المجاهدين من نصر الى نصر، في المعارك المحلية، وفي اثناء وجوده على الضفة الشرقية لواد لو، برفقة الجيش النظامي الريفى، فقد بدا له ولقائد الطابور شعيب افلاح أن يحتلوا موضعاً يقع ما بين مركز واد لو، الذي جعله العدو القاعدة الامامية، لتحركاته على شاطئ البحر الابيض المتوسط، بين سبتة وتطوان، ووادي لو، بينما له قاعدة أخرى بأعلى قبيلة بني زجل،

بالموضع المدعو «تلامبوط» حيث يربط الاتصال بين شفشاون ووادي لو، وكان بين هاتين القاعدتين ثكنات على امتداد الوادي الهابط من تغزوت، إلى البحر لضمان الاتصال بين القاعدتين .

وفعلا قاد القائدان المذكوران 500 مقاتلا، ما بين نظاميين ومتطوعين، فاحتلوا موضع تافوغالت بدون ان يتحرشوا مع العدو، ولما علم العدو بوجود المجاهدين في تافوغالت أرسل 300 فارسا من قاعدة تلامبوط، حيث عسكروا فوق تافوغالت، على رأس جبل، ذي قمة مسطحة. وهناك نزلوا عن متون خيولهم، وأقاموا حارسين، إلى أن يهيئوا للاغارة على المجاهدين، في تافوغالت، من حيث لا يشعرون .

وقد تفتن المجاهدون للمكيدة، فعملوا على كسب السبق، معتمدين على عنصر السرعة، في مثل هذه المواقف، التي لا تخلو من المفاجآت الغير السارة، فنظم المجاهدون أنفسهم، لاجل اباداة العدو الجاثم على هامتهم، لكي يلقنوا له درسا من النوع الذي لقن في شتى الاحتدامات، التي رجع فيه — ان رجع — بخفي حنين .

وهكذا تكلف كل من أفلاح واخريرو، بازاحة الحارسين الجاثمين على الصخرتين بطلقتين في آن واحد اذ ارداهما صريعين في رمشة عين، ثم تقدم المجاهدون من ورائهما، يحصدون الفرسان حصدا، فلم يفلت من الثلاثمائة فارس الا ثمانية بأعجوبة، أما المجاهدون فقد مات منهم ثلاثة، وغنموا كل ما أتوا به، من جملة ذلك 180 فرسا والباقي لقي حتفه في المعركة، وكان ذلك صباح يوم الجمعة 27 ذي القعدة عام 1342 هـ.

وكانت هذه المعركة من احدى المعارك التي جرت بسرعة مدهشة، في حين لم يشعر العدو بالانتصار فيها الا بعد حين، وذلك أنه لما سمع من مركز وادي لو للطلقات النارية، ظن أنها مناوشات عادية فأرسل مع عشية ذلك اليوم 40 جنديا مغربيا، ممن ينضوون تحت لوائه، لاغاثه جيشهم، الذي يظنون أنه في مركز حصين، مع أنه كان في ذلك الوقت في خبر كان، وكان الثمانية الناجون من الموت لا زالوا ضالين في تلك الادغال، يتعثرون بين الشعاب والهضاب ترفعهم هذه تارة، وتخفضهم تلك آونة

أخرى. ولما اقتربت كوكبة الاغاثة من تافوغالت، ورأت ما هالها، نكصت على أعقابها، فرجعت من حيث أتت حاملة النبا المفجع .

واثر ذلك، أى فى غده، قرر جيش العدو بمركز واد لو، أن يشن هجوما عاما على الجهتين: جهة الضفة الشرقية لوادى لو، وكان يعسكر قائد الطابور موح بن عمر الجوع على تلك الضفة بجيوشه النظامية، مع المجاهدين المتطوعين، وجهة تافوغالت حيث أرسل اليها مائة من المجندين الاسبان، على أن القى بثقله الى الضفة الشرقية، نظرا الى أنها تكون مركز الامير الخطابى فى تاغسا .

وقد وصلت هذه المائة الى مدشر تافوغالت، حيث كان المجاهدون انتقلوا الى القمة، التى وقعت فيها المعركة، فاستمالت سكان القرية الى جهتها، نتيجة لاتصالهم الذى كان قبله، فأظهروا التمرد على المجاهدين، والانحياز الى جيش العدو، ولكن عندما تقابل المجاهدون مع هذا الجيش انكسر وخلقى وراءه ثمانية عشر بندقية، غنمها المجاهدون، وقد استشهد من جهتهم ثلاثة، فلما انكسر العدو سقط فى أيدي سكان القرية، وقد أدبهم المجاهدون بمصادرة أموالهم المنقولة، فرجعوا الى الجادة وجعلوا يذبحون ذبائح العار كما يسمى .

أما الهجوم الاكبر الذى شن على الضفة الشرقية، فان المجاهدين هناك ثبتوا واستبسلوا، فكان الحرب سجالا بين الفريقين، الا أن النجدة التى أتت من خلف العدو، حيث جمع المجاهدون الذين كانوا فى تافوغالت امرهم، فشنوا هجوما من خلف العدو بقيادة افلاح واخريرو، ففوجئ العدو، بقتال كاسح فوقع بين نارين، ان تقدم احترق، وان تأخر غرق، فانكسر شر انكسار، ورجع بعد لاي الى وادى لو، بعد ما خلف قتلى وعتادا. أما المجاهدون الذين أتوا من الخلف، فقد استشهد منهم أربعة من الارياف، عليلوش بن موح امزيان وموح افلاح، واثنان آخران، وقد جرح قائد الطابور شعيب افلاح، وموح بن صديق بو لمقاصر من أزغار ببني ورياغل، وحملوا الى تاغسا عند امحمد الخطابى .

معركة باب تازا بينى زجل

بعد هذا الانتصار استرسلت المعارك من قشلة الى قشلة، حيث تستسلم هذه، وتباد أخرى، حسب الآتى :

1 - انتقل المجاهدون بمن فيهم من الجيش النظامى الى قبيلة بنى زجل، وكانوا تحت قيادة احمد اخريرو، ونزلوا بترينس، لمهاجمة الثكنات الاربع، فى الموقع المدعو باب تازا (وهو غير باب تازة بالاحماس المعروفة) وكانت هذه الثكنات برياسة رائد .

أما السيد امحمد الخطابى فقد نقل مركز القيادة العامة من تاغسا الى تيكساس، ليكون قريبا من مواقع القتال، الذى توجه الى قاعدة تلامبوط .

فقد حاصر المجاهدون قشلات باب تازا الاربع، وقطعوا عنها وصول المؤن، فطالب الرائد للرئيس هدنة مع المجاهدين، واثّر المفاوضات، تربص به أحد المجاهدين، فارداه قتيلا، فانحلت عرى قوة الثكنات، وكان أحد الجنود المغاربة ممن يعملون فى صفوف العدو، حارسا على سطح دار احدى الثكنات، فنادى عليه قائد المجاهدين، وطلب منه أن يقتل رئيس الحامية، وكان برتبة ملازم أول، فامتثل الأمر، وقتله، وحينئذ هجم المجاهدون، واحتلوا القشلات الاربع، واخذوا منها 45 أسيرا، كلهم مغاربة، من جيش «الريكولارس» وبينهم ملازم أول اسبانى، أصيب بجروح، وقد بعثوا بالأسرى الى مركز بنى معلى، الذى كان يعسكر فيه القائد الهادى بن عزوز من بنى ورياغل، على رأس المجاهدين هناك .

واثر هذا الانتصار انتقل الامير الخطابى الى دار السى العربى قيوش، ليتسنى لتعليماته الحربية أن تصل بالسرعة المطلوبة ويرقب المعارك عن كثب .

قشلة افران :

كانت بين هذه القشلات الاربع، وبين قاعدة تلامبوط، قشلة تدعى افران، سميت بذلك لوجود افران فيه يطبخ الخبز لتموين جميع الثكنات، التى توجد على طول الاخدود النازل من تلامبوط الى وادى لو.

ففى العشى من اليوم الذى وقع الاستلاء على ثكنات باب تازاء، استولى المجاهدون على هذا الموقع وكانت قوتهم تتكون من مائة جندى نظامى، كلهم من بنى بو عياش تحت امرة قائد المائة عمر بن موح بن سعيد، فهى التى تولت الاستلاء على هذه القلعة .

قائد تلامبوط وثكنات باب عوانة واد ريوه - وتغزوت :

بعد هذا التطهير الذى انتظم مسلسلا، لم يبق على رأس الاخدود الا ثكنات أربع، وكانت تجمعها دائرة قطرها حوالى 50 كلم مربع، فضرب المجاهدون الحصار عليها من كل جهة، وقد انضم الى المجاهدين قائد من قبيلة بنى حسان، يدعى القائد احمد بن سعيد، وكان يسكن فى قرية تغزوت، وهى جبال صخرية ذات رؤوس حادة، لا يوجد أصلح منها لحرب العصابات، وكان قبل ذلك من أنصار مولاي احمد الريسونى، ثم خرج عنه عندما اتفق مع الاسبان، لاحتلال شفشاون عن طريق قبيلته .

وقد استمر حصار هذه القلاع الاربع، حيث كانت الاغاثة تأتى اليه من دار قوبع، وهو نقطة الاتصال بين شفشاون وتطوان، فاستد احتدام القتال، لمدة ثلاثة أيام، فى معارك مهولة، مات بشر كثير من الجانبين، وفى اليوم الرابع، اتصل جيش دار قوبع بجيش تلامبوط، وفتح طريقا لانسحاب من تبقى من جيوش العدو الى دار قوبع، حيث تجمع هناك، محافظا على طرق التموين بين شفشاون وتطوان .

قلعة بنى زجل :

واثر ذلك مباشرة وبدون عناء سقطت فى يد المجاهدين قلعة فوق تلامبوط الى جهة شفشاون، تدعى قلعة، وبسقوط هذه القلعة أصبحت مدينة شفشاون مفتوحة أمام المجاهدين .

انتقال القائد العام الخطابى الى تلامبوط :

وعلى نمط ما يتمشى عليه القائد الخطابى من الاقتراب الى مواقع القتال، فانه نقل مركزه الى تلامبوط، وتدعى أذغوص، حيث جعل من هناك يعد العدة للهجوم على جيوش العدو بشفشاون .

وهكذا فقد هيا قوة المجاهدين الهجومية على الشكل التالي :
يزحف القائد ادريس خوجة القلعي، بقوته التي كان يعسكر بها
بموضع يدعى مشكالة ببني دركول، من الاخماس شرقي شفشاون.
وقسم القوة التي اكتسحت مواقع العدو حسبما أسلفنا الى
ثلاثة ارتال، وكانت تتكون من ألف مقاتل، رتل بقيادة عمر اداود من بني
ورياغل، غربي شفشاون .

ورتل بقيادة مسعود بن الحاج علي من بني خالد، غمارة، على
طريق المواصلات بين دار قوبع، وشفشاون، أي الشمال الغربي .
ورتل بقيادة سيكوكة من قبيلة بني زحل .

بينما يصعد الجيش النظامي، والمتطوعون بقيادة القائد اخيرو
وشعيب افلاح، الذي شفى من الجرح من تلامبوط، على جبال شفشاون
وقد تسرع هذا الجيش، فشن هجوما قبل أن تصل القوات الاخرى، لوضع
جيش العدو، في شفشاون، بين فكي كماشة، فتصدى له العدو، واصلاه
نارا حامية، قتل من مجاهدي اغمارة 75 شهيدا، بينما انكسر جيش
افلاح النظامي، واستشهد من قواده عمر اليدار من بني ورياغل .

الا أن حادثة نزلت كنجدة الالهية، فانكسر العدو، ذلك أن كبطان
الجيش الاسباني الذي كان التحم مع المجاهدين لعبت برأسه نشوة الانتصار
المحلي، فخرج من مكمنه، وجعل ينشر يديه بارزا للعيان، ويقول ها أناذا
يعني لا يبالي بعدوه، فحاول شعيب افلاح أن يجعله هدفا لرصاصة
بندقيته فلم تنفجر القذيفة، فما كان من القائد الحسن بن عمر تحاجيت
من ترعة، ان صوب نحوه طلقة نارية فارداه قتيلا، فكان سبب انكسار
جيش العدو .

وقد استعمل المجاهدون المدافع التي غنمت في المواقع التي سقطت
في أيديهم، وكانوا تدربوا على استعمالها بشكل صحيح .

معركة تفزويت :

ولنفس الاسباب التي أشرنا اليها، في الرواية عن شعيب

افلاح، أروى هنا في هذه المعركة، عن الشخص الذي أثار هذه المعركة، وانتصر فيها وهو القائد احمد بنسعيد الحسانى (1) .

تقع قرية تغزويت على الجانب الغربى لاختود تلامبوط، الذى يدعى فى رأسه الاعلى بواد السى فلاو وعند مصبه بالبحر بواد لو . وقد أقيم خزان الماء بتاغزويت لتوليد الكهرباء التى تمون تطوان وسبتة والعرائش وغيرها من مدن الشمال .

قال القائد ابن سعيد، «انه كان من انصار مولاى احمد الريسونى، وعندما انحاز الى الجيش الاسبانى، كان نصبه قائدا على بنى حسان وأقره الاسبان عليها، عند احتلالهم لمواقع قبيلته، وتلامبوط، ووادى لو، بأمر من الريسونى .

وعندما جاء القائد العام الخطابى الى تيكساس اشتبه الريسونى فى ولائه له، فأوعز الى الجيش الاسبانى الذى عسكر فى دار قوبع بأن يستدرجوه الى المثل أمامهم، لالقاء القبض عليه .

ولهذا الغرض أرسل قائد حامية دار قوبع جنديين احدهما برتبة ضابط الصف لاستدعائه الى دار قوبع، بدعوى تسلم الاسلحة من الجيش، ليوزعها على أنصاره، للدفاع ضد الثورة الريفية، عند الهجوم عليه، فما كان من القائد احمد بن سعيد الا أن القى القبض على الجنديين، وقتل ضابط الصف، أما الجندى العادى، فقد استبقاه، وأرسله الى الزعيم ابن عبد اكلريم بأجدير، عربونا عن اخلاصه للثورة .

ولما علم الجيش الاسبانى بما فعله بالجنديين سير حملة للاغارة عليه، وقد صمد ابن سعيد مع لفيف من اخوانه وأنصاره يقدر عددهم بمائة مقاتل، وعمدوا الى حرب العصابات، حيث تفرقوا فى رؤوس الجبال الشاهقة، متمرسين وراء الصخور الصلدة، فلم يستطع جيش العدو أن ينال منهم منالا، فرجع منكسرا، بعدما ترك خسائر فى الارواح، منهم ضباط نزع عنهم شارات القيادة ليقدما الى السيد امحمد الخطابى

(1) شاهد عيان .

بتيكساس، بواسطة القائد الهادي بن عزوز، الذي كان معسكرا في بنى معلا .

وقد كلف الامير هذا الاخير، بأن يستعلم جلية الامر، خوفا أن يكون عمل ابن سعيد خدعة حربية لكون ابن سعيد كان قائد الريسوني، أقره الجيش الاسباني ، الامر الذي يعتبر خطيرا على الثورة، لانه كان على رأس قبيلة تعتبر أصعب قبيلة في جباله وكان الخطابي يعطى 50 ألف بسيطة، لمن يأتي به .

وعندما ثبت لديه صدقه، فقد عمل على نقل العمليات الحربية الى دار القائد ابن سعيد، حيث يكون مسيطرا على طرق المواصلات، بين المجاهدين الى تيكساس، والريف، حيث يعتبر المحل عنق المواصلات بين قبائل جباله: بنى سعيد، وبنى حسان، وبنى زجل، والاحماس، على أنه أيضا يكون موقعا استراتيجيا، لاجراء عمليات تعقب الجيش الاسباني المنسحب من شفتاون .

اعلان الانسحاب :

ان الجنرال الذي أصبح الرجل الاول في اسبانيا، وما وراء البحار، استبدت به نشوة الانتصار على خصومه من بنى جلادته، فلم يتمالك نفسه عندما أحذق به مراسلو الصحف العالمية، يمطرونه أسئلة محرجة بالنسبة لقضية حفظ ماء وجه اسبانيا، يطلبون منه الاجابة عنها، لالقاء الاضواء عن مخططة، الذي دافع عنه في يوم ما، الذي سبب له الابعاد الى كتالونيا، ثم الآن بسببه أصبح الحاكم الاول لاسبانيا، فكانت أجوبته صريحة، لا غبار عليها، وهي تقتضى تعميم الانسحاب من الخطوط الامامية، من الجبهتين معاً، الشرقية والغربية، والاحتفاظ بحدود آمنة لمدينة مليلية وبخط تطوان جنوباً، سماه خط «استيلا» وهو اسم وراثي لنباله عائلته، ويمتد هذا الخط على نهر مرتيل، فالمحنش، ويسير محاذاة طريق طنجة الآن الى ان يفترق عن طريق العرائش، مع تغيير طفيف، وان يبتدىء الانسحاب في وقت كذا، ومن مكان كذا، وبطريقة معينة .

ان استعماله أسلوب الصراحة الواضحة، بهذا الشكل، أمام جماعة من الصحفيين الغير المنضبطين، يعتبر من أخطر العواقب على الجنود الذين يوجدون في الخطوط المواجهة لعدوهم، لأنها تكون معرضة للترصد والتعقب، ومعرفة من أين يضرب؟ وفي أى وقت يضرب؟ وبأية طريقة يضرب؟

ولذا أقام وأقعد هذا التصريح الدوائر العسكرية الاسبانية، لمخالفتها أساسا للفنون الحربية العالمية، فإذا كان لابد من الانسحاب، فإنه يكون تحت ستار الكتمان، الشديد وفي جناح الظلام، في غالب الاحيان، ولذا قيل أنه لما سمعه المرشال اليوطي، وهو من أساطين الحروب الاستعمارية لم يملك نفسه ان صاح قائلاً: «يال له من قائد، ان الانسحاب عندما يكون لازماً للجيش، لا يعلن عنه سلفاً للعدو» وقد قال «البرتكار» في أبحاثه عن السبيل الى الدكتاتورية «ان الاعلان عن الانسحاب بتلك الطريقة وفي خضم من الصحفيين، ذوى اللسان اللدق، يعتبر عملاً جنونياً».

وفي الواقع، ان العمل جنونى بالمعنى الصحيح، جر على الجيوش عواقب وخيمة، أدت الى حالة مزرية، سواء في الجبهة الغربية أو الجبهة الشرقية، فقد تلقى رجال الثورة أخبار الانسحاب، التي حملتها الجرائد التي كانت تصل الى ابن عبد الكريم، بانتظام، من طنجة، والجزائر، وحتى من مليلية، بحماس منقطع النظير «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» وكانت مهمتهم سهلة، لان العدو نفسه ابان لهم معالم الطريق أمام المعارك التي تنتظرهم .

الانسحاب في الجبهة الغربية :

كنا وقفنا في الزحف الذي قام به المجاهدون في هذه الجبهة الى معركة تغزويت، حيث وضعت دار القائد احمد ابن سعيد مقرا للسيد احمد الخطابي القائد العام لهذه الجبهة بعد أن طهر جميع الجيوب التي كانت منتشرة على شعاب وهضاب الوادي النازل من شفشاون الى وادي لو، وكانت المعارك كلها لصالح المجاهدين .

واذ علم القائد العام مما نشرته الصحف عن اعلان (ريفيرا) ان

الانسحاب سيكون من شفشاون، المدينة التي تحتل عمق قبائل جبال،
وسط شواحق الجبال، التي تشرف على القبائل الوسطى لغمارة، وقد
تجمعت في ضواحيها وعلى الطريق الوحيد للمواصلات بينها وبين تطوان.
وتعد القبائل التي شهدت انهزام العدو خصبة بالمعارك الحربية،
وتتكون من مجموع هذه القبائل من الناحية الادارية الآن، دائرة احواز
تطوان وعندما كنت على رأس هذه الدائرة فقد هيأت لمكتب التعريب لائحة
عن معالمها، واسماء المعارك التي شهدتها، التي لم يتيسر لي ارسالها
ولاجل توضيح وضعية أرضية الانكسار المفجع للجيش الاسباني أثناء
العمليات الحربية من شواطئ وادي لو الى عملية الانسحاب التي ابتدأت
من شفشاون والحاميات المنبثة عن طريق شفشاون-تطوان أثبت هنا
هذه اللائحة التي تبين وضعية تلك القبائل في القديم والحديث .

موجز للمعالم الرئيسية لارضية تلك الممارك

القرى الحديثة

قرية دار ابن قريش :

قريش بفتح القاف وكسر الراء المشددة وسكون آخره حسب نطق الاهالى ولم تسمع عربت قط، وأضيفت اليه كلمة دار، لان الموضع كان منزلا لشخص يدعى ابن قريش ولذا سميت عليه .

بنيت القرية مع الاحتلال الاسبانى حوالى عام 1925، وسكانها يبلغ عددهم الآن 980 نسمة، أصلهم من قبيلة بنى حزمارة إحدى قبائل جبال تطوان، تشتمل حالا على مسجد للخطبة وزاوية للفقراء وحمام، وحدائق محلية وصهريج للعوام ومياه غزيرة عذبة ومستشفى لأمراض السيل ومستوصف ومدارس ابتدائية وبنائات للأقسام الداخلية الابتدائية والبيطار ومركز تليفونى، وهى قاعدة قبيلة بنى حزمارة التى يقوم بها حكام القبيلة المحليون — القائد — الخليفة — القاضي أحيانا، بينها وبين تطوان مسافة 13 كلم. بالجانب الشمالى لطريق تطوان — شفشاون .

قرية وادى لو :

بفتح اللام وسكون الواو وأضيف إليها الوادى لكونها تقع على الضفة الغربية لواد ينزل من أعالي جبال شفشاون عندما يمر بالآخماس السفلية دعى هناك بسفلو وعند مصبه بين قبيلة بنى سعيد وبنى زجل دعى لو .

والقرية حديثة الوضع اذ بنيت مع الاحتلال الاسبانى حيث وضعت قاعدة لقبيلة بنى سعيد حوالى 1930 .

وتقع هذه القرية على شاطئ جميل بين سفوح جبال غمارة وجبال، ويروى منها حوالى ألفى هكتار من الاراضى المنبسطة الخصبة. وتشتمل القرية الآن على مسجد للخطبة وحمام ومستوصف

ومركز للتجديد القروي ومدارس ابتدائية عصرية وأصلية، وهذه الأخيرة حولت من قصبة كانت بنيت أيام الاحتلال الاسباني معتقلا لذوى الجرائم الكبرى من قتل وغيره. وهى قاعدة قبيلة بنى سعيد، يقيم فيها حكامها - القائد - الخليفة - القاضي، مسافتها من تطوان 46 كلم. على الشاطئ البحرى الى الشرق .

قرية أربعاء بنى حسان :

سميت بأربعاء بنى حسان بتشديد السين المفتوحة وفتح الحاء قبله لاقامة سوق الاربعاء فيها .

وهى قرية حديثة الوضع بنيت حوالى 1930 لتكون قاعدة لقبيلة بنى حسان وبنى ليث يقيم فيها حكامها - القائد - الخليفة - القاضي الموظفون الباقون المستوصف والمدارس الابتدائية، وتقع غربى طريق تطوان-شفشاون ازاء كلم 35 على قمة هضبة مشرفة، بينها وبين الطريق المذكور حوالى 3 كلم .

بها مسجد للخطبة ومركز تليفونى، يقطنها عدا الموظفين عائلات قليلة لا تتعدى أحيانا عشرة عائلات، وجلب اليها الماء من عين قريية.

قرية ثلاثاء بنى يدر :

يدر بفتح الياء وكسر الدال المشددة وسكون الراء كما ينطق بها الاهالى، سميت بذلك نسبة لقبيلة بنى يدر الجبلية، وأضيفت اليها كلمة الثلاثاء لاقامة سوق فى نفس اليوم هناك .

وهى قاعدة للقبيلة المذكورة تحتوى الآن على مسجد للخطبة يصلى فيها الموظفون ومن جاورهم من سكان المداشر ومدارس ابتدائية ومستوصف .

يقيم بها حكام القبيلة - القائد - الخليفة - القاضي أحيانا - الموظفون، جلب اليها الماء من عين قريية .

القبائل :

قبيلة بنى حزمار :

الكلمة بالحاء المضمومة والزاي الساكنة والميم المفتوحة والراء الساكنة حسب نطق الاهالي، ولم تسمع معربة يجهل وجه التسمية الا ما يؤخذ من اضافة بنى اليها مما يدل على انها اسم للجد الاول للقبيلة. السكان الاصليون حسبما يقال نزحوا من سوس الا أنه انكب عليهم مهاجرون أندلسيون وشوفاء ادريسيون فاختلفوا .

والقبيلة من ضواحي مدينة تطوان الى الجهة الشرقية يفصل بينها واد المحنش الذى يدعى عند مصبه بوادى مرتيل ويوصف أهلها بالكياسة والشح حتى قيل فى حقهم، «لا تخالط المعدنى ولا تدان الكتاني ولا تصبح عند البوخلادى ولا تبث عند الزيناتى»، عدد سكانها الآن 13.465 نسمة، وهى مقسومة الى جماعتين قرويتين:

- (1) جماعة ابن قريش الفوقى (03-6-16) سكانها 6261 نسمة.
- (2) جماعة ابن قريش البحرى (04-6-16) سكانها 7204 نسمة.

الوقائع الحربية التى شهدتها هذه القبيلة

واقعة طلوية :

كلمة طلوية بفتح الطاء وضم اللام مع هاء التانيث اسم لمكان يقع بين قريتى بوسملال وبنى صالح وتدعى الآن طريقته، وقعت فيه معركة حربية بين الاسبان والمجاهدين حينما خرج الاسبان من تطوان يحاولون احتلال جبل غرغيز الذى كان يعوق استقرارهم فى تطوان، وقد تولى الدفاع فيها المجاهدون الحزمريون بقيادة بطل من ابطالهم، هو القائد اخيرو وذلك حوالى سنة 1923 وقد انتصر فيها المجاهدون وانهزم الاسبان راجعين الى معقلهم بتطوان بعدما خلفوا خسائر فى الارواح .

وقعة قشانة :

كلمة قشانة بفتح القاف والشين المشددة آخرها هاء التانيث موضع بين قريتى بوخلاد والزينات جنوب دار ابن قريش، وقعت فيه

المعركة بين الجيش الاسباني والمجاهدين من قبائل بنى حزمارة وبنى حسان وبنى يدر لما هجم الجيش الغازى محاولا احتلال طريق تطوان شفشاون، وقد حاصره المجاهدون فى هذه الموقعة 20 يوما ثم انهزم ورجع الى تطوان بعدما خلف خسائر فى الارواح والعتاد .

عينون الماء النافعة :

عين بوعنان :

بضم الباء وسكون العين، تقع بضواحي تطوان الشرقية الجنوبية عن بعد 3 كلم بسفوح جبل غرغيز، مأوها هاضم نافع للكلية.

عين الجوع :

تقع عن طريق تطوان-شفشاون بحدود كلم 21 سميت عين الجوع لان ماءها هاضم بسرعة .

شلالات وصهاريح الاصطياف :

العين الزرقاء :

تقع بين جبلين فى أعالي الكيتان عن بعد 10 كلم من تطوان ومأوها غزير يتكون منه شلال صغير أقيم بأسفله صهريح للعوام وهو مصطاف جميل بين شواهد الجبال الصخرية والاشجار الملتفة .

المعامل الصناعية الحديثة :

الاسمنت المغربية :

لصناعة دقيق الاسمنت فى المغرب ينتج 100 ألف طن سنويا تقريبا، انشئ عام 1946، يستخدم من العمال ما بين 130-150 يوميا، يقع قرب تطوان بـ 7 كلم فى موضع يدعى تامودة وهو موضع مدينة تامودة الرومانية المندثرة الآن .

كولما (ك. و. ل. م) :

بضم الكاف وكسر الواو وسكون اللام وفتح الميم، مركب من

حروف أولية للكلمات الاسبانية كميائية (شركة) اليكترو كيماوى (الكهربائية الكيماوية) مروكى (مغربية)، هو معمل للمواد الكيماوية، يقع بقرب تطوان عن بعد 3 كلم عن طريق وادى لو أسس فى سنة 1948 ينتج:

من المواد الكوستيكية	1800	طنا سنويا
الحامض الكوريديريك	4000	طنا سنويا
الفوسفات البيكالكسيك	1600	طنا سنويا
البكلوريت الصودى	6000	طنا سنويا
كلورو الجير	100	طنا سنويا

ويستخدم من العمال ما بين 130 - 150 يوميا .

شركة المعادن المغربية :

تنتج من السلك 100.000 طن ومن المسمار 60.000 طن، انشئت عام 1954 تقع على الضفة الشرقية لوادى المحنش على بعد 3 كلم من تطوان .

يستخدم بها من العمال حوالى 35 يوميا .

اورافريكا :

مأخودة من كلمتى أوربا افريقيا فامترجت، وهو مصنع للمنسوجات يقع عن الضفة الشرقية لواد المحنش عن بعد 3,5 كلم عن تطوان، ينتج سنويا 200.000 غطاء، يستخدم من العمال حوالى 170 يوميا، انشئ سنة 1954 .

شركة نسيج الشمال :

مصنع للمنسوجات، يقع على نفس الضفة وفى المسافة أسس سنة 1963 يستخدم حوالى 90 عاملا يوميا، تنتج حوالى 60 ألف غطاء سنويا .

س . م . س :

كلمة مأخودة من كلمات اسبانية سيراميكا (القش) مديرنا (عصرية) سوسبيضاخ (شركة) .

معمل للأجور ومشتقاته يقع ازاء معمل الاسمنت بتامودة،
الانتاج 2.000.000 قطعة، أسس عام 1950، يستخدم حوالى 60 عاملا.

المصايف :

أزلا : بفتح الهمزة وسكون الزاى، مصيف شاطئء الابيض
المتوسط، يقع عن بعد 14 كلم من تطوان عن طريق واد لو، رماله نظيفة
ملساء ذهبية دافئة يتخللها نسيم بحرى منعش .

أمسما : بفتح الهمزة وسكون الميم وسين مفتوحة على نفس
الشاطئء يبعد بـ 21 كلم، متسع بقدر كلم واحد بين جبلين .

اوشتتام : بفتح الهمزة والواو وسكون الشين المعجمة
وتاء مفتوحة، فرضة على نفس الشاطئء تبعد عن تطوان بنحو 30 كلم،
يمتاز بالهدوء والرمال الذهبية ونفس الخصائص المارة .

واد لـو : شاطئء فى اتساع 5 كلم تقريبا له نفس الخصائص
مع وجود لواد لو المنحدر عن جبال تلامبوط الحادة، ويمتاز بوجود مرافق
الحياة من العمارة والصحة والتهديب مع مناظر طبيعية واصطناعية حيث
يوجد قبل مصب الواد سد لتجمع المياه وتوزيعها فى السواقي لرى المنبسط
الذى يحوى 2000 هكتار تقريبا، وهذا المصطاف يبعد بـ 56 كلم
عن تطوان .

الجبال :

غرغيز : بغينين معجمتين بينهما راء أولاها مضمومة وثانيهما
مكسورة آخره زاى، هو جبل شرقى تطوان ويسامت جبل درسة ولذلك
تقع تطوان بين فكى الجبلين ويحدث لها تقلبا فى الهواء مزعجا ويحضن
الجبل (غرغيز) قبائل بنى حزمارة، بنى حسان وبنى سعيد، فى شكل
حدبة ظهر البعير يطل برأسه على تطوان، وذنبه بدار قوبع على واد
السفلو بالاخماس السفلية وسنامه بمشيخة الخمس، وقد ارتفع على
هذا الجبل ابان الحرب الريفية المدافع التى كان المجاهدون يجرونها الى
أعلى هذا الجبل لضرب الجيش الاسبانى فى تطوان حيث صبت عليهم

وابل من القدائف بقيادة أحمد بودرة الورياغلي، وسيأتي الكلام على تلك المعارك .

قبيلة بنى يدر : الكلمة بالياء المفتوحة والداال المكسورة ينطق بها البعض مشددة بناء على أنها اسم للشخص الاول الذى نزل فى القبيلة، والبعض الآخر ينطق بها مخففة بناء على أنها أخذت من كلمة غدير ثم حرفت وعند الاهالى ان الوجه الاخير هو الصحيح لانها هكذا كانت تسمى قديما، وذلك لغدير كان به وضع يدعى مكوت أسفل مدشر أشتونة بربع السحترين وكانت فيه ضفادع كثيرة، وكان من عادة القبيلة البربرية أنها اذا أرادت الحرب مع بعض القبائل المجاورة تذبح ثورا أسود على هذا الغدير وتدفعه فيه طعاما للضفادع وبعد الانتصار تفعل كذلك .

تقع هذه القبيلة يمين طريق تطوان - طنجة، ابتداء من 7 كلم عن تطوان، وتتسع الى جهة جبل العلم بفتح اللام وهو الجبل الذى يوجد فيه ضريح مولاي عبد السلام ابن مشيش .
وفى هذه القبيلة جبال وشعاب وادغال، ولذا يقال عند الدعاء بالضياع، ضيعه الله كما ضاع السائل فى شعاب بنى يدر .
سكانها 14.351 نسمة ينقسمون الى جماعتين قرويتين هما :
بنى يدر الشرقى سكانها 6876 نسمة .
وبنى يدر الغربى سكانها 7505 نسمة .

الوقائع الحربية التى شهدتها قبيلة بنى يدر

وقعة المناصرة : وقع الحصار على الجيش الاسبانى تحت قيادة المجاهد اخيرو الذى سقط هناك شهيدا، وذلك حوالى سنة 1923 .

حرب سبع سنوات : يقول الاهالى أنها نشبت بين قبيلة بنى يدر وقبيلة بنى عروص المجاورتين فى شأن دين لا يتعدى ستة بلايين (البليون جزء من عشرين جزءا من ريال حسنى) أقرضه شخص يدعى على امزو من قبيلة بنى يدر الى شخص من بنى عروص فمأطله هذا ونشبت بينهما حرب دامت سبع سنين ولا يعرف بالضبط تاريخ الواقعة.

قبيلة بنى سعيد :

تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بامتداد 30 كلم من حدود قبيلة بنى حزمار بمصطاف ازلا المتقدم الذكر .
وتتمتاز القبيلة بمناظر خلابة، كونها انبساط ماء البحر الرقراق قيل لاضافة بنى سعيد وجهان: الاول للرجل الاول الذى نزل المحل والثانى، وهو الأكثر عند الاهالى المسنين، ان لفظة سعيد وصف وليست علم شخص ذلك فى حوالى 600 هجرية كان تسلط على القبيلة شخص يدعى بوطواجين (هذا الشخص حقيقى وليس خياليا، الا أن القصة ربما كانت خيالية وهو الذى قتل مولاي عبد السلام بن مشيش شيهدا) وكان فرض على القبيلة أن تقدم له فتاة كلما وصل الى قرية، وعندما وصل دور قرية اشورضة بالضاد من هذه القبيلة تقدم اليه شاب فى لباس الفتاة المفروضة حاملا خنجرا، وعندما اختلى به طعنه فقتله فوصف الطاعن سعيدا ونسبت ابناءؤها اليه تيمنا وتخليدا لشجاعته .
سكانها 12.933 نسمة ينقسمون الى جماعتين قرويتين هما :
جماعة اعد لاتن سكانها 7237 نسمة .
جماعة زاوية سيدى قاسم سكانها 5716 نسمة .

المواقع الحربية التى شهدتها هذه القبيلة

معركة كاف بودمان :

بضم الباء وسكون الدال وفتح الميم ونون ساكنة، ولم تسمع معركة مضاف اليها كاف أى الغار وهى موضع على وادى ازرزازبايين بينهما راء ساكنة والمعركة وقعت بين الغزاة الاسبان وبين المجاهدين المغاربة بقيادة امحمد عبد الكريم الخطابى الذى كانت له القيادة العامة فى تغزويت من بنى حسان، كما يأتى انتصر فيها المجاهدون وترك الجند الاسبان ضحايا فى الارواح وذلك عام 1924 .

معركة احظيفة :

بفتح الهمزة وسكون الحاء وكسر الظاء وفتح الفاء، موضع يقع

بين قبائل بنى حسان وبنى سعيد وبنى زجل يقال للموضع على العموم
افرطان، كان يقصد العدو معسكر تغزويت انكسر فيها العدو أيضا وذلك
في السنة المذكورة (1924) .

معركة قبة لـرزة :

بضم القاف وفتح الباء المشددة بالاضافة الى كلمة لرزة بكسر
اللام وسكون الراء وفتح الزاي مع هاء التانيث موضع قرب مدشر
ترغارين بكسر التاء وسكون الزاي وفتح العين المعجمة، ثم راء مكسورة،
قرية بفرقة بنى بزاز من البز كلمة عربية وقعت المعركة بتاريخ 1342 هـ.
انتصر فيها المجاهدون على الجيش الاسباني .

قبيلة بنى حسان :

كلمة حسان المضاف اليها - بفتح الحاء والسين المشددة -
قبيلة تقع بين حذوة البعير بجبل غرغيز شرقا وبين جبل بوهاشم غربا،
كما تحتضنها قمة شفشاون أصل سكانها من برابرة صنهاجة اختلطوا
بالمهاجرين العرب، يبلغون حالا 18741 نسمة وتقسم الى ثلاث
جماعات قروية :

جماعة اسوماتن 8467 .

جماعة الواد 6761 .

جماعة أولاد علي منصور 3513 .

معارك قبيلة بنى حسان

- معركة حبانة التي سيأتي الكلام عنها مفصلا

- معركة الفنيدق

كلمة الفنيدق بتصغير فندق يسميه الاسبان (فندليو) موضع
قرب مدشر بنى موسى من فرقة بنى علي ببنى حسان، خلف فيها
الجيش الاسباني دبابتين احدهما دمرها مدفع المجاهدين والثانية اشعلت
فيها النيران بعد أن وضع المجاهدون الارياف سدودا من الاحجار اندحر

في هذا الموقع الاسبان اندحارا رجعوا على أعقابهم الى معسكر دار
ابن قريش .

معركة تفزوت :

بفتح التاء وسكون الغين المعجمة وضم الزاي، آخرها تاء التانيث
الساكنة موضع يقع بين جبال شاهقة مؤهلة لحرب العصابات مسقط رأس
مجاهد يدعى احمد بن سعيد، كان أول من استدرج الجيش الاسباني
لخوض المعركة، وذلك انهم ارسلوا اليه كوكبة من معسكر دار قوبع
يستقدمونه، فحصد تلك الكوكبة وتحرش مع الجيش الاسباني ووقعت
معركة اسفرت عن انهزام الاعداء، ذلك ما دعى الامير امحمد ابن
عبد الكريم ان يقدم من تيكساس الى تغزوت ليقوم فيه معسكره الذي
قاد من هناك معارك التي صوبت ضد الاسبان، وسقط مولاي احمد
الريسوني أسيرا .

المعامل :

معمل الكهربائية المغربية ش. م.

يقع هذا المعمل على سد لو بقبيلة بني حسان قرب تلامبوط
لتوليد الكهرباء التي تمت مدنها الى الشمال الغربية ومعاملها، ينتج 36896300
كلواط سنويا، كان تأسيس أوله عام 1923 بتطوان ثم نقل الى هناك،
يستخدم من العمال 70 عاملا يوميا .

السدود :

سد لو :

وهو السد الذي وضع لتوليد الكهرباء بوادي السفلو الذي يدعى
عند مصبه بوادي لو .

سد النخلة :

سد يقع بقبيلة بني حزمارة على وادي النخلة عن يمين طريق
تطوان شفشاون عند كلم 20 يزود السد مدينة تطوان بماء الشرب بعد

تصفيته في طريقا ويمر في قنوات مضمورة الى المصفاة يجمع من المياه
14050000 متر مكعب .

ومن الوجهة التاريخية لقبائل جباله على العموم، فانها تعتبر قلاعاً
حصينة في حركة الفتوحات الاسلامية الاولى، وكانت تكون رأس الجسر
لنشر الاسلام في العدو الاخرى شمالى البوغاز، نظرا الى الموقع
الاستراتيجى لتلك الجبال، التى تقع على مخاض، يربط شاطئ جبل
موسى القابع على رأس مدينة سبتة، بتلال مدينة وزان، وجبال شفشاون،
وكما تنتهى تلك الجبال أيضا الى شاطئ قصر المجاز (القصر الصغير)،
تلك الفرضة المؤهلة لان تكون محطة مفضلة بين جبال أنجرة، التى تتصل
مباشرة بشاطئ طنجة لتجمع المقاتلين .

ومن هنا يمكن للباحث ان يستنتج من الآثار التاريخية، التى
تتوفر عليها تلك الجبال، ان القائدين الفاتحين موسى بن نصير، وطارق،
بن زياد الليثى، كانا جعلاً هذه الجهة مركزاً لعملياتهما الفتوحية الجبارة،
لتوجيه الحملات ضد اسبانيا القوطية، وكانت منطلقاً لتلك الحملات ،
وهى بالطبع تكون بأسرها منطقة طنجة، التى تضافر التاريخ على أن
يجعلها منطلقاً لتلك الحملات .

ومن أهم تلك الآثار، التى تدل على ان الفاتحين كانت لهما فى
قبائل جباله متنسج لجولاتهما، ما يوثر عن مسجد موسى بن نصير فى قبيلة
بنى حسان، وهو مسجد عتيق على ربوة عالية مربع الشكل طوله 5 أمتار
وعلاوه 4 أمتار، وسقفه مقبوء، وقد عرف به أبو الحسن مصباح، فى احدى
رحلاته الى تلك الجهة عام 1124 هـ. فقال (1) «ان أهل البلد اجمعوا
على أنه من عمل موسى بن نصير، وهم يسمونه مسجد موسى بن نصير،
نقلوا ذلك خلفا عن سلف» .

ويسمى أيضا عند الاهالى بمسجد الملائكة، لمكان القدسية التى
أضفاها عليه بانيها الفاتح العظيم .
ومن تلك الآثار أيضا تسمية الجبل الذى يقع على هامة مدينة

(1) كتابة المخطوط : سنا المهتدى .

سبته غربا، والمطل على مرسى بليونش، بجبل موسى ابن نصير، كما اعتاد المؤرخون فضلا عن الاهالى أن ينسبوه اليه، لانه كان منطلقا له الى الاندلس بعد عمليات طارق، وهذا الجبل يعتبر جغرافيا امتدادا لجبال تلك القبائل، التى تكون سلسلتين طويلتين، يفصل بينهما مخاض الاخماس بنى حسان وبنى حزم، يبتدىء بين جبلى بوهاشم - شفشاون، وينتهى منحدرًا الى ما بين جبلى غرغريز - درسة، ويتفتح عن سهل شاطيء، الى أن يفضى الى جبل موسى .

هذا بالنسبة لموسى بن نصير، وأما بالنسبة لطارق بن زياد قان أهالى قبيلة بنى حسان يدعون أنه من قبيلتهم، فمنسوب الى فرقة من هذه القبيلة تدعى بنى ليث، ولا زالت بهذا الاسم الى الآن، وانه كان واليا على قبائل طنجة التى هى قبائل جبالة، وانه أقام مسجدا بالاخماس عند شلال شرافات، ولا زال قائم الذات بصومعته .

وقد تواتر عند الاهالى أنه من عمل طارق .

ولذلك يمكن أن يفترض أن طارقا البربرى، الليثى بالولاء، قد تكون عائلته نزلت فى هذه القبيلة وسميت ببنى ليث، لان كلمة بنى ليث عربية بالتأكيد، أو أن ليث كنانة هم الذين نزلوا فى تلك القبيلة مع 27 ألف عربى الذى أرسله ولد موسى بن نصير الى منطقة طنجة كما يأتى، وان ولاء طارق منسوب اليهم، ويؤيد ذلك ورود شخص آخر من هذه القبائل لهذا النسب، وهو يحيى بن يحيى الليثى، راوى موطأ الامام مالك، فقد جاء فى «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» للقاضى عياض قوله (2) «قال الاصيلي (وهو من علماء الاندلس ومحدثيه أصله من مدينة أصيلا المغربية) ويحيى أبوه هو المكنى بأبى عيسى، وهو من مضموضة طنجة ويتولى بنى ليث، ولا يعلم على الصحة سبب ذلك» .

ثم قال (أى القاضى عياض) «دخل يحيى بن وسلاس مع ابن أخيه نصر بن عيسى فى جيش طارق، وأسلم وسلاس جدهم على يد زيد بن عامر الليثى (ليث كنانة) فهذا والله أعلم سبب انتمائهم الى ليث» .

(2) ج. لث ص 379 طبعة وزارة الاوقاف بالمغرب .

وللقاء الضوء على هذه الجبال أيام الفتوحات الإسلامية لمعرفة وضعيتها السكنية في ذلك الوقت، لابد من الإشارة العابرة الى ما يقرره التاريخ (1) ذلك أن موسى بن نصير لما تولى امارة افريقيا، عقب حسان ابن النعمان، (يلاحظ أن هذا لم يدخل المغرب الاقصى) ودخل - أي موسى - الى المغرب فاتحا، فكانت رحلته الاولى من سواحل البحر المتوسط ودخل الريف الذي كان يدعى في ذلك التاريخ «بالسوس الأدنى» (2) ولم يعرف بالريف الا عندما نزل العرب هناك ويقال أن جماعة منهم قال لهم رئيسهم ريفوا هنا، أرعوا غنكم الريف، أي الخصب.

ومن الريف توجه موسى بن نصير الى قبائل سبته، وهي قبائل جبالة التي كانت تدعى بجبال غمارة، حيث صالحه صاحبها يليان الغماري الذي كان على دين النصرانية وكان مقره بسبته، ويحكم طنجة ومناطق غمارة بما فيها قبائل جبالة، والى حدود عهد صاحب الاستقضاء المتوفى عام 1315 هـ. كانت تعرف بهذا الاسم، فقد جاء في كتابه (3) لما تكلم عن ثورة زيطان، بقبائل الاخماس وغزاوة، قال «ثار بقبيلة الاخماس في جبال غمارة فزحف اليه ببلاد غزاوة قرب وزان» وكما جاءت في قضية المتبى حاميم الذي يدعى أهل قبيلة بنى حسان أنه من قبيلتهم ينتسب الى مدشر لا زال يسمى حاميم الى الآن، ويؤيد ذلك ما جاء في الاستقضاء «وكان ظهوره بجبل حاميم المشتهر به قريبا من تطوان (4)».

وبعد افتتاح قبائل غمارة، توجه الى طنجة حيث عين طارقا ابن زياد واليا على قومه، ومن هناك دخل الى قلب المغرب بأعلى درعة وصحراء تافيلالت.

وبعد ما عهد الى ولده (ولعله عبد الله) للتوجه الى سوس الاقصى، توجه - أي موسى - الى القيروان.

(1) ابن خلدون والاستقضاء.

(2) الاستقضاء ج.ل. ص 86.

(3) الجزء 8 ص 95.

(4) الجزء الاول ص 175.

أما ولده فانه فتح قطر سوس الاقصى، وأخذ من قبائل مصامدة (مصوصة) رهائن، بعث بهم الى طنجة (أى قبائلها) لان مدينة طنجة كانت عبارة عن قصبة صغيرة، وأرسل مع الرهائن قوة من البربر تقدر باثنى عشر ألفا، ومن العرب تقدر بسبعة وعشرين ألفا .

واذا كانت مدينة طنجة لا تتحمل هذا العدد الضخم، فان المراد من طنجة، هى قبائلها، وبذلك أصبحت تلك القبائل عامرة بخليط من البربر السكان الاصليين، والاثنى عشر ألف المبعوث بهم، ومن العرب الذين يكونون أغلبية، الامر الذى أدى مع مرور الزمن الى اضمحلال اللغة البربرية فى تلك الجبال، حيث اكتسحها لهجة عربية محلية، كما ترك العرب الاثر فى تسمية القبائل بأسماء عربية مثل بنى ليث، بنى حسان، بنى خالد، بنى سلمان، بنى احمد، بنى سعيد الى غير ذلك .

ومن هذا الموجز يتضح ان طارقا يكون برز كقائد بربرى عظيم، وعمل على اثاعة الانضباط بين البربر والعرب، استعدادا لخوض غمار الفتح فى اسبانيا، بعدما أسلم يليان، وأغراه على الغزو بعدما شرح ثغرات اسبانيا العسكرية، فى قصة نفوره من ملك اسبانيا الذى يدعى عند العرب بلخريق .

وبعدما استأذن موسى بن نصير اعتمد على البربر فقط، حيث حشر 12 ألف مقاتل بينهم قلة قليلة من العرب 14 نفرا على احدى الروايات، 300 نفرا على رواية أخرى .

وعلى كل ، فان المراد ان الاعتماد كان على البربر، وربما لانهم من أرومة طارق، يعرف صمودهم واخلاصهم له، وربما لان العرب غرباء عن البلد، لا يعرفون مسالكها، وغرباء حتى عن طارق فى اللسان والعادات الى غير ذلك، ويدل على ذلك أن الحملة بعد ذلك كانت من العرب، تحت قيادة طريف بن مالك النخعى، الذى قصد بحملته المكان الذى يسمى الآن بطريفة .

وذلك لان المدة الوجيزة التى استغرقتها هذه العمليات كانت لا تسمح بتاصيل جذور الالفه، واستكناه خبايا الضمائر، فالرحلة الاولى لموسى بن نصير الى هذه الجهة، كانت عام 88 هـ . وبعدها كان ولده فى

سوس الأقصى، وفي عام 92 هـ. كان جواز طارق بقوته الى اسبانيا .
وهنا يفضى بنا القول الى الإشارة العابرة الى خطبة طارق،
والذى يبدو أن كل التأويلات المشيرة الى أنها كانت باللغة العربية
مبنية على اعطاء صفة البلاغة العربية للخطبة، ليعد طارق من أدباء الفتح
الاسلامى الاول فى المغرب والا فالواقع ان بلاغة الخطبة كانت بالمعنى
فقط وكان الفاظها بالبربرية .

أولا : ان طارقا يجز جحافل بربرية فى عهد حداثة اسلامها، قضت
مدة وجيزة كما سبق لا يمكن ان تتمكن من اللغة العربية واقتضى المقام
فى وضعه ذلك، أن يخاطبهم بما يتذوقونه، أى بلغة رضعوا لبانها، ولو
فرضنا أن طارقا كان بليغا فى العربية، فانه لا يستعملها حيث لا تنفعه،
والا كان حواراه من باب حوار الصم .

ثانيا : ان الخطبة رويت فى صيغ عربية مختلفة، فابن حبيب الذى هو
أقدم روايتها، رواها على الصيغة التالية: «أيها الناس، أين المفر، البحر
من ورائكم، والعدو أمامكم؟ فليس لكم والله الا الصدق والصبر، الا وانى
صارم الى طاغيتهم بنفسى، لا أقصر حتى أخالطه أو أقتل دونه» .

وأوردها الطرطوشى فى سراج الملوك بتغيير فى آخرها، وابن
قتيبة أوردها طويلة، وأطول منها ما جاء فى وفيات الاعيان، وأطول من
الجميع ما جاء فى تحفة الانفاس .

ويدل هذا الاختلاف على أن الخطبة كانت بالبربرية، عبر عنها كل
مؤرخ حسب تخيلاته فى اداء معانيها، وكذلك كان الشأن أيضا فى الابيات
الثلاثة المنسوبة اليه .

أما ما استنتجته بعض التأويلات من الاسماء العربية لعائلة
طارق، فانه من المألوف أنه اذا أسلم أحد تخير من الاسماء «عبد الله»
لاستشعاره العبودية، ويمكن أن يكون جده عبد الله من هذا القبيل .
ويمكن أن نفترض أيضا، ان العرب الفاتحين أنفسهم، لما رأوا ما
أتى به هذا البربرى من الفتوح، استنكفوا أن ينسب هذا الفتح الى بربرى
حديث العهد بالاسلام، فأضفوا الصفة العربية على طارق وآبائه لطمس
معالم الامجاد البربرية .

ويدل على ذلك أن موسى نفسه أمر طارقا بالوقوف حيث يصله كتابه، ثم غد السير الى أن يقف على جبل موسى عام 93 هـ. ولما اجتاز الى الاندلس، قبض على طارق لانه نسب الفتوح لنفسه (1) على أن موسى نفسه لم ينج من تجريده من مكاسب الفتوح، فقد استدعا البلاط الاموي الى المشرق فجرده من جميع المسؤوليات كما جرده من الغنائم، وتركه شخصا عاديا بين قومه.

هذا من الناحية التاريخية أيام الفتوحات، أما بعد ذلك فان هذه القبائل ضربت طولا وعرضا في الصلاح والعلم والجهاد، أنجبا، وارتبدا، ولها ميزة خاصة في الشمال، ولاحتوائها على مدن ذات اشعاع صلاحي وعلمي، فمدينة تطوان التي تقع على الطرف الاسفل لاختود بوهاشم - شفشاون شرق وغرب تاريخها الحافل بالامجاد، ومدينة وزان التي تحتضن أقوى عائلة شريفة ذات حيثيات تاريخية، لانحدار جدها مولاي عبد الله الشريف عن أخ لمولاي عبد السلام بن مشيش وهو يملح بن مشيش (2) ومدينة شفشاون بموثقتها ابن عرضون، ونوازلها الشريف العلمي، ومؤرخها ابن عساكر كل ذلك جعل من هذه الجبال ظاهرة قل نظيرها، وارتادها كثير من فحول التاريخ، فالعائلة المشيشية التي تناسل منها الشرفاء العلميون، نسبة الى جبل العلم، الذي اختاره عميدها ومؤسس العائلة مولاي عبد السلام ابن مشيش قد شرفتها واكتسبت لها شخصية ذات قيمة، وشرفاء وزان أيضا، قد أثروا تأثيرا بالغا في استقطاب أنظار المغاربة أجمع الى نظرة احترام وتقدير، كما حفلت العائلة الريسونية بالصلحاء والعلماء، ومن فضل العائلة المشيشية انتشرت احدى الطرق السنية، وهي الطريقة الشاذلية بعناية تلميذ مولاي عبد السلام وهو أبو الحسن الشاذلي التونسي مولدا المتوفى بالمغرب بجبال شفشاون.

وفى ميدان التأليف والقضاء انجبت أيضا أمثال أبي عبد الله محمد بن عرضون والفقيه العلامة أبي القاسم ابن علي بن خجو

(1) المعجب ص 12 .

(2) الاستقصاء الجزء الاول ص 158 .

الحسانى من قبيلة بنى حسان تولى القضاء فى تلك الجبال بمهارة واقتدار،
والفقيه القاضى سيدى احمد بن يحيى الغزاوى الذى اقتعد كرسى
الافتاء والقضاء فى غزاوة ونواحيها وفى ميدان التصوف والصالح أمثال
الصوفى الزاهد سيدى يوسف التليدى بالاخماس، وقبيلة بنى حسان
أيضا انجبت العالم المجاهد المعروف بالفقيه المجلاوى المتوفى ببني كرفط
وهو من العائلة الشريفة ببني حسان، المعروفة بالعائلة العمرانية، التى
لها زاوية للصالح والعلم فى جبالها، والتى ينتسب اليها المجاهد احمد
بن الحسن العمرانى المعروف باحميدو خربان، الذى كان له القدح الملى
فى الجهاد عند الغزو الاسبانى، والذى آخر من اعتصم فى جبل العلم
مع ثلة من المجاهدين، فلم ينزل الا عندما استحال الدفاع، فالقى عليهم
الاسبان القبض وعذبوه وسجنوه، وعمر طويلا الى أن توفى رحمه
الله سنة 1970 كما انجبت القائد احمد بن سعيد الذى سيأتى الكلام
على جهاده، وببنى مستارة العسرى مؤرخ الابتهاج الذى شرحه البلغيثى
المتوفى 1280 هـ. أما جماعة من العلماء فى أوائل القرن 20 فقد برز فيها
أكبر مدرس فى تلك الجبال الفقيه العلامة المجاهد سيدى بن يرمق، شيخ
علماء الشمال، والمدرس محمد البقالى ببني مستارة المتوفى سنة 1957 .

وفى انجرة كان هناك الصوفى العلامة المؤلف سيدى احمد
بن عجيبة الذى خلف تراثا كبيرا فى التصوف، المتوفى عام 1324 هـ.
وهو من العائلة الشريفة التى لها صدى حسن فى قبائل
جباله وغماره وحفلات بالعلماء والصالحاء، وفى بنى عروص
الفقيه المدرس سيدى محمد تيدة، تولى القضاء والتدريس،
والفقيه المدرس السيد عبد السلام بن الحاج صروخ المتوفى
عام 1339 هـ. وفى الخلو ط كان هناك الفقيه المدرس السيد المفضل، وهؤلاء
وغيرهم اشاعوا اشعاعا علميا استحوذ على جميع رواد العلم فى الشمال،
عدا من حفلت به مدنهم التى دونت فى كتب التاريخ، وبالاخص مدن
الشواطىء كطنجة وأصيلا والعرائش والقصر الكبير .

وعى نصالى ينبعث بقبائل طنجة

أما فى قبائل ضواحى طنجة، الذى كان بيدو للجيش الاسبانى، وعملائه، أنها بمعزل عن شرارة ثورة الريف، فانها اندفعت فى ثورة عارمة. ولاستقصاء البحث عن مظاهر الوعى القومى، فى جميع جهات الشمال، نتطرق هنا للعملية الجريئة، التى قامت بها جماعة من المجاهدين الاحرار فى ضواحى طنجة وبالذات فى دشرة الرملة من قبيلة بنى مصور، ثم امتدت ثورة مندفعة الى قبائل الجبال.

كان الشريف السيد الطيب الحداوى (1) (لازال حيا) وهو من عائلة تنتسب الى الشرفاء العلمين، كان أحد أجداده يدعى السيد عبد الله الحداوى، أسس زاوية الناصريين فى دشرة الرملة وقد استقطبت سكان الجهة، ولا تبعد عن طنجة الا بحوالى 30 كلم شرقيها، وقد أقام الجيش الاسبانى عند احتلاله هذه الناحية معسكرا يدعى «الركايح»، وكان هذا المعسكر هاما يربط الاتصال بين سبتة وأصيلا والعرائش، فضلا عن كونه يقع فى ضواحى مدينة طنجة.

وكان السيد الطيب الحداوى يحترف التجارة فيما بين طنجة والدار البيضاء ومراكش.

وفى احدى رحلاته فى المركب الافرنسى، الذى كان الرابط الوحيد للمواصلات، علم بواسطة جريدة فرنسوية كان يقرأها احد الضباط الافرنسيين، واغتاض للخبر فرماها فلما وصل الى مراكش اجتمع بشيخ الطريقة الناصرية هناك، وطلب منه الاذن ليلتحق بالثورة، ولكن الشيخ استمله حتى يتصل بوزير العدل فى ذلك الوقت الشيخ الامام سيدى عبد الرحمن بن القرشى، أيام السلطان مولاي يوسف، وبعد أيام رد عليه الشيخ الناصرى بأن له الاذن ليلتحق بالثورة، ولكن أوصاه بأن يتحرى صدق رجال الثورة فعزم الحداوى أن يذهب الى الريف

(1) نروى عنه الوقائع وهو شاهد عيان، وتلاحظ دقة متناهية فى حكايته.

ليستقى الخبر من منبعه، وفي طريقه وجد السيد عبد الكريم اللوه في فاس، ولم يكن يعرفه، ولكن تفرس فيه أنه من الريف، وكان واقفا في بوجلود مع شخص مشبوه فيه يدعى العرائشي، فلمح اليه الحداوي أن يتبعه الى ضريح مولاي ادريس، فسأله واكتفى بشهادته التي أفادته بأن الثورة ثورة اسلامية وطنية ضد الاجنبي الغازي .

وهنا عزم على الرجوع الى طنجة، وأصبح معه السيد عبد الكريم، وكان لا يتوفر على جواز السفر، ولما كان السيد الحداوي معروفا بالتجارة، وله معارف في مكاتب المواصلات، فانه تكفل بالسيد اللوه، وذهبا معا الى الدار البيضاء ومن هناك ركبا الباخرة الى طنجة على هذه الصفة .

وهنا لم يعلم شيئا عن السيد عبد الكريم اللوه، الا عندما اتصل به مرة ثانية كما سيأتي .

أما السيد الحداوي فانه عزم على فتح جبهة ضد الجيش الاسباني بضواحي طنجة، فعمل على الاحراز على السلاح، وكان يخرجهم على بهائم التموين من طنجة الى الزاوية، واخفائه هناك حيث كان يقوم باخفائه أخوه السيد عبد السلام الحداوي القائم بشؤون الزاوية .

ولما تجمعت ثلة من أنصار الطريقة الناصرية، وبعد استكمال التهيء خرجوا من الزاوية مسلحين الى ادغال جبل هناك، وجعل يرسل الى من يتوسم فيهم نصره الثورة من قبائل الجبال، الذين كانوا تحت سلطة الريسوني، الذي استقطب سكان تلك القبائل ضد الثورة الريفية .

ومن المجاهدين الذين كونوا النواة الاولى الفقيه السيد محمد بن تاويت الطنجاوي، واستمر في الكفاح، فتجمع لديهم حوالي 50 مجاهدا، وكانت تأتيهم المؤونة من طنجة على ظهر البغال، وكانوا يقسمون أربعة أقراص من الخبز على 20 نفرا، وبينما هم في حالة اخفاء، اذ عثر عليهم رعاة المواشي، فابلغوا الخبر للسكان، وكان منهم أعوان الريسوني، فطاروا بابلاغ الخبر الى صهره العياشي الزلال قائد بني مصور الساكن بقرية بوغابش .

وهنا كان الحذر يقضى بسبق الاحداث، قبل أن تسبقهم، فيقعون

في المصيدة، وبالأخص ان معسكر الركايح كان مزودا بوسائل الدمار من جيش وعدة بينما الريسوني بالمرصاد لكل من يخرج عن طاعته . فأول عمل قاموا به في البداية هو ارسال بعثة تتكون من عشرة رجال يجرون 8 بهائم محملة بأدوات التقطيع لاجل قطع الاسلاك التليفونية واسقاط أعمدتها أرضا، حتى تنقطع المواصلات الهاتفية بين المراكز وحتى لا يتيسر للجيش أن يردّها الى حالتها بسرعة .

وعندما قام هؤلاء بمهمتهم في نقطة تجمع تلك الاسلاك بالموضع المدعو الآن (كروش الابيض) في ليلة واحدة رجعوا ليلا والتحقوا برفاقهم الذين التقوا من بعيد حول قشلة الاربعاء، منتسرين بالغابة الى الصباح . وفي نفس الليلة لما حاول الجيش الاسباني أن يتكلم في التليفون فلم يجب، خرج ضابط القشلة وأمر بصب النيران صوب كل جهة من الجهات الاربع، ولكن لم يهتد الى شيء، لان المجاهدين كانوا تترسوا خلف الصخور والعوائق الطبيعية .

ولما انبلج الفجر بدأوا المعركة، ففوجيء العدو، ولم يستطع معسكر الركايح ان يعمل شيئا لصالح هذه القشلة، لانه اندهش من قطع الاسلاك التليفونية، وظن أن تمردا عاما في القبائل، ولم يستمر القتال طويلا، بل استسلم من بقى حيا من جنود القشلة، وكانوا من المغاربة المجندين الا رؤسائهم وغنم المجاهدون سلاح القشلة .

وخوفا من اختلاف المجاهدين على السلاح، فان السيد الحداوي ابتكر مخرجا لذلك، وهو أن المجاهدين قوموا كل بندقية بمائة ريال حسنى، فعمد هو وقومه بعشرة ومائة ريال، فنقد ذلك للمجاهدين وأحرز السلاح، وفرقه على من يستحقه بالشجاعة .

وبعد هذه العملية الجريئة، وعندما علم القائد السيد محمد بن التهامي البراق الودراسي بحركة المجاهدين وكان يرابط في قبيلة بنى حسان، ضد الثورة الريفية لضمان طريق مواصلات الجيش الاسباني بين تطوان — شفشاون اختفى هذا من بنى حسان في جماعة من المقاتلين الذين كانوا تحت سلطته، وكان عددهم 120 مقاتلا، وقد أبلغ الريسوني بأنه التحق بالسيد امحمد الخطابي بتكساس وأشيع ذلك بين قبائل الجبال،

ولكن البراق هذا التحق بجماعة الرملة فتعززت به تلك القوة، وأمر بحصار قشلة علانس بوادراس، وقد قضوا عليها بسهولة وقال السيد الحداوي بأن انضمام القائد البراق الى مجموعتهم أقامت الريسونى وأقعدته وأرسل عبد الرحمن صردينا وقاسم الدكالى الى أنصاره يحث على القضاء على القتلة قبل أن تنتسح .

ولكن الواقع أن زمام قبائل الجبال بدأ يتجه الى الثورة، فأثر ذلك مباشرة انضم الى المجاهدين قائد مقاتل مغوار وهو السيد العربى بن حليلة من قبيلة بنى يدر، وكان لا يشق له غبار .

وبانضمامه توسعت دائرة العمليات الحربية، فتوجهت مجموعة الى حصار معسكر ثلاثاء بنى يدر، وكان أكبر معسكر فى الجبال يضم ضباطا كبارا قيل أن من بينهم من ينتمى الى العائلة المالكة باسبانيا، وكان حول ذلك المعسكر قشتان تابعتان له، وهما قشلة الصباب، وقشلة أذرو بين بنى يدر وبنى عروص، ولما وصل المجاهدون تحت قيادة ابن حليلة ومن بينهم الحداوي وكانوا ثلاثمائة طوقوا معسكر الثلاثاء وأرسلوا جماعة الى قشلة أذرو فقصوا عليها .

أما معسكر الثلاثاء وقشلة الصباب، فقد صمدا صمودا طال أكثر من شهر، ولكن فت فى عضدهم انهم فقدوا المواد الغذائية من مأكلا ومشرب، فكانت الطائرات تلقى لهم ذلك، ولكن قل أن تصيب الهدف، وكانت عين ماء قريبة من معسكر الثلاثاء، فكان الجنود يتساقطون عليها كالذباب رغم الخطر الداهم على حياتهم، حتى أن بعض موتاهم سقط فى العين، فتوددت ومع ذلك يقصدونها بنهم .

وعندما وصل الحال الى هذا الحد فان المقيم العام عمل على حشد قوة كبيرة لفك الحصار عنه، وكان اليوم يوم الاحد، سمح بعض المجاهدين لأنفسهم أن يذهبوا الى سوق أحد قريب، والبعض الآخر كان ذهب الى فض خلاف نشأ بين المجاهدين الذين تكفلوا بقشلة أذرو، وقد عمد الحداوي الى ارسال رجال لاطلاق بعض الطلقات فى الهواء لتقاطر المجاهدين .

وفعلا وصل الجميع، فخذقوا في الوادي الذي هو الممر الوحيد
المفضي الى المعسكر .

أما العدو فقد صب جام غضبه على الادغال والاحراش، بقنابل
الطائرات وبطاريات المدافع، التي نصبت على طول الجهات التي بدا
ان الجيوش جراد منتشر يحمل الدمار لكل كائن حي، ولكن صمود
المجاهدين رغم النار المحرقة التي لم يقهم منها الا المتارس الطبيعية،
ولما بدا للعدو أن قد أحرق كل شيء، فانه تقدم فاصطدم مع المجاهدين
اصطداما لم تترجحهم جهنم تلك، فجرت معركة حامية دامت يوما وليلة
سقط فيها ضحايا من الجانبين، وكانت المعركة مسترسلة من دار ابن
قريش الى بنى وسيم فلما لم تغنه تلك المدمرات رجع عن أعقابه وعمد
الى الاستجداء، اذ طلب السماح باخراج المعسكر بأى ثمن يطلبه
المجاهدون، اذ أرسل ثلاثة جنود مغاربة يحملون علما أبيض يعرضون
هذه النظرية .

وهنا اختلف رأى المجاهدون، فمنهم من رأى أن يرجع الامر الى
امحمد الخطابي ليقول كلمته ومن هذا القبيل الطيب الحداوى، ومنهم
من رأى ان يسمح لهم على أن يتركوا المعدات الحربية وقد ترجح الرأى
الاخير نظرا لكون رجال بنى يدر يعتذرون بأن القتال على أرضهم ويكون
مدعاة لخراب ديارهم .

وفى هذا الاثناء جاء شخص يذكر أن أربعة من الشرفاء
الوزانيين، كانوا راكبين الخيول نزلوا في بناية قشلة مهجورة، فهرول
السيد الطيب مع جماعة، فلما دخلوا عليهم وجدوا أن ثلاثة منهم انجليزيون
بينهم كرونيل متقاعد يقودهم السيد احمد بن القائد ادريس امقشد (أطه
من بنى ورياغل من دشرة تفرست سكنت قديما في طنجة) وقد أبدوا
رغبتهم في الذهاب الى ابن عبد الكريم، فسارع الحداوى لارسال رسول
الى قرية دار الراعى التي يوجد بها المركز الامامى للثورة، فاعلموا ابن
عبد الكريم بالانجليزيين، فأمرهم بارسالهم محروسين بستين من المجاهدين .
وبعد ذلك لما غلب السيد الحداوى عن أمره في قضية المعسكر،
استسلم لرأى الاغلبية، فخرج المعسكر في حالة يرثى له وهنا جاء قائد

يدعى القائد الورياعلى مع جماعة من قومه، فوجدوا السلاح مكسرا وكان فيه أنواع منه مما كان يستعمل فى الحرب العظمى، منه الطليانى ومنه الالمانى ومنه الأمريكى ومع ذلك، فان جماعة الورياعلى استطاعوا أن يستعملوه بكل سهولة، ثم أن الحداوى فارق بنى يدر وكر راجعا الى الرملة حيث وجد رسالة من ابن عبد الكريم يأمره بأن يعمل على الاتيان بالسيد عبد الكريم اللوه من طنجة اليهم .

وفعلا قام بالأمورية، فجاء اليهم الى الرملة، وكان الريفى الوحيد الذى شارك معهم فى الاعمال التى قاموا بها من بعده (1) . ويجدر بنا هنا أن نذكر سبب وجود السيد عبد الكريم اللوه بطنجة فى ذلك الوقت بالذات، فقد سبق حكاية السيد الحداوى عن مرافقته من فاس الى طنجة .

ذلك أن السيد اللوه كان قبل ثورة الريف فى طنجة، ربط صداقة متينة مع عائلة انجليزية تدعى عائلة ارنال، وبالاخص مع رئيس العائلة المدعو جون ارنال، وهذا كان من حزب العمال الانجلىزى، وكان فى طنجة يعطف على العمال المغاربة فى جبل طارق، حتى أدى الامر به الى ادخال أربعة منهم فى حزب العمال .

ثم لما قامت ثورة الريف وهزمت الاسبان فى انوال وما اليه، جاء السيد عبد الكريم اللوه الى الريف واتصل بابن عبد الكريم يؤازر الثورة .

وبعدما استقر جاء صديقه جون ارنال الى الريف فسلط طريق توريدت (وكما سبق فقد كان مركز المخابرات الافرنسية بخصوص الريف) فى ثياب بدوى مغربى، فلما وصل الى كزناية بمنطقة نفوذ القائد موح بن عمر اختو اشتبه فيه، فالقى عليه القبض .

(1) وكان معهم طالب ريفى كان يتابع الدراسة فى جبل الحبيب ثم عمل ككاتب معهم، وقد أرسله المجاهدون برسالة الى ابن عبد الكريم وأعطوا له بغلة يركبها وبندقية وعندما وصل الى غمارة باع الجميع واختفى عن أنظار الريف .

وقد تمكن الانجليزى أن يرسل اعلاما الى السيد عبد الكريم اللوه، الذى أطلع بدوره ابن عبد الكريم (يقول السيد اللوه، بأنه أطلعه بواسطة والدى سيدى عبد السلام الحاج محمد الذى كان يتواجد اد ذاك عند ابن عبد الكريم) فأمر هذا بأن تتوجه قوة من الرجال يأتون به بأية طريقة كانت .

وفعلا أوتى بالانجليزى، ولما وصل كان ابن عبد الكريم قام برحلة الى جهة بادس لاجل مهاجمة الجزيرة بالمدافع، فذهب السيد عبد الكريم اللوه بالانجليزى اليه فوجده أقام قيادة الهجوم فى مغارة قبالة الجزيرة، وكان بيده منظار مقرب، وهنا قدم صديقه اليه، فكان السيد عبد الكريم اللوه يقوم بالترجمة بينهما، وكان مما قاله الانجليزى لابن عبد الكريم، أنه ينصحه بأن لا يترك الثورة بدون شعار ينضم شؤونها، فقال له ابن عبد الكريم، وماذا تقترحه أنت؟ فقال الانجليزى أقترح أن تعلن الجمهورية الريفية، لكى يسمع دويها لدى الدوائر العالمية، حتى يمكن لها أن توازره (1) .

ومن هذه الحكاية يتضح مما قاله الجنرال غوديد فى كتابه (المغرب ومراحل النهضة) الذى نقلناه فى الجزء الاول صحيفة 36 من أن اقتراح الجمهورية كان من وحى السيد عبد الكريم اللوه والتجاني، انه لم يكن للسيد اللوه الا وظيفة المترجم فقط، ولم يكن اقتراحه حسبما فى الكتاب المشار اليه صحيفة 86-87، وكما يمكن أن تكون كلمة التجاني محرفة عن كلمة الانجليزى، ولذا يرفع الالتباس المشار اليه .

وفى هذا الميدان فان ابن عبد الكريم يريد استغلال وفادة الانجليزى لفائدة الثورة، فتحدث معه لاجل ايفاد وفد الى لندن، فقرر رأييه على

(1) سبق فى الجزء الاول صحيفة 36 أن ابن عبد اكريم لم يعمل بهذه النصيحة، وكما جاء فى كتاب ابن عبد الكريم أمير الريف أن ابن عبد الكريم لم يرتض لقب سلطان وانما اكتفى بلقب أمير المجاهدين، وانما الاجانب هم الذين حاواوا اصفاء صفة غير مقبولة عنده ومنهم جوريف كليمس الذى هرب من الليف الاجنبى وعمل فى الثورة .

توجيه صهره السيد محمد بوجبار، والسيد عبد الكريم اللوه على ان ينتظرهما الانجليزى فى طنجة ريثما يهىء الوفد الذى زوده بمناشر كتبها ابن عبد الكريم بخطه، أخذ كل عضو طائفة منها .

وحسب حكاية السيد بوجبار، فانه ذهب عن طريق تاونت-عين معطوف فى صفة شخص تاجر عادى، ووصل الى فاس، وأحرز هناك على جواز السفر بطريقته الخاصة، وذهب الى الدار البيضاء، حيث ركب فى البحر الى جبل طارق معرجا على طنجة اذ ركب من هناك السيد عبد الكريم اللوه ومعه صديقه ارنال، ومن جبل طارق توجهوا الى لندن، وقد تمكنوا من الاتصال ببعض الدوائر الرسمية كما اتصلوا ببعض الاحزاب الانجليزية، وكان لوجودهم فى لندن صدى كبير لدى تلك الدوائر والرأى الانجليزى العام وتحدثت الصحف باسهاب، وكما اتصلوا بالوطنيين العرب مثل الامير شكيب أرسلان وغيره وكتب الامير شكيب عن القضية الريفية فى الصحف وفى كتابه «حاضر اعلام الاسلامى»، وقد اتصل بالوفد مباشرة واستفسره بدقة عن أحوال الثورة .

كما أن الدوائر البريطانية اهتمت كثيرا بالوفد وخصصت له طائرة طارت به فوق لندن وضواحيها للتعريف عليها، وقد أسدى ارنال هذا خدمة حسب طريقته فى تسمية الثورة بالجمهورية .

وعند انتهاء مهمة الوفد رجع الاثنان كل عن طريق خاص به فالسيد بوجبار سلك طريق الدار البيضاء ووصل الى أجدير حيث أبلغ ابن عبد الكريم مهمتهما .

أما السيد اللوه فقد التحق بالرملة وتعاون فى تنظيم المجاهدين هناك هو والسيد الحداوى وقد انضم اليهم حوالى 700 مقاتلا حسب رواية الحداوى .

ولما شعرت قشلة الركايح بالخطر الذى يجثم قبالتها فقد عمدت على اصلاء زاوية الرملة وضواحيها بقنابل المدافع والطائرات التى استعملت سائل النابالم حيث أصيب به ثمانون من المجاهدين من بينهم السيد عبد السلام الحداوى الذى توفى بعدما ارسلوهم الى طنجة للتداوى . وفى أعقاب ذلك وصلت رسالة من السيد امحمد الخطابى الى

السيد الحداوى يأمره بأن يقوم بهجوم على دار القائد العياشى الزلال بقرية بوغابش (وكان هذا مريضاً بالنقرس والروماتزم) وكان يكتب ابن عبد الكريم يقول أن الجهاد فرض على كل أحد أما بالنفس أو بالمال أو بما تيسر والحال انه لم يقيم بأى شىء .

وهنا ذهب الحداوى والسيد اللوه مع عشرة من الرجال، وذلك خفية عن رفاقهم الى الزلال ليطلبوا منه أن يقلع على التمويه على الثورة فينضم عملياً، ووجدوا أن الزلال محروس بثلاثمائة من الجنود والانصار فطلبوا منه أن ينضم الى الثورة بأن يرسل معه ولده محمد ويأمر خليفته السيد الهائسى الغماط بمائتى مقاتل، يذهب بهم الى مدشر القصير، فارتبك الزلال، ولكن لم يردا من الانصياع ونفذ مقترحاتهما ولما علم الريسونى بذلك اتصل به، والح عليه بأن يأتى بالسيد الحداوى حياً أو ميتاً، ولما امتنع الزلال قام الريسونى بتهديده ، فما كان من هذا الا أن أعلن عن الرجوع عن المسلك الاول، فطلب من الحداوى أن يرسل ولده محمد مبرراً ذلك بأن أمه قلقة عليه .

أما مجاهدو الرملة فانهم هجموا على جبل الحبيب حيث كان هناك بمدشر النزلة جماعة من زعمائها يستقربون السكان وعلى رأسهم المدعو الطاسى صهر الزلال، وبدر الدين صاحب الريسونى والفقيه عبد العالى والقائد البخات، وهذا الاخير رجع الى المجاهدين وذهب الى السيد امحمد الخطابى بتغزويت، وأما الآخرون فانهم اخلوا المنزلة وذهبوا متسلقين الجبال الى تزروت ، وفى طريقهم ظن الجيش الاسبانى أن الجماعة من المجاهدين فاصلتهم الطائرات نارا حامية فتفرقوا شذر مذر حيث ذهب الطاسى الى مدينة أصيلا التى يوجد على رأسها السيد مصطفى الريسونى باشا، والباقى كل الى وجهة تيسرت له . وانتقل الزلال الى الزينات تحميه قشلة الركايىع .

وعقب ذلك استسلم الريسونى فالتحق السيد الحداوى بالسيد امحمد الخطابى بتغزوت مع جمع من قومه، حيث ذهب من هناك مع السيد امحمد الخطابى الى الريف عن طريق وادى لو - وامثار الى بنى بويفرح، والى أجدير حيث بقى هناك الى أن وقع احتلال الشمال ؛

الانسحاب الاسباني

ان مخطط الانسحاب لم يكن مستوحى من انسانية الدكتاتور الاسباني، أو من ارسنقراطيته، كما يقال، وانما كان نتيجة مفعول قتال الثورة الحاد .

نفى هذه الجبهة كان المجاهدون قد وصلوا الى مركز تغزوت، ببني حسان، بعد ما قاموا بتطهير شاطئ، اغمارة في تيكساس، الى وادى لو، ومن وادى لو الى تغزوت، باحتلال ثكنات العدو المنتشرة على وادى لو - أفرطان، وهو الواد الذى ينزل من تغزوت الى البحر، وشمل التطهير المركز الهام بتلامبوط حسبما فصل فيما سبق .

وعليه، فانه الى غاية شهر يوليوز 1924، لم يبق بيد الجيش الاسباني الا الممر الوحيد الممتد ما بين تطوان عبر أربعاء بنى حسان الى شفشاون، ومن ناحية أصيلا والعرائش والقصر الكبير، فان مراكز العدو كانت متقدمة الى قبيلة بنى عروص، وثلاثاء الريصانة، والقلعة من قبيلة بنى يسف .

أما الريسونى فانه لم يستطع فى هذا الظرف أن يقوم بأية حركة لفائدة نفسه، أو لفائدة أصدقائه، وانما كان قابعا فى حصنه بتزروت، تحت وطأة مرض الحبن، بينما جماعة من أنصاره حيارى لا يدرون ما يأتون ولا ما يفعلون .

ويقال بأن الامير الخطابى أوعز الى احمد اخيرو، أن يكتب الى الريسونى، لينضم الى المجاهدين قبل فوات الاوان، ولكن طبيعته منعتة من أن يصغى لنداء الاخوة والدين . (1)

وكان يظن أن ليس لاحد أن يصل الى معقله أو يستنزله منه. وتحت هذه التأثيرات، قرر الجنرال بريمو دى ريفيرا البدء فى عملية الانسحاب، مهما كلفه ذلك .

وبالرغم من تدمير القادة العسكريين، الذين اعتبروا أن الانسحاب

(1) فقد جاء فى كتاب عبد الكريم أمير الريف ص 129، أن اخيرو كتب الى الريسونى يدعوه الى الانضمام للثورة .

معناه ضياع أمجادهم العسكرية في شمال المغرب، التي كانت نتيجة معارك ضارية وطويلة، انطلاقاً من معركة الثعلب على ضواحي ملييلة سنة 1909، التي منوا فيها بهزيمة نكراء، عندما صدّهم دفاع المجاهدين تحت رئاسة الشهيد سيدي محمد أمزيان، إلى معارك أخرى نتري حسبما فصلنا. ولاجل أن يخفف من وقع قراره بالانسحاب على أولئك القادة، الذين من بينهم الجنرال سيرنو والجنرال كسترو خيرونا، والجنرال الريكارمي والجنرال كيبودي لانو، والجنرال فريديركو برينجر أخو برينكير الذي كان مقيماً عاماً قبل ذلك، والجنرال منويل غوديد والكرونييل فرانكو، والكورونييل أوفيلو، فإنه طبع منشورات باللغة العربية أطلقت من الجو بواسطة الطائرات على القبائل، ومراكز تجمعات المجاهدين، يعطى فيها أن إسبانيا لا تتوى مطلقاً مغادرة المغرب، ومما جاء فيها :

«لا يجوز أن يؤخر شرف إسبانيا دقيقة واحدة، أو يؤجل انقاذ القوات الأسبانية التي أرسل الرتل لاغاثتها» كما توعّد القبائل المتمردة (أي المنضمة إلى الثورة) وهي القبائل التي كان الجيش الأسباني قد استولى عليها، وكما أصدر الأمر إلى الجيش في جميع الخطوط باحراق القرى التي ينسحب منها، ونهب أموالها، وانزال القصاص برجالها .

الآن هذه الأوامر كلها لم تغنه شيئاً، فإن القبائل لم تتمرد كما وصفها، وإنما استردت حريتها التي سلبت منها، بفعل الغزو الظالم، وها هي قبائل بني سعيد، وبني زجل والأكماس وبني سعيد وبني يدر وبني حزم على ضواحي تطوان كلها تنفست الصعداء، فسارعت لحمل السلاح مؤازرة الثورة المباركة التي يقودها مجاهدون أبرار ،

ولم يخف أولئك العسكريون انتقادهم لسياسة الانسحاب التي أمر بها الجنرال بريمو، ووصفوه بجهل المشكل، وأنه بذلك جعل أصدقاءهم من القبائل عرضة للانتقام من المجاهدين، وقد ألقى أولئك القادة اللوم، ليس على القبائل، وإنما على سياسة التخلي عنهم، حسب تعبير أحدهم، وهو الجنرال غوديد، فقد قال في كتابه «المغرب ومراحل التهذئة» في العبارات التالية «أن رئيس الحكومة الجنرال بريمو دي ريفيرا لم يكن يشعر بالمشكل المغربي، ولم يدركه، وأن السنة التي قضاه في الحكم، لم

ييال بهذا المشكل وكان يظن أن المفاوضة ما بين المقيم العام الاسباني وبين ابن عبد الكريم في شأن احلال السلم بتنازلات من جهة، وبين المقيم والريسوني من جهة أخرى، هي التي تحل مشكل المغرب العويص» .

«ولم يستيقظ، الا عندما حشد امحمد ابن عبد الكريم في بنى معلقة، قبالة مواقع: صولانو - وتازا طابورين اثنين من الارياف، وحركة من 600 مقاتل، تحت قيادة عبد الكريم الحتاش من بنى ورياغل» .
«وقاد امحمد ابن عبد الكريم نفسه الهجوم من تغزوت، بمعونة حدو المعلم، الذي كان يعمل كخليفة له» .

«وعندما ظهر خط وادي لو، انضمت اليه قوة مهمة من بنى حسان، بقيادة اخريرو والقائد احمد بن سعيد كما وصلت قوة من الريف قوامها 400 مقاتل تحت قيادة موح ابرقاش من بنى ورياغل» ،
«وفوجيء - أى بريمو - بهذا التمرد الجبلي، الذي أيقظ فيه فكرة الاهمال المشكك، فظن ان الحل الوحيد لوقف هذا السيل من التمرد ضد الجيش الاسباني هو الانسحاب من المواقع الامامية، التي توجد فيها القوة الاسبانية، منتشرة في مواقع، داخل قبائل غمارة، والجبالة» .
«ان قراره بالانسحاب يدل على عدم فهمه لنفسية المقاتل المغربي، الذي عندما يلاحظ تقهقر العدو وعوضا عن أن يتوقف، يغالى في ضغطه عليه» .

«وهذا ما كان منتظرا، فان العدو ضاعف من هجماته، وهؤلاء رؤساء القبائل الذين كانوا بجانب اسبانيا لحد تلك الساعة، خافوا من الانتقام، الذي يتعرضون له، سواء في شخصهم أو ممتلكاتهم عندما تتسحب القوة الاسبانية، فانهم اندمجوا في التمرد، ولا يمكن أن نتهمهم بالخيانة، لان اسبانيا هي التي ألزمتهم باتخاذ هذا الموقف، لتخليها عنهم» .

«أما الذين انسحبوا مع الجيش، وانحاشوا اليها، فانهم لم يستطيعوا أن يقدموا أية خدمة لاسبانيا لان شخصيتهم قد انحطت أمام اخوانهم» .

وعلى أى حال فان الجبهة الغربية تطورت الى صالح الثورة الريفية، في سرعة مذهلة، ففي صيف 1924 وقع الهجوم الريفى على

خط الجبال، بكل حماس وشجاعة، ويعزى لابن عبد الكريم انه قال فى مذكرته: «ان قضاءنا على تمرد قبائل غمارة وجباله أحيى فى نفوسنا شجاعة وقوة وحماسا، وجعلنا نوسع هجومنا الى مدينة شفشاون، ورد القوة الاسبانية الى الورا، من القبائل الجبلية الى حدود تطوان». وشهد الجنرال غوديد فى سرد الحالة التى عليها الجيش الاسبانى فى ذلك الوقت على الصورة التالية :

«كانت المواقع التى تحتلها اسبانيا (أى ما بين شفشاون وتطوان - وشفشاون ووادي لو) مهددة ومحاصرة بمواقع طبيعية، وبعدها عن القواعد التى تمدها بالاعاثة».

«وهذه الحالة هى التى مكنت العدو من تطويقها، وقطع المؤونة فى الوقت الذى يراه مناسبا».

«وفىما يتعلق بالقيادة العسكرية الاسبانية فإنه كان بإمكانها أن تطلب المساعدة لحماية المقاتلين (الجيش) من مخاطر المواقع التى توجد فيها، لكن وقع ما كان مما لا مفر منه، وان القوة الاسبانية كانت مرغمة لرد هجوم القوة الريفية، لكن بدون جدوى، ودون أن تتمكن من ربط مراكز التموين بعضها مع بعض».

«ورغم المجهودات التى قامت بها تلك القوة لاجل فك الحصار، الا أن ذلك لم يأت بأية جدوى الامر الذى وجدت معه القوة الاسبانية، أنها مضطرة الى التخلي عن خطوطها، وعن قواعد المطوقة، فاستسلمت». ان هذه الشهادة من أحد القادة العسكريين الذين عاشوا المعارك، يدل على ما أشرنا اليه، من أن الانسحاب لم يكن هبة من الديكتاتور الاسبانى للثورة، وانما كان تحت ضغط القتال البطولى المسترسل، من تطهير موقع الى موقع، الى أن وصلت المعارك الى عنق القنينة، وهو مجاز دار قوبع، وحاول أن ينقذ الموقف بالانسحاب تحت حماية الاغاثات الهائلة التى جرتها أعمدة القوة الغازية.

«وهكذا، فقبل الشروع فى عملية الانسحاب، كان العقيد فرانكو، بتاريخ يوليوز 1924 أرسل لتعزيز الحاميات التى تمتد ما بين تطوان الى شفشاون، والتى يقع عبأ الانسحاب على حسابها، فقاد فرقة اللفيف

الاجنبى (التريسيو) لتنظيم الانسحاب فى ظروف مواتية، ولكن سرعان ما فوجئ، بمعنويات الجيش قد نزلت الى الحضيض، نتيجة الضغوط المستمرة على تلك الحاميات، من طرف المجاهدين الذين شدوا الخناق عليها، حيث استمر حصار بعضها لمدة واحد وأربعين يوما، وأخرى لمدة 73 يوما وأخرى كاد أن يقضى عليها العطش، فجعلت تشرب الخل، وحامية أخرى اشعل رئيسها النار فى الخيام والاكوخ، بما فيها من جثث القتلى» .

وحسب تقارير قادة الجيشى الاسبانى فان الهجوم الكاسح الذى شنه المجاهدون لم يكن ابن وقته، بل كان مخططا مدروسا باتقان، وقالت تلك التقارير، بأن الوثائق التى حصلت بأيديهم سنة 1926، ضمن عدة أوراق فى ملف الخرائط الفرنسية، تدل أن هجوم وادى لو كان مدروسا قبل ذلك، وانه كانت هناك عدة أسهم فى تلك الخرائط، تشير أول ما تشير الى مواقع وادى لو، ثم تمتد تلك الاسهم، فتشير الى طريق شفشاون وتطوان، وعندما تشير تلك الاسهم الى النقط الرئيسية، فانها تتوجه ضد المواقع الاسبانية: افرطان -- تغزوت -- دار قوبع -- ميسكريكة .

وان الانتصار الذى حصل عليه الريف هناك، تبعته موجة من الحماس، داخل القبائل الجبلية التى كانت متأثرة قبلها باسبانيا، فانقلبت تلك القبائل عليها، الامر الذى ضاعف من صعوبات الجيش الاسبانى المتناثر هنا وهناك، على القمم، والشعاب التى أصبحت موحشة كالغول، يفتح فاه لابتلاعه ؟

محاولة لتخفيف الضغط

وقد فكرت قيادة الجيش الاسبانى فى محاولة لتخفيف الضغط عن طريق الانسحاب من شفشاون الى تطوان، فقرر أن يقوم بهجوم من وادى لو، بعد ما عزز قوته هناك، متجها نحو تغزوت، على ضفتى وادى افرطان وهى ذات تضاريس حجرية صعبة، تعلو الى عنان السماء، فى أوج قممتها بفرقة الخمس من بنى حسان، على الضفة الغربية، ومثلها كذلك على الضفة الشرقية عندما تصل الى تلامبوط فى قبيلة بنى زجل .

وعلى كل، فان جيوش العدو سوف تضيق في مرتفعات المسالك الوعرة، المحتلة بتلك الاماكن .

وهكذا، فانه اصطدم مع المجاهدين في ثلاث معارك، الاولى في وادي زرزا ببني سعيد، والثانية بموضع يدعى محافر البغلة على وادي افرطان، والثالثة بموضع يدعى لرزة، فقد ترك المجاهدون فرصة لتلك القوة لتركز في هذه الاماكن، حتى اذا اطمأنت، احدث بها المجاهدون، وعمدوا الى نصب الالغام التي يصنعونها بأيديهم، من قنابل الطائرات الغير المنفجرة، فيفكونها ليأخذوا الديناميت منها لوضعه في عبوات تحشى بشظايا القنابل المنفجرة مع وضع حبات الاشتعال .

ففى الليل يقترب الفدائيون من مكان تجمع قوات العدو، حيث يفجرون تلك العبوات، مع رمي القنابل اليدوية، فيحدث ذلك دوياء، تنفطر منه قلوب الاعداء، ويقع الارتباك في صفوفه، حيث لا يدري الى أين المفر؟ فاذا خرج من مكمنه ضاع بين تلك الاحجار التي تصدمه .

وهكذا، قضى على هذه التجمعات الثلاث المهاجمة، من دون ان تنال من المجاهدين منالاً بل لم تشغل بهم أساساً، نظراً لهذا الاسلوب الدقيق، في خوض المعارك، بدون خسائر تذكر، بينما العدو اندحر تلقائياً.

الانسحاب من وادي لو ووضعية القرفة

وعندما فشلت هذه المحاولة، فان القيادة العسكرية الاسبانية، قررت اخلاء مركز وادي لو من أصله، وأمرته بالانسحاب الى تطوان عن طريق البحر، بعدما جمعت الحاميات المتبقية هنا وهناك، ونقلتهم على المراكب، وعندما شعر بها المجاهدون أصلوها نار مدافعهم، فاغرقوا لهم المركب المسمى «كتالونيا» ونجى الباقون تحت تعقب المجاهدين لهم.

وكان يوجد من بين الذين احتجزتهم اليها لاثارة الشقاق بين أهالي الوطن المهاجم، القائد محمد القرفة، وهذه العائلة من شرفاء البقالين. واستبدت عائلة القرفة بالرياسة في قبيلة بني سعيد، مدة من الزمن .

وفي أثناء انسحاب الجيش الاسباني عن وادي لو، عز على محمد

القرفة هذا أن يترك عشه وعش عائلته، فيعبر به أهالي القبيلة، فقرر أن يصمد لآحداث الوقت، واقترح على الجيش الأسباني أن يزوده بمائة من المجندين المغاربة يمكنون معه لحراسة ممتلكاته، ولم يمكن عندما غادر الجيش أن جرد المجندين من سلاحهم وأمرهم باللاحق بتطوان، وأرسل إلى أحمد الخطابي أنه يضع نفسه تحت تصرفه إن شاء اقتص منه، وإن شاء استبقاه لصالح الثورة، وطلب منه أن يبعث إليه القائد أحمد بن سعيد .

فاستدعى الخطابي القائد أحمد بن سعيد، وأبلغه قصة صديقه القرفة، واستفسره عنه، فطلب ابن سعيد منه أن يهبه له إلى ضمانته، واجابه هذا إلى ما أراد، بعدما بين له أنه يدرك أن القرفة تخلى عنه أصدقائه، فخاف على نفسه وماله، فاستنجد به، ومع ذلك فإنه يتركه إلى ضمانته ابن سعيد .

ثم إن المجاهدين تعقبوا الجند المنسحب عن وادي لو إلى تطوان، فذهبوا إلى أن عسكروا ببني معدان من قبيلة بني حزمارة على الضفة الشرقية لوادي المحنش، وعسكر هناك القائد أحمد أخيرو على أبواب تطوان، بقوات من رجال بني حزمارة، وكانوا يتسللون إلى داخل تطوان من الفجوات التي ينتهزون فرصها، لاشاعة البلبة في صفوف الأسبان .

وقد شهد أحد مراسلي الصحف، وهو «ولتير هاريس»، بأن الرصاص كان يتساقط في الشوارع، وكان في مقدور سكان المدينة أن يشاهدوا من نوافذ المنازل المعارك تدور على بعد أميال قليلة من البوابات.

وقد قال الجنرال غوديد في صدد انسحاب الجيش من خط وادي لو، ما يأتي: «وعندما انسحبت القوة الأسبانية عن خط وادي لو، كان ابن عبد الكريم مترددا في صحة الانسحاب الجماعي للقوة الأسبانية، ظاننا أن عملية الانسحاب من وادي لو هي خدعة حربية، ولذا انتقل إلى تامبوط، وقد تأكد من هناك بأن الانسحاب الجماعي أمر واقعي، فأصدر أمره إلى القائد حدو بن المعلم من أجدير، الذي كان يعد خليفة له، وكانت

مهمته الأصلية مرابط ومفتش عام للبحرية الريفية، بأن يبدأ الهجوم على مواقع خط شفشاون» ؟

وأول موقع بدأ الجيش الأسباني الانسحاب منه، هو موقع دار اعزف بالأكماس السفلية ازاء دار أبي الحسن الشاذلي، وهو موقع يعتبر صلة الوصل بين مواقع شفشاون، والقلعة بقبيلة بني يسف وبينهما قسطنطين لضمان المواصلات أحدهما بالأكماس بالهولة والآخرى ببني يسف بفدان الجبل، وكانت كقلعة، تعتبر بمثابة تعزيزات لهذه القبيلة، التي كان بها ألف وخمسمائة (1.500) جندي، وكانت تعد الدرع الواقى لسلطة الريسوني في نطاق حزام من القبائل، يتمثل في الأكماس، وسماتة وبني يسف وبني عروس، ولكن لما رأت قبيلة الأكماس انسحاب الجيش الأسباني من هذه القلعة فت في عضدها وجعلها ذلك في حيرة، وأبدت بعض عساكرها ترددها في الاخلاص للريسوني واسبانيا كما أنها لم تخلص للثورة أيضا، بل ارتكبت أعمالا غوغائية كما سيأتي بعد .

المركة الكبرى بحبانة والحمراء ببني حسان:

حبانة بالحاء المهملة، وهو الاسم للاخدود الذي يبتدىء من نهاية السهل العريض المدعو الحمراء المنتهى الى كدية بسوق اربعاء بني حسان. وفي خضم هذه الاحداث التي روعت الجيش الأسباني والتي أبانت عن صعوبة المواقف التي تترتب عن هذا الانسحاب، فان رئيس الحكومة الأسبانية تكفل بنفسه بتسيير العمليات الحربية في المغرب .

واخذ على نفسه أن يشرف شخصيا على عملية الانسحاب، فقام صحبة الجنرال سيرانو اوريثي برحلة استطلاع علم بها المجاهدون، فنظموا كمينا لهما، وكادا أن يقعا فيه، الا أنهما نجيا بأعجوبة، وعند رجوعه من تلك الرحلة، صمم على ان لا يترك الحاميات متناثرات على القمم الموحشة، بعدما عقد اجتماعا حضره جميع قادة الجيش، وقد أبدى هؤلاء معارضتهم لمخططه، الذي كان يقضى بالانسحاب الشامل، والاحتفاظ بتطوان فقط، والمدن الساحلية الاخرى، ويقال أن الكرونيل فرانكو تدخل شخصيا معه فحمله على تعديل المخطط بعض الشيء، بأن احتفظ بخط مرتيل - وادي

المنحش — بوصفيحة — الفندق — ضمنا لطرق المواصلات مع العرائش، وهو الخط الذي كان في عهد المقيم العام الجنرال خردانة، والذي دعى بخط بريمو دي ريفيرا، أو خط استيلا .

وبعد هذا التعديل الطفيف، بدىء في تنفيذ عملية الانسحاب، وقد تنف بها الجنرال ازبورو وهو الشخص الذي ورد ذكره كثيرا في سياسة اسبانيا بمليية، يقود قوة الاغاثة تتكون من 40 ألف جندي، تحت الاشراف الشخصى للمقيم العام، وذلك بعدما قام سرب من الطائرات الاسبانية يتكون من 19 طائرة بالاغارة على القرى التى خلفها، وراء الجيش الاسبانى، عن شواطىء البحر، وعلى ضفتى وادى لو وافرطان وتسبب في مذابح بشرية للنساء والولدان، أما الرجال فهم على شواهد الجبال، التى هى اعشاش العقاب، لا يلحقهم أى أذى، من طائرات الاغارة، بل كانوا يسددون بنادقهم اليها، حيث اسقطوا منها سبعا، اثنتان سقطتا في أيدي المجاهدين، والباقي شوهدت وهى تحترق، حيث سقطت في جهات العدو .

وقبل خروج الرتل الاسبانى من تطوان ولتأمين سلامة الانسحاب أصدر المقيم العام أمره اليومى الى جنوده يهددهم فيه بعقوبة قاسية، اذا نسوا واجبهم لانقاد القوات الاسبانية وشرف اسبانيا، بفعل الكسل أو الاهمال، وعليهم فى انسحابهم ان لا تأخذهم الرأفة فى انزال القصاص بأولئك المتوحشين الذين يتعرضون للقوات الاسبانية، بما فيه نهب أمتعتهم واحراق قراهم .

وقد نظمت ارتال الاغاثة بقيادة اساطين الجيش الاسبانى بعناية فائقة .

وهكذا تكلف الجنرال الريكرمى باحتلال سوق أربعاء بنى حسان، وهو مركز مهم يتوسط طريق المواصلات بين شفشاون-تطوان، ويشرف على الامر بأكمله، وحينما تحرك متجها الى المركز، تركه المجاهدون، الى أن ابتعد عن تطوان، فأطبقوا على قوته من الخلف، والجناحين الايمن والاييسر، بينما لم يستطع أن يتقدم ولو خطوة واحدة، وكانت معركة الفندق فى مدشر بنى موسى على الوادى الذى يصب فى وادى النخلة

فوقع فيما لم يكن يظنه، وقد طلب من تطوان ارسال اغاثة لكى يستطيع الرجوع اليها، وقد تكبد خسائر فادحة، فى الارواح، وفعلا أرسلت اليه تغطية من الطيران، التى لم تهتد الا الى احراق القرى، كما أرسلت اليه اغاثة برية تمكن بعدها من الرجوع بما تبقى من جنوده .

واثر هذه الملحمة فقد أرسلت ارتال موزعة حسب التالى :

1 — الجنرالان الريكارمى وكيبودى لانو يقودان القوة التى تسير على وسط الممر، الذى يمر على دار ابن قريش، فعين الجوع، ثم على قرية بنى موسى الى الحمراء، ثم دار قوبع .

2 — يحمى هذه القوة على الجناح اليسارى قوة يقودها الجنرالان سيرانو وكسترو جيرونا، على أن تعمل هذه القوة لمنع المجاهدين الذين يكونون تمركزوا على القمم التى تكون حذوة الجبل، انطلاقا من جبل غرغيز الى قرية الخمس المشرفة على دار قوبع وتغزوت .

3 — أما الجناح الايمن فتحميه قوة يقودها الجنرال فريديريكو برينكير، وعليه ان يتسلق هضاب منكال، والجبال المتصلة بأربعاء بنى حسان، الى أن تصعد على أسفل جبل بوهاشم .

4 — على أن يقود الرتل الاوسط الكرونيل أوفيلو على رأس قوة النقل، تكون مهمتها اضافية لحماية مؤخرة هذا الرتل من قطع خط الرجعة، وقد استطاعت هذه القوات متجمعة ان تصل الى أربعاء بنى حسان، فى 28 شنتبر سنة 1924 .

ثم واصلت قوة الجنرال سرانو تقدمها الى أن وصلت الى مدينة شفشاون، فدخلتها يوم 30 شنتبر، ثم تبعتها قوة الرتل الذى يقوده الجنرال ريكامى، ودخلت يوم 2 اكتوبر الى مدينة شفشاون وقد بقيت قوات أخرى على طول طرق المواصلات الى تطوان .

وشرعت تلك القوة ترسل نجدات الى الحاميات الهامشية، التى كانت الى ذلك الوقت فى أماكنها لتحضى اخلاءها لتلك المواقع، وقد استغرق عملهم هذا مدة ستة أسابيع .

أما قوات المجاهدين الى ذلك الوقت لم تكن تلتحم مع القوات

الاسبانية، الا بصورة اصلياد، متقطعة تغير هنا وتضرب هناك، وتهاجم القوافل القادمة، من تطوان او التي ترجع اليها .

وفي 13 نوفمبر 1924 خرجت القوات الاسبانية بصورة جماعية من مدينة شفشاون، تحت جناح الظلام، وفي سرية تامة، بعدما ركزوا حراسة على الحواجز الضرورية من الخلف، كما ركزوها أيضا في المقدمة، تسير على حذر، لتفتيش الممر .

وكان الجنرال كسترو جيرونا، يقود طليعة الجيش المنسحب، كما كان الكولونيل فرانكو، يقود المؤخرة، تحت امرته الفرقة الاجنبية .

وقد استمرت في مسيرتها لمدة خمسة أيام، قطعت فيها ما بين شفشاون وسوق أربعاء بنى حسان وهي مسافة لا تتعدى 30 كلم على وجه التقريب، اذ وصلت حراسة المقدمة في 19 نوفمبر بينما القوات الرئيسية حطت فيما بين دار قوبع وسوق أربعاء بنى حسان .

انه من سوء حظ هذه القوات المنسحبة ان تفتتح السماء ميازيب المطر المنهمر، يوما بعد يوم، مما يجعل مسيرتها بعرباتها وحيواناتها، وكعاب أحذية جنودها، تتلطح في الاوحال، حيث ضاعف من مقاعب عملية الانسحاب .

وقد وصف الكرونيل فرانكو في ذلك الوقت الوضع أدق وصف، اذ قال: «وخطواتهم مثقلة بالوحل، وطوفان من المطر يلسعهم، والبنادق مغروزة في الطين، والعربات غارقة فيه حتى محاورها، وان عربات الاسعاف المحملة بالمرضى المحمولين، عاجزة عن شق الطريق، عبر هذا الخليط من الرجال والمدافع، والشاحنات والبغال» .

أما المجاهدون فكانت وضعيتهم ملائمة، لانتصارهم تماما، كما لو كانوا على موعد مع هذه الامطار المباركة التي لا تزيدهم الا صلابة، وخفة لسرعة اختفائهم عند الحاجة، في غطاء من الضباب، حينما يظهرون في جهة أخرى للضرب والثخن .

وهكذا كان امحمد الخطابي عقد اجتماعا مع قواده حضره القائد اخريرو والقائد بوحوت، وهو من قلعية (لازال حيا الى الآن)، وكان في الجيش الاسباني، ثم انحاز الى الثورة، وأسدى اليها كثيرا من المعونة

لشهامته وخبرته بالطرق الحربية الاسبانية، وقد كان يرأس طابورا من القوات الريفية النظامية، كما حضر هذا الاجتماع القائد حدو المعلم، والفقيه ابن على بولحيا والهادى بن عزوز، والقائد احمد بن سعيد، وقد قرأ رأى المجتمعين، ان تترك الاغاثة تصل الى شفشاون، وعند الانسحاب منها يتعرض لها المجاهدون، حيث يكون الجنود قد انهكهم الانسحاب، تحت عواصف من الامطار، عن اديم ارض موحلة، وهناك يضرب المجاهدون ضربتهم التى لا تبور .

وهكذا كان المخطط الريفى، الاستعداد لشن هجوم عام، عندما تصل القوات المنسحبة الى ما بين حبانة والحمراء .

وقد كلف الخطابى المقاتلين، بأن يضعوا ثقلهم على الذرى المحيطة بهذا الاخدود، من سوق الاربعاء، الى دار قوبع، على أن يختلفوا ما أمكن الاختفاء، عن أنظار العدو، وبالاخص مقدمة الحراسة، حتى اذا تكامل اجتماع الجيش هناك، وركنوا الى الاستراحة، انقضوا عليهم من كل جهة ومكان .

وفعلا، فعندما انتهى الانسحاب الى التوقف فى هذا الاخدود، هرع المقاتلون، متسللين من الشعاب والتلال، منصبين نيرانهم بدون هوادة، كأنهم على موعد مع السيول العاتية، التى انفجرت تجرف الطرقات والمسالك وتزيد فى مصاعب المجندين المنسحبين فى حالة يرثى لها .

وكان الامير فى تخطيطه قسم المجاهدين الى خمسين فرق، كل فرقة عين لها الجهة التى عليها أن تقوم بدورها البطولى، تحت أحد القواد المذكورين، مع رجال قبائل بنى حسان وبنى سعيد وبنى زجل وبنى حزم .

1 — ترأس القائد احمد بن سعيد قوات قبيلة بنى حسان .

2 — القائد بوحوت ترأس الجيش النظامى .

3 — القائد حدو المعلم ترأس المجاهدين من الارياف، يؤازره

الهادى بن عزوز .

4 — أما القائد احمد اخيرو فقد كان على رأس رجال بنى

سعيد وبنى حزم .

وقد كانت العدة متوفرة لديهم، بما غنموه من المدافع التى

سقطت في أيديهم، فجروا الى تلك الذرى التى تمركزوا فيها من المدافع عشرة، من العيار الكبير، وعددا كبيرا من الرشاشات، وما يكفى من الدخيرة والبنادق، وكان استيلاؤهم على تلك القمم تاما، بحيث لا يستطيع أحد من قافلة الحراسة للجيش الاسباني أن يفكر فى الانعزال، عن محيط الجيش، والا كان مصيره أن يقع فى مصيدة المجاهدين، الذين يصوبون الطلقة رأسا الى الهدف .

وقد أعطى أحد المراسلين الاميركان وهو ويت ميلر الذى زار سوق أربعاء بنى حسان، لمشاهدة الحالة عن كثب، وقد زوده المقيم العام بسيارته الرفيعة، ومساعد له أنيق، فقد قال حسبما نقله الانجليزى روبرت فورنو، «كانت السيارة تنعزز مرة بعد مرة فى حفر الطين، فكان لابد لنا أن نخرج منها، كى ندفعها أو ننترع بعض الاغصان من الادغال القريبة، ونحمل السيارة كى نعطي العجلات الخلفية قوة على الجذب» .

«وكان الطريق الغارق عدة بوصات من الطين يتلوى بين جبال عابسة نصف قاحلة، وكانوا يحاولون ان يسيروا عليه فى اتجاهين وهو لا يتسع سوى لاتجاه واحد، من دون أن يحضروا عمليا أى موضع للغور، وسألت رفيقى لماذا لا تمهدون طرقا جانبية، وتضعون مرشدين على الهضاب وتسمحون بالمرور فى اتجاه واحد، لمدة من الزمن، ثم يطلقون المرور فى الاتجاه الآخر، لدى تلقى الاشارات من المرشدين، فى مواقع التلال؟ فأجاب الضابط الذى يقودنى، أوه ان الريفيين سيقتلون المرشدين» . وهذا الوصف كاف لادراك الحالة النفسية للجيش المنسحب، ووضعيته التى هو عليها، ولادراك سيطرة المجاهدين على الموقف سيطرة تامة، تجعل حالتهم المعنوية لا تقهر، وقد زادتهم جرأة نيران مدافعهم التى تصب بدون هوادة على العربات والبهائم التى احتلت حابلها بنابلها، مما أحدث فوضى، واضطرابا، فى الجنود الموحلين، حتى أنهم لم يهتدوا من أين يوخذون ؟ .

فالمجاهدون يقاتلون من خلف الصخور، والادغال، فلا يلبث الجندى أن يسقط أمام اخوانه صريعا وهم لا يدرون من أين أصيب، وقل أن تكون الطلقة تخطىء الهدف، وقد قال أحد الضباط الاسبان، ممن نجى

من مذبحة الحمراء، والحبانة «كنا نقاتل أشباحا، وكنا نخسر ثلاثين رجلا، لقاء رجل واحد منهم» .

وعلى كل، فإن الحالة المزرية التي تواجدت عليها في ذات الوقت القوة الاسبانية التي كانت تضم 40 ألف جندي لا يمكن أن توصف، لانه زيادة على تعرض كل واحد منهم للقتل من حيث لا يحتسب، فإن الجوع والبرد والمطر المنهمر، والعوايق الطبيعية، والخسائر التي خلفتها مدفعية المجاهدين في الدواب والشاحنات كل ذلك كان باعثا على مأساة قل نظيرها في تاريخ الحروب، فقد قال الصحفي الامريكى في نفس الموضوع: «تحدثت مع ضابط يعسكر مع فصيلته على جرف صخري، على عطف الجبل، (بالحبانة) كان وجهه الذي لم يخلق منذ أيام محفورا بخطط طبعها عايه القلق وكانت بزته موحلة ومهترئة، وكاد ينفجر باكيا، وهو يرينى الاكواخ المتداعية التي تدلف سقوفها، والتي نام رجاله تحتها، في بوصة الوحل حرفيا، طوال أيام، ودلنى على كوخ كان يمكننى أن أقسم أنه لا يتسع لأكثر من خمسين رجلا، وقال أن 160 جنديا ناموا هناك، مغطين الارض العارية، مثل السجادة، دون أى فاصل ما بينهم على الاطلاق، ان هؤلاء المساكين لم يأكلوا شيئا الا بعض سردينات لكل منهم طوال اليومين الماضيين، اننا لا نستطيع أن نحصل على أى غطاء أو طعام في هذا المكان، ولا بد لنا أن نبقي هنا كى نقاتل الرماة، ونحمى جناح الانسحاب، وقال أنه لم يرقط جنودا في مثل هذه الحالة من الاعياء، والغم، والقذارة، وكان الكثير منهم حفاة، وعندما يأخذ منهم اليأس من اصابة أى أحد من الرماة، فانهم يعمدون الى اطلاق نيران مدافعهم على القرى التي لا يمكن فيها الا النساء والصبيان، والعجزة، أما الرجال فانهم بالطبع يعرفون أنهم في مخابئهم وراء الصخور والادغال، يتربصون بالجنود، لاصطيادهم، بطلقاتهم النارية» .

وهكذا فعندما التحمت الملحمة الكبرى في الحمراء بقرية أشرطة، كان السهل الفسيح، والذي تسيطر عليه مباشرة الذرى المتناثرة على الجناحين، وسقط من جملة القتلى الجنرال سرانو، ثم عندما أرسل ضابط سام ليحل محله سقط قتيلا أيضا، كما جرح في نفس المحل الجنرال

برينكير، وقتل في المحل نفسه الف جندي عدا من قتل على اخدود حبانة، وعلى وادي بنى موسى، النازل الى وادي النخلة، يكون منظرا مأسويا. وحسب تقارير الدوائر العسكرية الاسبانية، عن احصائيات الخسائر في الارواح، كانت كما يأتي :

القتلى جنرال واحد، وهو سرانو، وستة من الكرونيالات، وثمانية من الكمندانتيات، و175 ضابطا من مختلف الرتب، والجرحى من الضباط 600 و 17.000 من الجنود القتلى والمفقودين (1) .

وقد اُتلف المجاهدون اثنتين من الدبابات احدهما وضع الارياف سدودا من الحجارة، فانحسبت وصبوا عليها نيران بنادقهم، والثانية كان أحد المجاهدين وهو الحاج بالخاضر من بنى بوغياش، تمكن من غرز حديدة معقوفة الرأس في مؤخرتها، وجعل يحدث ضوضاء فاندھش جنودها، فتوقفت عن السير بينما الآخرون يقتربون منها، ويرمون عليها قذيفة يدوية فقتلوهم .

أما الجنرال كسترو جيرونا، فانه استمر في تقدمه صوب دار ابن قريش، حيث وصلها في طائفة من الجنود، بينما الباقي بقي منقطعاً في سوق الاربعاء، محاولين اللحاق به، في صورة فردية تقريبا، يحثون السير، بينما الرماة يتبعونهم، لشدة الخناق عليهم، حيث سقطوا صرعى على حافة الوادي .

وقد شهد صحفي آخر ممن اعتنوا بحرب الريف، ويدعى فنست شيان في كتاب له، تحت عنوان «مغامرات بين الريفيين» .

حالة أخرى بعد مرور المعركة بشهرين، حيث رجع من زيارة ابن عبد الكريم بأجدير، ومر على نفس الطريق الذي انسحب منه الجيش الاسباني، فقال «أنه شاهد استحكامات مهجورة، وعربات مقلوبة ، وأكداسا من الجثث، وكانت الطريق في يناير 1925 لا زالت تروى قصة الانسحاب الرهيب، وكانت رائحة الموتى الباعثة على الغثيان، تهب من ناحية دار قوبع، بينما كانت الطيور المتخمة تحط فوق الادغال، وكانت

(1) كتاب عبد الكريم أمير الريف ص 127 .

قرية أشروطة تعرض مشهدا رهيبا، فقد كانت الجثث المسودة، وبعضها نصف متلهية، والاخرى مجرومة، متراكمة بعضها فوق بعض، وقد عد 700 جثة في بقعة لا تزيد عن فناء وزارة الحرب في مدريد، كما رأى بقايا من البزات العسكرية، وبنادق مهجورة، وعندما نزل على الاخدود، الذي يصل الى وادي النخلة وجد بعض جثث متفرقة، محاطة بالساقية التي تجتاز الطريق، بعض منها نصفها في الماء، والنصف الآخر خارج الماء، وقد رأى في مقبرة واحدة في سوق الاربعاء، دفن فيها 700 قتيل اسباني، وضعتها نساء متدينات يتبعن الجيش الاسباني» .

أما المعركة الاخيرة، فهي التي وقعت على وادي النخلة، «حيث كان الجيش الهارب ينجو بجلده في آخر لحظة من المأساة، فقد تركوا وراءهم عربات مصفحة، لتغطية انسحابهم، وقد خلف عليها أربعة عشر من الجنود ثلاثة أيام، يطلقون النار صوب المجاهدين، بينما لم يصل لديهم من الطعام ما يقتاتون به، كما لم يستطيعوا أن يردوا الماء تحت وابل من رصاص الرماة، وفي اليوم الرابع وعندما كل الجنود التعساء عن الاستمرار في القتال، فان الريفيين جروا مدفعا، والقوا القذائف على مكان العربات، فانفجرت بين تلك العربات المصفحة، فقتلت ثمانية منهم، وجرحت اثنين وبقي أربعة على قيد الحياة، فاستسلموا، وأخذوا الى مقر قيادة الامير السري» .

وفي 13 دجنبر دخل الذين نجوا من الكارثة الى تطوان، في حالة من اليأس والعياء، فما كان من القائد الاعلى للجيش الاسباني، الا أن اعترف بالهزيمة، اذ صرح لبعض الصحفيين، بأن ابن عبد الكريم هزم الجيش الاسباني، لانه يملك تفوقا في الارض، والمتعصبين من اتباعه (يا سبحان الله ان يكون الدفاع عن حوزة الوطن تعصبا، ولا يكون الغازون كذلك) ؟ .

وقال ان جنودنا سئموا الحرب، وهم يخوضونها منذ سنوات، وهم لا يرون سببا يدعوهم الى القتال والموت، من أجل هذا الشريط من الارض، العديمة القيمة .

ثم قال: وأنا شخصيا أؤيد الانسحاب الكامل من افريقيا، وتركها لعبد الكريم، لقد صرفنا ملايين لا حصر لها من البسيطات، في هذا المشروع، ولم نكسب فلسا واحدا، وفقدنا عشرات من الرجال القتلى في أرض لا تساوي هذا الثمن .

ومع هذا التصريح الذي يبدو أن الرجل اقتنع بعدم جدوى هذا الغزو، الذي ابان أنه لم يمكن يحمل بين طياته أسباب الحضارة، لاثاعتها بين الافارقة، كما يدعون في تبريراتهم، وانما القصد هو تنفيذ مشروع استعماري، يجب أن يكون مردوده يساوي الثمن المبذول، فانه تنكر مرة أخرى، حينما أعلن للشعب الاسباني «ان عقاب الريفين سيكون عاجلا وأكيدا» .

هذا ما يخص الانسحاب من شفشاون، والوضعية القاسية التي تم فيها .

وهناك انسحاب آخر من جميع المراكز الامامية، ففي بنى عروس كان الجيش الاسباني يحتل تزرورت والموضعين اكرانة والجام، فقد انسحب الى اربعاء عياشة وأقام حامية على رأس السوق، بمحل يدعى «مكرط»، ثم يمر على النجد السفلى لبنى كرفط، بالموضع المدعو «كدية أولاف» ثم ثلاثاء الريصانة، كما انسحب من مركز القلة، بعد معركة بين الاهالي، والجيش الاسباني المنسحب، وكاد أن يسقط الكبطان برميخو، والذي كان على حامية القلة .

أن الانسحاب من قبيلتي بنى يسف وأهل اسريف حسب تعبير الجنرال غوديد قد تم بصعوبة قصوى .

أما بالنسبة للمراكز التي كانت بقبيلة الاخماس السفلية، وهي دار العزف — وفدان الجبل — والهوطة، فانها انسحبت بدون تعقب، وبذلك تكون الاخماس السفلية هي القبيلة التي لم تساهم في المجهود الثوري، بل عارضته، ووضعت المصاعب أمامه كما يأتي :

دخول السيد امحمد الخطابي الى شفشاون

بعد انتهاء معارك الانسحاب، وبالذات بتاريخ 14 دجنبر 1924،
أى بعد وصول فلول الجيوش الاسبانية الى تطوان، هبى للامير دخول
رسمى الى شفشاون: المدينة المقدسة .

وفى شأن ذلك قال الانجليزى روبرت فورنو، فى كتابه محمد
ابن عبد الكريم أمير الريف، صحيفة 12 طبعة دار دمشق تعريب الدكتور
فؤاد أيوب، «وقدم عبد الكريم شخصيا (يعنى السيد امحمد حسب
اصطلاحه ويطلق على الزعيم الكبير لفظة «كريم»)، كى يسترد المدينة
نزل عند بوابتها عن حماره وخلع نعليه، وسار عارى الرأس حافى
القدمين الى الجامع .

ولاجل دحض هذه الصورة الخيالية التى يعمد اليها الكتاب
الاجانب، مهما كانت نواياهم، لابتداع صورة بدائية للشرقيين عامة،
مهما عظمت الاعمال المجيدة الخالدة، ننقل هنا صورة دخول الامير، بما
يتناسب وعظمة الانتصار الباهر، مع وجود الكماليات لتلك العظمة، بما
خلفه الجيش المنسحب من فاره الخيول المطهمة، وقد استعد للدخول
استعدادا عسكريا، تحت أصداء الموسيقى العسكرية بأناشيد حماسية
هى بنت الساعة الرهيبة، التى أوحى للشاعر العبقري، سيدى الحسن
القادرى التلمسانى فتفتقت قريحته عن نشيد الثورة، ومطلعه :

فى ثنايا العجاج والتحام السيوف
بينما الجو داج والمنايا تطوف
يتهادى نسيم فيه أزكى سلام
نحو عبد الكريم الامير الهمام
ريفنا كالعرين نحن فيه الاسود
ريفنا نحميه الخ

وننقل بعض الفقرات عن ذلك الدخول عن أجنبى آخر، كان

يخوض ضد الارياف معارك ضارية، ولكن لم تمنعه أن يقول الحقيقة،
فقد قال الجنرال غوديد :

«ويوم 14 دجنبر 1924 دخل الى مدينة شفشاون امحمد ابن عبد الكريم، ونظم له استقبال رائع، وكان يتقدمه 200 من جنود الريف، في نظام عسكري، ورايتان محمولتان من طرف الحاتمي والصديق الخمليشي ثم غادر السيد امحمد ابن عبد الكريم مدينة شفشاون، لما كثرت الغارات من طرف الطائرات الاسبانية والفرنسية، وكثر سقوط القنابل، وتركز في القيادة العامة، بتغزوت بينى حسان وخلف نائبا عنه في شفشاون السيد احمد بورجلة (وهو السيد احمد بن السي شعيب اقيعان من بنى ورياغل، وليس السيد احمد بورجلة صاحب زاوية آل هشام)، ونصب عن مدينة شفشاون كباشا السيد المفضل بنينو» هذا هو الوصف الذي أعطاه قائد عسكري اسباني، كان حاضرا يراقب كل تحركات عدوه، وهو وصف متجانس مع عظمة الانتصار الذي أحرزه المجاهدون، ومع ما لديهم من الخيول التي كانت ولا زالت هي الوسيلة المفضلة في تنقلات عظماء التاريخ، عبر البراري والجبال على السواء، وليس في هذا الدخول الى المدينة المقدسة على هذه الصورة من الروعة ما يحظ من قيمة تواضع الخطابي المجاهد، لان اظهار القوة في مثل الموقف الذي يحتف بالمجاهدين في ذلك الحين، هو أمر متعين وأكيد.

نهاية الريسونى وقبيلة الاخماس

يبدو من الدراسة للأوضاع التي سادت في قبيلة الاخماس بعد انسحاب القوة الاسبانية، انها كانت السبب الرئيسى للتعجيل بانتهاء قضية الشريف الريسونى، على ما انهيت عليه.

ذاك أنه لما دخل السيد محمد الى شفشاون، كانت قبيلة الاخماس السفلية تبيت الغدر بالثورة، وتولى كبير الفتنة فرقة الحصانة، من الاخماس، التي أبت لأول وهلة ان تحضر الى شفشاون لمشاهدة روعة

الانتصار، ودخول المجاهدين أسوة بقبائل جبالة، التي اختفت بأسرها
بيوم الانتصار .

ورغم ذلك، فإن السيد امحمد غرض الطرف عن ذلك، وعده أمرا
بسيطا وضروريا في بعض الحالات، التي ينتقل فيها الاهالي من وضعية
الى أخرى، كما اعتبر أن الشريف الريسوني، عندما يرى كابوس الاستعمار
قد أزيح عن القبائل، التي تأتمر بأمره، فإنه لا يلبث أن يعلن تبريكه
لهذا الفتح المبين، فينضم الى المجاهدين، ليساهم بمهجوده الذي طالما
أعلن عن أنه مجاهد لا يعمل الا بوحى من تعاليم الاسلام .

ولكن تبين فيما بعد ان الاسبانيين كانوا حريصين على أن لا يسقط
في قبضة الارياف أسيرا، ولذا اقترحوا عليه أن ينسحب الى معقله الاطلي
بمدينة أصيلا، حيث يكون تحت حماية الجيش الاسباني، ولكنه امتنع،
لأنه كان يعتقد أنه لم يزل قويا في قبائل جبالة، وأنه اذا لم تكن عوادي
الدهر القاسية التي مرت عليه من صباه الى بلوغه سن الهرم، لم تتل
منه، فإنه بالاحرى أن تكون جماعة الارياف، تتخطى عتبة جبل بوهاثم،
المحصن بقبائل الاخماس، وبنى يسف وسماتة وبنى عروس .

وفي هذا المضمار، قال روبرت فورنو «وكان لابد للاسبانيين وهم
يخلون شفشاون من تأمين سلامة الريسوني في الوقت نفسه، اذ لم يكن
مرغوبا فيه أن يقع في الاسر، بينما الريفيون يحتلون الاراضي التي
انسحب منها الاسبانيون، ورفض الريسوني أن يترك قلعته في تازروت،
حيث يملك مخزونات كبيرة من الحبوب والثروات، وأعلن في كبرياء أن
الريفيين لم يتمكنوا من ازاحته عن حصنه» (1) .

وقال في معرض دعوة امحمد الخطابي لانضمامه الى صفوف
المجاهدين .

«وبينما كان الريفيون ينتشرون في المنطقة رفض الريسوني دعوة
عبد الكريم الى الاستسلام، والانضمام الى الريفيين، ضد الاسبانيين،
وقطع أذن أحد الرسل، وحلق رأس رسول آخر، وهي اهانة رهيبة
بحق المسلم» .

ويؤكد هذا النص ما رويناه عن جمهرة المجاهدين الذين احتكوا مع الريسونى، من دعوة الخطابى للريسونى بطرق سلمية أخوية، للانضمام الى الثورة، أسوة بالمقاتلين الاحرار، ولكنه أبت عليه طبيعته أن يصغى لنداء الحق، الا أنه كما يقال اذا عرف السبب بطل العجب، فقد روى فورنو، ان الاسبانيين أوعزوا اليه أن لا يستسلم نالاخوة، ووعدوه بأن يؤيدوه بغارات جوية على التجمعات الريفية، التى تتجه صوب منطقة الاخماس، وغيرها، وفعلا فقد قامت اسراب من الطائرات تقذف بالقنابل المسمومة، وقد حركوا زعماء هذه القبيلة وعلى رأسهم القائد عبد السلام ولد الفار، والقائد احمد الخمال من قبيلة بنى يسف، ليعملوا على خلق المصاعب أمام المجاهدين .

وفعلا، فان الريسونى كتب من جهته الى كل من احمد الخمال، وعبد السلام الفار، رسالتين متشابهتين بأن لا يستسلموا للارياف، وكانت هذه الرسالة عند احمد الخمال، وحكاها لى بنفسه لما كنت قاضيا بقبيلتى بنى يسف وبنى زكار .

ويؤيد ما جاء فى هاتين الرسالتين ما حكاه المراسل الأمريكى «فنست شيان» الذى شهد بنفسه القاء القبض على الريسونى، فقد قال هذا المراسل بخصوص اللحظة الاخيرة ما يأتى: «وانفجر بحنق فى وجهنا لما جلسنا القرفصاء على الارض أمامه، سأل: لماذا جئتم الى؟، لقد قلت اننى لا أريد كائنا من كان، لست أريد شيئا سوى الموت، لقد طلبت أن أموت، فأنا لا أريد أن أكون أسير الكلاب، وابناء الكلاب .

وفى جملة أخرى، جاء فيها «لقد طلبت أن أموت، وأنا أريد أن أموت، لماذا لم يقتلوني فى الحال؟ لن يكون الريسونى أسيرا قط، وعبدا للكلاب فى المكان، حيث كان الريسونى يسود، لقد أخذوا جوادى، وسرجى فليأخذوا ما تبقى» .

يمكن أن تكون هذه العبارة منمقة من المراسل، حسب طبيعته الصحفية الا أنه فى الحقيقة فان الرجل عندما يفقد الحرية التى طالما اعتز بها فى تصرفاته الغير المحدودة، طيلة أجيال، ويفقدها فى الحال، فى حين يجد نفسه لا يستطيع أن يعمل شيئا لانقاد تلك الحرية فانه لا

يكون في مقدوره الا الانتحار باطلاق سيل من الشتائم، ويكون على الذى أخضعه بهذه الصورة، أن يتقبلها بدون انفعال .

ورغم كل هذا، فان ما رواه الانجليزى «روبرت فورنو» من أنه قطع أذن رسول، وحلق رأس آخر، هى رواية من نوع ما يحلو للجانب أن ينمقوا به كتاباتهم، عندما يتكلمون على أعدائهم، فيبحثون عن الغرائب التى يوسمونهم بها امعانا فى خلق الفكاهات لقرائهم، والا فانه لم نسمع هذه الرواية عن أى أحد، سواء من انصار الريسونى، أو من الذين كان لهم سبق فى مباشرة الحوار مع الريسونى، من الطرف الآخر .

بدء المصاعب :

أما نوع المصاعب التى وضعتها قبيلة الاخماس السفلية ومن كان من ورائها، فاننا ننقل هنا عن القائد احمد بن سعيد روايته، وهو شاهد عيان، بل كان أحد العناصر الأساسية التى انضمت الى الثورة فى الوقت المناسب، قال: «قام الريسونى بتحريك قبائل الاخماس للغدر بالمجاهدين، وانه (أى الراوى) هو الذى نبه السيد الخطابى الى نوايا الاخماس السفلية، الغير السليمة، لانه علم أن الاسبان اعتمدوا على الريسونى، بعد الانسحاب، لطعن الثورة من الخلف، وكانوا يظنون أنه لا زالت سيطرته على قبائل الجبال قوية، أما بالوعد أو الوعيد، وقبل الانسحاب، زودوه بمزيد من السلاح والمال، على أمل أن يكون العرقلة الأخيرة للزحف الثورى على قبائل جباله .

وهكذا حرك الريسونى قبائل الاخماس، وسماته وبنى يسف ومن من وراءها من المنضويين تحت طاعته .

وقد كانت جماعة من الارياف تتكون من 50 مقاتلا تركزوا بقرية ايرجافن من الاخماس السفلية، وعندما كثر رجال القبيلة بزعامه فرقة الخصانة وبنى جبارة عن انيابهم، وابدوا التمرد العلنى، تحصن هؤلاء المجاهدون بضريح الشيخ التادلى، حيث تمرسوا فى صومعة المسجد، التى جعلوا منها اعشاشا لبنادقهم بعدما احدثوا فيها ثقباً، كما جعلوا مرافق أخرى لنفس الاعشاش .

ولما علم امحمد الخطابي بهذا الحصار، تشاور مع زعماء الجباله الموجودين معه، وكان من جملةهم القائد احمد بن سعيد، وباشا شفشاون المفضل بناينو وهو أصله من الاخماس، ويسكن في شفشاون، وكانت فيه خفة، فتقدم أمامه وقال له: انى أخضع الاخماس بخمس وعشرين مقاتلا، فقط، ولكن احمد بن سعيد رد عليه قائلاً بأن كلامه هراء، وان الاخماس محركة من طرف الريسونى، الذى حرك من طرف الاسبان، الذين يجمعون كل من فيه نزعة شيطانية .

فعلينا أن نأخذ الامر جديا بالاستعداد للمصاعب الجديدة، ولكن المفضل بناينو أصر على مقترحه، وظهر انه كما يقال «أنا لها» فاطمأن اليه الخطابي وزوده بخمسين مقاتلا، معظمهم من الارياف، ومعهم من زعماء جباله من الاخماس الفوقية القائد السى حمان من بنى دركون، وولد السعدية من بنى زيد الخمسية، وولد القاسم بن موسى .

وهكذا تحركت القافلة الى أن نزلت بباب تازاء، وفي أول الامر أظهرت الاخماس السفلية الطاعة، فقدمت جماعة «تنفايا» وجماعة بنى زرويل، وجماعة بنى صالح ذبائح العار، طبق عادة القبائل، تتقدمهم الاعلام البيضاء، علامة على بياض القلوب .

فلما وصلوا وأحاطوا بالقافلة، وبنت لهم غرة منهم، وبالأخص أنهم وجدوا على رأس القافلة المفضل بناينو وهو معروف لديهم بالخفة أطلقوا عليهم النار، وأخذوا المفضل بناينو أسيرا، بعثوا به الى الريسونى بترروت، وتحصن باقى المجاهدين فى مسجد الشيخ التادلى .

تهىء الهجوم على الاخماس السفلية

واذ قد وصل التوتر بين الاخماس والمجاهدين الى هذا الحد، فان امحمد الخطابي أمر بتجهيز حملة قوية، لوضع حد للتمرد الذى ان تسامح فيه، فان العاقبة ستكون وخيمة .

وهكذا كانت الحملة على الشكل التالى :
تحرك القائد احمد اخريرو من دار قوبع، على رأس ثلاثمائة

من مقاتلى بنى حسان، وبنى حزمارة، وبنى سعيد، يعاونه القائد احمد ابن سعيد .

وتحرك من بنى دركون بالاخماس الفوقية القائد ادريس خوجة على رأس ثلاثمائة مقاتل من الريفيين، من ترجيست، وكتامة، كانوا معسكرين هناك تحت امرة القائد موح أبرقاش .

وتحرك القائد اليزيد بن صالح على رأس 200 من مقاتلى غمارة كانوا معسكرين فى مدينة شفشاون .

وتحركوا الى أن وصلوا الى الموضع المعروف «بموزكر» فانضم اليهم سكان هذه الجهة، وفى غده تحركوا الى أن نزلوا على بنى جبارة، وهناك نشب قتال بين الطرفين واستمر يومين على أشده، ثم استسلم المتمردون وفك المجاهدون الحصار على رجال ضريح الشيخ التادلى .

ولتأديب المتمردين فقد فرضت الحملة عليهم غرامة مالية استخلصوها بحيازة أموالهم .

ولا صحة لما ذكره الجنرال غوديد من أن الحملة تعدت حدود الانسانية، فبقرت بطون الحاملات فهو من الحملات المسعورة التى يشنها قادة الجيش الاسبانى عندما يعجز عن ادراك أى مجد عسكرى .

ويجدر أن ننقل فقرات من كتابه فى هذا الموضوع، فهى تؤيد ما أشرنا اليه من تركيب الحملة، وكيفية استئصالها للتمرد الذى كان الاسبان يعلقون عليه آمالا، سرعان ما خابت، فراحوا يوصمون المجاهدين بما هم برآء منه .

وسنجد فى هذه الفقرات شهادات من أحد قادة الجيش لما هى عليه الحالة العامة، قال: «وبانسحاب القوة الاسبانية، زاد سيطرة ابن عبد الكريم، وزادت كذلك وسائل القتال عنده، وليس لكثرة القبائل انجبلية التى مدته بكثير من الرجال، والعتاد والمال فحسب، بل حتى بسلاح الحرب الذى وقع فى قبضته، والذى خلفه الجيش الاسبانى» .

«ولكن ابن عبد الكريم اصطدم ببعض الصعوبات، لبسط سيطرته على قبئل جباله» .

«أولا: وقوف قبيلة الاخماس ضده، وهى أقوى قبيلة فى قبائل

جباله، وتحافظ على استقلالها بكل حرارة، وبمعنى الحرية العامة» (يلاحظ
بادي، ذي بدء من هذه العبارة ما كان يعلقه الاسبان على هذا التمرد) .

«ثانيا: رفض الشريف الريسوني للانضمام الى ابن عبد الكريم
وذلك ان فرقة الخصانة من الاخماس، لم تكن قد بعثت بممثلين عنها،
لاستقبال ابن عبد الكريم في شفشاون، ومشاركتهم في الدخول في طاعة
القيادة الريفية» .

«ولذا فان باشا شفشاون المفضل «بناينو» قاد جماعة من الرجال
الى فرقة الخصانة، وفي هذا الحال، قامت هذه الفرقة بالتمرد واشهرت
الدفاع بالسلاح، وأخذ قومها الباشا أسيرا وقدموه الى الريسونى
واعتقله هذا» .

«ولما علم ابن عبد الكريم بذلك أمر بهجوم على قبيلة الاخماس
من ثلاث مجموعات من الحركة: احداها بقيادة اخيرو بثلاثمائة من
جباله، جاء بهم من دار قوبع والقائد اليزيد بن صالح من قبيلة بنى
رزين بمائتى مقاتل من غماره، انتقل بهم من شفشاون وحركة من
الريفيين من تركيبت وكتامة بثلاثمائة مقاتل، دخلت من الاخماس الفوقية
على بنى دركون» .

«وفى ظرف يومين كان احتلال الاخماس، وحملوها غرامة مالية
وارتكبوا مجازر دموية ضد فرقة الخصانة» .

وعلى كل فان القافلة تسير، فعندما انتهت قضية الاخماس، اتجه
بعض من المقاتلين الى قبيلة بنى يسف حيث كان هناك القائد احمد الخمال،
فلما وصلوا الى قرية الخمال، وجدوها خاوية على عروشها، فقد رحل
الخمال كما رحل من قبله قائد الاخماس عبد السلام ولد الفار، والتحقوا
بترروت مع من تبعهم من افراد القوم، ظانين أنهم يكونون مع من يوجد
هناك الدرع الواقى للمحافظة على ما تبقى من أحلام، قد تكون ذهبت
مداعبتها لعقولهم أدراج الرياح .

واذ لم يجد المجاهدون فى بنى يسف من يناوشهم، فانهم عمدوا
الى مصادرة أموال الخمال المنقولة، ومن يسير فى ركابه، فرجعوا من
هناك متسلقين الى جهة سماتة، حيث نزلوا بالاموضع المدعو بوسرواس

لارجاع هذه القبيلة الى الجادة، فلم يبق أمامهم الا اخضاع مركز تزروت.
وفي هذا الحال، فان القافلة أحاطت بمعقل تزروت، وحسب تقرير
الجنرال غوديد فان القوة التي أحاطت به كانت على الشكل التالي :
القائد اخريرو كان يرأس 300 مقاتل من الجيش الريفى
النظامى و300 من رجال الحركة و400 مقاتل كانوا تحت قيادة محمد
أبرقاش من بنى ورياغل .

وحسب رواية القائد احمد بن سعيد (1) فانه شارك في هذا الهجوم
في أوله مائة مقاتل من الارياف مع مجموعة من مقاتلى جبالة تحت رئاسة
القائد اخريرو، يعاونه احمد بن سعيد، وانه عندما نشب القتال وصل
القائد اليزيد بن صالح برجال غمارة، والقائد مسعود الخالدى برجال
من بنى خالد الغمارية والقائد احمد المصلوحى برجال من بنى احمد،
والقائد الطالب الشاونى برجال قبيلة سماتة، والقائد احمد البقر، وهو
وان كان من بنى عروص، الا أنه لم يتفق قط مع الريسونى، بل كان
يعارضه، وقد التفت حوله جماعته من بنى عروص، وهذا الرجل هو الذى
ورد ذكره في قصيدة نشرت في ديوان الشفق الباكي حيث جاء في مطلعها:
«يهوى الزعيم (ابن عبد الكريم) حين يصعد صاعدا»

أما قوة الريسونى في ذات الفترة فكانت تتكو من مائتى مقاتل
رسميين محاطين به، يضاف اليهم حوالى 400 من رجال قبائل بنى
عروص وسماتة وبنى يسف، والاحماس ممن انحازوا اليه .

وقد استعمل المجاهدون بعض قطع المدافع والرشاشات، التى
جروها الى هناك، ومرت القتال في يومه الاول على أشده، ثم استسلم فى
اليوم التالى المائتا مقاتل، الرسميون المحيطون بالريسونى، وباستسلام
هؤلاء انفض جمع الآخرين مع رجال القبائل، حيث تفرقوا فارين شذر
مذر، فكانت آخر لحظة مأسوية بالنسبة لرجل عاش حيناً من الدهر طليقا
حرا يتصرف من دون رقيب ولا حسيب، فاستسلم للاقدار التى كانت
على موعد مع أيام حياته، حيث لفظ أنفاسه في منقاه بتامسينت بينى
ورياغل، بعد بضعة أشهر حيث دفن هناك رحمه الله وغفر له .

(1) شاهد عيان .

وهنا نترك وصف مأساته للمراسل الأمريكى «فنيست شيان»،
الذى شهد لها من أولها الى آخرها فقد قال: (1) «ودخل أخيرو، وطلب سيف
الريسونى، فرفع الرجل العجوز نفسه اذ لابد أنه كان يبلغ السبعين من
العمر وأشار الى المخصى الاسود الواقف الى جانبه، وتناول أخيرو
السيف، وسلمه الى معاونه القائد حسن، عندئذ غطى الريسونى وجهه
باحدى طيات عمامته، (وهنا نعرض عن بعض الفقرات الجارحة التى
هى من وحى غريزة المراسل الاجنبى التى كما سبق أن بينت دواعيها
عندما يتكلمون عن المسلمين)، ثم قال هنا :

«ان الريسونى كانت له احدى وأربعين زوجة، وانه اختار أربعة
منهن لصغرهن وروعتهن، وان أصغرهم تبلغ 14 سنة وأكبرهم 18 سنة،
ثم جعل يصف الصغرى، كل هذا من تنميق الصحفى الذى يشوه الحقائق،
فالريسونى اذا كانت له شدة فى سلطته، فانه كان يعتبر نفسه، ويعتز
بذلك، لانه من سلالة الرسول، له مبادئ علمية صحيحة يعرف ما يحل له
من النساء، ويدل على هذا التنميق وصفه لصغرى زوجاته وصفا دقيقا
مع أن الريسونى كآى من رجال القبائل، المحافظة لا يترك الاجنبى أن
يتفحص احدى زوجاته .

«ثم استرسل شيان فى وصف المأساة فقال «كان جسده كتلة
ضخمة عديمة الشكل، فى أثواب قطنية بيضاء، وكانت عمامته لا تبرح
تلتف حول وجهه بثبات، وكان رأسه غارقا بين يديه، واستند بالقسم
العلوى من جسده الى مرفقيه وشخص الينا بعينيه الخرزتين الصغيرتين
اللتين تشبهان عيني أوزة متوحشة فى هضابها الاصلية» .
«وانفجر بحنق فى وجهنا، حين جلسنا القرفصاء على الارض،
أمامه، سأل: لماذا جئتم الخ ما سبق .

«واستفسره بواسطة المترجم، ما اذا كان لديه أية رسالة الى
العالم الخارجى؟ فلم يقل شيئا» .
وقال شيان: «لم يكن هناك عبيد يقتلوننا من أجله، وكان يبدو
أنه لو كان يستطيع لامر بكل سهولة باعدامنا» .

«ثم اندفع أخيرا يقذف كلماته السريعة المتقطعة، «يستطيع العالم الخارجي أن ينسى الريسونى، ولا يريد الريسونى سوى أن ينسى العالم الخارجى، لقد طلبت أن أموت وأنا أريد أن أموت». يموت وقال «شيان» «انه يلاحظ عليه أنه شرير» .

«ورفض الريسونى أن يأكل أو يشرب، وكرر رجاءه فى أن يموت» وزاد شيان يقول: «وأخذ الريسونى من قصره محمولا على محفة مصنوعة من الخشب القاسى، رفعت بواسطة قضبان على اكتاف أربعة عشر حمالا أقوياء، كان يضطجع على كومة من البسط والوسائد، مستلقيا على جانبه، بصورة نصفية، ومرفقاه يسندان القسم العلوى من جسده، منتفخا بالجن، بصورة تتجاوز أى شبه بانسان، وكان مخبئا وجهه تحت طيات عمامته، وكانت نساؤه الأربع من الحريم يتبعنه على بغال، يحرسهن ثلاثة خصيان من العبيد، ووراءه كانت تسير 17 من البغال الكبيرة محملة بكنوز تازروط» .

«وعندما مر الريسونى على جمهرة من مشاهدى مأساته الأخيرة وضع نفسه على مرفقيه وصاح «اضحكوا لسقوط الريسونى، اغتبطوا بذلك، لكنه سيأتى اليوم الذى تعطون فيه مسرورين كل ما تملكون، كى يعود من جديد وسيكون الاوان قد فات اذن، وقد فات الاوان منذ الآن، فأنا ذاهب قدما الى الموت» .

وقال غوديد فى الموضوع «وبعد يومين من المعركة استسلم الريسونى، ووضع فى الاعتقال ومعه ابنه خالد وابن أخته مولاي على، وسيقوا الى شفتاون، أولا ثم الى وادى لو، ومن هناك نقلوا بحرا الى كلا ايريس (بنى بويفرح) واستقبله ابن عبد الكريم فى محكمة بنى بويفرح بسوق الخميس، ومنه نقل كاسير الى تماسيفت، حيث توفى بعد شهرين» .

«أما ولده خالد ومولاي على فقد بقيا فى سنادة تحت حماية الشريف الوزانى الى أن سلمهما الى الجيش الاسباني سنة 1926 بجبل «دى فيلبس» .

وزاد غوديد قائلا «ان الذى تكاف باحصاء وحيازة أموال الريسونى، وممتلكاته، وما خلفه من المعدات الحربية هما الحاتمي واحمد

بورجلة (يعنى أقبيعان) وكانت تلك المعدات والاموال كما يأتى :
624 بندقية — 33 صندوق من الخرطوش — 2500 قذائف
المدافع — 65 خيمة — 10700 ريالا اسبانيا نقدا وأموال أخرى منقولة». وحسب ما قاله لى والدى (1) فانه قبل انسحاب الاسبان من شفشاون، كان هو رأس محكمة بنى بويفرح حاكما، وعندما بدأ الانسحاب وصل ابن عبد الكريم الى محكمة بنى بويفرح، وكلف والدى بأن يذهب ليكون تحت امره أخيه على الخط الغربى، ويكون مركزه فى شفشاون، وكان يحكى على وصول الريسونى الى شفشاون، حيث مكث هناك بعض الايام وخصص له دارا مع حرمة، واعتنى به اعتناء حمده الريسونى له، واثنى على ذلك لدى ابن عبد الكريم لما وصل اليه، بعكس ما قاله عن الفقيه ابن على بولحيا، الذى صدرت منه كلمة نابية عندما رآه، وقال ان مخزونات الريسونى حملت الى محكمة شفشاون، وبقيت محفوظة الى أن حملت الى الريف، كما حملت من بعده مخزونات القائد العياشى الزلال المصورى،

النتائج الحتمية للانتصار

أولا : ان انتصار الثورة على الاخماس وعقابها، والاستلاء على تزرورت واستسلام الريسونى أثر تأثيرا كبيرا فى قبائل الجباله جميعها، فأسرعت الى الدخول فى طاعة الثورة .

ثانيا: ان ذلك أحدث ذعرا لدى الذين كانوا مطويين الى ذلك التاريخ على نزعات شيطانية ولاجل ابداء سلوك لائق مع ابن عبد الكريم، فانهم انقلبوا على الاسبان، فعم التمرد على الجيش الاسبانى وانتشر الى منطقة العرائش التى كانت الى تلك الساعة مترددة، فأمر بريمو دى ريفيرا باخلاء مشرع القلة والتفار وأمر الجنود المرابطين فى ثكناتهم على خط استيلاء، بأن لا يأتوا بحركة ضد الاهالى، وانما يقبعون مدافعين فى أماكنهم .

ثالثا : وكانت نتيجة اشاعة التمرد فى القبائل أن قبيلة أنجرة التى كانت خاضعة لاسبانيا من عام 1913 تمردت هى بدورها، وبذلك عزل

(1) شاهد عيان .

الجيش الاسبانى فى منطقة محدودة بين سبتة وتطوان والعرائش والقصر الكبير مع ممر يربط بين هذه المدن فى حماية مراكز صغيرة، على طول الممر، الذى كان يدعى بممر بريمو دى ريفيرا، وكانت قبيلة بنى مصور خارجة عن هذا الممر، لان المجاهدين كانوا احتلوا دار القائد العياشى الزلال. رابعا : وبذلك كانت سيطرة الثورة الريفية، امتدت على جبال الريف كلها، انطلاقا من تفريست الى ضواحي تطوان، وطنجة، وشملت قبائل بنى توزين وتمسامان والحسيمة، وغمارة وجباله .

خامسا : وبذلك أحرزت الثورة على السلاح العصى الذى يكفى لتقييم قيادتها تقييما عسريا صحيحا بفضل المخزونات الحربية وأدوات الاتصال السلكى واللاسلكى، وبفضل انضواء جميع العلماء والشرفاء، وزعماء القبائل تحت لواء الثورة، فلم يبق هناك بعد أسر الريسونى منازع ينازع فى سلطة الثورة، ما عدا تطوان التى كانت ترميها مدفعية المجاهدين من جبل غرغيز، المثل على المدينة، بقذائفها التى تحدث الهلع فى النفوس نظرا لوجود المركز العام للجيش الاسبانى فيها .

سادسا : وقد توجت هذه النتائج بطلب الجنرال بريمو دى ريفيرا من ابن عبد الكريم بفتح المفاوضات لاجل انهاء مشكل الغزو الاسبانى للثمال، فبعث رسولا لعجم عود ابن عبد الكريم فيما يخص اجراء مفاوضة لانهاء مشكلة الاحتلال الاسبانى، وكان بريمو دى ريفيرا صادقا فى عرض مفاوضة لاجل احلال السلام محل السلاح .

وقد تقبل ابن عبد الكريم من جهته عروض المقيم العام على أساس جلاء الجيوش الاسبانية، ورجوعها الى معقلها بسبتة ومليلية، كما لا يطالب بالساحل الاطلسى الذى يشمل مدينة أصيلة والعرائش . وهكذا أرسلت الحكومة الاسبانية وفدا للمفاوضة تحت رئاسة الاسبانى تشاباريطا وكانت له علاقة قديمة مع الريف بسبب اطماعه فى معادن الريف .

وتكون الوفد الريفى من جماعة من زعماء بنى ورياغل، من بينهم الشيخ اليزيد الذى كان تكلف بمهام الشؤون الداخلية للثورة، وحسب رواية الصحفى الأمريكى المدعو مورو مراسل الدايلى تايمز أن المفاوضات



صورة تضم ابن عبد الكريم في الوسط وأخاه امحمد، والسنيور
تشابارطا المفاوض أخذت لهما في نفس التاريخ بمرسى اسلى بأجدير

كانت تحت اشراف الزعيم ابن عبد الكريم، ودامت مدة عشرة أيام، انتهت بوضع الصيغة التالية :

1 - تعترف الحكومة الاسبانية رسميا باستقلال الريف .

2 - تحتفظ اسبانيا بمدينتي سبتة ومليلية وتتسحب من جميع

التراب المغربى الريفى .

3 - تترك الجيوش الاسبانية عند انسحابها من التراب المغربى جميع السلاح، بمختلف الانواع والدخائر والادوات الحربية، وغير الحربية، لصالح الثورة، على أن يكون ابحارها من مرسى النكور بعد حشدها هناك مجردة من السلاح .

4 - وفوق ذلك تدفع اسبانيا للثورة نقدا بملغ 20 مليون بسيطة،

كتعويض عن الخسائر الناجمة عن الحرب .

5 - تتعهد اسبانيا بأن تستبدل السلاح القديم الذى يوجد فى

الريف، بعد احصائه فى لوائح بالسلاح الجديد الحديث .

وهكذا كانت مسودة الاتفاق التى حملها الوفد الاسبانى، مؤكدا

صلاحيتها كقاعدة لاحلال السلام بين اسبانيا والريف، والتى تظهر

صغتها متطرفة من حيث املاء شروط قاسية، فيما يخص السلاح

والتعويضات، ووافق عليها على مضض الزعيم ابن عبد الكريم

تحت ضغوط بعض زعماء بنى ورياعل، الذين انتشوا بنشوة الانتصار،

بينما لم تكن لهم تجارب سياسية فى الميدان الدولى، حتى حكى القائد

شراط (1) عن الشيخ اليزيد أنه ظهر فى حالة جذب أمام الزعيم الريفى،

يصيح لا نقبل عشرة لاسبانيا يجب أن تخرج من مليلية وسبتة، فظهر على

وجه ابن عبد الكريم امتعاض، وفى مناسبة تأليف المجلس الحربى بتركيت

لخوض المعارك مع فرنسا ذكر امحمد الخطابى المصاعب التى أحدثها

بعض زعماء بنى ورياعل، فى وجه فرصة المفاوضة التى عرضتها اسبانيا،

ففشلت .

ولذا فعندما سأل الصحفى الاميريكى شيان مراسل مجلة

(1) شاهد عيان .

«شيكاغو تريبيون» الزعيم ابن عبد الكريم عن شروط الصلح مع اسبانيا
أجابه بوضوح في شروط تتلخص فيما يأتي :

- 1 — انسحاب الجيش الاسباني من حدود الاطلنكي الى تخوم الحدود الشرقية، وتلتحق بسبته ومليلية أو تغادر رأسا الى اسبانيا .
- 2 — اعتراف اسبانيا باستقلال الريف، فيما بين حدود طنجة وسبته ومليلية، مع عدم المطالبة بالساحل الجنوبي لطنجة .
- 3 — على أن تتعهد الثورة بعدم الاعتراض على اسبانيا احتلالها سبته ومليلية، اللتين امتلكتهما طوال قرون عديدة .

كما ذكر شيان «أنه كان من بين مساعدي ابن عبد الكريم رأى متطرف، لا يريد سلاما على الاطلاق، مع أي من اسبانيا وفرنسا، وفريق آخر يبحث عن السلام بأي شكل من الاشكال»، وهذا يدل على مدى المصاعب التي كان يلقاها الرجل، الذي يتحمل المسؤولية التاريخية الكبيرة، والذي يعرف قبل أي أحد أن الاستعمار سوف يتكالب على الثورة، بصورة أو بأخرى، ولذا كان الثقل الذي يتحمله، وهو بين هذين الرأيين عظيمًا .

ذلك ما وقع، فانه لما رجع الوفد الاسباني الى مدريد، حاملا مقترحات الريف، ونشرت تلك المقترحات. احتجت فرنسا على اسبانيا بسبب دخولها في مفاوضات تمس مصالحها مباشرة في المغرب، وبإادر المرشال اليوطى فأرسل احتجاجا صارخا الى حكومته، جاء فيه: «لا يمكن أن يكون هناك شيء أسوأ بالنسبة الى نظامنا من اقامة دولة اسلامية مستقلة محدثة على هذا القرب من فاس، دولة تجعل من عبد الكريم مركز جذب ليس بالنسبة الى المنشقين عنا فحسب، بل بالنسبة الى جميع تلك العناصر المراكشية وعلى الاخص الشبان منهم الذين اتسعت نظريتهم بنتيجة الاحداث الجديدة في الشرق، والذين نشأت في أذهانهم مطامع قائمة على بغض الاجنبى» .

وفضلا عن ذلك، فان كلا من ايطاليا، وانكلترا، احتجتا أيضا على المفاوضة، فاقبرت ووعدت فرنسا بمعاونة اسبانيا، لاقتناص تلك الوعول، التي أدمت الجيش الاسباني عندما يحاول امساكها بقرونها .

الريسونى والمؤرخون

بعدما انهينا الحديث عن الجبهة الغربية في مرحلتها معا، نرى من الضروري ان نضع أقوال الكتاب فى الشريف الريسونى فى الميزان، لان الكتاب سواء الاجانب الذين يعتبرون المصدر الاصلى للروايات عنه، أو العرب الذين قلدوهم وصفوه بأخطر الاوصاف، وهى اللصوصية .

من هو مولاي احمد الريسونى ؟

كلمة الريسونى تعتبر اسما عائليا مأخوذا من انتساب العائلة الى الام «ريسون» وهى عائلة شريفة محققة النسب من أحفاد عم لمولاي عبد السلام ابن مشيش يدعى يونس، وشرفها يتصل بمولاي ادريس الاكبر مؤسس أول دولة مغربية مستقلة عن الخلافة العباسية.

وتنتسب عائلة مولاي عبد السلام ابن مشيش بمن فيها اخوانه وأعمامه فيقال لهم العلميون نسبة الى جبل العلم، بفتح اللام الذى يوجد فيه أضرحتهم مزارا للمغاربة أجمعين فى قبيلة بنى عروص .

وجدتهم «ريسون» هذه هى من أحفاد مولاي على الرشيد مؤسس مدينة شفشاون، التى تكلمنا عن قدسياتها عند الاهالى، وهذه الجدة أم لكل من سيدى عبد الرحمن الشريف والسيد على بن بوحرمة ابن عيسى (1) وفى مناقبها ومدحها قال بعض الدلائيين من قصيدة نقلها ابن عساكر فى الدوحة، وصاحب ذرة الحجال :

(1) فى كتاب الاستقصاء الجزء السادس ص 57 لم يذكر بوحرمة بل ذكر

على بن عيسى بن عبد الرحمن الادريسي المسمى اليونسي وقال ان على هذا هو جد الشريف أبى الحسن على بن محمد الذى آزر ثورة محمد الشيخ بن عودة الذى انهزم بواد بهت أمام أخيه محمد ابن الشيخ وفر شريدا الى أن قتل .

ريسون كانت أم جد لهم
من أجلها صار لهم ذا القدم
ودارهم دار صلاح وتقى
وقدرهم في المجد على المرتقى

وعلى أى حال، فإن العائلة الريسونية مشهورة بالصلحاء والعلماء
والمجاهدين الأبرار، ومنهم مؤسس زاوية الريسونيين بتزروت، الشيخ
سيدي محمد بن علي بن ريسون المولود في حدود 920 هـ. والذي تعلم
العلم في فاس، حيث كان يسكن بمدرسة العطارين، وصحب سيدي عبد الله
بن الطاهر العلوي وسيدي يوسف الفاسي، وساهم في معركة وادي المخازن،
بقيادة جماعة من المجاهدين الذين انقطعوا لعبادة الله في زاويته، ومنهم
سيدي علي بن ريسون المتوفى سنة 1229 هـ، والذي دفن في زاويته
بتطوان، حيث لا زالت إلى الآن مزارا يقصدها جمهور المومنين مع أداء
صلاة الجمعة فيها، وهو الذي وطد علاقة العائلة الريسونية مع المولى
سليمان، عظيم الملوك العلويين، ومنهم سيدي عبد السلام بن علي بن
ريسون، الذي كان مشهورا بالسيد، وله مواقف مشهورة في الجهاد أثناء
الهجوم الأول الأسباني على مدينة تطوان، سنة 1860 م، لما زحفت
جيوشها من سبتة مكتسحة السهل الشاطيء ودخلت تطوان عن طريق
بوجراح، وقد كان السيد عبد السلام يرى أن تفرغ تطوان من الأهالي
والأولاد لتبقى الحرية للمقاتلين الذين يدافعون بكل أشكال الدفاع التي
تتيسر حسب الظروف، بخلاف ما إذا لم تفرغ منهم، فإن المقاتلين
يكونون منشغلين بأهليهم وأولادهم، في حين يستغل العدو هذه الظاهرة
العائقة، وكان رأى الحاكمين أن إخلاء المدينة يكون ذريعة للجيش الأسباني،
ليستعمل الطرق الحربية لتدمير المدينة، ودخولها بالجيش، وقد تبين فيما
بعد أن رأى السيد كان سديدا، فإن الجنرال «أودينيل» الذي قاد حملة
الاحتلال، قدم انذارا إلى حاكم تطوان السيد محمد بن الحاج، الذي
كان يؤازره نائب السلطان مولاي العباس الزبدي الذي وجهه السلطان
سيدي محمد بن عبد الرحمان لشد أزر المجاهدين، وتبين فيما بعد أن
الساعين فسادا وشوا بين السيد وبين نائب السلطان لدى الأخير، فلما

تدخل لديه السيد مقترحا اخلاء المدينة من الحرم والذراري أجابه بأن عليه أن يتفرغ لتصوفه، ولا يتدخل في غير عبادته .
واثر هذا الجواب ثارت ثائرة الشريف، وأرسل الى بنى عروس وسماتة ليحضروا بالبغال، لينقلوا عياله وعيال أصحابه، وفعلا حضروا بمائتي رأس من البغال، نقلوا عليها حرم السيد وأتباعه، بينما هم مكثوا في تطوان يدافعون عنها .

لا يرى ما يقع من الفضائح التي ترتكب في واضحة النهار، وقد انتفض بالبكاء، وحينئذ استصوب الجميع بمن فيهم نائب السلطان، اقتراح السيد، واسفوا لانهم لم يأخذوا به .
وبهذا يتضح أن العائلة الريسونية لا تنكر فضائلها في رجالها الذين كانوا يشار اليهم بالبنان .

وعلى أي حال، فإن الذي يهمننا هنا هو مولاي احمد الريسوني وما هي أوصافه، وهل ما تواتر عليه الذين يكتبون عن الشمال، بوصفه وعندما دخل الجيش الاسباني المدينة هتكوا أعراض النساء وخربوا وافسدوا، مما جعل المولى العباس يضع منديلا على عينيه لكي باللص، أو لص الجباله صحيح، أو أن الكتاب العرب اعتادوا تقليد المؤلفين الاجانب الذين يعتبرون المصادر الأساسية لهذا الوصف الديني، وانهم كتبوا ما كتبوا بوحى من الضغائن الدفينة المنبعثة من تصلبه في عدم الرضوخ لما ربههم الاستعمارية .

أما اسمه الكامل فهو مولاي احمد بن محمد بن عبد الله بن المكي، وهذا الاخير هو عم السيد عبد السلام بن علي الريسوني المعروف بالسيد المار ذكره، وانه ولد في عام 1285 هـ. في قرية الزينات شرقى طنجة بحوالى 22 كيلو متر، وانه تعلم القرآن في الكتاب بالقرية ثم انتقل الى أبناء أعمامه بقبيلة بنى عروس، لمتابعة دراسة مبادئ النحو والتوحيد، ثم حاول دراسة قراءة السبع، الا أنه لم يتبحر فيها ثم رحل الى وزان لنفس الغرض، أما أبوه فكان يتردد على تطوان من الزينات، حيث كان له هناك أعمامه ومنهم السيد، وحضر الى جانب السيد معركة دخول اسبانيا الى تطوان، وطيلة المعركة كان بجانب عمه السيد، وقد

توفى في تطوان، وخلف ولده مولاي احمد صغيرا، وقد شب كأحد رجال البادية مفتول الساعد، قوى العضلات، تستهويه المغامرات التي جعلها هوايته المفضلة، وقد ساعدته البيئة التي يعيش فيها، والجو المشحون بالفوضى القبلية التي استغلها الى حد كبير، لغرض سيطرته على قبائل الجبال، التي رويدا رويدا أصبحت تعتقد فيه أنه الرجل الوحيد الذي يلم شعثها ويجمع شتاتها، وقد تمكن بذلك أن يكون مترع قبائل بنى عروص وبنى مصور، ووادراس وبنى يدر وبنى حسان والاحماس وسماتة وبنى كرفط، حتى جعل يستعمل مع القبائل أسلوب المتسلط انذى لا يقرأ الحساب لسلطة عليا فكان يسخر القبائل في البناء وصنع مواده، كالجير وغيره، وحملها على دوابهم الى حيث يبنى داره بالزينات امثلا، واذا امتنع أحد لقي منه عذابا موجعا، وفي هذا الحال فانه أصبح يستبد بأمور القبائل عن الدولة الامر الذي جعل خصومه يتكاثرون، ويستغلون استبداده، لكي يرفعوا الشكاوى الى البلاط الملكي محذرين اياه بمغبة التغاضي عليه، حتى يستفحل أمره، مذكرين بثورة غيلان بنى كرفط (1) وزيطان (2) بالاحماس .

(1) يدعى أبا العباس احمد الخضر غيلان من قبيلة بنى كرفط ذكره الاستقصاء ص 27 ج 7 طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء بالعنوان التالي «ثورة المقدم غيلان ببلاد الهبط» ثم ذكر أنه كان من أتباع المجاهد العياشي نزيل سلا (وقد حلى هذا في الاستقصاء ص 24 ج 6 بولى الله المجاهد) وفي أيامه كان غيلان مقدما على الغزاة ببلاد الهبط (وكان يطلق هذا الاسم على شواطئ الاطلسي، ما بين سبتة والقصر الكبير وما حولهما من القبائل) ولما توفى المجاهد العياشي استبد بالامر في هذه النواحي ثم بدا له أن يغزو في حوالى 1263 هـ. قصر كتامة (القصر الكبير) واعتبر بذلك خارجا عن الدولة وسمى ثائرا بالمعنى المتعارف في ذلك الوقت من مرادفة الثورة للتمرد. هذا واني وقفت بواسطة القاضي السيد احمد غيلان من نفس العائلة على رسم صداق لولد الخضر غيلان ويدعى السيد الطاهر مؤرخ بـ 1277 هـ. تزوج بموجبه بحظية من حظايا السلطان مولاي

وعندما تكررت هذه الشكاوى كانت النتيجة أن أمر السلطان مولاي عبد العزيز، النائب السلطاني بطنجة السيد الطريس، بأن يلقي عليه القبض بأية طريقة كانت، والا فانه مسؤول عن العواقب الوخيمة التي تترتب على تركه حرا .

وقد استعان النائب الطريس بباشا طنجة السيد محمد بن عبد الصادق الذي كانت له علاقة صداقة مع الريسوني . وفي الموضوع قرأت للكاتب الباحث الاستاذ محمد الخطيب التطواني محاضرة قيمة في حياة هذا الشخص، ولعلها تكون تعبيرا

اسماعيل باذنه المولوى تدعى تلك الحظية رقية بنت عبد السلام بن محمد غيلان، وقد حلى هذا الرسم الخضر غيلان بقوله «ذى الراية الجهادية المنصورة، والمآثر الناطقة الشاهدة المشهورة، والمساعي الجميلة المشكورة، الجامع بين النسب الطاهر، وبين بذل النفس في جهاد العدو الكافر، سيدي احمد المدعو الخضر بن سيدي عمر غيلان .

(2) ذكره في الاستقصاء ص. 94 ج. 8 وعنون له «بثورة محمد بن عبد السلام الخمسي المعروف بزنتان بالجبل» . وذكر بأنه لما كانت سنة 1208 هـ. ثار بقبيلة الاخماس، من جبال غمارة، فاجتمعت عليه سماسة الفتن من كل قبيلة، وكثر تابعوه ثم قال ولما شرى داؤه بعث السلطان (مولاي سليمان) بجيش الى القائد الغنيمي، وأمره أن يقصد زيطان وجمعه، فزحف اليه ببلاد غصاوة قرب وزان .

وعقب بعد ذلك فقال: واستنز له المولى الطيب بالامان فظفر به، وبعث به الى السلطان، فأمضى أمانه، وولاه على قبيلته، وصار من جملة خدام الدولة ونصحائها ... وحكى أنه كانت له اليد الطولى لصالح دولة المولى سليمان عندما خرج عنها المولى ابراهيم بن يزيد الى آخر ما جاء فيه مما يدل على انابته انابة خالصة وانه ورد على السلطان بطنجة وكان شيخا تقدم به السن فأحسن اليه احسانا بمالا مزيد عليه .

باختصار عن فهم عقلية الرجل، ونحن ننقل منها فقرات مع ملاحظات تخص
 بعض الحقائق الطفيفة التي لا تلمس جوهر الموضوع، فقد جاء فيها:
 «وفى شمال المغرب شهدت الحكومة ما أفرعها، وما أقدم
 عليه مولاي احمد الريسوني من اثار الفتنه وتقويض بعض الاطمئنان
 انذى عرفته المنطقة، وبالضبط في جبل الزينات على بعد 70 كلم من
 طريق طنجة (لا تبعد الا بحوالى 22 كلم) حيث ولد رجل القصة سنة
 1868 م موافق 1285 هـ. اعنى في أواخر عهد الملك محمد الرابع، من
 عائلة ريسونية، تمتاز بالتقدير، وتعد قبيلة بنى عروس موطنها الاطلى،
 وقد اجمعت الروايات على أن مولاي احمد كان على جانب كبير من
 الذكاء والجدية، وكان تعلقه بالمغامرة يشكل التطلع الكبير في حياته، وقد
 اكتسب صداقة كثير من الناس، بالاخص الفقهاء الذين اعجبوا به، وانتقل
 الى تطوان بعد أن توفي والده (لم يسكن قط في تطوان) ومنها الى
 طنجة (لم يسكن بطنجة وانما انتقل اليها عندما احتل الجيش الاسباني
 مدينة أصيلا، ومكث في الجبل الكبير لمدة عشرة أشهر)، لكنه عاد الى
 قرية الزينات بعد وفاة والدته (حقا ان والدته مدفونة بطنجة الا أن
 وفاتها تأخر عن مكوثه بالجبل الكبير بطنجة)، وقد كان متفهما الى حد
 ما لاحداث الساعة التي تدور حوله رغم محدودية ثقافته، وتسوق النواذر
 عدة حكايات عن حياته تبرز فيه سخاءه وكرمه، واذا انطلق في مغامراته
 ملأت أصداؤه أرجاء المغرب، وانتشر الفزع في نفوس السكان، وأصبح
 اسمه على كل لسان، وهكذا زاد اعتداده بنفسه وطموحه في الاستلاء
 على السلطة، فأصبح يسخر لاجل ذلك حياة الرجال الذين يحيطون به،
 والذين جمعهم حب الاستغلال والوضعية المزرية التي تعيش تحت
 ظلها البلاد، فما كان من الحسن الاول الا أن أصدر أمره الى باشا
 طنجة (بل النائب الطريس الذي استعان بالبasha ابن عبد الصادق) بالقاء
 القبض على هذا المتمرّد، وشجع ذلك الريسوني على المضى في تهديداته
 رغم احتجاجات السلطة، ومع فشل المحاولة الاولى أصدرت الاوامر
 من جديد بالقاء القبض على رأس الفتنه وانزال العقوبة به .
 (وكان السلطان وضع النائب الطريس أمام مسؤوليته اذا لم
 يلق القبض عليه) .

وفطن ابن عبد الصادق الى أن القوة لن تنفعه في شيء، فالتجأ الى الحيلة طالبا مقابلة الريسونى عن طريق أحد أعوانه، وهو الحاج العربى المعلم الذى أغرى الريسونى بثلاث بنادق (1) فازداد هذا الأخير تعلقا بمقابلة الباشا والح على ذلك كثيرا، (وكان النائب الطريس ربما اتهم ابن عبد الصادق بالاستخفاف بأوامر السلطان نظرا ل صداقته للريسونى) وكانت هذه مناسبة للقاء القبض عليه، وأودع السجن وأرسل مكبلا الى سجن الصويرة حيث مكث هناك ست سنوات، حاول مرة الفرار، لكن محاولته باءت بالفشل بعد صدام عنيف ذهب ضحيته أربعة أشخاص .

وقد طالب الوزير الطريس من المولى الحسن أن يتفضل بالعفو عن الريسونى تقول عائلته (أن الذين تدخلوا لطلب العفو هم أعيان الشرفاء العلميين الذين اتصلوا بالحاجب أبا احمد بنموسى الذى صرح لهم بأن النائب الطريس لم يرد اطلاق سراحه الا بعد أن تكون هناك ضمانات كافية لعدم رجوعه الى تمرد، وهكذا بقى الريسونى مسجوناً الى أن توفى بنموسى عام 1318 هـ. وارتقى مولاى عبد العزيز الى الملك عام 1894 م فأعاد الشرفاء العلميون مساعاهم لاطلاق سراحه بالاستعانة بالسيد العباس الفاسى الفهرى الذى تدخل لدى السلطان فأطلق سراحه).

ان طبيعة المعاملة التى لقيها فى السجن خلفت أثرا للخنق فى دمه على السلطة، وبعد العفو عنه عاد من جديد الى أعماله، خصوصا بعد أن تجاهلته الحكومة، وانتزعت منه أرضا كان يملكها (بعد سؤال أعيان عائلته لم يعرفوا هذه الأرض ولا كيف نزعت منه)، فالتجأ الى أخواله فى تزروت (ليس له أخوال فى تزروت وإنما يوجد هناك بنو أعمامه) وأعلن عصيانه مرة أخرى، (التجأؤه الى تزروت كان بعد ما بعثت الدولة بالباشا بوشتى البغدادى على رأس حملة تقدر بـ 20 ألف رجل،

(1) يقول سيدى التهامى الوزانى فى كتابه تاريخ المغرب - الجزء لث ص. 142 بأنه أغراد بمشيخة قبيلة مقابل ستة آلاف ريال يدفعها الريسونى فجاء الى طنجة وقبض عليه وسلمه للسلطان .

وعسكر قبالة الزينات بكدية سيدي العربي بقرية الكوارت من فحوص
طنجة وبعدما لم ينل منه منالا، انتقل الى تزروت محل زاوية العائلة
الريسونية)، وعزز جانبه برجال القبائل (من أهمها قبيلة وادراس وبني
عروص) التي انضمت تحت لوائه، وبدأ ينظم الحملات فيما بين أصيلا
والقصر الكبير، ومع ظهور حركة تمردية أخرى يتزعمها أبو حمارة
الجيلالي الزرهوني في الريف دخلت البلاد مرحلة الفوضى وعم الفرع
بشأنها، ولا نعلم فيما اذا كان هناك ارتباط بين الحركتين، لكنه بالتأكيد
كانت هناك يد تعمل في الخفاء من أجل تقسيم وحدة البلاد، ونستنتج هذا
من افشال حملة النجدة الحكومية التي كانت تهدف القضاء على حركة
بوحمارة (ليس هناك أي دليل على أن الريسوني له ضلع مع بوحمارة،
بل لم يرد في أي مصدر من المصادر التي بحثت قضية بوحمارة، وكذلك
قضية الريسوني، الذي يعتبر تمرد من نوع آخر، وهو حب السيطرة
على قبائله من دون منازع، وليس هناك ارتباط بين فشل حملة النجدة
مع تمرد بوحمارة الذي أعلن نفسه سلطانا باسم محمد بن الحسن، على
أن الذي يفهم من الحملة التي فشلت انها ليست الحملة التي تهدف
للقضاء على حركة بوحمارة، بل الحركة التي وجهت للقضاء على تمرد
الريسوني بقيادة بوشتي البغدادى أولا، ثم بقيادة الامراني ثانيا بدليل
ما بعده) وهكذا تمردت القبائل المجاورة بعد هزيمة الحكومة وأعلنت
انضمامها الى الحركة الريسونية، والقت الفرق التابعة للريسوني القبض
على مراسل جريدة التايمس - السيد هاريس - الذي كتب في مذكراته
عن رحلات الصيد التي كان يقوم بها (يلاحظ أن الذين القى عليهما القبض
في رحلة الصيد هما «ريون برديكاريس» و «فارلي كانا» .

وكذلك عن الحركة التمردية التي اتسعت رقعتها في الشمال،
وكضرورة لقمع هذه الحركة توجهت الحملة ضدها بجيوش يقدر عددها
بـ 40 ألف جندي في الوقت الذي كانت فيه قوات الريسوني لا تزيد
عن ثمانية آلاف من الانصار، الشيء الذي جعله يتفادى الوقوع في أي
اشتباك، وعمد الى حرب العصابات، واختطاف الاجانب والامتناع عن
اطلاق سراخهم، كطريقة لكسب الاموال، واثارة للرأي العالمي، وهكذا
كان الضغط من الخارج والتآمر على البلاد بين انجلترا وفرنسا واسبانيا،

وتم الكشف عن حقيقة ما كان يعانيه المغرب من تأمر خارجي في مؤتمر الجزيرة الخضراء .

ولم يكتف الريسوني بذلك بل زاد في المشاكل لكي تزداد الضغوط الخارجية، وفي الداخل كانت الازمة تستفحل مع حوادث الدار البيضاء عندما اقتحم السكان محلات سكنى الاجانب، وتعرضت مدينة أصيلا لنفس الازمة، فطالب الطريس وزير الخارجية آنذاك من الريسوني أن يتدخل من أجل اعادة الاطمئنان الى المدينة وناحيتها، ففعل واستفاد من ذلك بضم أصيلا ونواحيها الى حظيرته .

وقد عمل مؤتمر الجزيرة على اجلاء الريسوني (كان الريسوني كتب رسالة يحتج فيها على قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء (1) القاضية بادخال الاصلاحات على المغرب التي منها مدن الشواطىء الاطلسية وهو أمر يحد من سلطته) فأصدر الملك (مولاي عبد العزيز) الامر من جديد بعزل الريسوني مما اضطره الى الفرار، والتجأ الى تازة محتميا بصديقه العياشي الزلال (قرية العياشي الزلال هي «بوغابش» من قبيلة بنى مصور وليس هناك محل يدعى بتازة ولعله غلط مطبعي) (وكان الزلال يعتبر المتزعم الثاني في قبائل جبالة من ناحية الجاه والسلطة، الا أنه لم يتعد قبيلته) وأعلن عصيانه فاستمر الشريف الامراني في مطاردته عن طريق العنف لآكن الضابط الانجليزى ماكلين الذي كان يدرب الجيوش آنذاك طلب العفو عليه من لدن السلطان، فانسحبت القوات التي كانت تحاصره تمهيدا لالقاء القبض عليه .

وقد فطن هو لذلك بعد أن توصل برسالة من السلطان كان قد بعثها الى الباشا (أى باشا طنجة ابن الصديق) وأخرى اليه لكنها اختطت على الضابط الانجليزى (يظهر أن الانجليزى هو الذى حمل الرسالتين) فقدمهما للريسوني وهى تفضح اللعبة التي كانت تدبر له، وهذا ما دفع به الى أن يراجع ظروفه بامعان، وكان اعتصامه بالجبل من جديد، وأسره للضابط الانجليزى الذى تقاضى مقابل اطلاق سراحه 20 ألف جنيه من الحكومة البريطانية .

(1) كتاب بطل الريف صحيفة 80 .

وتقلد بعد ذلك الريسونى باشا مدينة أصيلا (يحتج افراد من
أعيان عائلته على لفظة الباشا ويقولون أنه كان واليا على أصيلا وجميع
قبائل الجبال) ولكن هذا الفهم لكلمة باشا غير صحيح، فالباشا في ذلك
الوقت يرادف الوالى وليست مختصة بالمدينة فقط، كما هو جار بعد
تنظيمات الحماية، ويدل على ذلك ان القائد احمد الريفى كانت له سلطة
على نواحي الشمال، ومع ذلك فكان يسمى القائد ويسمى الباشا).

ثم شهدت أصيلا سلسلة أخرى الى أن قامت الثورة الريفية في
مدينة أجدير التى ألفت القبض على الريسونى ونقل على النعش أسيرا
فى يدها.

وهكذا أسدل الستار على مرحلة الفوضى التى عرفتھا الامة
المغربية، والتى كان بطل أزمتھا مولاي احمد الريسونى» انتهى نص
المحاضرة.

وعن المرحلة الاخيرة من حياة الريسونى التى صاحبت الفترة
التي أعقبت انسحاب الجيوش الاسبانية من جميع المواقع الامامية في
جباله وشفشاون، اثر موقعة أنوال التاريخية، فقد نكلمنا عنها نحن من
جهتنا سابقا، اعتبارا للتسلسل التاريخي الذي التزمناه، ولكن نظرا الى
أننا نضع أقوال الكتاب عنه في الميزان، فلا بد من الإشارة هنا الى حياته
الحربية في تلك الفترة، لتكتمل العناصر التي نتوخاها وما اعتري صحته
من داء الحبن التي تورمت ذاته السفلية فتشقق لحمها ترشح بالماء.

بعد معركة أنوال التي تبخرت آمال الاسبانيين في الانتصار في
شمال افريقيا، قامت بانسحابها من خميس بنى عروص الى مواقعها
القديمة، حيث تنفس الريسونى الصعداء ومن معه، وقد هرعوا من
مخابئهم في ادغال جبل بوهاشم الى ديارهم، التي وجدوا جلها انقاضا
خاوية على عروشها، وقد حمل الريسونى معه من تلك المخابيء الارضية
تحت رحمة صقيع الثلوج ادواء من نصفه السفلي، الذي أصيب بداء
عضال، نتيجة للمآسى الصحية التي تكبدها، وهو في سجن الصويرة
معرضا لרטوبات الجدران المكبل اليها، وقد أيقظتها بصورة مزعجة الآن
ثلوج جبل بوهاشم، حيث لا وطاء ولا غطاء، وهو في سن متقدمة واهية.

ورجع الى داره طريح الفراش، لا يجد راحة الا عندما تعلق رجلاه بواسطة خيوط مثبتة في أعمدة السقف، لكي لا تخذش لحمته الذي تكشف شقوقا، واذ قد وصل المرء الى هذا الحد، فان نشاطه الحربى يكون قد كل نهائيا، ولذا فان اعتصامه بتزروت الى أن هاجمه رجال الريف لآخذه محمولا على نعشه الى أجدير، لم يكن بوحى من التمرد بمعناه الصحيح، وانما كان ذلك بداعى العظمة التى جعلته يتنطع رغم بلوغ السيل الزبى، وقد وصفه ابن عبد الكريم فى مذكراته «كان الريسونى أنانيا جشعا، لا يهمل الا نفسه وحده» (1) وهذه الانانية ظاهرة سيطرت على تصرفاته، ويظهر أنها موروثة من لدن الجدة «ريسون» التى استطاعت أن تنفرد لنفسها بنسب العائلة، ضاربة عرض الحائط بما هو مألوف من نسب العائلة الى الرجل، على أن هذه الظاهرة ملموسة فى جميع أحفادها الذين يغلب على طبيعتهم الطموح .

وعلى كل حال فان من الطموح ما يعمى ويصم، وهذا ما وقع لمولاي أحمد الريسونى، فقد عاش حوالى 30 سنة وهو يتحكم فى رقاب قبائل جباله، وقد جربت معه الدولة المغربية وسائل الرضوخ لسلطتها فلم تفلح، كما جربت معه اسبانيا شتى الطرق لكسبه الى جانبها بالاغراء، ولكن بقى فى معقله حرا طليقا، يعصوب حوله القبائل الجبلية بأسرها تارة، وينابز بعضها تارة أخرى، عندما تنقلب عليه بداع من الدواعى التى جبلت عليها طباعها من كثرة تقلباتها، ولو لاتفه الأسباب .

ومما جاء عن كاتب اسباني نشر فى كتيب بعنوان «عشرون سنة من التاريخ» باللغة الاسبانية سنة 1911 «استولى سلفستري على العرائش وكان بدرجة كرونيل، وكان الاحتلال بمعاونة الريسونى نفسه، ثم احتل القصر الكبير، ثم ظهر خلاف بين سلفستري والريسونى، بسبب الأعمال الوحشية التى يقوم بها الريسونى ضد الاهالى، وهذا الاخير يسمى عند الاسبان «خرباطو» وكان شجاعا ذكيا دبلوماسيا ماهرا، غير ان خداعه وعدم تمسكه بالوعود وتقلباته جعلت الجنرال (سلفستري) ينسك فى ولائه لاسبانيا، وذات مرة جرت بينهما محاوراة شادة، فقال

(1) كتاب عبد الكريم أمير الريف .

الريسونى للجنرال «أنت تمثل العاصفة وأنا أمثل البحر، فأما العاصفة فانما تهز المياه هزا، ثم تندثر، أما البحر فيمكث ويستمر» .
«ورغم أن الجنرال كان يمنى الريسونى بتوليته خلافة السلطان بالشمال، إلا أنه لم يطل أن احتدم خلاف نشأت عنه حرب بين اسبانيا والجبالة بقيادة الريسونى، وذلك عندما احتل سلفستري مدينة أصيلا بدون إذن من حكومته» .

وإذا كانت علاقة قبائل الجباله معه على هذه الوتيرة، فانه يكون معذورا حين يستعمل القساوة المتناهية لكبح جماحها، وهو الرجل الخريت فى شؤونها بمقتضى احتكاكه المستمر، وقد تصل قسوته معها الى الموت خنقا اذا اقتضى ذلك ردع الباقي، واذا كانت أحواله بهذه المثابة، فانه يصعب عليه ان يخضع لأول وهلة، ويستسلم لاهل الريف، الذين نبشوا معقله بالمدافع والقنابل، حينما كانت قوته متداعية، فكان عليه أن يصمد للنكبات التى ألفها، والتى جعلت من قلبه قطعة فولاذية، لا تأخذ منه الاحداث مهما قست، وحينما يكون المرء لا يبالى بالحياة، فانه لا يتحاشى أن يطلق سيلا من الشتائم يقذف بها فى وجه أعدائه المتغلبين، ذلك ما رواه المراسل الامريكى «فنسانت شيان» الذى كان شاهد عيان لاستيسلام الريسونى، اذ قال: «وانفجر بحنق فى وجهنا، حين جلسنا القرفصاء على الارض أمامه، سأل: لماذا جئتم الى؟ لقد قلت انى لا أريد أن أرى كائنا من كان، لست أريد سوى الموت، لقد طلبت أن أموت، فأنا لا أريد أن أكون أسير الكلاب وأبناء الكلاب» (1) .

ثم زاد قائلا: «يستطيع العالم الخارجى أن ينسى الريسونى ولا يريد الريسونى سوى أن ينسى العالم الخارجى، لقد طلبت أن أموت لماذا لم يقتلونى فى الحال؟، لن يكون الريسونى أسيرا قط وعبدا للكلاب فى المكان، حيث كان الريسونى يسود، لقد أخذوا جوادى وسرجى فليأخذوا ما تبقى» .

«وقد رفض أن يأكل أو يشرب وكرر رجاءه فى الموت» .

(1) لا يمكن تصديق ما رواه مراسل أجنبى ينمق كلامه فى مراسلاته وبالاخص فى العبارة مثل هذه .

«وحيث مر محمولا على أكتاف أربعة عشر من الرجال الأقوياء في محفة من الخشب، على أنصاره الأربعمائة الذين آزره إلى آخر مرحلته القاسية، فاغرين أفواههم دهشين للصدمة التي أصابتهم، فلم يستطيعوا أن ينبسوا ببنت شفة، قال لهم بسخرية البائس المحطم «اضحكوا لسقوط الريسوني، اغتبطوا بذلك، لكنه سيأتي اليوم الذي تعطون فيه مسرورين كل ما تملكون كيما يعود من جديد، وسيكون الاوان قد فات اذن، ولقد فات الاوان منذ الآن، فأنا قادم منذ الآن الى الموت» ويقول مراسل القايمز «هاريس» أنه رفع التماسا أخيرا يطلب فيه الابقاء على حياته، على أن يلتزم بطاعة ابن عبد الكريم» .

وعلى أي حال، فانه الى هذا الحد قد استعرضنا مختصرا لجوانب الاحداث التي صاحبت حياة هذا الرجل كما مرت، وحاولنا أن تكون غضة طرية، بحيث عرضناها على حالتها التي مرت من دون أن يصحبها تنميق أو تحريف، ولم يبق من تلك الاحداث الا جزءها الاخير - أي من سنة 1920 الى غاية سقوطه في 24 يناير 1925 م، وهو جزء قدمنا دوره التسلسلي بعد معارك الجبهة الشرقية التي ابتدأت بالذات من معركة «ادهار ابران» بتمسامان بتاريخ 31 ماي 1921 م، الى حين سقوطه أسيرا ويهدف هذا الغرض الى اقامة توازن بين العناصر التي تدين الرجل وتجعله في صف المتسلطين القساة، وبين العناصر الاخرى الصالحة التي ترى جماعة من العائلة الريسونية أنه كان وطنيا مناضلا يستهدف الصالح العام، حتى قال أحد أفراد تلك الجماعة وهو السيد احمد بن الامين الريسوني نقيب الريسونيين في نشرة طبعت بتاريخ 1966 م، «أننا سنتبع هذا البحث البسيط بحول الله بنقير آخر نقتصر فيه ان شاء الله على ذكر آخر نقيب ما قبل الحماية أيام المغفور له مولانا عبد الحفيظ، وهو عامله زعيم الجبل المجاهد العظيم عمنا المقدس احمد بن محمد الريسوني» .

ولعلنا نجد فيما تقدمه عائلته في هذا الباب ما يقنع المؤرخين مدعما بالحجج التاريخية، وبخصوص ما يتعلق بالعناصر الاولى من أن المنتبج لما كتب عنه في هذا المضمار، يقتنع بأن المصدر الاصلى لذلك كله هو الكتاب الاجانب، وان كلمة اللوصية جاءت تعبيرا منهم في حقه

بوحى الاحقاد التى ملأت أفئدتهم، لانه عمد الى اختطاف الاميركيين ريو برديكاريس وفارلى كانا، واختطاف مدرب الجيش المغربى هارى ماك والمستشار السلطانى، وانه احتفظ بهم، لابتزاز فدية ضخمة من المال. ولانه لعب دور الخديعة مع الجنرال «خردانة» الذى حصل منه على مال وسلاح .

واذا كانت هذه هى اللزمة التى يلمز بها حتى وصف بما وصف به، فان الامر لا يعدو أن يكون من حدفولهم الحرب خدعة، فله مندوحة فى استعمال كل الاساليب التى تحدث تأثيرا لدى أعدائه وأنصاره على السواء، لتقوية مركزه معنويا وماديا، فاذا كانت أعماله هذه دعيت سرقة، وهى جريمة قد تكون عادية فى ظروف الحرب، فما هى الاوصاف التى يكيف بها سرقة الوطن بأسره، وبتواطىء أمم كاملة مع سبق الاصرار بمؤتمراتها، وحشد جيوشها، لاجل ارتكاب جرائم التقتيل، وهتك الاعراض، واتلاف الاموال بالدمار والخراب، ثم فوق ذلك سرقة السيادة الوطنية، وعلى هذا المنطق فمن هو الاولى بوصف اللص الخسيس، ان المنطق يبدو غير سليم، لانه يتسم بحيف فضيع حيال رجل استعمل كل حقه فى أن لا يظأ أجنبى منطقة نفوذه فى حالة عدم الترخيص له، وحينما وجد أميركيين متلبسين بالدخول السرى بدون جواز مرور، نلومه لانه احتجزهما عنده الى أن أدبت فدية سراحهما، كما احتجز انجليزيا عندما ذهب اليه فى عقر داره يحمل اليه رسالة القاء القبض عليه، والتى مكنته الاقدار الالهية بها، حيث غلط فقدم رسالة القاء القبض عليه الموجهة الى باشا طنجة وترك الرسالة الاخرى، التى تحمل خديعة عبارات الاطمئنان، ولم يطلق سراحه الا بعد الفدية أيضا. ان المنطق السليم يقضى بأن الرجل لم يستعمل الا حقه المشروع فى كلتا الحالتين، وما هى اللصوصية اذا؟ .

أما اذا كانت اللصوصية، بأنه اغتصب السلطة فى قبائل الجبال واستبد بها، وقد ألقى القبض عليه من طرف الدولة المغربية لاعمال العنف والشغب، فان الدولة نفسها أطلقت سراحه، وارجعته الى حيث هو متسلط، فبماذا يفسر عمل الدولة هذا ازاءه؟ .

وأما اذا كانت اللصوصية أيضا انه تمكن من الاستيلاء على مال

ومعدات من الجنرال خردانة، أو من عملاء المانيا، فان الامر هذا سائغ في ذلك الوقت، بل أن خديعته الحربية ضد خردانة كانت خدعة الشهم الذكي، الذي يطرق كل المسالك المؤدية الى اصفاء المعنوية العالية على أنصاره في حين يحطم معنويات الآخرين، وذلك ما وقع، فقد سقط وراء مكتبه جثة هامة، لانه لم يتحمل قلبه الصدمة العنيفة .

أم أن هناك حالات تعتبر من العناصر التي سلكها في اخضاع السكان لارادته، وتقوية سلطانه بالوسائل البدائية، وكمثال لذلك نستعرض هنا ما أورده المؤرخ الانجليزى الدكتور «ليرد» (1) ليعطى صورة واضحة عن السلوك الذى كان يتبعه في تقوية تلك السلطة (الترجمة للاستاذ عبد المجيد بن جلون - العلم بتاريخ 13 أكتوبر 1973 -)، فقد قال يخاطب نفسه «هل ترى ذلك العربى القصير القامة رث الثياب الذى يقف هناك بالقرب من حماره، ذلك الرجل المصاب بندبة في مؤرخة رأسه، يقال أنه قتل عديدا من الرجال، لم يقتل مثله أى رجل آخر في طنجة، فكيف يكون مطلق السراح؟ أظن اننى لم أفهم، انه من أتباع الريسونى، شئى أسمعه، وقد ارتكب اغتياالاته لمصلحة رئيسه، وهذا شئى أسمه الولاء، أجل كان قد زج به في السجن ربما لمدة أربعة أسابيع، فهل تعتقد أنه رجل خطير مطلق السراح؟ كلا على الاطلاق، فهو لا يقتل خبط عشواء، ولكن اذا أراد الريسونى ازالة أحد من الوجود، فانه بالطبع، وهم يقومون بنفس العمل على كل حال بالنسبة لاصدقائه كما حدث لرجل كان وكيلا للريسونى في طنجة، حينما كان حاكما منذ سنوات خلت، وقد رافقه منذ فترة قصيرة فقط، وهو واقف في الشارع بالقرب من بناية عالية، وكان يتحدث الى مغربى آخر، ثم أقبل مغربى ثالث في هدوء وأطلق عليه النار من الخلف، نعم فان الرجل الذى كان يتحدث اليه شريك فى المؤامرة كان يشغل انتباهه، وانتهى كل شئ فى فترة ساعتين، واستطاع القاتلان أن يفرا على عجل، وخلال الساعتين كان القتل قد دفن وطواه النسيان، ولقد تربصا به فترة طويلة من الزمن» .

(1) وان كان هذا المؤرخ أجنبيا أيضا الا أن مثل هذه الحالة متواترة عند السكان .

على أنه في علاقاته مع خردانة في أول الامر حسب ما جاء في كتاب تاريخ المغرب سيدي المهدي الوزاني (1) كانت علاقة مربية مع الجيش الإسباني، فقد مهد له للاستلاء على مواقع هامة، وبالاخص فندق عين الجديدة ومركز مدشر البيوت بأنجرة، حيث عمد الريسوني الى تسديد فوهات البنادق التي أخذها من خردانة الى صدور المجاهدين في هذا المركز .

ثم اعراضه عن نداء الضمير عندما ظهر في أفق المشرق من منطقة انبلاج فجر ساطع يقتحم نوره الوضاء ظلمات الليل الطويل الحالكة؟، والذي كان من المحتتم عليه أن يضم صفه الى صف المناضلين الذين أحيوا عزة الجهاد في الريف، ولماذا احتجب عن الرد على توسلات الزعيم ابن عبد الكريم، التي طلبت منه أن يضم عصاه الى عصاه كي لا تنكسر الواحدة تلو الاخرى .

فكل هذه التساؤلات تعتبر وصمة بالنسبة للريسوني وقد نجد له عذرا في الاخيرة، بأن تكون خانته فيها فراسته أو طغى عايبها الانانية، التي هو العيب كل العيب، والمرض الدفين الذي قتل في الرجل حسناته، فأصبح مغضوبا عليه من جمهرة الكتاب العرب الذين اسقر رأيهم على أخذه عن هذه الشهوة الجامحة، والغرور القاتل، كما أخذوا عنه أنه يغضب على الاسبان حينما لم يوفوا بالوعد بتعيينه خليفة للسلطان في الشمال (2) .

ان عائلته يحتجون على وصفه بأنه ليست له أهداف وطنية بما حكاه عمر أبو نصر في كتابه (بطل الريف) (3) حيث جاء فيه: «ولاكن المراكشيين رفضوا الخضوع لمقررات المؤتمر، فثاروا بزعامة الريسوني، فاضطرت فرنسا لارسال قوة لاقمادها» . «وجاءت اسبانيا على اثر ذلك، وحسدت قوتها، من مليلية وسبتة، فازداد اذ ذاك شغب المغاربة» .

-
- (1) صحيفة 152 ج. بع .
 - (2) تاريخ سيدي التهامي الوزاني صحيفة 149 .
 - (3) صحيفة بع 8 طبعة — المطبعة الوطنية ببيروت عام 1934 .

ويبدو من هذه النصوص التي جاءت في كتاب «بطل الريف» أن عمر أبا نصر لما كان بعيدا عن المغرب، لم يحدد معلوماته بتدقيق، فأطلقها جزافا، والا فان المغاربة كلهم ثاروا في جميع الجهات بزعماء محليين، قادوا ثورات مختلفة على فرنسا واسبانيا، ولم يكن لهم ارتباط بالريسوني .

فالزعيم الخالد سيدي محمد أمزيان الشريف القلعي حارب اسبانيا مدة سنتين بضواحي مليلية والقبائل المحيطة بها، وجرت بين الفريقين أكثر من مائة معركة كما اسلفنا في الجزء الاول، تكبد فيها الجيش الاسباني خسائر في الارواح بلغت عشرة آلاف قتيل منهم الجنرال بينتو والجنرال فيكاريو (1) .

ويعتبر أول من احتج على مؤتمر الجزيرة الخضراء، وعلى عقد الحماية، اذ أرسل رسائل الاحتجاج الى سفراء الدول المجتمعين بطنجة، حملها زعيم من زعماء قبيلة بقيوة، وهو السيد مسعود بن عمر المدعو السي بيرا، وكان شجاعا شهما، ووطنيا صادقا، فسافر الى طنجة، واتصل بالسفراء واحدا بعد آخر، ودفع لكل واحد منهم رسالة الاحتجاج، مشفوعة بتصريحات شفوية، في معنى رفض الريف لما يحاك ضد المغرب وسيادته، وصور لهم فداحة الامر، والعواقب الوخيمة، التي ستجرها الحماية الافرنسية والاسبانية على المغرب وعلى المجتمع الدولي. وعندما خرج من سفارة ألمانيا، التي كانت تعد المغرب وتمنيه، وجد الجنود الاسبان بالمرصاد له بباب السفارة، فألقوا عليه القبض، بباب السفارة، فحمل على مركب اسباني بحرا من طنجة الى مليلية، حيث سجن هناك لمدة سنة كاملة، الى أن استشهد الشريف أمزيان .

وقد خلفه الزعيم ابن عبد الكريم الخطابي بعد ذلك، فلم تكن له علاقة معه، بل كان عمله بالنسبة اليه كما قال أحد فلاسفة العرب، وهو الشيخ طنطاوي جوهرى في تفسير قوله تعالى (وكان الشيطان للإنسان خذولا) (2) .

(1) كتاب الحركة الاستقلالية للمرحوم الاستاذ غلال الفاسي ص 107 .

(2) تفسير الطنطاوي الجزء 12 ص 184 طبعة

«لقد جاء في الجرائد المصرية، أن الأمير عبد الكريم ببلاد المغرب، الذي يحارب الاسبان، قد سلط الاسبان عليه رجلا من أمته، يسمى الريسونى، له شوكة وقوة، فقام الأمير عبد الكريم على الريسونى وحاربه وغلبه وأسرده، فوقف وزير اسباني في قومه خطيبا، وقال «نحن لا يهمننا الريسونى، ولا هو له قيمة عندنا، سواء خذل أو نصر، فلا نبالي» .

«هذا كلام الوزير الاسباني، فكأنه لما كان قويا انتفع به، فلما سقط في حومة الوغى خذله، ولم يبال به، وهذا تفسير قوله تعالى «وكان الشيطان للانسان خذولا» .

أما فى الاطلس المتوسط فقاوم أهل زيان وغيرهم فى مواقع كثيرة، الجيش الافرنسى وكذلك الاطلس الكبير بجنوب المغرب، وبالصحراء قاوم المغاربة الجيش الافرنسى والاسباني تحت قيادة الشيخ ماء العنيز، وولده احمد الهبيبة .

وفى تافيلالت، وآيت عطا قاد الشريف السملالى المعروف بموحي احمد الثورة على الافرنسيين لمدة 23 سنة .

ولم يكن لهؤلاء أية علاقة بالريسونى، بل جاء فى كتاب الحركة الاستقلالية (1) «ولم يخمد (أى القتال مع الاسبان) الا بعد أن اتفق الاسبان مع الريسونى، الذى استطاع أن ينشر نفوذه على قبائل جباله الشمالية» .

نعم ان مؤرخى الاجانب، حاولوا أن يربطوا حركة الريسونى بالثائر بوحمارة مثل ما فعل روم روندو فى كتابه «تاريخ المغرب فى القرن العشرين» فقد قال (2) ولم يلبث (أى الريسونى) أن اتقن الشر على مقياس واسع، بما فى ذلك الخطف والقتل، وكلما زادت قوته، وكثر اتباعه، كانت محنته تزداد شرة، ثم زاد فى نفس الصفحة وبعد ذلك حالف الاسبان، وانتقل من مجد الى مجد، ثم قال :

«من المؤكد أن بوحمارة والريسونى كانا على اتصال» .

(1) للمرحوم الزعيم علال الفاسى ص 106 .

(2) صحيفة 63-66 .

وعلى هذا المنوال كتب المؤلف روبرت مورنو الانجليزى، فى كتابه «عبد الكريم أمير الريف» تحت عنوان «لص الجبال» (1) عن الريسونى، وذكر فى هذا الفصل بوحمارة أيضا .

ولكن الواقع ان الريسونى لم يكن متأثر بثورة بوحمارة، ولم يكن له اتصال به، بل أنه كان يعمل على حسب سلطته فى الجبال، حيث لم يرد أن يعكر أحد عليه صفاء تلك السلطة، وكان دائما على حذر سواء من جانب الدولة المغربية، أو من جانب الجيش الاسباني، فلذا تراه يعارك جانبا تارة، ويصافى تارة أخرى، وذلك ما جعل حياته ترتبك لما دق ربع الساعة الاخير، عفى الله عنه وغفر له .

ملاحظة :

فى صفحة 286 قبله ينبغى الانتباه الى أنه عندما انتهى السطر السادس وقع غلط مطبعى وتقديم وتأخير . فالذى يتبع هذا السطر هو (وعندما دخل) الى كلمة (لكى) ثم يرجع الى كلمة (لا يرى) وعند كلمة (بوصفه) يتبعها (باللص) فلينتبه لذلك .

الجبهة الشرقية للمرة الثانية
معارك محترمة تقع بين المجاهدين والجيش الاسباني
على أرضية انهزامه سنة 1921

الجبهة الشرقية للمرة الثانية

لنترك الآن الجبهة الغربية، بعد سرد الاحداث التى جرت فى تلك الجبهة فى مختلف مراحلها .

بعد هزائم 1921 فى الجبهة الشرقية واشتغال ابن عبد الكريم بالتنظيمات الداخلية، كما أسلفنا انتهاز العدو الفرصة، لغسل عار الهزائم التى استرسلت تترى، فانكب فى أول توقف الممارك فى الجبهة الشرقية على ارسال الامدادات لحشد أكبر قوة ممكنة، حتى أن الجيش الاسباني فى المغرب، وصل فى سنة 1924 م. الى حوالى مائتى ألف جندي، كما ارتفع عدد الطائرات المقاتلة، وارتفعت أيضا العمارات البحرية، التى تجوب الشواطىء الشمالية، وقد كان من التخطيطات العسكرية، التى يعمل لها قادة الجيش الاسباني لاجل أن يقوموا بالضربة القاضية، هو التخطيط الذى سمي «بضرب الافعى الى الرأس» ويعنون بذلك انزال الجيوش على شواطىء الحسيمة، ففي سنة 1922، كان المقيم العام الخنراييسمو برينكير، يقوم بدراسة واسعة لاستكشاف تلك الشواطىء وصلاحياتها للانزال، فأرسل الباخرة الحربية «خوان خوانين» الى خليج الحسيمة وعندما اقتربت الى الجزيرة، كانت بطاريات المدافع الريفية التى نصبت على قمم الخليج، وهى التى غنمت من المراكز المنهزمة تتصدى لها، فتبادلت معها اطلاق النار، كان المآل اغراق الباخرة أمام الجزيرة التى استرسلت هى أيضا فى صب جام غضبها على المدفعية الريفية، وقراها، ولكن لم تتج هى أيضا من اصابات فى الصميم، مما أدى بعد ذلك الى أن تنقطع عنها المؤونة، الا ما يصلها ليلا، تحت الظلام فى زوارق صغيرة .

وبعد هذه المعركة البحرية الخاسرة بالنسبة للعدو، فان تخطيط الانزال فى خليج الحسيمة، ابتعد عن مخيلاته، وعمد الى تخطيط آخر،

وهو استرجاع المواقع التى خسرها فى الجبهة الشرقية، بحيث يسترجع موقعا بعد موقع، من دون تسرع .

بينما المجاهدون منشغلون فى الجبهة الغربية، حيث اتسع عليهم الخط القتالى فى ادغال غمارة، وجباله مع بعد الشقة .

وهكذا قاد فرانكو فرقة اللفيف الاجنبى، (التريسيو) من مليلية، فاحتل الناضور، ثم تقدم على طريق الاحزان الى اعرويت، وقد وجد ان احتلال قبيلة قلعية ليس سهلا، ولكن عندما تخطى حدود هذه القبيلة لقي معارك أشد ضراوة .

وقد تعتمد التخطيط الجديد ان يسقط من حسابه احتلال أنوال، الذى قد يوحى بالمآسى التى شهدتها الموقع، كما أسقط من حسابه مركز سيدى ادريس لنفس السبب .

وقد كان من المواقع الهامة التى وضعها قادة الجيش الغازى، فى تخطيطهم فى هذه الحملة، كحد أدنى لمراكزهم الامامية هى استرجاع المناطق التى كانت تحت احتلالهم قبل هزيمة أنوال، وهى مراكز خمسة:

- 1 - مركز سيدى مسعود وهو يسامت سيدى ادريس يقع بين تمسامان، وبنى سعيد الى جهة البحر .
- 2 - مركز سيدى احساين ببنى سعيد .
- 3 - مركز تفرسيت وهو جهة أنوال .
- 4 - مركز تيزى عزة يسامت اغريين .
- 5 - مركز ميضار ببنى توزين .

بينما فرقة اللفيف الاجنبى، تتقدم صوب اعرويت، كان جيش آخر يتقدم وسط قبيلة قلعية، فاحتل مركز أزروهمار، ولما لقيه من المقاومة الشديدة، فقد مكث فى هذا المركز لمدة حوالى سنة .

وكان نظام الدفاع بالتناوب، ترسل القبائل أفرادها أفواجا لمدة معينة، ثم تستبد لها، بأفواج أخرى، وهكذا دواليك . أما العدو فانه تعتمد ان لا يغامر بالتقدم السريع، بل كان يمكن

في كل موقع يحتله الى أن يركز اقدامه، ويجرب كل أنواع الخديعة، اتجاه
الاهالي، لاستمالتهم بالمال والاغراء .
وهكذا، فبعد سنة، تحرك من أزروهمار، فاحتل موقع ازحافا
على وادي كرت، ثم موقع اتراخت، كلاهما بقبيلة قلعية، ثم دار
الكبداني بقبيلة بنى سعيد .

أما قوة اللفييف الاجنبى (القريسىو)، فقد احتلت ترطوطين من
قبيلة بنى بويحيى، ثم تقدمت الى أن وصلت الى دار الدريوش،
بقبيلة مطالسة .

وعند هذه المراكز، توقف زحف العدو، الى أن يثبت اقدامه،
ويستعمل الاساليب الخداعة أيضا ، لاستمالة السكان .

وفي هذه المرحلة كان المجاهدون أقاموا تجمعاتهم في مركز ابن
الطيب، بقبيلة بنى وليشك، وهو مركز وسط لشغل مراكز العدو، شمالا
وجنوبا، وقد عزز هذا المركز ببطاريات المدافع الثقيلة، على قمة الناضور
هناك، وعلى قمة أخرى تدعى «تسلغوى الخلاء» وكانت هذه البطاريات
تحت قيادة حدو أوسار من امزورن ببني ورياغل، وعلى رأس الرماة
المجاهد الشجاع السيد عمر بن السى احمد بن الطاهر الذى كانت رمايته
لا تخطئ الهدف، ومعه أخوه حدو وعيسى أكوع كلهم من زاوية سيدى
عيسى، وعلوش بن شعيب وعمر بن حمو كلاهما من آيت عزيز .

وقد كان العدو يتبادل بشدة الرماية بمدافعه الثقيلة، وبالخصوص
بالمدفع المدعو «بوخناسى»، وكانت القذيفة عندما تندفع من المدفع تحدث
دويا مروعا، وتقذف الى مسافة بعيدة، وقد استطاع العدو اثناء المعارك
بالمدافع، أن يقتل أربعة من الطبعيين، من خيرة المجاهدين، منهم خالى
السيد عمر بن السيد احمد بن طاهر الغزوزى، وقد رماهم العدو بتسعة
وتسعين قذيفة، ولما رماهم بالمكملة للمائة أصابت المدفع فشنته قطعاً
قطعا قطعاً، كما شنت خالى عمر، وعمر بن حمو اشلاء، قطعاً لحمية لم
يعثر لهم الا على أطراف ممزقة، طارت مع شظايا الاحجار والرصاص،
وقبل ذلك استطاع الطبعيون المجاهدون أن يسقطوا طائرة للعدو، فقد
أصاب السيد عمر بن السى احمد المذكور، بقذيفة مدفعه طائرة سقطت
بين خطى القتال، فتسابق المجاهدون، وجيش العدو على الوصول اليها،

حيث جرت معركة على الأحراز على الطائرة فتمكن المجاهدون من الوصول اليها، تحت نيران بنادقهم التي لا تخطيء جثث العدو، وكان يقود الطائرة ضابط برتبة كبطان، فأسر، كما أسر معاونوه، وسيقوا جميعا الى سجن آل موسى وعمر بأمزورن، حيث كان الاسرى يبنون محكمة هناك . وقد حاول المجاهدون جر هذه الطائرة، الا أن العدو اصلاهم نار مدافعه فاحترقت .

كما كان مراكز المجاهدين مسلحة بالمدافع الرشاشة، وكان في موقع الناضور ستة من الرشاشات . وكان من بين المجاهدون الذين يسيرون الرمي بها محمد بن الحاج تهامي الزفزافي، وكان شابا يافعا مغامرا، لا يبالي برصاص العدو، وقد تمرن على القتال بالرشاش الذي يحتضنه كأنه ماك له، حيث يتولى رعايته . وفي أواخر سنة 1922 تمكن العدو من الوصول الى المراكز الامامية، فاستولى على سيدي احساين وسيدي مسعود وتفرسيت، وتيزي عزة وعزيب ميضار . وقد جرت معارك ضارية على كل موقع من هذه المواقع .

المعارك التي جرت قبل تفرسيت

معركة « الما »

ولاجل رواية الاحداث بالتسلسل التاريخي عن المعارك التي جرت في هذه المواقع الخمسة، والتي كانت حاسمة، مثلما كانت معارك مثلث الموت (ابران - أنوال - اغريين) قبلها حاسمة نروي هنا عن شهود المعارك بأنفسهم .

روي والدي (1) وكان في ذات الوقت يتولى في جهاز الثورة قيادة الدفاع العامة، ان العدو لما استولى على هذه المعارك، وثبت اقدامه بالتحصينات التي أقامها على ضوء الهزائم التي منى بها، في معارك 1921 حشد كل قواه، ثم أنه ظهر له أن يعجم عود المجاهدين الذين

(1) شاهد عيان .

كانت المعارك الشرقية والغربية قد تكاثرت عليهم، فشئت رجالها هنا وهناك، فأرسل قوة من مركز ميسار الى أن وصلت الى موضع يدعى «الما» بفرقة اغربيان، وهى غير اغريين .

وكان نظام الجهاد الذى استقرت عليه القيادة ارسال الافواج بالتناوب، للدفاع عن الخطوط الامامية، وكانت كل قبيلة من القبائل التى نزل العدو بجوارها ان تتكفل بمراقبة حركات العدو، مع اعلام القبائل التى تليها بالحركات التى تظن أنها للهجوم، لكى تلبى النداء على حد الصائم .

ومثل ما فعل العدو فى انوال، حيث أرسل قوة لاحتلال ابران، فانه فعل أيضا لاحتلال «الما» .

وكان اليوم يوم الاثنين وهو يوم سوق اثنين بنى بوغياش، حيث جاء اعلام قادة قبيلة بنى توزين اليه، وكان يوجد فى السوق قادة بنى ورياغل: احمد بودرة، والهادى بن عزوز، واليزيد بن حمو وموح ابن حميش وغيرهم .

فقد رأى الجميع أن ينفروا خفافا وثقالا الى عين المكان لمناجزة العدو .

وهكذا ذهب الجميع حيث باتوا فى فرقة آل عكى من بنى توزين، وفى غده ذهب الجميع الى سوق ثلثاء اجار مرواس، ويقع وسط الوادى الذى يطل عليه موقع «الما»، وقد باتوا جميعا فى قرية اجار مرواس وفى الصباح الباكر سمعوا طلقات متقطعة من البنادق متبادلة بين العدو وبعض أفراد فرقة اغربيان، وعلى رأسهم أولاد بولخريف، وهم مشهود لهم بالشجاعة، فتقدم والدى ومعه جماعة من المجاهدين يقدرون بـ 25 محارباً، الى أن وصلوا الى حيث عسكر العدو، وسط غابة كثيفة تحيط بالموقع، فدخلت هذه الجماعة بين ادغال تلك الغابة، بعد أن انبعث شخص من سكان الجهة، فنادى والدى قائلاً: اتبعنى، وحذرا من أن تكون هنا مكيدة، فقد أمر أن يتقدم أحد اخوانه، ويدعى موح بن تعروصت، ثم يتبعه الجميع، وهكذا تسللوا بين الاشجار الكثيفة الى أن اقتربوا من محل معسكر العدو فى بقعة مغطاة بالاعشاب الصغيرة، حيث حصنوا مراكزهم، وكان عددهم حوالى 300 جندياً، فأمر جماعته أن يبتعد كل واحد عن

الآخر بمقدار عشرة خطوات، وأمرهم بأن يطلقوا الرصاص بكثافة عندما يبدأ هو باطلاقه، وأن يقصد كل واحد الهدف الذي يليه، كي لا تتلاشى الطلقات على هدف واحد .

وهكذا دحر العدو، فاختلط حابله بنابله، عندما فاجأوه بالنيران، فلم يهتد الا الى الفرار والنكوص على الاعقاب، ولكن أين المفر؟ ورجال الله في أعقابهم، يثخنون في قفاهم، فلم ينج منهم الا القليل .

وعندما وصل الاعلام الى الامير ابن عبد الكريم الذي كان في أجدير، وذهب الى أخشاب أمغار، حيث وضعه مقرا لتسيير العمليات الحربية، وقد أرسل من هناك الى والدي يهنئه على العملية الجريئة التي قام بها، وأمره بأن يجمع المجاهدين، ويقوى الخطوط الامامية، وبالاخص الخط الذي يقابل قوة العدو بميضار، وكذلك تفرسيت، وتيزي عزة، وأرسل اليه صناديق المعدات الحربية لضمه الى ما غنم من معركة «الما» السريعة.

معركة القندوسى

وعندما اقترب الجيش الاسباني في زحفه الى استكمال مخططه باحتلال المواقع التي انهزم منها سنة 1921، اصطدم مع المجاهدين في موضع يدعى «القندوسى» من بنى سعيد، وكان الجيش الغازى مكونا من اللفياف الاجنبى، وقد وقعت معركة ضارية، وكان على رأس المجاهدين القائد علوش الم رابط الوعزى، وهو من شجعان المقاتلين لم تفته معركة لم يرأس فيها المجاهدين في الجبهة الشرقية، واستمر كذلك الى أن استشهد في معركة أجدير، بعدما نزلت جيوش العدو في الحسيمة وكان استشهاده بصورة بطولية عجيبة .

فعندما احتل أجدير، وكان ابن عبد الكريم نقل مركز الثورة الى سيدي عبد الله ابن يوسف، وكل أمر الدفاع عن أجدير الى هذا القائد، ولما ضعف مركز المجاهدين هناك نظرا لكونهم اشتغلوا برحيل عائلاتهم المشردة الى رؤوس الجبال، هتف الامير اليه لكى يخلى مركزه بأجدير، لانه معرض للدمار، ولكن هذا القائد رد عليه بأنه يستحيل عليه أن يسمح لنفسه أن يفر أمام العدو، وهو لازال قادرا على الدفاع الى الموت، الذي

هو غاية ما يتمناه، واستطرد قائلاً ليس أمامي إلا أن أطلب عفوك عني
اذ عصيت أمرك بالانسحاب، وداعاً، فتقدم يقاتل كما لم يقاتل من قبل،
الى أن استشهد رحمه الله .

أما ما أسفرت عليه معركة القندوسى، فان المجاهدين اشتبكوا
مع العدو وجها لوجه، واقتتلوا اليوم كله، حيث انسحب الى مواقعه،
وجمد القتال هناك .

وبعد فكر في أن يسلك طريق السهول من دار الدريوش، حيث
يحتل تفرسيت، وكان مركز المجاهدين بناصور بنى وليشك كما أسلفنا .
فتحرك قاصدا تفرسيت فاحتلها، أما جهة البحر فانه طلب منه
بعض سكان بنى سعيد أن يحتل قبيلتهم، فتكب عن طريق القندوسى،
وسلك مسلكا محاذيا للبحر حيث احتل سيدى احساين، وسيدى مسعود.
وعند ذلك أخلى المجاهدون الناصور بنى وليشك، وكانوا بقيادة
علوش الم رابط وركزوا مواقعهم على قمم الجبال التى تقابل مراكز العدو،
وكان معسكرهم القيادى على قمة «بووديعة» .

بدء المعارك الكبرى

معركة تفرسيت وفتح مفاوضة الصلح

قد سبق أن أشرنا الى أنه قبل معركة تفرسيت كان حضر الى
الجهة الشرقية المقيم العام المدنى السنيور لوييس سليفيلا، مصاحبا معه
السيد محمد شرابط من تطوان، وكان ذلك لاجل أن يكلف بالاتصال
بالاهالى، وبالاخص أهالى القبائل المحتلة، لاجل اقناعهم
بالاخلاص للجيش الاسباني، خوف أن تتكرر مرة أخرى حوادث
الطعن من الخلف، كما وقع في هزائم سنة 1921 .

وتمشيا مع رواية الاخبار عن شهود عيان، فانى أروى هنا ما
ذكره لى الكاتب الخاص للامير ابن عبد الكريم وهو السيد محمد عمر
ابن القاضى (لا زال حيا) (1) قال :

(1) هو شاهد عيان .

أمر ابن عبد الكريم رئيس أركان الثورة السيد عبد السلام بن الحاج محمد، لكى يهيىء خطة هجوم كاسح على مركز تفرسيت، وفعلا فقد نظم هذا الأخير تسليح المجاهدين ليلا الى ما بين مركز العدو بتفرسيت، وقمة تيزى عزة، فاستقروا فى موضعين اثنين، يسمى الاول «بوحفورة» والثانى «أغمق»، وقد دعر العدو لهذا الحصار، فيما بين تفرسيت، وقمة تيزى عزة، وهى شبيهة تماما بالحصار فيما بين اغريين وانوال، فيما قبل، فاحتفظ العدو بالدفاع واستتجد مليية وتطوان طالبا الاغاثة العاجلة، والا كانت الكارثة، وكانت توجد بين الموقعين المحاصرين ثكنات أخرى تركزت فيها حاميات تبلغ ثمانية، قطعت عنها المؤونة، وبعدما وصلت الامدادات الى العدو، وجعل يشن هجوما تلو الآخر، لفك الحصار، وقد استمرت المعارك خمسة أيام من دون أن يفك الحصار، ولا أن يخترق صفوف المجاهدين، الذين انبطحوا فى الخنادق وراء الصخور، وبطون الشعاب، وقد كان العدو أحرق بخمسة من المجاهدين، وهم فى خندقهم، لم يستطع أن ينال منهم منالا، ولما علم المجاهدون بحصارهم هناك، شنوا هجوما قويا على العدو، ففتحو ثغرة خرج منها المحاصرون سالمين. (1)

وفى هذه الاثناء، ولما رأت حكومة مدريد أن كارثة انوال وشيكة الوقوع، سارعت فأرسلت ابن سعيد السلاوى الى جزيرة الحسيمة، حيث طلب السماح له بالنزول الى اليايسة، لاجل أمر يهتم الثورة، فأذن له الامير الذى كان مقيما فى أخشاب أمغار بتمسaman، وقد هوى للسلاوى جواد يركبه يستحث الى أخشاب أمغار، الذى يبعد بحوالى 30 ميلا.

وقد وصل وعرض على الامير هدنة يعقبها صلح، وقد اشترط الامير للهدنة أن يبقى كل فى مركزه الذى يوجد فيه، وان لا ينسحب

(1) روى أحد المجاهدين الابطال وهو حدو محند ابن على من بنى عبد الله أن كرونيلا خرج على رأس الكتيبة لحصار المجاهدين فسد اليه هذا المجاهد ضربة سقط قتيلاً متأوها صائحا «مى مدري» أى يا أمى، فتأخرت الكتيبة، ونجى المجاهدون بعد أن قتل عدد آخر من معاونى الكرونيلا .

المجاهدون من مواقعهم، بحيث تبقى مواقع العدو مقطوعة الصلة فيما بينها، إلى أن تجيب حكومة اسبانيا على شروط الصلح، التي تتلخص في الانسحاب التام إلى مملية وإلى سبتة، على أن يترك الجيش الاسباني كل المعدات الحربية التي خارج المدينتين في يد الثورة وأن يؤدي تعويضاً مناسباً للخسائر التي أحدثها غزوه .

ولما عام قادة الجيش الاسباني بمحاولة حكومة مدريد لاجراء الصلح، اقدمت على خوض معركة بالقنابل المسمومة ألقت بها أسراب طائراتهم، التي كانت بمملية ضمن الامدادات التي أرسلت عن عجل . وإذا كانت المنطقة التي كان يشغلها المجاهدون محدودة في شعاب وأودية، فإن الطائرات سهل عليها أن تنفث سمومها بغزارة، وأن تصيب أهدافها بدقة، مما جعل وادي بوحفرة يضطرم نيراناً، تنبعث منها تموجات من الدخان المسموم، الذي يغمر الوادي والشعاب، فارتبك المجاهدون وعمى عليهم الطريق، ولفحت وجوههم السموم، فلم يجدوا بدا من البحث عن وسائل النجاة من هذا الجحيم، وكان رئيسهم رغم اصابته باحتراق في وجهه، يقوم في مدخل الوادي يرد القوم ويأمرهم بالصبر والثبات ولكن كيف لبشر من لحم ودم أن يعيش في جحيم من نار وسموم، وسقط بين رجليه الشهيدان موح بن شعيب، والسبي عمر بن تهامي، وكانا من خيرة جنود الفرقة المسماة «بالحفاظ» واثرة هياً دفاعاً في الحال، بأن أمر الباقي ممن لم تصبهم السموم أن يتسلقوا قمم الجبال، لكي يقيموا خط دفاع في مأمن من مفعول السموم، وفعلاً تمركزوا على تلك القمم، فكانت خطط حربية ناجحة، بحيث ركن العدو إلى الرجوع إلى مواقعهم، لان فئة من المجاهدين تقدر بنحو مائتين ممن كانوا في رؤوس القمم استبسلوا ومع ذلك فإن العدو استطاع أن يفك الحصار عن حاميته وقد اعتبر ذلك نصراً، وبداية عهد آخر في أسلوب حرب جديدة، مبنية على الوحشية الفضيعة .

وقد أبرق الجيش بالانتصار إلى تطوان، ومدير، محتجاً على محاولات الصلح، فأذعنت تلك الدوائر إلى الاحتجاج، وألغت المفاوضات مع الثورة .

أما ابن السعيد السلاوي فقد سقط في يده، واعتبر الهجوم

الاسباني بالقنابل المسمومة خرقا لما انتدب اليه فجعل يحتج على قيادة الجيش بمليوية، ويصفها بالخداع، ولما كثر احتجاجه استدرجه ذلك الجيش بأن أوغر اليه بأن شروط المفاوضة لا زالت محفوظة من طرفه واستدعته ضمن بعثة من الاسبانيين للوقوف على عين المواقع بتفرسيت، حيث يشاهد أن كل فريق يحتفظ بمركزه الموجود فيه، حين اتفق مع الأمير في اخشاب امغار، فذهب مع تلك البعثة، واثناء تنقله بين المواقع سدد اليه كمين من الجيش الاسباني طلقة نارية فأردته قتيلا، وقد زعموا أن الطلقة جاءت من الفريق الآخر، أي المجاهدين، وهكذا أقبرت قضية المفاوضة والكلام حولها، وقد نقلت جثة السلاوي بواسطة الطائرة الى تطوان .

حامية تيزى عزة

وكانت هناك حامية على قمة تيزى عزة، وهو موقع منيع يشبه تماما موقع اغريين في قضية انوال، وقد حاول المجاهدون أن يزحزحوه، ولكن بدون جدوى، فقد حفروا خنادق تحت أرضية القشلة، وحشوها بسلاح بوحفورة المحشو بالديناميت لتفجيرها تحتها، ولكن لم تسفر على نتيجة لصلابة الارض .

وكان يقود المجاهدين هناك السيد عبد السلام عجرود الذى كان على رأس جماعة من الشجعان حاصروا موقع تيزى عزة . ويعتبر السيد عجرود هذا من المجاهدين الثابتين على مبدأ النضال، ولو بعد الاحتلال الاسباني .

وقد تعرض لالقاء القبض عليه اثر ذلك، بدعوى اخفائه السلاح، واستشهد رحمه الله في سجن أجدير، تحت طائلة التعذيب، لما كان له من المواقف البطولية، في المعارك التى ضحى مسقط رأسه بقرية تزورخت من بنى بويعاش بخيرة أبنائه، فى مختلف المعارك، ولذا حقد عليه الاسبان . وهكذا استشهد محمد بن الحسن عجرود بمعركة دار قوبع، بين الاخماس، وبنى حسان، واستشهد سليمان بن الحاج حدو بتفرسيت، وأخوه محمد بن الحاج حدو بالمزمة، واستشهد عمر السى على، ومسعود

ابن حمامة، ومحمد بن طامة، بمعركة سيدي ابراهيم، واستشهد محمد بن الحاج امغار، ومحمد بن عمر حمادي بمعركة بنى برابر، واثنان اخران (لم أضبط اسميهما) بمعركة ميسار .

وتعرف عائلة السيد عجرود باولاد لقمان، في بنى بوعيش، تحت اسم الشرفاء القادريين، يتصل نسبهم بمولاي عبد القادر الجيالي.

وتتقدم الكلام عن نسبهم في الجزء الاول من هذا الكتاب صحيفة 269 وما يليه .

وبمناسبة ذكر هذا المجاهد ننشر صورتين لظهرين شريفين، أحدهما للسلطان المقدس مولاي الحسن الاول، يستوصي بهذه العائلة خيرا، لكان نسبهم الشريفين، والثاني للخليفة السلطاني بالشمال سمو الامير مولاي الحسن بن المهدي يخص صديقنا وأخانا ابن ذلك المجاهد الفقيه العلامة المستشار بالمجلس الاعلى للنقض والابرار السيد الحاج محمد عجرود، يجدد فيه له ولعائلته ما تضمنته الظهائر الملوكية، وذلك لما كان عضوا في مجلس الاستئناف الشرعي بتطوان .

معركة ميسار وعبد المالك الجزائري

هناك قريتان في شرقي بنى توزين احدهما تسمى ميسار، والاخرى عزيز ميسار، وهذه الاخيرة تعتبر امتدادا للاولى، من الناحية الفلاحية، ولذا سميت العزيز، أى الموضع الذى تكون فيها عزبات سكان الاولى، وهى أرض سقوية، يملكها سكان ميسار، أما الآن فقد غلب اسم ميسار على القرية الاخيرة وهى التى تعتبر القاعدة الادارية لقبيلة بنى توزين، ويمر وسطها الطريق الرئيسية الرابطة بين الحسيمة والناظور. وفى أثناء هذه الحملة الثانية للجيش الاسبانى عندما احتل تفرسيت وما حولها، كان يحتل عزيز ميسار، حيث اعتبرت مفتاح الهجوم على قبيلة بنى توزين، ومنها اندفعت الحامية التى وصلت الى موضع «الما» الذى تقدم الكلام عليها .

وبعد ابادة حامية «الما» قررت القيادة الاسبانية أن تشن هجوما من عزيز ميسار، للتوغل عن طريق قرية ميسار فى جبال بنى توزين، وفعلا قامت القوات العسكرية فى قرية عزيز ميسار بشن هجومات ثلاث على قرية ميسار التى تبعد عن المعسكر بنحو عشرة كلم، وكانت مقرا لسوق أحد، يقصده سكان بنى توزين الشرقيين، فلم يقدروا على الاستلاء عليها، ولم ينجحوا ولو جزئيا، بل بالعكس كانوا يمنون بخسائر فى الارواح والعتاد .

ولما كان عبد المالك بن محيي الدين الجزائري بعد انفصاله عن قبيلة مرنيسة، حيث كان يؤازره القائد عمر بن احميدو، والذى كان لعب دورا فى احداث سوء التفاهم بين الامير ابن عبد الكريم وبين عمر بن احميدو، كما أسلفنا، فانه انحس الى الاقامة العامة الاسبانية بتطوان، حيث كان يبحث كما هو شأنه عن المجازفة التى ولع بها، ولو كانت المجازفة لصالح الاستعمار وضد مواطنيه من أقطار شمال افريقيا فانه أوحى الى الاقامة العامة الاسبانية، أن يؤلف فرقة من أهالى الريف، وممن يجده أمامه من المرتزقة، لكى يخوض بهم المعارك، ضد المجاهدين

الارياف، وقد اقترح أن يذهب بتلك القوة الى الجبهة الشرقية التي يزعم أنه خريت تلك الجهة، ولانه يقصد بذلك اغاظة ابن عبد الكريم الذي أحرز على شهرة حربية وسياسية جريئة .

واذا كانت اقتراحاته أصابت هوى فى نفوس القادة الاسبانيين، وبالاخص أنهم اعتقدوا فى عبد المالك أن يكون ندا لابن عبد الكريم، فقد استجابوا لمطلبه، وهياؤا له أسباب تأليف مقاتلين من الاهالى ووجهود الى مليلية، لاستكمال جمع الراغبين فى الجاه والمال، أو فاقدى الضمائر الحية تجاه وطنهم ودينهم .

ورغم ان الخطة الاستعمارية الموحدة بين فرنسا واسبانيا، كانت تقتضى على هذه الاخيرة ان لا تركز الى شخص كان كون حرب العصابات فى قبائل ورغة، وكزناية، ضد الجيش الفرنسى، الا أنها رمت بتلك المفاهم عرض الحائط، فأقدمت على استخدام عبد الملك، ولو غضبت فرنسا، لما توخته فى الرجل الذى ينحذر عن بطل عالمى مشهور، وهو الامير عبد القادر الجزائرى، فظنت أن ذلك سيكون شفيعا لقلب عقلية الجهاد لدى أهالى الريف .

وهكذا لما استكمل عبد المالك قوته فى مليلية، وعلم بالهجوم الثالث للقوة الاسبانية فى عزيز ميسار على قرية ميسار، طلب من تلك القوة أن تتخلى له عن هذه المهمة، ليقوم بها بقوته وحده، وان تترك له حرية تدبير الهجوم، من دون أن تتدخل فيه القيادة الاسبانية، وأجيب الى مطلبه وهنا يروى لنا كاتب ابن عبد الكريم السيد محمد بن عمر القاضى الآنف الذكر، كيف تمت معركة ميسار، وقتل عبد الملك هناك .

قال: (1) «وبعدما اخفقت المذاكرة فى شأن الصلح بين اسبانيا وابن عبد الكريم، استئناف العدو هجومه على ميسار بينى توزين، وقام ثلاث مرات بهجوم عنيف قصد الاستيلاء عليها، ورد على أعقابها خاسرا بعدما ترك قتلى فى كل هجوم .

ثم تقدم عبد المالك بن محيى الدين الجزائرى طالبا من القيادة العليا بتطوان بأن يرأس الهجوم على ميسار، وأصدرت قيادة تطوان

(1) شاهد عيان .

أمرها الى قيادة مليلية لتضع تحت تصرفه الاعتدة الحربية ليهاجم ميسار، على طريقته التى يراها، وفعلا قسم تلك القوة الى ثلاث فرق، يهاجم أولا بواحدة ثم بالثانية ثم بالثالثة، ان اقتضى الحال .

وقد علم ابن عبد الكريم بالمحاولة بواسطة المخبرين المنبئين فى كل جهة، فعمل على تفادى الامر، وتهيبىء مقاتلين أكفاء، لاحباط مشاريع هذا العميل المغامر، ولقطع الطريق عن المرمى التى توخاها العدو فيه، ولاجل أن يكون عبرة للآخرين ممن تسول لهم أنفسهم أن يضعوا أنفسهم فى المزاد الخسيس .

وهكذا عمد الى تكليف شخص مناضل يعز نظيره بين أقرانه، فى مجال الاقدام والشجاعة والثبات وهو القائد موح ازداذ (1) من بنى ورياغل وأمره بأن يختار 50 مقاتلا من ذات الاوصاف البطولية ، فاستجاب لمطلبه شرط أن يترك له الحرية المطلقة لتدبير الامر على طريقته الخصوصية، التى يراها صالحة، وان لا يتدخل معه القائد المحلى للمجاهدين وكان اذ ذاك موح بن حميش البوعياشى، فلبى الامير مطلبه وأمر هذا الاخير بأن لا يتدخل معه، وان يمدده بما يلزم من السلاح، كما أمره بأن يكون رهن اشارته، اذا طلبه بالتدخل عند الحاجة .

وقد هيا القائد موح ازداذ خطته وتسلل برجاله ليلا الى حيث يوجد معسكر العدو، وفى ذات الليل حفر كل واحد من المجاهدين الخمسين حفرتين اثنتين احدهما تشبه حفرة القبر، للاختفاء فيها، عند الحاجة عن قنابل طائرات العدو، والاخرى حفرة مستديرة يقبع داخلها المجاهد الذى يحتضن البندقية، مسددا مأسورتها صوب الاهداف، حيث لا يبرز منها الا رأسه، الذى يكون أشبه بحجر غير متحرك، وأمرهم بأن لا يتحرك أى واحد من مكمته، مهما كانت النتيجة، حتى الى الموت .

وعلى الساعة العاشرة صباحا من ذات يوم، هجم الفوج الاول من قوة عبد المالك، وقصد ميمنة المجاهدين الذين يمكن أن نسميهم بالمجاهدين العاديين، أى غير رجال موح ازداذ، وقد استطاع العدو تحت

(1) يعتبر موح ازداذ بين المجاهدين من الابطال الذين تعد ملامحهم من قبيل خرق العادة .

نيران بطارياته الثقيلة، أن يفتح ثغرة في هذه الميمنة، وقد استمر القتال ساعة ونصفاً كان أولئك المنبطحون في خنادقهم يحبسون أنفاسهم، منتظرين إشارة من قائدهم، الذي كان ينتظر الوقت المناسب، لحصد العدو حصداً .

وعندما حانت الفرصة تدخل، فارتد العدو الى الوراء، بعدما ترك موتى وجرحى وبعدها استمر القتال بين المرتدين على أعقابهم، وبين المجاهدين الذين ثبتوا مدة نصف ساعة، تمكن الباقون من هذا الفوج أن يحتلوا بآماكن محصنة، بالهضاب والصخور، انتظاراً لمدتهم بالفوج الثانى .

وفعلاً، فقد أرسل عبد الملك الفوج الثانى، معزراً بغطاء جوى، وبقاذف البطاريات التى تطلق نارها من معسكره، وبعد لاي وصل هذا الفوج الى الباقية من الفوج الاول، فنشبت معركة أخرى بين الفريقين، لمدة نصف ساعة، كانت العاقبة هى نفس العاقبة التى منى بها الفوج الاول، من قتلى وجرحى، دون أن يتحزح المجاهدون من أماكنهم، ولو قيد أنملة .

وأخيراً لما رأى عبد الملك ما أذهله من صلابة دفاع المجاهدين، واستماتتهم، وصعدت الى رأسه الحمية الجاهلية، قرر أن يقود بنفسه ما تبقى تحت يده من القوة، معزراً بقوة أخرى من الجيش الاسباني، وتحرك على رأس قوة ضخمة تجمعت لديه، فنشبت معركة حامية الوطيس، لم تدم الا عشرة دقائق حتى كانت النتيجة أن سقط عبد الملك صريعاً، نتيجة حماقته التى جنت عليه، وهو غير مأسوف عليه، فارتد الجيش الاسباني مهزوماً، لا يلوى على شىء، بينما خسر نحو ألف رجل ما بين مرتزق ورجاله، وغنم المجاهدون عتاداً يقدر بمائتى بندقية وذخيرتها .

أما من جهة المجاهدين فقد استشهد أربعون منهم ستة من الرجال الخمسين الذين قادهم القائد موح ازداذ .
وتعتبر هذه المعركة من الملاحم التاريخية الاسطورية، لما عرفته من بطولات اسلامية نادرة .

مرزوق بن عمر بن أحمد العزوزي

أروى عنه بعض المعارك (1)

هو من عائلة العزوزيين في بنى ورياغل، وهي مشهورة بالنضال والنجدة والوطنية، منها الزعيم المناضل المؤلف سيدي محمد بن أحمد العزوزي المذكور في الجزء الأول ص 407 ومنها الطبجي الشهير عمر ابن السبي أحمد بن طاهر العزوزي السابق ذكره في إحدى المعارك بالمدفع، ومنها الفدائي المجاهد عمر علوش العزوزي المذكور سابقا صحيفة 62 من هذا الجزء .

وهذه العائلة من أحفاد سيدي يعقوب بن عبد الكريم العزوزي المار ذكره في الجزء الأول صحيفة 238 .

أروى هنا معركتي سيدي مسعود وسيدي احساين، عن الحاج مرزوق بن عمر امحمد الذي حضر في المعركتين معا، وشارك اخوانه في القتال، وكان اذ ذاك شابا يافعا قويا، يقتحم المهالك بدون قراءة حساب للصعاب مهما كانت، ولأجل التعريف بمغامراته، يكفي أن نحكي هنا قصة بطولية نادرة، قام بها أثناء معارك أجدير بعد نزول العدو في الحسيمة.

ذلك أنه لما وصل الجيش الذي نزل في الحسيمة في معارك الى قرية أجدير، وكان احتل نصفها، وشطر القرية الى شطرين: شطر يحتله العدو، وأقام فيه تحصينات قوية، بوضع اعشاش متصلة من شاطئ البحر المدعو الصفيحة الى الجبل الكبير، ثم الى ساسنت من بقيوة، وقد مر هذا الخط الى دار بودراهم، وأمزيذاو .

وكان ابن عبد الكريم نقل مركزه الى سيدي عبد الله ابن يوسف، أسفل جبل حمام، وكان ينتقل بنفسه يقصد أسواق القبيلة، ومراكز المجاهدين، ليبلغهم التخطيطات التي يراها ضرورية .

ففي أحد أيام سوق خميس المرابطين بوادي غيس، حضر الى هناك، واجتمع عليه الناس وكان يلقي فيهم خطبا حماسية، ثم تقدم

(1) وهو شاهد عيان .

باقترح الى القوم قائلاً لهم ان العدو أقام خطاً نارياً وضع فيه أعشاشاً
لسلاحه، فلم نجد من أين نصل اليه، بينما طائراته تروح وتغدو تلقى
علينا وابل القنابل، وإذا استمر الحال على ما هو عليه، فأننا سننفضل،
لان العدو تحصن وراء خطه الدفاعي فهو محمي به من الامام، كما هو
محمي من الخلف بالبحر، وانه ليس عندنا من سبيل لازعاجه، لانه لم
يرد أن يخرج الى ان ينهك قوانا، ولذا فان السبيل الوحيد هو تنظيم
فئات انتحارية، تتعمد ليلاً الى تلك الاعشاش، ورميها بالقنابل اليدوية،
التي ترعجه كثيراً، لانه من الميسور الوصول الى العدو بهذا الطريقة،
ما دام اننا نعرف المسالك والدروب الى العدو، الذي يوجد في أرضنا، أما
هو فلا يمكن أن يخرج من مخبئه والا ضاع، ثم طلب ممن يأنس من
نفسه الجرأة الكافية أن يتقدم، فتقدم أولاً السيد مرزوق هذا، ثم تقدم
ثلاثة آخرون أحدهم يدعى عبد السلام ابن علي، من آل امحمد ايجي .
وبعدما أوصاهم بالثبات، وأعطاهم تعليمات حول الوصول الى
الهدف وكيفية القاء القنابل، أمرهم بأن يعتمدوا على الدليلين الذين كان
كون منهم فوجاً بأجدير، وكانوا يدعون «فوج الاهتداء» ويتكون من
ثلاثين نفراً من أهالي أجدير، زودهم بالقنابل اليدوية، من صنع الثورة،
ولها مفعول أشد من قنابل العدو، كما زودهم ببنادق جديدة وذخيرة
كافية، ملأوا بها المحفظة التي تسمى أقراب مالقة، وزودهم بلباس
لقطع الاسلاك .

وقد قامت الخلية بعملها معتمدة على اثنين من فرقة الاهتداء،
وسلكوا بهم مسالك حجرية وعرة، الى أن وصلوا الى قرب أمزيذاو، فتقدم
مرزوق هذا، وترك اخوانه الى الوراء لحراسته عند الحاجة، وقطع
الاسلاك الشائكة، وكانت كثيفة، ثم تقدم ووجد دائرة أخرى من الاسلاك،
ولكن خفيفة فقطعها فالقى قذيفتين على عش العدو، ثم تنحى الى عش
آخر، فالقى قذيفة واحدة، ولما عرج على عش ثالث كانت حامية عش
هناك على يقظة، فلما حاول أن يشعل قنبلة القذيفة ليرمي بها، سبقه
الجندي من عشه فضربه بطلقة، ولكن لم يصبه الا أنه لقربه من العش
كان دخان البارود قد لفحه، ثم انبطح على الارض وكان يسمع انفاس
الجندي من ثقبه العش، ولما هدأ الحال عاود الكرة لالقاء القنبلة، ولكن

الجندي كان له بالمرصاد، فسبقه بطلقة نارية، أصابه في رجله اليمنى تحت الركبة اخترقت رجله من الوسط، وهشمت عظام جعبة الرجل، فسقط على اعشاب في الارض، وام يستطع حراكا، وكان نزيف الدم يسيل بغزارة، ومع ذلك غانه تقطن وهياً قنبلة بيده ظاناً أن العدو سيخرج للاجهاض عليه، وحينذاك سيلقى القنبلة ليموت هو والعدو، ولكن هذا لم يجرأ على الخروج من عشه، أما رفاقه فقد ظنوا أنه مات، ورجعوا الى المعسكر القريب، واعلموا بما وقع ومن هناك هتفوا الى ابن عبد الكريم معلمين بالواقعة، فأصر هذا على أن يبحثوا في عين المكان بكل وسيلة ليعثروا عليه حياً أو ميتاً، وهكذا كون قائد المركز جماعة تصحب الدليلين لمعرفة أين سقط، فذهب أربعة منهم السي امحمد اصريح، وكان جريئاً مغامراً وعمر بن الهادي وعبد السلام من آل امحمد ايجي وقد بحثوا عنه بطريقة حساسية نادرة الى أن اهدتوا الى مكانه فدخل الاول منهم ووجده لا زال حياً، وبينما هو يحاول جره فاذا بالعدو يطلق عليهما طلقة نارية فأطلقه وذهب الى اخوانه الذين تركهم خارج الاسلاك، ثم تقدم معه شخص آخر، وتكررت المحاولات ثلاث مرات، والعدو يطلق عليهم النار الى أن تمكنوا للمرة الرابعة من اخراجه فحملوه الى المركز، ومن هناك حمل الى داره، حيث وجد الطبيب الذي بعثه الامير ينتظره، كما بعث اليه اعانة مالية .

وانما أتيت بهذه القصة لمعرفة قيمة الشخص الذي نروى عنه حوادث هاتين المعركتين، وها نحن نسترسل في تدوين تصريحاته حولهما، مع العلم بأن الرواية شبيهة برواية الكاتب السيد محمد بن عمر القاضي مع بعض تعديلات على رواية كل واحد منهما، وهي لا تمس جوهر الرواية. وبهذه المناسبة، وقبل الاسترسال في سرد أخبار المعارك، يجدر أن نذكر شرعية الاعمال الفدائية في الاسلام، لنعرف فضيلة تلك الملاحم الفدائية التي قام بها هذا المجاهد الشهم، والتي قام بها من قبله المجاهد محمد المودن الكرفطى - سبقت الاشارة اليه في صفحة 20 - وقام بها المجاهدان عمر بن علوش، واحمد بن شعيب العزوزى الورياغليان . سبقت الاشارة الى ذلك في صفحات 62-63-64 - وقام بها بوطاهر بن الحاج دادى البقيوى مع ثلاثة اخرين في الحسيمة كما سيأتى .

وللتدليل على شرعية هذا العمل الفدائي، انقل هنا فقرات تتعلق بهذا الموضوع من محاضرة كنت القايتها بطنجة ضمن النشاط الثقافي لوزارة الثقافة بتاريخ 12-4-1973 بمناسبة النجدة العسكرية المغربية لاقطار المشرق العربي في الجولان وسيناء تحت عنوان «النجادات العسكرية الى الشام في عهد الرسول (صلعم) وهذا نص المراد منها .

الفـدائية في الاسلام

أما أهل الكتاب الآخرون وهم اليهود الذين كانت أرض الحجاز تترخر بهم بفعل هجراتهم من الشام لاضطهادهم من قبل الروم المحتلين، فانهم لم يكن ضنيعهم مع الاسلام ضنيع المسيحيين، بل خاتلوا وخاضوا ضد النبي (صلعم) وضد الاسلام كعقيدة سماوية نزل بها كتاب مقدس وهو القرآن، كما نزل من قبله كتاب آخر مقدس وهو التوراة، ولم يتركوا أية ذميمة الا وركبوا متنها للنيل من النبي شخصيا واتباعه ودبت فيهم حركة عدائية سافرة ومخاتلة شيطانية أقلقّت بال النبي (صلعم) .

ولما لم يجد فيهم الصبر الذي قابلهم به فانه عمل على رد كيدهم أحيانا بالغزوات العلانية التي كان يبعثها للاغارة على تجمعاتهم، وكثيرا ما كان يتفائل اذا سمع كلمة تقتضي التفاؤل فيقول خربت خير مثلاً، والغزوات العلانية كثيرة ومعروفة في كتب السيرة ولكن أريد هنا أن لا أمر مر الكرام على أعمال أخرى فردية كان يأمر بها النبي (صلعم) للقضاء على رؤوس الفتنة في ديارهم وعلى طريقة الكتمان وهي التي دعيت الآن بالاعمال الفدائية .

وبهذا الاعتبار، فان أول ما عرف الاسلام من الفدائية هي التي أمر بها النبي (صلعم) ولذا تعتبر عملاً تشريعياً اسلامياً للاعمال الفدائية التي يقوم بها المسلمون في الاقطار التي تحرر من الاستعمار والصهيونية فالمتى منهم يعتبرون شهداء لله والوطن، ومن الاجدر أن نسرد هنا حرفياً بعض تلك الاعمال لطرافة تلك القصص الخالدة .

ومنها ما رواه البخاري عن جابر بن عبد الله أن النبي (صلعم) قال: من لكعب بن الاشرف (وهو من رؤساء اليهود شمالي الحجاز) فانه استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى المشركين يجمعهم على قتالنا وقد

أخبرني الله بذلك، ثم قرا على المسلمين «ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين ءامنوا سبيلا، أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا» .

قال محمد ابن مسلمة يارسول الله أتحب أن أقتله، قال نعم .
أما كيفية انجاز العملية فلنستمع الى محمد بن اسحاق يروى لنا هذه القصة، قال: فرجع محمد ابن مسلمة لا يأكل ولا يشرب الا ماتعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله فدعاه، فقال له لم تركت الطعام والشراب، فقال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري أوفى به أم لا، قال عليك الجهد قال ثم مشى معهم الى بيته وهو فى ليلة مقمرة واقبلوا - يعنى محمد ابن سلمة وعشيرته وهم أبو نائلة أخو كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر والحارث بن معاذ - حتى انتهوا الى حصنه (أى كعب) وكان حديث عهد بعرس فهتف به أبو نائلة فوثب من ملحفته فأخذته امرأته لناحيته وقالت انك امرؤ تحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى، قالت والله انى لاعرف الشر فى صوته، فنزل فتحدث معهم وقالوا هل لك يا ابن الاشرف أن نمشى الى شعب العجوز فنتحدث فيه بقية ليلتنا؟ فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون ساعة ثم ان أبا نائلة شام يده فى فود رأسه - وهو الشعر الذى على جانب الرأس مما يلى الاذنين الى الامام - ومعنى شام يده أى ادخلها للشم - ثم شم يده فقال ما رأيت كاليلة طيبا أعطر، ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم أخذ برأسه وقال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليها سيوفهم فلم تغن شيئا وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا واوقدت فيه النار فتذكرت مفعولا - المفعول هو النصل الطويل - حيث رأيت أسيافا لا تغنى فاخذته ووضعته فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى عانته فوقع عدو الله ثم لما رجعوا كبروا فعرف رسول الله أنهم قتلوه فقال أفلحت الوجوه فقالوا وجهك يا رسول الله .

ومنها ما رواه البخارى أيضا عن اسرائيل بن أبى اسحاق عن البراء بن عازب قال بعث رسول الله (صلعم) الى أبى رافع اليهودى

رجالاً من الانصار وأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ويعين عليه وكان في حصن له فلما أتوا اليه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلنى أن أدخل فأقبل حتى دنى من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجته — البشرية — وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله — لم يرد اسمه الشخصى — ان كنت تريد ان تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب وعلق الاغاليق — المفاتيح — على وتد قال قمت الى الاغاليق فأخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي — جمع على وهو الموضع المرتفع — له فلما ذهب عنه أهل سمره سعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلق على من داخل فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا أدري اين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه ضربة بالسيف وأنا دهش فما أغنيت شيئاً وصاح فخرجت من البيت وامكث غير بعيد ثم دخلت عليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع فقال لأبيك الويل ان رجلاً فى البيت ضربنى قبل بالسيف قال فاضربه ضربة اثخنه ولم أقتله — يقال اثخنه الجراح أى أوهنته — ثم وضعت ضبيب سيفى — حده — فى بطنه حتى أخذ من ظهره فعرفت انى قد قتلتة قال فجعلت افتح الابواب حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وأنا أرى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسر ساقى فانتهيت الى رسول الله فحدثته فقال أبسط رجلك فمسحها فكأنها لم أشكها قط .

ومنها ما جاء فى الاثران عبد الله بن أنيس استأذن رسول الله (صلعم) فى اغتيال سفيان بن نبيح الهذلى وكان من مشركى العرب فاذن له وكان يجمع المشركين بوادى عرنه قرب عرفات على عداء المسلمين وقال له ايتته واقتله فقال له عبد الله صفه لى حتى أعرفه فقال (صلعم) اذا رأيته هبت منه — خشيت — ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان فذهب اليه ووجد معه الاحابيش وكان عبد الله ابن أنيس استأذن رسول الله فى أن يقول ما يتستر به فسأله سفيان ممن أنت فقال من حزاعة سمعت أنك تجمع الناس لمحاربة هذا الرجل الذى فتن الناس فقال نعم

انى لفى جمع له وانه لم يلق أحدا يشبهنى وقال عبد الله انه وجدته
يتكى على عصي يهد الأرض هذا فدخل عليه وسامره حتى اذا ذهب
عنه الاحباش قتله في بيته وبين عشيرته وفر واختفى في غار وتبعه قوم
سفيان فجاء رجل حاملا دواة ونعلين - الدواة أناء من الجلد - فلم
يرنى وذهب قائلا لأصحابه ليس هنا أحد وترك الدواة والنعل فشرب
من الدواة ولبس النعلين وكان حافيا ومشى مستخفيا اثنتى عشرة ليلة
الى أن وصل الى المدينة فقال رسول الله افلح الوجه فقال وجهك
يا رسول الله .

وفى ذلك يقول شاعر الرسول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

يا بن الحقيق وأنت يا بن الأشرف
مرحاً كاسد في عرين معرف
فسقوكم حتفا ببيض دفف
مستصغرين لكل أمر مجحف

لله در عصابة لاقيتهم
يسرون بالبيض الخفاف اليكم
حتى أتوكم في محل بلادكم
مستصغرين لنصر دين نبيهم

معركة سيدي مسعود

قال (1) واثـر معركة تفرسيت، بقيت الحالة هادئة على جميع الخطوط، الا ما كان من مناوشات لمدة ستة أشهر، ثم أمر ابن عبد الكريم بتهيء هجوم على مركز العدو بسيدي مسعود، ويقع هذا المركز بين قبيلتي بني سعيد وتمسامان ويسامت مركز سيدي ادريس الذي كان مركزا عاما للعدو في معارك أنوال، الا أنه لم يكن منظورا للبحر، بل تحجبه بعض قمم أخرى عن البحر، وهو موقع استراتيجي بالنسبة لطريق الشاطئ الى خليج الحسيمة، ويعتبر أفضل الطرق الى الخليج، من حيث حمايته بالحامية البحرية، التي ترافق تقدم الجيش، ولما كان بهذه المثابة فان قطع الطريق عن تقدمه ضروري بالنسبة لقلب الثورة الذي هو أجدير، لانه لم تبق له الا تحركات محدودة، ليصبح على رأس سيدي شعيب، وهناك يكون العدو قد تمكن من ضرب الافةى الى الرأس .

وهكذا اسندت قيادة المهاجمين للقائد علوش المربط، وهو من شرفاء آل عزيز من بني ورياغل الذي رأس معركة القندوسى كما تقدم وكانت القيادة العليا تدار من محكمة اخشاب امغار، بتمسامان برياسة القائد احمد بودة، الذى تولى رياسة الدفاع العام .

وقد اختير لهذه المعركة رجال اشداء من بني ورياغل وتمسامان وبني وليشك .

وقد كان من سوء حظ المجاهدين، أنهم انحدروا تحت جناح ظلام الليل مع واد قصير بين الجبال، كانوا يظنون أن الوادى ينحدر الى البحر، على وضعية مبدئه، بحيث يتسترون بضفتيه عن الانظار، ولكن لما انحدروا وسامتوا قشلات العدو، انقطع الوادى، وانتهى فى منبسط فسيح، متكشف للعدو، وكان قد استعد لما شعر بما يدبر فى الليل، وكان العملاء مرهفين احساساتهم لنقل التحركات من هنا وهناك، فتلقى الفريقان عند غسق الفجر، ووقع الاصطدام وجها لوجه بالسلاح الخفيف، لانه لم يكن فى وسع أحد الطرفين أن يستعمل المدافع، لاختلاط الفريقين، وقد اشتد

(1) أى مزوق بن عمر .

القتال، واستمر من الفجر الى ما بعد المغرب، حيث حال الظلام دونه، فرجع الجيش الاسباني الى مركزه، كما رجع المجاهدون الى مراكزهم على القمم المحيطة به .

وكانت الخسائر من الجانبين كبيرة، واستشهد فيها كثير من المجاهدين من بنى ورياغل، وتمسامان، وبالاخص رجال فرقة «تمرغنين» حتى قيل أنه لم تبق دار لم تبك شهيداً، أو شهداء، ومن جملة من استشهد من بنى ورياغل الشهيد جيلالي من اكلتوما الجبل، ومنهم يوتقطوت من آل القاضي، ومنهم اعمام المؤلف وهم: الطالب النقي الزكي السيد محمد بن الحاج محمد، ومحمد بن عمر بن الحاج محمد المدعو أمغار ومحمد بن عمر بن الحاج محمد المدعو موح أقشار، وسليمان بن عمر بن الحاج، ودحمان بن حمادي، وجرح العباس بن السي محمد وأخوه حمادي ومحمد بن الحاج محمد المدعو موح تعرضت، وسلام بن عمر بن الحاج محمد، ومحمد بن عمر الفقيه، وصديق ابن حمادي بن الحاج بن احمد، ومحمد بن حمادي بن الحاج بنحمد، ومحمد بن علوش بن الحاج بنحمد .

وهؤلاء كلهم من قرية واحدة وهم الذين عرفناهم فاستطعنا احصاءهم، ويعطى هذا الاحصاء للاصابات في دشرة واحدة نظرة واضحة عن الاصابات التي يكون المجاهدون تعرضوا لها فيما بين القتلى والجرحى، وعلى كل فان المعركة اسفرت عن لا غالب ولا مغلوب بين الفريقين .

معركة سيدي احساين

فبعد معركة سيدي مسعود تجمد القتال بين الفريقين على هذا الخط البحري، الا ما كان من المناوشات المحلية لحوالي أربعة أشهر . يقع موقع سيدي احساين في قبيلة بنى سعيد على شاطئ البحر، وتعد هذه القبيلة من احدى القبائل في الريف التي لها مران على القتال، وكان بعض الاشخاص في هذه القبيلة قد جرو الجيش لاحتلال قبيلتهم، فاعتمد عليهم واحتلها، وتمركز في هذا الموقع بقوة كبيرة مع حاميات أخرى على رؤوس الجبال وكان أحرار هذه القبيلة متصدين لهذا الاحتلال، ومنهم شعيب بن حدو الركيزة الذي هاجر الى بنى ورياغل

أثناء الاحتلال، ومنهم موح بن عمر بن سلام، ومنهم القائد أز عوم، وموح بن عمر بن سلام أمجاو، وغيرهم، ولما كان مركز سيدي احساين يعد المركز الرئيسي بالنسبة لمركز سيدي مسعود والحاميات الاخرى، فان ابن عبد الكريم ولى وجهته اليه، لانه اذا هزم وهو اصل لما عداد من المراكز، فانه يسهل القضاء على الباقي، وقد اقترح عليه الرجال الاحرار من بنى سعيد ان يقوموا بعملية مفاجئة، بمساعدة احرار آخرين من الذين استمروا في المكوث بديارهم بالقبيلة، وبذلك يقومون بهجوم ليلي على العدو، حيث ينقض رجال القبيلة من الخلف على العدو، فيقع في المقيم المقعد، وذلك في غفلة من عملائه، حيث يلقون نفس المصير .

وقد راقبت الخطة ابن عبد الكريم، فأوصاهم بتدبير الامر بالكتمان، وقد شاركهم في العملية مجاهدون من قبيلة بنى وليثك، ومنهم القائد محمد الكندوزي .

وكانت العملية تجري تحت اشراف القائد احمد بودرة، الذي كان يسير الجبهة الشرقية، وكان معسكرا في موضع يدعى «تخشابت امعلثا» وهكذا هيا ارتالا أربعة حسب التالي :

الرتل الاول : يقوده القائد موح بن عمر سلام السعيدى يتجه جهة ميمنة العدو، ويتمركز بالموضع المدعو «دار موح أشمالال» .

الرتل الثانى: يقوده القائد موح الكندوزي من بنى وليثك يتمركز شرقى العدو بالموضع المدعو «المراجع» .

الرتل الثالث : يقوده القائد شعيب بن موح ابالى البوعياشى يتمركز على ميسرة العدو على شاطئ البحر .

الرتل الرابع : (غير مضبوط الآن من يقوده) يتمركز غربى العدو في الموضع المدعو «البئر» .

وقد عين لهم قبل أن يتوجه كل واحد الى حيث عين له أن يتجمعوا ليلا، في المحل المدعو «سيدي شعيب الخلاء» حيث يفترقون من هناك في وقت واحد، وكان كل رتل يشمل 300 مقاتلا .

وكان للمجاهدين بطرية من المدافع يضربون بها مراكز سيدي احساين، يسيره القائد بوطاهر عزيزي من أجدير كانت تسدد الضربات للعدو، وكان العدو يتمون بالماء من عين تقع الى جهة موقع الرتل الثالث،

فجاءت فئة من الجنود لسقى الماء من تلك العين على بزوغ الفجر، فسدد اليهم مرزوق بن عمر طلقتين أردى بهما اثنين من الفئة، واختفى الباقون، فهجم العدو على محل سقوط الجنديين، فأخذهما رغم كثافة الرصاص عليهما .

وقد كان على علم قبل ذلك بواسطة عملائه من قبيلة بنى سعيد، بما يدبر، فاستقدم اغاثة من جميع المراكز الخلفية، كما كانت البارجة الحربية التى تحرس الشواطىء على استعداد للتدخل متى حان الوقت .

وهكذا فبعد سقوط الجنديين باغت العدو المجاهدين، بهجوم على جميع الجهات، واحتدم القتال من الصباح الى الغروب، واستخدم العدو مدافعه الثقيلة، كما شارك الطيران بالقنابل المسمومة ولكن المجاهدين كانوا عرفوا مفعولها فى معركة تفرسيت، فاحتاطوا لتجنبهم الاودية، بل خندقوا فى منحدرات الجبال .

كما اقتربت البارجة البحرية الى الشاطىء، وحاولت انزال بعض الجنود للفتك بالرتل الثالث، الذى يقوده شعيب ابالى، الا أن القائد أزعم على انذى كان من جملة أفراد هذا الرتل، نادى فيهم قائلاً من كان منكم متوفراً على بندقية جديدة ترمى الى البعيد، فليصوبوا بصورة جماعية طلقاتهم ضد البارجة، وفعلاً كان الرصاص يتساقط فى الماء، كأفواه القرب، فابتعدت البارجة الى حيث لا يصل اليها رصاص البنادق، ولكن ركنت الى اصلاء هذا الرتل نارا حامية محرقة مع الطائرات، وكانت هذه البارجة مسلحة باثني عشر مدفعاً ستة فى الجهة اليسرى وستة فى اليمنى، فكانت تطلق بجهة، ثم تتحول الى جهة أخرى، عندما تسخن المدافع الستة، وهكذا دواليك، وكان المجاهدون يعيشون فى هذا الموقع وسط جحيم من نار، ومع ذلك فقد ثبتوا وبقوا هناك ثلاثة أيام والنار تشتعل من البر والبحر والجو، الامر الذى جعل قائد الرتل شعيب ابالى يصدر الامر الى الباقي من رجاله أن ينسحبوا من الموقع قائلاً لهم بصورة مؤثرة من البكاء، اذهبوا أنتم من هناك للنجاة، أما أنا فسأموت، ولا أقدر أن أرجع من انهزام، ولكن رفاقه أرغموه على أن ينسحب معهم .

أما باقى الارتال، فقد استمروا فى القتال الى خمسة أيام، وفى صبيحة اليوم السادس جاءت حركة «ميك» هيأها مرتزقة وعسكروا

خلف المجاهدين ونادى أحدهم فيهم، قائلاً لماذا تقتلون الجيش الأسباني، فإنه لم يأت إلا باذن منا، ولذا فإننا حامون له، ونحن سنقضى على (الشوالة) حسب تعبيره .

وقد ضرب الحصار على المجاهدين من الخلف، بينما رجال القبيلة الذين كانوا وعدوا بطعن العدو من الخلف لم يقوموا بحركة تذكر، ولعله، لأن العدو كان احتاط لقطع الطريق عنهم، بتوعدهم ورقابة تحركاتهم. وقد كان الحصار شديداً، قصد العدو أن يشدوا الحصار عليهم لقطع المدد الغذائي، والعتاد الحربي، وحينئذ يستسلمون عن طواعية، ولكن رغم هذا الحصار الذي يبدو من أول وهلة أنه مصيدة محكمة، تضع المجاهدين بين فكي كمائة، وأوشكت أن تطبق عليهم، ولكن من يعرف خفة تحركات المقاتلين، وتمرنهم على سلوكهم مسلك الماعز، في الجبال والادغال، عرف أنهم لا يعترفون بأى خطر قد يكون محدقاً بهم. وقد كانت الرسل من القائد أحمد بودة تصل اليهم بانتظام، ليلاً بطريقتهم الخاصة السهلة، التي يحذقونها، ولذا فإنهم لم ينسحبوا رغم كل هذه الشرور المتكالبية عليهم، من طرف اعدائهم وبني جلدتهم على السواء .

ولما قررت القيادة العليا الانسحاب، فقد أبلغ اليهم الأمر بنفس الطريقة، فعملوا على الانسحاب تحت جناح الظلام، على أن يتجنبوا الخسائر في الأرواح ما أمكن، وعندما جن الليل غينوا فئة لمناوشة العدو على الجهة التي تنسحب منها فئة أخرى منهم، وعندما تكون الفئة المنسحبة خلف العدو، فإنها تشغله من الخلف، حيث تنسحب الفئة التي كانت شغلته قبل، وهكذا حتى خرج المجاهدون من المصيدة سالمين . ويقال أن خسائر العدو في هذه المعركة بلغت 1.500 ما بين قتييل

وجريح، أما خسائر المجاهدين فكانت 30 شهيدا معظمهم من تمسامان، وبالأخص فرقة تمرغنين .

وكان من خسائر المجاهدين الأسوف عليها سقوط المجاهد شعيب بن حدو الركيزة السعيدى أسيرا في يد العملاء، الذين وثق بهم بينما كان يحرضهم على سد ضربات العدو، من الخلف، لشد أزر المجاهدين،

مألقوا عليه القبض وقدموه للعدو برهانا على اخلاصهم له، وقد بادر العدو باعدامه حالا، ومن دون محاكمة .

ويقال أن سيدى عمر من شرفاء آل هشام وكان قبل احتلال الجيش الاسباني لقبيلة بنى سعيد رئيسا للخط الحربى هناك، خدعه صديق له ، فأفشى اليه السر عن حسن نية، وهذا ما سمعته عن أفواه بعض الناس ممن سمعوا الشائعة، ولكن الرجل كان من الشرفاء المحترمين فى فرقة المرابطين، ويبعد أن يخدعه أحد العملاء، وهو من رجال الثورة .

أما القائد شعيب ابالى فانه لما انسحب قبل الارتال الآخرين، فان القائد احمد بودرة اعتبره أنه ولى الادبار فى حين الزحف، وأمر بوثاقه لتقديمه الى المحاكمة، ولكن عندما أعلم تلفونيا ابن عبد الكريم، أمره بأن يوجهه اليه رأسا فأرسله محروسا الى أخشاب امغار، حيث يوجد ابن عبد الكريم، فلما سأل عن سبب انسحابه قبل الارتال الآخرين، أعلمه بالوضع الذى كان يوجد فيه فى الارض المحروقة، وطلب منه أن يستدعى المجاهدين الذين كانوا معه للاستماع الى أقوالهم، ثم شن حملة لديه على القائد احمد بودرة، وقد علم صدق شعيب ابالى فأطلق سراحه .

بقى أن أذكر هنا، فيما اذا كان الانسحاب المعلن عنه من طرف الجنرال بريمودى الريفيرا بالنسبة لهذه الخطوط فى هذه الجهة الشرقية، نفذ أم لا، وقد قرأنا للانجليزى روبرت فورنو فى كتابه الامير عبد الكريم، (1) قصة خيالية مثيرة عن الانسحاب وما سببه، بالنسبة للجيش الاسباني، الامر الذى يصادم الحقيقة التاريخية الواقعية، لان تلك الخطوط بقيت على حالتها للأسباب التى سنتكلم عنها فى الفصل المتعلق بالجبهة الشمالية عند النزول فى الحسيمة .

(1) صحيفة 114 وما بعدها .

الجهة الجنوبية

صراع مع الجيش الفرنسي على نهر ورغة ووزان

صراع مع الجيش الفرنسي

بقدر ما تتسع انتصارات الثورة الريفية في حروبها مع اسبانيا شرقا وغربا، بقدر ما تزداد مخاوف فرنسا، التي هي حليفة طبيعية لهذه الاخيرة، المتولد ذلك الحلف من الاتفاق الموقع بينهما عام 1904 ، لتقسيم مناطق النفوذ بالمغرب، والمعدل ذلك الاتفاق بالنسبة للحدود بين المنطقتين عام 1912، فكان من الطبيعي أن تستفحل مخاوف فرنسا، لأنها تجد الحدود الشمالية لمنطقة نفوذها وجها لوجه أمام ثورة عارمة، تحرز انتصارات تلو الآخر، وتتبع بقلق بالغ المعارك الصارية، التي استرسلت دون انقطاع، والتي ذل فيها جيش أوربي متمرن، الامر الذي جعل قبائل ورغة يترجح أمر زعمائها، فمنهم من ركن الى الثورة، وعلى رأسهم القائد ولد عبد السلام، طالبين تدخل الريف لتحريرهم من المخاوف، التي تسيطر على أنفسهم، لاجل مالهم ودينهم وعرضهم، وقد تسارع بعضهم اثر معارك انوال لزيارة اجدير، مقر الامير ابن عبد الكريم يستحثونه لزيارة قبائلهم، لقطع الطريق على الجيش الفرنسي حتى لا يحتلها، ومنهم من عارض هذه الفكرة، وعلى رأسهم القائد عمر ابن احميدو المرنيسي، وعبد الرحمن الدرقاوي الغماري صاحب زاوية بني زروال، فطلبوا من فرنسا أن ترسل قواتها لاحتلال قبائلهم، قطعاً للطريق عن الثورة الريفية، وبالتالي التسابق لاكتساب الانصار فقد عرفت قضية الحدود هناك تطورات مظهرية، حسبما يأتي، وكان ذلك بعكس الحرب مع اسبانيا التي عرفت الانطلاقة الاولى بدون مقدمات، لان الوضعية مختلفة، ففرنسا تتذرع بأن محميتها تحتضن سلطان المغرب . وهكذا، كان ابن عبد الكريم وضع أمام مسؤولية تاريخية من قبل أولئك الزعماء الذين طالبوه بالتظاهر في قبائلهم، فانه لم يكن في استطاعه أن يرفض رغبات القبائل، التي لم تكن الى ذلك الوقت تعرف، كما لم تكن فرنسا نفسها تعرف أيضا بالضبط الحدود التي سطرت في أوفاق 1904-1912 فلبى رغبتهم، وتوجه بنفسه صحبة

جماعة من المجاهدين الى أن وصل الى بنى ونجال عبر قبيلة مرنيسة ورغم تظاهر زعيمها عمر بن احميدو وهو أقوى زعيم على ضفاف نهر ورغة، في أول الامر، بالاتفاق مع الثورة، فانه كان يضمّر غير ذلك، وعندما انفصلوا صباح اليلة التي استضافهم فيها، متابعين مسيرتهم الى القبائل الامامية، تخلف عنهم ليدبر مكيده ابادة القافلة، كما سبق الكلام مفصلا عن هذه الحادثة وهو أمر يخدم كثيرا الجيش الفرنسي الغازي، لانه بذلك يكون قد وضع اقدامه على قبائل عاتية على الضفة الشمالية لنهر ورغة، أضف الى ذلك، أن أحد زعماء قبيلة بنى زروال الروحيين، وهو عبد الرحمن الدرقاوي، قد طلب هو من جهته احتلال الجيش الفرنسي لقبيلة بنى زروال، لحماية زاويته .

وبذلك بدت لفرنسا معالم الحدود الفاصلة بين منطقتي النفوذ، التي حررت في الاوفاق، على خرائط غامضة الملامح، عبر منطقة مجهولة المعالم، داخل مكاتب الديپلوماسيين الذين يفترض فيهم أنهم لم يتعرفوا على تلك الجهات أصلا، وكان مدار تحرياتهم في أوفاق 1904 وأوفاق 1912 مبنية على ان القبائل التي ترد اغنامها مياه ورغة، هي التي تخص منطقة نفوذ فرنسا، وما عداها هي من نفوذ اسبانيا .

ولم تبدأ تلك الحدود تقترب الى الوضوح الا بعد القضاء على الثورة، فقد وضع خط ابتداء من مصب نهر ملوية في البحر الابيض المتوسط، حيث يصعد الخط مع النهر الى أن يصل الى ملتقى بين الويدان لقبائل توريرت، ويستمر الخط مستقيما لا يفارق نهر ملوية، الى أن يصل الى الاراضي المرتفعة الفاصلة بين نهر ملوية ووادي ايناون، ثم يتجه غربا حيث يمر على المرتفعات التي تفصل بين وادي ايناون ووادي سبوء، كما تفصل بين منبعي وادي كرت ووادي ورغة، الى أن يصل الى جبال مولاى بوشتنى، ثم ينثنى الخط جهة الشمال، حيث يبتعد عن طريق فاس البالى بـ 25 كلم، الى أن يصل الى وادي لكوس، حيث يقسم قبيلة غزاوة الى شطرين، ومن هناك يسير الخط مع الوادي الى أن يصل قرب القصر الكبير بخمس كلم، ثم يسير مستقيما الى شاطئ الاطلسي .

وقد فرض على اسبانيا هذا الخط فرضا، عقب الحملة المزدوجة التي تكالبت للقضاء على الثورة عام 1927، قد وجدت اسبانيا نفسها أما

زحف فرنسي يكتسح القبائل التي على الضفتين معا لنهر ورغة، سواء تشرب أغنامها من نهر ورغة أولا، ذلك ان الجيش الفرنسي قد وصل شرقا الى ثلاثاء اولاد بوبكر بقبيلة مطالسة، والى ثلاثاء ازلاف بقبيلة بنى توزين واكتسح قبيلة بنى عمرت، وتوغل الى أن وصل الى تركيست، المقر الذي استسلم فيه الزعيم ابن عبد الكريم اليه، فكان موقفه معززا لغرض سيطرته واملاء الحدود التي يريدها، وقد تقبلتها اسبانيا على مضض، لانها لم تكن تستطيع أن تمانع، والا عرضت نفسها من حرمانها من قبائل ريفية خالصة، بل حتى الخط المشار اليه لم يتبع حرفيا، بل روعيت القبائل التي مر فيها ذلك الخط، فتوسع لحساب فرنسا حسب السكان، ابتداء من مصب نهر ملوية .

قبائل الحدود الخاضعة للنفوذ الفرنسي

بنى يزناسن، بنى وكيل، النصف من قبيلة مطالسة، قبيلة كزناية، مرنيسة، بنى زروال، نصف من قبيلة غزاوة، قبيلة الرهونة، قبائل عرباوة، أما قبائل الحدود الخاضعة للنفوذ الاسباني، فهي من الشرق قبيلة كبدانة، أولاد ستوت، بنى بويحيى، نصف من مطالسة، بنى ورياغل، بنى عمرت، قبائل صنهاجة الشمالية، كتامة، بنى خالد، نصف من غزاوة، بنى زكار، أهل سريف الخلو ط .

ولم يفتأ الاسبان بعد ذلك يحلمون بتوسيع الحدود الجنوبية، فكانت مؤلفات العسكريين منهم الذين يعملون في المغرب، تتخيل ان الحدود يجب أن تشمل قاسا وتازا ووزان وفي أثناء الحرب العالمية الثانية نشر ضابط عسكري برتبة كمندان، يدعى دومينس، وكان على رأس نيابة الشؤون الاهلية بتطوان، أثناء الحرب الوطنية الاسبانية، نشر كتابا وضع فيه خريطة من هذا القبيل، اهتبالا لفرصة هزيمة فرنسا أمام النازية، ولكن عندما استرجعت فرنسا مكانتها، أقيل هذا الضابط، وأرسل الى افريقيا الاستوائية .

مشكلة أعقد من نذب النذب

هذه هي وضعية قبائل ورغة أثناء الحرب التحريرية، وهي وضعية كانت بالنسبة للثورة مصدر متاعب قاسية، ذلك ان الامر ليس كما يبدو

من أول وهلة، وكما يحلو لبعض الكتاب (1) الذين استخلصوا نتائج تخميناتهم من أن الزعيم ابن عبد الكريم تورط مع قبائل ورغة، في حلف قبلي، وسماه «الليف»، بل الأمر أهم من ذلك، يتعلق بالمبدأ الوطني، الذي يقضى بتلبية رغبة أهالي تلك القبائل، بالانضمام إلى الثورة، وهي لم تكن قد انفصلت أبدا عن قبائل الشمال، فهي منها واليهما، فأسواقها واحدة، وزيت ورغة يصرف جلها إلى الريف، توسق على خيار البغال التي تشتري من هناك، لتعرض للتنافس فيها في أسواقه، كما كانت هذه القبائل محطات لرحلات الأرياف إلى فاس، في غدوهم ورواحهم، فهي قبائل بينها وبينهم وشائج شتى، علاوة على وشائج الدين والوطنية. وليس كما يزعمه هؤلاء الكتاب من أن الوشيجة الوحيدة التي حملت ابن عبد الكريم على خوض غمار حرب كانت معلوما مسبقا نتائجها الوخيمة على الثورة هي الحلف القبلي الذي اعتمده في تنظيماته الثورية الأساسية، وهذا القول من السخافة بحيث لا يتسع لاي تفكير سليم أن يصدق، لأنه لو بنى عمله على هذا الحلف لما استطاع أن يصل في الاتفاق والنظام إلى ما وصل إليه، لأن الحلف يكون بين العشائر، وهو معرض لنقضه بسهولة، من أي واحد منهم، لادنى سبب، فيتلاشى المجهود ادراج الرياح .

ولكن الحقيقة هي النعرة الوطنية التي تربط بين الوطنيين كيفما كان انتسابهم القبلي، وهي التي حفزت ابن عبد الكريم أن يلبي طلبات قبائل لم تكن تعرف أي فاصل بينها وبين إخوانها في الريف، بل هي تعتبر من صميم جبال الريف، فلم تعرف التفرقة، إلا عندما حجر عليها بالحاجز الحديدي الذي فرضه المستعمر بتخطيط حدود ما أنزل الله بها من سلطان ؟

الواقع أن الجيش الفرنسي، وعلى رأسه المرشال اليوطي، الذي استطاع إخضاع أقاليم المغرب واحدا تلو الآخر، ركب رأسه إلى السماء معتبرا بفتوحاته التي استعمل فيها كل أنواع القتال، ثم القمع والشدة، وقد أصبح يهيمن على المغرب هيمنة بدا له ولمن يعجبون به من رجال

(1) روبرت فورنو في كتابه «عبد الكريم أمير الريف» .

الاستعمار الاوربي، أنه أتى بمعجزة في النظام الاستعماري، فهو يفتح بالقوة والحديد والنار، عندما يكون ذلك ضروريا، لتذليل الآخرين، وترويضهم، ليستسيغوا أساليب النظام الاستعماري، ويتعودوها، وعندما ييسر نفوذه المطلق يخاتل الرأي العام بالازهار بمظهر العامل المنكب على اصلاح الاوضاع، بالطرق العصرية، ومشاركة الاهالي في تسيير شؤونهم، ولذا راح المعجبون به يصفقون من ورائه لحنكته الاستعمارية. ناسين أن تسيير الاهالي لشؤونهم لم ينفذ قط، الى صميم الحياة الكريمة، التي ينشدها كل مواطن حر أبى، وانما شملت القشور التي لا تعدو أن تكون ملهاة لتنافس السطحيين على وظائف لا تنفذ الى صميم الحياة الاجتماعية والسياسية، بل وحتى السيادة الوطنية .

واذا كان الجيش الفرنسي بالمغرب بقيادة المرشال، قد كسب هذا الاعجاب، وانتفخت أوداجه فان وجود جماعة من المناضلين في مختلف جهات المغرب، يصارعون الجيش الغازي في كل المعارك، التي خاضوها معه، يعد وحده تحديا للسلطة الاستعمارية، فضلا عن أن هذه الانتصارات خلقت جوا من الاضطراب في سائر أنحاء المغرب، وبالاخص القبائل التي تقطن شمال فاس، وتازا، ووزان، التي لم يفتأ زعمائها يحجون الى أجدير، مركز الثورة الريفية، ورأسها المدبر، وفي رحلاتهم عبر الجبال والسهول يشاهدون الاسرى الاسبانيين هنا وهناك، يفتحون الطرق، أو يحصدون الزرع، أو ينظمون في حلقات بمراكز المعتقلات، الامر الذي يتوجب معه أن يشعر هؤلاء الزعماء بأن الحالة غير حالة الاقاليم المغربية التي تحت سيطرة المرشال وجيشه، فهناك يرون الجيش الاوربي مستعليا، وهنا يرونه ذليلا محطما .

وهذا الامر الذي أقض مضجع المرشال، جعله من أول وهلة يحس بطعنة نجلاء في كبريائه، ذلك ما دعاه لأن يرفع تقاريره الى باريس، منذرا بالشر المستطير، وقد جاء في احداها، «ان اقامة دولة اسلامية مستقلة على حدود الانتداب الفرنسي، يشكل تهديدا مستمرا وأكيدا، لأمن هذا الانتداب، وسلامته، ان قبائل الريف تخضع لأول مرة في تاريخها الطويل لرجل فرد، وتعيده آذانا صاغية»، «وان ابن عبد الكريم يرغب فيما يبدو في تمثيل دور مصطفى كمال، وقد انتفع من ثقافته الاوربية، ومن معرفته بالتقدم المعاصر، وأضاف ان أمير الريف هو بطل الاستقلال المراكشي» .

مهمة غابرييلي الاستخبارية

لأجل أن يتقصى المرشال كل أخبار الثورة حركة بحركة، وضع مراقبا مدنيا يدعى غابرييلي على رأس مركز توريدت، بين وجدة وتازا، وهو مركز مهم بالنسبة لتقصى الاخبار عن الثورة، لانه الممر الوحيد للارياف الذين يذهبون الى الجزائر، أو الرجوع منها. كما هو ممر للذين يرتادون فاسا للاغراض التجارية أو غيرها، وذلك بعدما انتشرت الحاميات العسكرية الفرنسية على قمم ضفاف نهر ورغة، حيث سيطرت على الممرات المعتادة الى فاس .

وقد قام غابرييلي هذا بنشاط كبير، وكون جهازا من المخبين من الاهالي، ومن أبرزهم المدعو «القائد ميمون الريفى»، الذى كان يملك أحد المقاهى بتازا، والتي جعلها محطة للراجلين والغادين من الارياف الى الجهات المختلفة، فكانوا يحطون عنده رحالهم، بينما يستقى الاخبار منهم، (أى أخبار الثورة) التي يحملها توا الى المراقب المدنى ليلا، وفي مقابل ذلك يخصه بالتموين بالمواد الغذائية النادرة الوجود فى الريف، كالشاي والسكر، وغيرهما، على أن يبدو معهم متسامحا كريما وفيما مخلصا، حتى لا يتفطنوا لمراميه .

وفضلا عن ذلك فانه عندما دخلت سنة 1924، أى قبل انفجار النار على نهر ورغة، كانت توجد لديه شبكة استخبارية سياسية وعسكرية، ونشط نشاطا محسوسا، قام بنفسه برحلة الى الريف، وتقابل مع ابن عبد الكريم كما حرص كل الحرص أن يستغل زيارة الصحفيين الامريكيين، وهما فونست شيان وبول سكوت مورر، وقد زار الاول الريف مرتين: الاولى دخله عن طريق تازا - ميضار الى آيت قمره، حيث استقبله ابن عبد الكريم الذى استاثر باعجابه، لحصافة أجوبته السياسية، عن الاسئلة التي ألقاها عليه، حول الحالة التي تشغل بال رأى العام العالمى، والتي تولدت عن انتصاراته على الجيوش الاسبانية، وموقفه من الجامعة الاسلامية، التي تتحدث عنها الصحف الاسبانية، فكان جوابه أن ليس ثمة صلة قائمة بين الثورة وبين أية حركة فى الاقاليم المغربية الاخرى، التي تخضع حالا لفرنسا، كما ليس هناك اتصال مع مسلمى الجزائر، أو تونس،

مهمة غابرييلي الاستخبارية

لاجل أن يتقصى المرشال كل أخبار الثورة حركة بحركة، وضع مراقبا مدنيا يدعى غابرييلي على رأس مركز توريرت، بين وجدة وتازا، وهو مركز مهم بالنسبة لتقصى الاخبار عن الثورة، لانه الممر الوحيد للارياف الذين يذهبون الى الجزائر، أو الرجوع منها، كما هو ممر للذين يرتادون فاسا للاغراض التجارية أو غيرها، وذلك بعدما انتشرت الحاميات العسكرية الفرنسية على قمم ضفاف نهر ورغة، حيث سيطرت على الممرات المعتادة الى فاس .

وقد قام غابرييلي هذا بنشاط كبير، وكون جهازا من المخبين من الاهالى، ومن أبرزهم المدعو «القائد ميمون الريفى»، الذى كان يملك أحد المقاهى بتازا، والتي جعلها محطة للراجلين والغادين من الارياف الى الجهات المختلفة، فكانوا يحطون عنده رحالهم، بينما يستقى الاخبار منهم، (أى أخبار الثورة) التي يحملها توا الى المراقب المدنى ليلا، وفي مقابل ذلك يخصه بالتموين بالمواد الغذائية النادرة الوجود فى الريف، كالشاي والسكر، وغيرهما، على أن يبدو معهم متسامحا كريما وفيما مخلصا، حتى لا يتفطنوا لمراميه .

وفضلا عن ذلك فانه عندما دخلت سنة 1924، أى قبل انفجار النار على نهر ورغة، كانت توجد لديه شبكة استخبارية سياسية وعسكرية، ونشط نشاطا محسوسا، قام بنفسه برحلة الى الريف، وتقابل مع ابن عبد الكريم كما حرص كل الحرص أن يستغل زيارة الصحفيين الأمريكين، وهما فونست شيان وبول سكوت مورر، وقد زار الاول الريف مرتين: الاولى دخله عن طريق تازا - ميضار الى آيت قمرة، حيث استقبله ابن عبد الكريم الذى استأثر باعجابه، لحصافة أجوبته السياسية، عن الاسئلة التي ألقاها عليه، حول الحالة التي تشغل بال رأى العام العالمى، والتي تولدت عن انتصاراته على الجيوش الاسبانية، وموقفه من الجامعة الاسلامية، التي تتحدث عنها الصحف الاسبانية، فكان جوابه أن ليس ثمة صلة قائمة بين الثورة وبين أية حركة فى الاقاليم المغربية الاخرى، التي تخضع حالا لفرنسا، كما ليس هناك اتصال مع مسلمى الجزائر، أو تونس،

أو مصر، كما ليس هناك نية تمثل هذه الاتصالات، وإنما إسبانيا تسعى من وراء نشر هذه الدعايات لاثارة مخاوف فرنسا، وانجلترا، لمعارضة الثورة الريفية، ضد إسبانيا للتخفيف عليها .

كما أجاب عن شروط الصلح مع إسبانيا بأن الشرط الاساسى للصلح هو انسحاب جميع الجيوش الاسبانية من المغرب، ماعدا الحاميتين الموجودتين في سبتة ومليلية، وإذا توفر هذا الشرط، فإنه يمكن قبول المفاوضات على مسائل أخرى .

أما ما يتعلق بعلاقة الثورة مع فرنسا، فقد أكد بأنه يستبعد كل الاستبعاد أى صراع مع الجيوش الفرنسية، في الاقاليم الخاضعة لها، اللهم اذا كان مضطرا للدفاع عن النفس، ومع ذلك فإنه يستبعد أن تعتمد فرنسا الى مهاجمة الثورة، وأنه يتمنى أن تقبل فرنسا صداقة الريف .

ولما رجع تنكب أن يرجع عن طريق تازا، لأنه أراد أن يستمع الى قائد آخر، كان يوجد في الجبهة الغربية يسجل انتصارا تلو آخر، ضد الجيش الاسبانى الذى يقوده المركيز دى استيلا، وهو السيد امحمد الخطايى في معسكره تاغزوت، بأعلى وادى لو، لكى يستوضحه أيضا على خطته، ويقارن بين قيادته الحربية وقيادة أخيه، الذى قال عنه، انه أحد أبطال الملاحم، أو سيف الاسلام المسلول، فلما قابل هذا القائد أيضا، قال عنه انه سيد شهم ووطنى، وأنه بالنسبة للكرامة، كما شاهد مأساة الريسونى وهو يحمل على محفة لترحيله عن معقله الى حيث ينتظره الاجل المحتوم .

أما الصحفى الآخر موررو، فإنه فضل أن يرجع عن طريق تازا، حيث نزل بضيفا على رئيس الاستخبارات، بتازا، الذى استمع منه الى عروضه عن ارتساماته في زيارته للريف، التى يضيفها الى معلوماته، التى أجهده نفسه في جمعها، كما حرص على الاستفادة من مراسلات شيان، المنشورة في مجلة «شيكافو تريبيون» وكون من ذلك ومن معلوماته الخاصة بحثا مستفيضاً عن الثورة الريفية، ومركزها الحساس ببنى ورياغل، وعلاقة رجالها بالامير ابن عبد الكريم، كما دون تفاصيل هامة عن التنظيم العسكرى الريفى، ورجاله ومقدار القوة البشرية القتالية، التى أوصلها الى 60 ألف مقاتل، وزعها على القبائل، خصص لبنى ورياغل

ما بين 15 و 20 ألف وصفهم بأنهم أحسن مقاتلى الريف، ولم يغفل عن المعدات الحربية الثقيلة منها، التي أوصل عدد المدفعية منها الى 200 قطعة أغلبها اسبانية، غنمت في الحرب، كما لم يغفل الخطوط التليفونية التي قال عنها ان الشباب الارياف تكونوا بمهارة في استعمال الآلات التليفونية، ومدها الى جهات القتال، الى غير ذلك .

وعلى كل حال، فان غابرييلى هذا أفاد رجال الجيش الفرنسى باستخباراته التي تخصص لها، مما جعل هؤلاء القادة على علم بكل ما يدور في الريف، وبالاخص ما يتعلق بجس النبض عن مشاعر ابن عبد الكريم حيال فرنسا، ومدى صحة ما يشيعه الاسبان من أن غرض ابن عبد الكريم طرد المسيحيين عن المغرب، من أجدير الى أكادير، وعلى الاقل ما يعتزم عمله لصالح قبائل ورغة، التي ما فتئت يحج زعمائها الى أجدير، حيث يرون أنه الملاذ الذي يخلصهم من الحكم الاجنبى، بعد الانتصارات المدوية في مناطق الريف، وجباله على الاسبان .

ورغم تصريحات ابن عبد الكريم المتكررة التي تصدر عنه فيما يخطبه من ود الجيش الفرنسى في المغرب وعرضه لحل مشاكل الحدود من وزان الى تازا، تفاديا من تعكير جو السلم، الذي يجب أن يخيم على حسن الجوار، فان تقارير غابرييلى كانت مشحونة بتضخيم نوايا الثورة ضد فرنسا، وهى طبيعة لا تختلف في رجال الاستعمار، وبالاخص في هذا الوقت الذي استغلوا فيه على الامم المستضعفة، مما دل على أن مسؤولية الحرب مع فرنسا لم تقع قط على عاتق ابن عبد الكريم، وليس من الانصاف في شيء أن نجارى الكتاب الاجانب في القاء تلك المسؤولية عليه، حتى قال بعضهم وهو «شارلزمير سروان» كان يعتبر أحد الكتاب المنصفين لابن عبد الكريم، قال في كتاب له تحت عنوان «الفرقة الاجنبية» انه ارتكب خطأ عندما لم يكفه أنه انتصر بما فيه الكفاية» .

بدء الممارك

في تاريخ 1921 عندما اندحر الجيش الاسبانى أمام المجاهدين في الجبهة الشرقية، كان الجيش الفرنسى قد انتقص من 95 ألف جندى

الى 65 ألف، منهم 20 ألف فقط من الفرنسيين، لعوامل اقتصادية اقتضتها الحالة الاقتصادية لفرنسا .

وفي هذه الاثناء، أى الى بحر 1924، ظل ابن عبد الكريم يعرض على فرنسا عدم التحرش بالقبائل التى على الضفة الشمالية لوادى ورغة، مستلفتا نظرها لوجود أفراد اسبانيين، أو عميلين لها يتجولون بين تلك القبائل، لتحريضها ضد الريف، وقد استمر على هذا النهج الى مارس 1924، حيث بعث السيد حدو بن على الاكل محملا برسالة الى فاس، لتبليغها الى الكمدان (شاستنات) الحاكم العسكرى لفاس، يطلب منه التريث وعدم تقدم الجيش الفرنسى لاحتلال قبائل ورغة، وذلك لما علمه من الدرقاوى عبد الرحمن الغمارى، وبعض رجال بنى زروال يطلبون حماية الزاوية الدرقاوية ببني زروال، بالجيش الفرنسى، باحتلال قبيلتهم، فوعده بعدم التقدم، وفي 31 مارس 1924 قام الرسول مرة أخرى برحلة الى فاس، حيث أبلغ القادة الفرنسيين بأن ابن عبد الكريم لا يضر أية عداوة لفرنسا وانه من رعايا ملك المغرب، الذى له الحق وحده فى تنظيم العلاقة مع الجيش الفرنسى، وانه هو الذى يرى هل لذلك الجيش أن يحتل قبائل ورغة الشمالية أو أنه من جهته فى استطاعته أن يجلى عن المراكز التى ترى فرنسا ضرورة اجلائه عنها، ولكن يطلب التريث لاجل أن يرتب الامور مع تلك القبائل حفظا لسمعته الحربية والاسلامية، ازاء القبائل الريفية، وقبائل ورغة نفسها، وان الجلاء بتلك السرعة التى يطلب بها الجيش الفرنسى يضر بسمعته ضررا تكون عواقبه عليه وخيمة، وهنا كان جوابهم رفض التريث قائلين للرسول، ان التقدم الى جهة ورغة مفروغ منه، بل زادوا بأن أمر مساعدة القبائل التى تطلب احتلالها من طرفهم أمر ضرورى ومحتم، فهم يحتلون كل قبيلة تطلب الانضواء تحت راية الجيش الفرنسى، وفعلا سير حملتين لاحتلال بنى زروال، ومريسة، وكما فعل ابن عبد الكريم مع قادة الجيش فى فاس، فقد فعل مثله مع مثلهم فى مدينة تازا، وقد رد حاكمها العسكرى ردا غير لبق .

وهنا قرر ابن عبد الكريم تجريد حملة المجاهدين على الجيش الفرنسى، وبالاخص أنه علم بالاتصال الذى يجرى فى الخفاء بين فرنسا

واسبانيا، لتوحيد الخطة لضرب الحرب الريفية في الصميم، وان كل مراوغة القصد منها ربح الوقت، وتضليل الآخرين، لان انكسار الجيش الاسباني في الجبهة الشرقية والجبهة الغربية، قد أثار دهشة وحيرة لدى الدوائر الفرنسية وسمتها ثورة شمال افريقيا، معتبرة بأن نازها المندلعة سوف تأتي على جميع جهات الاحتلال الفرنسي .

والواقع أنه في سنة 1924 كانت مراكز فرنسا على ضفاف نهر ملوية عبارة عن 70 مركزا حربيا مجهزا بالمدافع والرشاشات والجنود. وكان المرشال اليوطى في شهر دجنبر من سنة 1924، قال فى تقرير قدمه الى الوزارة الحربية بفرنسا «ان هجوما من طرف الريفيين متوقع الوقوع بالتأكد في ربيع سنة 1925» .

وفعلا فانه حشر في هذه السنة عددا كبيرا من الجنود الفرنسيين على حدود ورغة، طيلة الحدود الفاصلة بين القبائل الموالية للثورة، والقبائل التى تحت قبضة الفرنسيين، وقد أمدت الحكومة الفرنسية المرشال اليوطى بجيوش جرارة، وعتاد وطائرات حربية وتقدم لاحتلال بنى زروال، وقبائل الحدود الاخرى، وضرب عرض الحائط بعروض ابن عبد الكريم، فيما يخص الصداقة الريفية الفرنسية، وتأكيده بأنه من رعايا جلالة الملك، وانه لم يقم الا لطرد الاسبانيين، الذين يستعملون الوحشية ضد الاهالى، وانه عندما يطردهم لا يعنيه من أمر الجنوب شئ، فهو موكل لجلالة الملك، وان بلاد الريف كانت لا تصل اليه الاوامر السلطانية، فهو قائم هنا نيابة عنه، وممثلا له، وهنا لم يسعه الا أن يرد الكيل بمثله، وان يجرب حظه مع فرنسا، كما جربه مع اسبانيا، متمثلا بقول القائل :

إذا لم تكن الا الاسنة مركب فلا يسع المضطر الا ركوبها

اجتماع المجلس الحربى الثورى وقراره

وقد اجتمع ابن عبد الكريم بالمجلس الحربى الذى يستدعيه في مثل هذه المواقف، وكان بمحكمة ازغار، (قرية متفرعة من أجدير) ينتقل اليها تعمية عن حامية جزيرة النكور، التى تصب نيران مدافعها صوب

مقره بأجدير، ولكن في هذا الظرف كان الريفيون تمرنوا على استعمال المدافع المنصوبة من جهتهم صوب تلك الجزيرة للرد بالمثل أو أقوى .
فقر رأى المجلس الحربى، وهو يتألف من أخيه امحمد، وعمه عبد السلام والسيد احمد بودرة، والسيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشى والسيد اليزيد بن الحاج حمو، والسيد محمد بوجبار، والفقير سى بولحياء، والسيد حمادى الشمس، والسيد عمر بن محمادى من بنى عبد الله، بخوض المعركة مع فرنسا التى لم تصنع الى نداء الضمير، والتى ركبت رأسها فى السماء، وقد انكشفت نواياها المؤازرة لحليفتها اسبانيا، وان كلما تراوغ به انما انتظار لنتيجة العمل مع هذه الاخيرة، فلما خيبت ظننا فى الانتصار على الريف ، شمرت للقيام بخنق المجاهدين .

وقد قرر المجلس على أن الذى يقوم بقيادة العملية هو السيد امحمد الخطابى أخو ابن عبد الكريم، الذى كان مقر قيادته بتركيبت بين قبائل صنهاجة الشمالية، التى هى قبائل متآخمة لقبائل ورغة شمالا، واعطاء الحملة الهجومية قيمة تليق بالاعمال التى تنتظر العملية، لانها موجهة ضد دولة تعتبر من أعظم دول أوربا فى العمل الاستعماري، والاختراعات الحربية، وقد تقرر أن يؤلف السيد امحمد أركان حربه يسير معه الى الجبهة، وان يكون مكونا من المهاجرين عن قبائلهم فى الجبهة الشرقية، التى احتلتها اسبانيا، وهاجروا الى قبيلة بنى ورياغل، حيث مركز الثورة، أو مركز القيادة العامة الريفية وفعلا تكون المجلس كما يأتى:

— الرئيس السيد امحمد الخطابى

— الكاتب العام للمجلس الشريف سيدى الحسن القادري التلمساني.

— الاعضاء : السيد ادريس بن ميمون خوجة من قبيلة قلعية،

والقائد احمد دادة من قبيلة بنى بويحيى، من المهاجرين .

— القائد بورحاييل من قبيلة مطالسة .

والقائد عمر بن بوعزة من مهاجري بنى سعيد الريفية التى يقع مركز سيدى احساين فيها، وكذلك مركز امجاو اللذين احتلها الاسبان .

— والقائد علال بن الحاج بوعزة من تمسامان، لم يكن من المهاجرين،

لان تمسامان فى ذلك الوقت لم تكن محتلة، وهى التى يقع فيها أخشاب

امغار، وهو مركز المحكمة الكبرى في تلك الجهة، وفيها وقعت معركة «دهار ابران» .

— والقائد محمد شراط من أجدير بنى ورياغل وهو يقوم بمهمة رئيس الديوان للسيد الخطابي، وكان قبل ذلك مكلفا بسجن «تاخنوست» بين الحسيمة وأجدير بوادي اسلى، وفي نفس الوقت كان يشرف على بناء المعتقلات بواسطة المعتقلين .

— أما السيد احمد بن السى شعيب اقيعان فقد كلف بامانة المال فى هذا المجلس الحربى المصغر .

ونظرا الى أن السيد امحمد الخطابي قد انتقل بعد انقضاء المجلس الحربى الاعلى الى مقر قيادته بتركيست، فان ابن عبد الكريم استدعى هؤلاء الاعضاء الى محكمة ازغار، فأمرهم بالتوجه الى أخيه بتركيست، ولم يقل لهم لماذا، بل أخبرهم بأنه الذى طلبهم واستفهمهم فقط عن المركوب، فتوجهوا وقطعوا مرحلتين باتوا خلالهما فى قرية احدوثا بنى حذيفة، عند شخص يدعى علوش طامة وفى غده وصلوا الى تركيست، وكان مقر عمله بالمحكمة التى تدعى آيت شيب، وكان يستأذن عليه شخص يدعى الحسن البونصارى من قبيلة بنى بونصر، احدى قبائل صنهاجة الشمالية .

وبعد استراحة ما، سألهم هل علمتم لماذا استدعيتكم؟ ولماذا اخترتكم؟ وأنتم من المهاجرين المغتربين عن بلدهم ولم استدع معكم أحدا من غيركم، فقالوا لا .

قال أما لماذا استدعيتكم أنتم بالذات؟ فانه قبل العام الفائت كان حضر الى مرسى (اسلى) (وهى فرضة تاخنوست بأسفل أجدير) مبعوث أسباني وهو «تشابارطا» يحاول عرض الصلح بيننا وبين الجيش الاسباني، لتخرج حامياته من مراكز عدة لتلتحق بسببته ومليلية وتتكمش فيهما، على أن لا يتعرض لها المجاهدون فى طريق انسحابها من تلك المراكز، وفى الحين تبقى المنطقة التى يقع منها الانسحاب خاضعة لنا، ولكن فاجأنا المجاهدون من بنى ورياغل باقتراحات شتى، فمنهم من يقول بأنه يجب أخذ الجيش الاسباني أسرى كلهم، ومنهم من يقول بأنهم يتركون السلاح ويخرجون من تلك المراكز كالنساء، ومنهم من

يقول غير ذلك من الشروط الثقيلة التي لا يمكن أن يقبلها أى محارب يعتر
بنفسه، ولو الى الموت، وحاولنا افهامهم بالحقيقة، وان عرض المبعوث يعتبر
فرصة يجب اغتنامها، ولكن عبثا حاولنا، فضاعت منا فرصة رجوع قبائل
أخرى التي هي عزيزة علينا الى حضيرتنا بدون اراقة الدماء .

ولذا فقد رأيت الآن ان أستدعيكم، أنتم بالذات، وأنتم المهاجرون
الذين اغتربتم عن بلادكم للجهاد في سبيل الله، فكونت منكم مجلسي
الحربي هذا .

أما لماذا هذا المجلس؟ فان الجيش الفرنسي حاولنا معه
المستحيل ليخلد حيث هو الآن وان لا يتحرك الى القبائل التي تعد من
الريف، وهي قبائل الضفة الشمالية لوادي ورغة وعلى الاخص منها
قبائل بنى زروال، ومرنيسة وكزناية، التي تعتبر من صميم قبائلنا،
واننا من جهتنا نتركها كذلك بدون تنظيم يذكر، فنترك أمرها بيدها الى
أن نسوى قضيتنا مع الجيش الاسباني، بحد السيف، وهو خير الحاكمين،
نقوم نحن وفرنسا بتحديد الحدود التي تكون قارة بيننا .

ولكن تعرفون ماذا كان جواب هؤلاء المتغطرسين من العسكريين
الفرنسيين؟ انها جواب لا يليق وحتى بالمجاملة الانسانية، فقد أجاب
حاكما فاس وتازة العسكريان، بأن امر الاحتلال لا يعنى الريف، وانما
يعنى فرنسا، وتلك القبائل، فما دام قبيلة بنى زروال تطلب منا احتلالها،
فنحن نحتلها أحب من أحب، وكره من كره، وانه ليس لاحد عليهم نيابة،
أما قبيلة مرنيسة فانها طلبت حمايتنا فأرسلنا اليها قوة من رعايا جلاله
السلطان، ثم أخرج رسالة الحاكم العسكري لتازة، وقرأها بنصها على
الجميع، وقال لهم الآن ما هو رأيكم فيما ترون، فان السيل بلغ الزبى؟
ولم يبق الا حفظ السمعة والشرف والاسلام والوطن، ثم بدا على وجهه
تأثر كما لم يكن بدا عليه مثله من قبل قط، فتمثل، وقد استولى قائما
يذهب ويجيء في الغرفة بقول الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

وجعل يكرره .

وضعية الجيش الفرنسى على ورغة

كانت وضعية الجيوش الفرنسية وتحصيناتها على حدود ورغة على الوضع التالى :

ابتداء من سنة 1924 الى سنة 1925، أثار المرشال اليوطى انتباه دولته بالحاح، مشيرا الى أن الريف المنتصر على الجيوش الاسبانية فى ميادين القتال، لا يفتأ ان يجرب نفس الخطة ضد فرنسا فى المغرب، وان الهدف الاول الذى ستجرى فيه تلك العمليات، هو على ضفاف نهر ورغة، وبالاخص ان تلك القبائل حجت الى ابن عبد الكريم، الذى رأت فيه الزعيم الذى يخلص المغرب من الاجنبى وانه بسبب ذلك قاومت قبائل شمال ورغة تقدم الجيش الفرنسى، ورغم ان ابن عبد الكريم نصحهم بالاخماد الى السكون، فان ذلك يعتبر أمرا مؤقتا، لكسب الوقت، لتصفية الحساب مع اسبانيا .

وفى بحر سنة 1924 كان قرار اليوطى الخاص به هو استعمال القوة، لاحتلال قبائل شمال ورغة وبذلك طار فى أواخر ستمبر 1924 الى باريس، حيث ضخم قضية الريف، والخطر الذى ينتظر فرنسا فى المغرب، من انتصارات الريف على الاسبان، وطلب تزويده بالقوة الكافية لاجباط كل الاحتمالات .

ولما رجع (1) الى المغرب فى اكتوبر عن طريق البحر نزل بطنجة، وصرح هناك للصحفيين «بأنه عاد من باريس الى المغرب، فى وقت عصيب وان حالة الريف تقلقه، لان احتلال ابن عبد الكريم الحدود بين فرنسا واسبانيا تتجم عنه صعوبات شتى، وانه لذلك فان الحكومة الفرنسية أكدت له بباريس اذا رأى وجوب اتخاذ تدابير عسكرية لصون حدود المنطقة الفرنسية، تضع تحت تصرفه الجيوش اللازمة، وتمده بالدخيرة» .

وفى دجنبر 1924 أرسل تقريرا الى باريس يؤكد احتمال قيام الريف بالهجوم على الجيش الفرنسى .

(1) كتاب بطل الريف لمحرر جريدة المقطم بمصر .

وكان قد بدأ من يوم عودته من باريس بإنشاء المخافر على الحدود الامامية، وقد وصلت هذه المخافر الى 70 مخفرا، بينما أنشأ مخافر ورائية احتياطية، وبذلك يكون قد بدأ عملية الاصدام مع الريف، قبل أن يفكر فيه ابن عبد الكريم، وذلك ما أيده مراسل الجرنال في أواخر يونيه 1925، عندما جاء في تقارير القادة العسكريين، من أن الريفيين هم الذين فاجأوهم بالهجوم على المواقع الفرنسية، فكذب مراسل الجرنال قائلا «ان الفرنسيين هم الذين تحرشوا بإنشاء المخافر، ومد الطرق وبذلك فان الريف لم يفاجئهم، بل ردوا عادية الجيوش الفرنسية، وقاتلوا قتال الأبطال، واخترقوا تلك المخافر كلها بسرعة العمل، ودقة تنفيذ المخطط» (1) والواقع أن سبب تحرش الجيش الفرنسي كان مستوحى من أن فرنسا هي التي عقدت الحماية مع المغرب، وانها هي التي منحت اسبانيا الجزء الشمالى لاحتلاله، بعد الضغوط التي مارستها ضدها دول أوربية معنية بقضية المغرب كما سبق، ولذا فانها ترى ان اسبانيا اذا عجزت عن احتلال الريف، فان لفرنسا الحق في احتلاله، عوضا عنها، لأن قيام اقليم مستقل يحفز النعرة الوطنية في الاقاليم الاخرى، بل ان ذلك سيجعل مستعمراتها ومحمياتها في الشمال الافريقي كله في خطر انتشار نفس الاسلوب، حتى أن الكاتب الفرنسي الشيوعي المدعو (أندريه برتون) نشر في جريدة (الاومانيتيه) الفرنسية، مقالا قال فيه: «ان الفرنسيين في قرارة أنفسهم يحبذون أن يتغلب ابن عبد الكريم على الاسبان، ليجلبهم عن الشمال، وحينئذ يتذرع الجيش الفرنسي باحتلاله لما ذكر» .

وقد عمدت في بحر سنة 1924 الى اصطناع سبب للتقدم الى احتلال بنى زروال، وتذرعت بأن الدرقاوى عبد الرحمن الغمارى، وبعض رجال قبيلة بنى زروال، طلبوا من الجيش الفرنسي أن يحتل الزاوية الدرقاوية حماية لها .

رغم أن الجيش الفرنسي في شهر مارس 1924 كان في مفترق الطرق، أما الحرب مع الريف أو السلام، ولكن كل ذلك كان احتمالا فقط، وأما النوايا العسكرية الاستعمارية كانت تتجه وجهة القوة .

ويجدر لنا هنا للتدليل على ذلك ان نأتى على الكتاب المفتوح الذى أرسله السيد امحمد الخطابى الى جريدة (السياسة) المصرية والتي نشرته بتاريخ يوليوز 1925، وهو كتاب مفتوح الى أعضاء مجلس النواب الفرنسى جاء فيه :

«لنا الشرف أن نرفع خطابنا الى مجلس الامة الفرنسى المحترم، وننهي الى مسامع حضرات النواب ما نحن عليه من الاستياء العظيم، من جهة ما يروجه عنا دولة المرشال اليوطى، وحتى صحف باريس، من الاثاعات التى لا تدخل فى الحصر، تشويها لسمعتنا عندكم، وحطنا من كرامتنا» .

«ومما آلمنا كثيرا انكار بعض الرؤساء من بيدهم مقاليد الدولة ولديهم صبغة النفوذ بالبرلمان الفرنسى منكرين معرفتهم بنا، وتصفحهم لمكاتبتنا، مثل مسيو بانفولى رئيس الوزراء الحالى، كما سبق لنا الكلام مع مسيو بوكراه بالواسطة وأعربنا عما تنطوى عليه ضمائرنا من الود نحو فرنسا، التى كنا نظن أن تكون أول المساعدين على تأييد مطالبنا، والاعتراف بحقوقنا الطبيعية» :

«وكما أرسلنا الى المرشال اليوطى بالمكاتب، وخاطبناه بواسطة الرسل كل ذلك حرصا منا على الموافقة، أما هو فلم يكثر بذلك، ولم يقابلنا الا بما فيه الحط من شرفنا» .

«لقد أوفدنا مندوبنا فى السنة الفارطة (1924) الى فاس عندما تحققنا بان المرشال عازم على الزيارة الى قبائل ورغة وصنهاجة، استفهمناه عن ذلك الحادث الماس بشرفنا، أما المرشال فما أذخر وسعا فى تحريك القبائل ضدنا، من المجاورين لنا، وتحريضهم على الاعتداء علينا، كى يجد السبيل لينتقم عسكره هناك، ومع ذلك، فاننا ما خضنا هذه الحرب حتى وقع الاعتداء علينا باطلاق المدافع على محلاتنا، وقذف الطائرات لجنودنا، التى كنا وجهناها لتأديب قبيلة بنى زروال من الذين كانوا فى الحياد، حين اعتدوا وتمردوا علينا» .

«وعلى كل حال، فان كل ما يروج هنا من هذا القبيل، أو عن

وجود البلشيفيين بأرضنا غير صحيح، وانما نحن ندبر شؤون بلادنا بأنفسنا» .

تحريرا بالخط الجنوبي في 25 دى القعدة 1343 هـ .
وقبل هذا الكتاب المفتوح، كان أحد مراسلى جريدة (الجرنال) الفرنسية الذى كان يتجول فى الريف، واتصل بابن عبد الكريم بتاريخ 1925، أى قبل اندلاع الحرب فى 5 ابريل 1925 بين الريف وفرنسا، على ورغة، استفسره عما يشاع فى الاندية السياسية الاسبانية والفرنسية، القائلة بان الريفيين ينوون مهاجمة المنطقة الفرنسية (حسب تعبيرة)، عندما يفرغ من جلاء الاسبان، أجاب الامير كيف أهاجم فرنسا، وأنا ما فتئت أجاهر فى الاجتماعات العامة، وفى مجالسى الخاصة، بمساعدة فرنسا وعندما اصطدمت الجيوش الفرنسية مع قبائل ورغة، نصحت هذه بالركون الى السكون، ورفضت أن أشارك تلك القبائل، وبمثل ذلك صرح لمراسل جريدة (شيكاغو تريبيون)، من أن حركة الريف غير موجهة ضد فرنسا .

أما شقيقه السيد امحمد الخطابى، فانه أجاب مراسل جريدة «الماتان» بأنه لما كان فى باريس (أى فى سنة 1923) يفاوض الفرنسيين علم أن الجيوش الفرنسية تتأهب لاجتياز نهر ورغة، فطلب من الميسو (بومرشية) بواسطة احمد بالود — يظهر أنه جزائرى — أن ينصح حكومته بأن تلتزم الهدوء، فكان جواب الحكومة الفرنسية أن الامر من اختصاص المرشال اليوطى، كما صرح لنفس المراسل مستشار السيد امحمد الخطابى السيد الحاتمي، بأن فرنسا سلحت قبيلة بنى زروال، وأمرت رجالها بأن لا يتركوا رجال الريف يدخلون القبيلة، وفضلا عن ذلك فان الكمندان شاستينييه أبلغ الامير أنه يطلب أن لا يتوغل فى بلاد بنى زروال، ومن ذلك الوقت اضطر الامير للدفاع عن البلاد .

وقال «ان مما اختلقه المرشال اليوطى، من أن الريف عقد اتفاقا مع اسبانيا للتنازل لها عن مناجم الريف غير صحيح، وقال كيف تستساغ هذه الاشاعة، والحال أنه ليس بين الريف واسبانيا الا القتال» كما أشاع بأن الريف يقوم بحرب دينية لاجلاء المسيحيين عن بلاد الاسلام، وفى هذا الصدد أجاب الامير عن أسئلة مراسل جريدة (الجرنال) قائلا: بأن

هذه الاشاعة مصدرها الجنرال برمو دي ريفيرا وأركان حربه، تضليلا للرأى العام، ولكن الحقيقة ان حرب الريف حزب وطنية بحثة تريد الحرية للبلاد .

كما أجابه عن سؤال يتعلق بما اختلق ضده من أنه يريد الزحف على فاس، لاقامته هناك سلطانا قائلا: انى عاقل» .
وعلى كل حال، فان الاحداث التى كانت المنطقة تصطلى بنارها يمكن تلخيصها كما يلى:

1 — عدد الجيوش الفرنسية عام 1921 التى كانت وصلت الى 95000 فى المغرب، قد نقص منها الى 64 ألف فقط، منهم 20 ألف فرنسى والباقي مختلط اعتبارا على ان اسبانيا، تقوم بدورها فى الشمال على النمط الذى قامت به فرنسا فى الجنوب .

2 — فى عام 1924 كانت قبائل المنطقة تغلى غليانا، نظرا للتأثير الذى أحدثه انتصار الثورة على الاسبان فى الجبهة الغربية، فكانت القبائل تحج الى الريف، وذلك ما دعا الفرنسيين الى القلق المتزايد .

3 — وفى أواخر سنة 1924 عزم المرشال على خوض المعارك ضد الثورة، ومن ذلك التاريخ جعل يحشد قواته على الحدود ويحصنها بالمخافر التى وصلت الى 70 مخفرا أماميا، ومخافر ورائية، وتعبيد الطرق لايصال أركان حربه وجيوشه بالسرعة المطلوبة، وقد حصنها بالمدافع الثقيلة والخفيفة .

4 — فى سنة 1925 خلق مشكلة الدرقاوى عبد الرحمن الذى طلب من الجيش الفرنسى حماية زاويته .

5 — فى شهر مارس 1925 أرسل ابن عبد الكريم رسوله السيد حدو الاكلح يحمل كتابا مؤرخا 25 رمضان 1342 هـ الى الكمندان شاستات بفاس، طالبا فيه التريث وعدم التحرش بقبائل الحدود الذى رد ردا خائبا .

6 — فى فاتح ابريل تقدم ابن عبد الكريم بجيوشه الى قبائل بنى زروال وفى الخامس منه اندلعت الحرب وهرب الدرقاوى الى فاس .

7 — وفى هذه الاثناء، وبعد الانتصارات التى أحرزتها جيوش

الثورة، قام الجنرال شامبرون، بمساعدة الجنرال هوش بتحصينات على مدينة فاس، لأنها كانت في خطر .

8 - قسم الجنرال (شامبرون) قوته الى ثلاثة أقسام: قسم في كلاداي سلس، بقيادة الكورونيل كوني، وقسم في عين عائشة بقيادة الكورونيل «دوراند» وقسم في دار المذبوح بكزناية بقيادة الكورونيل «كامباي» .

9 - حاصر المجاهدون فرقة (كوني) الفرنسية في شمال (كلادي سلس)، وفي جهات ورغة ثلاثة أيام ولم تستخلص الا بعد معارك ضارية. 10 - وفي 23 ابريل 1925 قسم الجنرال - شامبرون - الدفاع بناء على شائعات الهجوم على فاس، وتازا، الى قسمين: قسم دعى قوة العملية الشرقية، بقيادة الكورونيل بوجو، وقسم دعى بقوة العمليات الغربية، بقيادة كامباي، الجميع تحت اشراف الجنرال (لولومبات) الذي عهد اليه بأن يواصل القتال ليل نهار لايصال الغذاء والذخيرة الى المخافر المحاصرة .

11 - وفي 3 ابريل تمكن المجاهدون من التسلل لاي عين عائشة، فأرسل الجيش الفرنسي امدادات تحت قيادة الكورونيل (فريد نبرغ) وفي 3 ماي تمكن من الوصول الى أعالي تاونات وارسال الاغاثة الى مخافر باب أوندارا، ومعطوف، وعين مديونة وغيرها، وذلك لمساعدة الطيران الذي يكون غطاء كثيفا .

12 - وفي هذا الاثناء اضطر الجيش الفرنسي أمام ضغط هجوم المجاهدين، للانسحاب عن جميع المراكز، ما عدا مركزى تاونات وتفران. 13 - في 25 ماي تسلم الجنرال دوجان قيادة الجبهة الشمالية بأسرها .

14 - وفي أول يوليوز 1925 كان المجاهدون في مركز يمكن لهم تهديد الجيش الفرنسي في المغرب بأسره، وبذلك اضطرب الرأي العام الفرنسي اضطرابا جعل قادة الجيش الفرنسي في المغرب في وضع حرج، اذ سلطت عليه الانتقادات المرة، لانه تحرش من حيث لم يكن ذلك ضروريا، حتى ان بعض الضباط فكروا في الانسحاب من المنطقة بأسرها، وقد كانت الحرب استمرت ثلاثة أشهر كاملة، لم يعرف فيها الجيش الفرنسي

انتصارا يحفظ ماء وجهه، وعلى رأسه الكرونيل كامباي الذي قال بالتخلي عن مدينة تازا، لان ابن عبد الكريم كان يعمل لاحتلالها لقطع المواصلات بين المغرب والجزائر، ثم احتلال فاس، ان لزم الامر .

15 - كانت القبائل الشمالية لتازا، وهى التسول والبرانس وكزناية قد انضمت الى الثورة .

في أواخر شهر يوليو، تسلم الجنرال (نولان) قيادة الجيش الفرنسي في جبهة الريف، وقد تمكن هذا من رد المجاهدين عن مدينة تازا، وفى غشت استرجع قبائل التسول والبرانس، الامر الذى جعل الجيش الفرنسي يتنفس الصعداء في هذه الجهة، وكانت الفرقة 19 بقيادة الجنرال (كامباي) هى المكلفة بالمحافظة على طريق تازة، الجزائر، وخاض معارك عديدة، ومع ذلك فانه لم يفت ذلك في موقف المجاهدين القوى والمتصلب .

16 - في أواخر غشت 1925 تعين الجنرال «بيطان» قائدا عاما للعمليات الحربية في الشمال، وكان يرأس قوة تزيد على مائة ألف، منها 30 ألف من المشاة، والباقي فرسان، ومدفعية .

17 - كانت هناك ثلاث خطط حربية لاسترداد المواقع التى ضاعت من يد الجيش الفرنسي احدهما للمرشال اليوطى تقوم على خطة الهجوم على بنى زروال، واسترجاع قبائل ورغة، باعتبار أن هذه القبائل هى التى جرت الجميع الى الاصطدام، وانها حيوية للريف، فاذا استرجعت فت في عضدهم، وثانيهما للجنرال «بيطان» وهى الهجوم على المناطق الواقعة شمال كيفان للاتصال بالجيش الاسباني القادم من مليية، وذلك لابعاد خطر قطع طرق الاتصال بين فاس والجزائر، مع توجيه هجوم عام بالقوة التى تتوفر على جميع الجهات، لشغل المجاهدين هناك .

أما الخطة الثالثة فكانت تقوم بعدم القيام بحرب نظامية، بل يقوم الجيش بحرب العصابات والاستنزاف، ثم الهجوم بعد ذلك، حينما يكون المجاهدون قد أصيبوا بوهن، وهذه الخطة لم يعلم مصدرها .

18 - وأخيرا نفذت خطة الجنرال بيتان والجنرال نولان، فوقع الهجوم على كيفان، وحوالى تاوانات وتافران .

19 - واثار ذلك تمكن الجيش الفرنسي من احتلال كيفان وجبل مسعود، وجبل الناضور بكزناية واتصل بالقوة الاسبانية .

أما خسائر الجيش الفرنسي في الارواح في هذه الجهة حسب التقارير الفرنسية نفسها، التي لا يمكن تصديقها بحذافرها، فهي كما يأتي: 5723 جنديا منهم 1007 قتيلا و 3711 جريحا، و 1007 مفقودا (أى فى الأسر) .

وضعية المجاهدين فى الجبهة

أما وضعية العمليات الحربية التى قام بها المجاهدون من أول القرار بخوض المعركة مع الجيش الفرنسى، الذى لم يقل لهم عشرة، فانها سارت على المنوال التالى :

قرارات أركان الحرب :

انعقد هذا المجلس برئاسة امحمد الخطابى بتركيست فأصدر القرارات التالية :

أولا : الكف عن الاتصال مع الفرنسيين فى شأن المفاوضات التى تتعلق بالحدود وقبائلها .

ثانيا : اعتبار الريف فى حالة حرب مع فرنسا .

ثالثا : اعتبار فرنسا هى التى اشهرت الحرب ضد الريف، حيث تعنتت فاحتلت مناطق تعتبر ريفية .

رابعا : ولأجل رد الامور الى نصابها يجب تجريد حملتين اثنتين، احدهما من الجيش النظامى يقوم بحملة عن طريق كتامة، والاخرى من مقاتلى القبائل التى يجب استنفارها جميعا، للهجوم على المراكز الفرنسية، التى على الضفة الشمالية لنهر ورغة، وجميع المراكز على الحدود التى تعدى الجيش الفرنسى عليها واحتلها .

خامسا : ولأجل حشد القبائل فى هذا التاريخ الذى هو فاتح مارس سنة 1925، يجب اعلام قواد القبائل بالامر، لاخذ الاحتياطات وتجهيز المحاربين الشجعان، على أن يحافظوا على سرية العمليات ما أمكن، وأن يقودوا الحملة التى يجب أن تكون على الخطوط الامامية للعدو، فى أوائل ابريل 1925 .

سادسا : توضع لائحة القواد مع القبائل على الشكل التالى :

(أ) - قائد الجبهة الغربية الجنوبية السيد عبد السلام بن الحاج محمد البوعياشي، الذي كان مركزه العام بشفشاون، ينتقل الى جهة وزان، وينزل في غزاوة، ليهاجم مركز فراحه .

(ب) - قائد غمارة السيد محمد محراث، وهو من قبيلة بنى سلمان يستنفر مقاتلة قبائل غمارة، لتعسكر في نواحي غفساي، أمام خط العدو .

(ج) - قائد بنى سعيد الجبلية السيد محمد القرفة البقالي، يستنفر مقاتلة تلك القبائل، ويذهب بهم الى نواحي البرانص، بقبائل تازا .

(د) - والقائد حمادي بن الحاج سعيد من بنى ورياغل يستنفر مقاتلة المرابطين ليعسكر في نواحي صنهاجة ازاء قبيلة مرنيسة .

(هـ) - قائد قبائل تركيست السيد محمد السليطان، ليعسكر بمقاتلة قبائله على نواحي مزيات .

(و) - القائد صديق بن موح بن صديق قائد قبيلة بنى حذيفة من بنى ورياغل ليصحب معه القائد علوش ابن شدى من بنى ورياغل، ليعسكر بمقاتلهم بنواحي كزناية .

(ز) - القائد السيد محمد كويس قائد قبيلتي كتامة وبنى سدات ليعسكر على نواحي تاونات .

وسابعا : ان يوم الهجوم هو يوم 5 ابريل 1925 ليلا ويبتدىء الهجوم دفعة واحدة في جميع المراكز من وزان الى تازا .

ثامنا : يرسل الى القائد ولد على بن عبد السلام من قبيلة بنى ورياكل (بالكاف المعقورة) تقع على الضفة الشمالية لوادي ورغة، وهى غير قبيلة بنى ورياغل بالغين - ليحاط علما بكل التدابير، على أن يعد مقاتلته الذين هم فى ولاء مع الثورة ليكون فى مقدمة الهجوم، على أن يحفظ ما أمكن تنظيم تموين المجاهدين بما يتيسر من خبز وادام .

تاسعا : ان القائد العام السيد امحمد الخطابي هو الذى يرأس بنفسه هذه الحملة ويسافر حيناً من تركيست، ويضع القيادة العامة حيث تيسر له، ويكون مصحوبا بالمجلس الحربى، على أن تسير معهم كوكبة من مائة جندي وحارس، الذين كانوا يدعون بالحفاظ .

عاشرا : تقرر أن يكون يوم الجمعة 5 مارس بعد صلاة الظهر

يوم الرحيل عن تركيشت، وان يذهب الجميع الى زاوية سيدى محمد الخمليشى، لطلب الدعاء منه بالانتصار على الاعداء، وان تسبق كوكبة من انحراس وهم خمسون لاعلامه بمجيئهم، وفعلا تحرك مجلس اركان الحرب مصحوبا بخمسين نفرا من الحفاظ، وقصدوا الزاوية المذكورة، وكان من عادة هذا الشريف، أنه لا يخرج الى الزوار، وانما تكون ملاقاته من نافذة بيت العبادة، وكانت لزاويته حرمة يقصدها سكان تلك القبائل، للتبرك بالسيد الوقور شيبه الحمد، وكانت دعواته مستجابة نظرا لحسن عقيدته التى مبناهها السنة النبوية وفضلا عن ذلك، فقد كان له ارتباط متين بالدولة العلوية، وكانت تصله أوامر كتابية من طرف الملوك العلويين، وقد وصل الامير الى الزاوية واستعمل نفس العادة معه اذ دعى للمجاهدين بالنصر وللاعداء بالهزيمة .

خادى عشر : كما تقرر أن تتبعهم فرقة الخطوط التليفونية التى يجب عليها ان تمتد الاسلاك التليفونية الصاقا بالاشجار أو محطوة على الارض، وعلى كل، فانه يجب أن يطل التليفون الى حيث تصل القيادة العامة. وعلى الساعة الرابعة مساء تحرك الجميع، وكانت القبائل التى يمرون عليها تتقاطر، وحوالى 12 ليلا وصلوا الى قبيلة بنى احمد بوشيث، وهناك نزلوا واستراحوا الى الصباح، حيث استأنفوا السير الى أن وصلوا الى مركز تبرانت .

وهناك تقاطرت جميع قبائل صنهاجة الشمالية، وتغزوت، بالاعلام، والاجواق المحلية (الغيطة) وانضم الجميع الى مسيرة ضخمة، يعلوها خشوع وحماس وولاوليل النساء، وكان الموقف رهيبا حقا .

ولم يسع القائد الا أن يقف وسط تلك الجموع فى وسط الادغال، والخنادق الطبيعية، والجبال الشاهقة، فحيى الحاضرين تحية سلام وأخوة، ودعى المنادى الذى كان يسير مع القافلة، وهو الاشيب البركة المدعو المقدم البراح، وهو من بنى وليشك، ويسكن فى بنى بوغياش، وكان عمره أكثر من مائة سنة عايش أحداث المغرب الاخيرة، لجمع القوم، وقرأ عليهم السيد امحمد صيغة النداء الذى كان على التالى :

«أيها المجاهدون ، يا أبناء الريف وأمازيغ» .
«أدعوكم للجهاد فى سبيل الله، فانها فرصة العمر، فالموت أمر

محتوم على كل بشر، فطوبى لمن مات في الجهاد، أولئك الذين ترتفع روحهم الى أعلى عليين» .

«وانى أدعو الله، وامنوا على دعائى، لعل الله يستجيب، اللهم اننا قصدنا الجهاد فى سبيلك فحسن أحوالنا، وقو إيماننا، وثبتنا عند اللقاء فأنت نعم المولى ونعم النصير، اللهم أنك تعلم أننا لم نخرج لغير الجهاد فى سبيل الله، فاجعل لنا مخرجاً، ولا تكلنا الى أنفسنا، اللهم أرزقنا الشهادة التى اليها نسعى» .

أيها المجاهدون :

«اننا خرجنا فى حملة لرد كيد الاعداء: أعداء الاسلام، الذين أهانوا المسلمين فى عقير ديارهم، من دون انسانية، ولا عهد، فلا تهنوا، ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مومنين» .

«ان عملنا هذا شريف نظيف، يجب أن يبقى كذلك الى أن نهزم العدو، أو نلقى الله، وسيكون الفتح لنا، فلا تفتحوا لانفسكم مسالك شهواتها» .

واعلموا ان الله حرم عليكم أعراض وأموال الناس، والفساد فى الارض .

«ونحن قادمون على خوض المعارك مع العدو فى أرض اخوانكم المسلمين فلا تتعرضوا لمالههم ولا لأعراضهم، ولا للبعث بأى شئ محرم، عليكم، فكل شئ يجب أن يكون مصوناً ما عدا العدو فى معترك القتال» .

«وانه سيسقط فى أيدينا أسرى من الاعداء، فلا تقتلوههم، ولا تعذبوهم، وأوصلوهم الى المراكز القريبة منكم، وهى التى تتكلف بشؤونهم، ولا تجهزوا على الجرحى، وكل من فعل شيئاً مما نهى عنه، فانه يقتص منه قصاصاً شرعياً فى الحال، ان السلاح الذى تغنمونه من العدو يجب الاعلام به حيناً للقيادة العليا، فان شاءت تركته لكم، وان شاءت عوضت عليه بالdraهم، وإياكم وافساد الغنائم كيفما كانت صغيرة أو كبيرة، فنحن مفتقرون الى المعدات، كيما كان نوعها، فكل من غنم شيئاً، فله قيمته نقداً حالاً» .

«أيها المجاهدون ، اعقدوا النية على الجهاد، فانما الاعمال بالنيات، لا يكون عملكم الا لوجه الله فاقصدوا على بركة الله» .
ثم أمر بالتحرك، وهناك قامت قيامة القوم بالبكاء والنحيب والولاول والتكبير والتحميد .

معسكر بنى برابر :

تقع قرية بنى برابر (ينطق بها الاهالى بسكون الباء الاولى وفتح الثانية بغير تفخيم) فى قبيلة متيوة الوطاء، وهى من قبائل صنهاجة الشمالية، وهى غير متيوة الريف، التى تقع بقبائل الجبهة .
كانت محكومة من طرف قائد يدعى عبد السلام أنكاي، وهو من عملاء الجيش الفرنسى، وعندما علم بحملة المجاهدين، هرب الى فاس، محتفيا بالجيش المذكور، وقد جعل السيد امحمد الخطابى داره مقرا للقيادة العامة .

وتتمتع القرية بالماء العذب والاشجار المثمرة، ونقط حربية مهمة، مما كانت مؤهلة لان تكون مركزا للعمليات الحربية، وفعلًا فانها بقيت مركزا الى النهاية، وفى نقطتها وصلت الخطوط التليفونية كما كانت مخزنا للسلاح، والعتاد الحربى، ومحطة لتموين المجاهدين وتجمعاً لاسرى الحرب من الجيوش الفرنسية .

المعارك الاولى على غربى بنى زروال

على الساعة الثامنة صباحا من يوم 5 ابريل 1915، ابتدأت الاشارة من طرف امحمد الخطابى للهجوم العام على المراكز الامامية التى كانت فى مجموعها أكثر من 70 مركزا، وكان رد فعل الجيش الفرنسى بامطار المجاهدين، قنابل الطائرات التى جعل ازيزها يرن مختلطا مع لعلعة الرصاص، ودوى المدافع، وكان الجو مكفها حقا، فمن وزان غربا الى تافوغالت شرقا، كانت الحالة غير عادية، بل كانت أشبه ما تكون بقيامة قامت، ولكن ليس على السكان، وانما على الجيش الدخيل، وقد ساعد على توسيع هذه البلوى التى أصابته، ان مراكز

قطعت عليها الماء والمؤونة، إلا ما تمطره الطائرات التي قل ما تهتدى الى اصابة الهدف ، والا فأغلبها يطيش الى أيدي المجاهدين .
وكما أسلفنا، فإن من جملة قرارات مجلس أركان الحرب، أن الجيش النظامي الريفى، يقوم بدوره فى المعركة، بعدما انهى مهمته فى الجبهة الغربية، التي وصلت الى تلك النتيجة المشرفة .
وهكذا، لما استدعى الزعيم ابن عبد الكريم أخاه السيد امحمد من هذه الجبهة الى الريف، ليقوم بمهمة أخرى، وقد تكون أشق من مهمته فى الجبهة الغربية، لما عرف منه من حسن الطلعة وعدم انكسار راية الجهاد له، فجاء معه الجيش النظامى الذى قوامه 700 جنديا، يقوده ضابطان برتبة قائد الطابور، احدهما شعيب أفلاح، وثانيهما محمد بن عمر الجوع، كلاهما من بنى ورياغل، كما صحبه أيضا جمهور من زعماء قبائل جباله وغمارة .

شعيب أفلاح يروى تسلسل الاحداث (1) .

بعد وصول الجميع الى الريف، حيث مكثوا مدة 15 يوما فقط، وكان القائد المدعو عبد الكريم البحر من أجدير معسكرا على ضفاف ورغة، قبل أن ينشب أى خصام مع الجيش الفرنسى، بجيش قوامه 50 جنديا نظاميا، وكانت مهمته الأصلية هى اشعار قبائل ورغة بالوجود النورى، بين ظهرانهم، وان يكون صلة الوصل بين الزعيم ابن عبد الكريم وزعماء تلك القبائل، وكانت الحالة عادية لوقت غير قصير، وعندما بدا للجيش الفرنسى أن يتحرش بالثورة، فانه هيا هجوما مباغتة على قوة القائد عبد الكريم البحر، والقى القبض على تلك القوة من دون قتال، فلم يحتفظ بهم كأسرى، بل طردهم الى الريف، ولم يمس ولا واحدا منهم بسوء .

واثر ذلك فان امحمد الخطابى التحق بترجيست، بمجلسه الحربى، ثم أصدر أمره من هناك لتوجه القوة النظامية من أجدير الى ترجيست، وكان قوامها 900 جنديا أى ثلاثة طوابير، على الطابور الاول

(1) شاهد عيان .

القائد محمد بن عمر الجوع، وعلى الثانى شعيب أفلاح، وعلى الثالث
القائد بوحوت من قلعية، والجميع تحت امرة السيد الهادى بن عزوز،
من بنى ورياغل، كرئيس للحملة، يساعده السيدان عبد السلام ومحمد
أبناء السيد احمد المقدم التسمانى، وهما مجاهدان معروفان ابليسا
بلاء حسنا، وقطع الجيش فى مسيرته من أجدير المرحلة الاولى الى آيت
قمرة، حيث استعرضه الزعيم ابن عبد الكريم، وبمعيته عمه السيد
عبد السلام الخطابى، وبعد الاستعراض توجه الى قواد الجيش بالامر
اليومى جاء فيه :

«انكم تتوجهون الى قبائل ورغة وعلى رأسها قبيلة بنى زروال،
وهى قبائل يسكنها اخوانكم فان هم أطاعوا فلهم مالكم، وان أحدث
أحد من جنودكم فيهم ما يكرهونه شرعا، فانه يتعرض للعقاب الملائم،
وعلى رؤساء الجيش أن يتحملوا مسؤولياتهم، ازاء اخوان لهم، يحاول
العدو أن يكبت فيهم صوت الثورة، وان هم نكبوا عن الاستماع الى نداء
الثورة، فاختاروا العدو ملاذا لهم، فانهم لا يلومون الا أنفسهم، أما
الجيش الفرنسى الذى استخف بنداءاتنا للسلام، فانى أنتظر من جنود
الثورة ما انتظرته من معارك الجبهة الغربية، حيث شرفتم سمعة الثورة
الخالدة، فسيروا على بركة الله، والنصر حليفنا» .

وهكذا انفصل الجيش حيث وصلوا الى تركيست، فدخل القواد
على امحمد الخطابى، وأعلمهم بأن مهمتهم تكون شاقة، ومع ذلك فانه
ينتظر منهم أن يكونوا فى مستوى ما تعلقه الثورة عليهم، من أهمية،
كما أعلمهم بأن مجلس اركان الحرب، قرر أن يتجه الجيش عن طريق
كتامة، حيث يجد هناك مقاتلى القبائل تشد أزره، حسب الترتيب المقرر
فى اللائحة العامة .

وبعد دراسة النقط الهامة، التى يجب مباغتتها بكل سرعة،
وكيفية الكر والفر، فى فنون الحرب الثورية، التى يجب أن لا تجابه
العدو، فى مقابلة مضنية، بل يصطاد المباغطات واستغلال الفرص المناسبة،
على أن لا يزوج بالجنود فى مهالك دون عائدة النصر .

وكما أعلمهم، بأنه يتوجب عليهم أن يتصلوا به فى الشاذة والفاذة
فى المعسكر الذى سيجعله مقرا هاما فى «بنى برابر» بحيث يصل اليه

خبر المعارك، وتحركات القبائل المستنفرة كتحركات العدو، والقبائل المنضوية اليه .

واثر ذلك انفصل الجيش عن ترجيست، مرتحلا، حيث قطع مراحل ثلاثة احداها الى تيزي ياشين بقبيلة بنى سدات وثانيهما الى ثلاثاء كتامة، ثم حطوا، الرحال قبل (تركارت) على حدود بنى زروال ، وها جاء اليهم بعض رؤساء بنى زروال، ومنهم عالم يدعى السيد امحمد من دشرة (تركارت)، والشيخ الحسن، والقائد السى امحمد من دشرة «ودكة»، وجلبوا معهم 24 صبيا، قدموهم للجيش الريفى كرهائن، للدلالة على حسن نيتهم فى الانضمام الى الثورة، ولاطمئنان الجيش، ودعوهم للدخول الى صميم قبيلة بنى زروال، وعندما تفاوض قواد الحملة قرروا أن يردوا الصبيان الى ذويهم، قائلين للزعماء الزرواليين، ان الرابطة الاسلامية بين المسلمين كافية كضمانة، ولا تحتاج الى تأكيدها برهن الاولاد الذين تركوا وراءهم أمهاتهم فى فجع .

وهكذا كانت تلك اللقاءات الاولى فاتحة نصر، فقد ضمن هؤلاء الزعماء لقادة الجيش أن يؤازروه وأن يفتحوا له الطريق على صميم القبيلة، وان لم تنضم القبيلة كلها، فان الحملة أحرزت على مزلاج لفتح الباب على مصراعيه، فى قبيلة كانت الثورة تتوجس منها خيفة، وعرفت من رجالها كل مسالك القبيلة وموقع العدو، وحياته اليومية، وفى غده تحركت بعده الى دشرة «المشرع» ثم الى دشرة «الميزاب» .

واذا كانت هذه الايام أيام رمضان، فقد وصلت الى هذه الاخيرة يوم 26 رمضان عام 1343، حيث تقتضى المراسيم الدينية أن يحيوا (ليلة 27) التى هى ليلة القدر المباركة .

وهنا اصطدمت الحملة بمشكلة عقائدية من جهة، ويقظة حربية من جهة أخرى، لانه من أول وهلة، يخطر على بال أى واحد يكون فى موضع الجيش، ان تحدث له أزمة ضمير، التى تجعله فى حيرة بين أن يهرع الى احياء الليلة المباركة، التى هى خير من ألف شهر، ويطلب من الله أن يمدده بالنصر على العدو، وهى أفضل وقت لاستجابة الدعاء، والحال هذه أنه بين ظهران المسلمين الذين أيدوا كل تأييد، وقد تقاطر السكان من القرى المجاورة بل وغير المجاورة، للاقاء الحملة الاسلامية

التي جاء لانقاذهم من هيمنة جيش العدو، وعملائه، ففي هذه الحالة، اذا أخذت حذرهما تكون قد تفسر عند الاهالي بعدم الثقة بهم، وان استعملوا الحيلة، وبالخصوص أنهم في بلد يحتل العدو جزء منها، وقد أقام هناك حامياته التي يمكن ان تباغت المجاهدين، حينما يكونون في صلاة التراويح .

وعلى كل، فان المشكل ولو أنه معقد أدبيا، فان الحل هو افهام الاهالي بضرورة ترك الجيش يحرس التجمع الديني، على القمم المطلّة، على أن يحيوا التراويح منفردين حسب طاقة كل واحد منهم، وفعلا مرت المراسيم على أحسن وجه، وجلب أهالي الدشرة المأكّل والمشرب بكل سخاء، واختلطوا بانفسار الجيش الذين برهنوا لهم عن الاخوة الاسلامية والعاطفة الدينية التي تربط المسلمين اينما كانوا، فاطمأنوا الى الحملة بقلوبهم وقال بهم، وأصبح الاهالي أشد حماسا لاجلاء العدو .

ويوم 29 رمضان توجهت الحملة معززة بالاهالي الى قرية غفسي، وكان العدو أقام حاميتين على قمة تدعى «باب شراقة»، وقد نزلت الحملة في موضع يدعى «المرج» وكان آخر يوم من رمضان وفي غده صلى الجيش والمجاهدون من الاهالي صلاة عيد الفطر، في ذلك الموضع، وكان اليوم يوما مشهودا، فقد هرع أغلب سكان بنى زروال، وبعد صلاة العيد التمس الاهالي أن يضافحوا الجنود واحدا واحدا، وهنا حدثت مشكلة أخرى أعوص من الاولى، فقد تكون هناك خطة مدبرة من العدو، ومن يدري؟، ففي هذه المواقف تنقع الكوارث، ولكن قيادة الجيش أخذت احتياطا ايضا، اذ امرت مناديا يكنى «المقدم البراح» أصله من قبيلة قلعية، كان يسكن في بنى ورياغل بقرية بنى حذيفة، وله صوت جهوري، وهو محترف للنداء، في الاسواق ويؤذن فيها للصلاة، بأن ينادي في الجموع بأن يصطف الاهالي صفا واحدا، ويمر الجيش أمامه في استعراض نظامي، وهو أصدق تحية يقدمها الجيش للاهالي، الذين فتحوا له قلوبهم فانشرح الناس وفرحوا، وقد زادوا وثوقا في مقدرته، ومقدرة قيادية، وقد مر اليوم في تعرف الاهالي على قيادة الجيش، بينما يستعلم هؤلاء من زعمائهم الطرق التي يجب أن يسلكوها ازاء العدو، وكان العدو في القسّلتين على باب «شراقة» ببنى زروال يراقب تحركات

المجاهدين، وفي آخر النهار صوب مدافعه صوبهم، فأطلق القذائف التي لم تصب الا حمارا واحدا، وقد عده الاهالى فالا حسنا، يبشر بخذلان العدو، واثّر ذلك هجم المجاهدون عليها، فاستسلمت بعد اصابة قائدها الملازم «مولان» بجراح بليغة اثر انفجار قنبلة رماها المجاهدون عليه، وتوفى بعد متأثرا بها .

وفى هذا الوقت كان الامير ابن عبد الكريم قد انتقل الى تركيستان، حيث جعلها مقرا لتسيير العمليات الحربية مباشرة، وكانت الخطوط التليفونية وصلت من كتامة الى غفساي، تتبع الحملة بسرعة تنقلها، فاتصل قائد الحملة هناك السيد عبد الهادي بن عزوز بالامير واعلمه بالتحركات التي قام بها، ووضعية قبيلة بنى زروال منه، وموقع العدو الذي بدأ يرميهم بقنابل المدافع، وماهم مقدمون عليه، فأذن لهم الامير بالالتحام معه في كل جهة ومكان .

المعارك : من مايو سنة 1925 الى شتبر من نفس السنة :

قسمت قوة الجيش الى فوجين : احدهما تحت رئاسة قائد الطابور الاول السيد عمر الجوع، والثاني تحت قيادة قائد الطابور الثاني السيد شعيب أفلاح، ومع كل فوج متطوعو المجاهدين ممن كان أتى بهم القائد السيد محمد محراش من قبيلة بنى سلمان، وكذلك متطوعو قبيلة بنى زروال، ومن سار مع الحملة في الطريق .

فتقدمت قوة القائد عمر الجوع الى جهة المشرق، قاصدة بنى امحمد، بقبيلة الجاية، فحاصروا ادارة مراقبة القبيلة، ولم تمكث أن استسلمت حاميتها للمجاهدين، واسر من فيها من مرتزقة المغاربة، وفي غده توجهوا الى حامية بنى احمد، فهجموا عليها، واستسلمت بعد قتال عنيف وأسر من بقى حيا من الجنود، وغنموا منها مدفعين اثنين .

حامية أزبار مشيط :

أما قوة شعيب أفلاح، فانها توجهت الى جهة الغرب على نهر ورغة، وحلت بدشرة تدعى «أزبار مشيط» بين قبيلة الجاية وبيى زروال،

غأحاطوا بقشلة «عين معسوب» هناك، ليلا متسترين وراء الاعشاب والاحجار، حتى اذا أصبح الصباح استيقضت الحامية، ولم تشعر بوجود الخطر المحدق بها، وكالعادة فان قبطان الحامية ويدعى «لويس بيرجير» خرج، وسدد منظره المقرب الى بعيد ينظر، وقد ظن أن الحالة عادية ولما لم ير أحدا، فانه نادى في أحد جوار الحامية من الاهالى، يدعى ابا أحمد، قائلا هل معكم أحد من الريفيين، فأجابه ابا أحمد، بالنفى، معنيا عليه، فلما ولى ظهره جهة المجاهدين، سدد أحدهم بندقيته اليه، فلم تخطئه وأردته قتيلا، وكان ذلك ايزانا للمجاهدين بالانقراض على الحامية، فلم يعن دفاع الجنود لما رأوا قائدهم صريعا استسلمت الحامية بعد قتل 18 جنديا سنغاليا، واسر من بقى حيا منهم، وغنم مدفعان، أحدهما مدفع الميدان، كما غنموا أربع رشاشات وما فيها من البنادق (نوع التساعية والرباعية) وهكذا تقوت عزائم المجاهدين، فلم يبق لاحد ريب فى النصر ونفخ فيهم روح الحماس وارتفعت معنوية الجميع، بما فيهم سكان قبائل الجاية وبنى زروال وغيرهم.

حامية توماط :

وكانت هناك حامية على ربوة تدعى «توماط» وقد تحصنت هذه القشلة خلف المدافع التى تلقى منها حمما تحميها حاميات أخرى، على ذرى تنهض فى قلب حقول صخرية وغابوية ترتفع بحوالى ألفى قدم فوق مستوى البحر، وتحميها منحدرات صعبة التسلق، وكانت تعتبر موقعا رئيسيا، ومركزا للاستعلامات، على ضفاف نهر ورغة، لانها تكون صلة التوصل بين المواقع المنتشرة هنا وهناك، غير متباعدة بعضها عن بعض، الا بمقدار ما بين عشرة أميال وعشرين، ولذا فان الجيش الفرنسى زودها بمكتب للاستعلامات، وبحامية من قوة الجنود السنغاليين، كما حصنت بسور من كل جهاتها، وفى داخلها بنيت مساكن جيدة للضباط والجنود، وكان يسامت هذا التل كتلة جبل تزروط، تكسوها صخور عاتية، مرتفعة فوق سطح البحر بنحو سبعة آلاف قدم، يجلل الثلج رؤوسها أيام الشتاء، وكان يمر خلف هذه المراكز المنتشرة على نهر ورغة من يمين ويسار «توماط» خط احتياطى من مراكز ثانوية، وهناك طريق تربط هذه المراكز

بعضها مع بعض، ومن هذه التلال يمكن رؤية الثلوج على جبال الاطلس جنوبى تازة .

معركة عين معطوف :

وعندما احتل المجاهدون قشلة توماطا، شعر العدو، بأنه لم يبق أمامه الا الالتحام مع مركز «عين معطوف» ويقع هذا المركز فى قبيلة الحياينة، شمالى عين عائشة بنحو 14 كلم، فجعل يقذفهم من مدافعه، فقتل خمسة من المجاهدين اذ هدم عليهم البيت الذى احتموا به، وقد تقوت عزائم المجاهدون للهجوم على المركز، فتسلقوا ليلا تلك المنحدرات الصخرية التى كونت تضاريس طبيعية للاحتماء خلفها فأحاطوا بالمركز احاطة السوار بالمعصم، واحتضن كل واحد بندقيته للساعة الرهيبة الى أن بزغ الفجر فاندفعوا الى الامام مستعملين القنابل اليدوية، متخطين السور والاسلاك، فاختلف حابل الحامية بنابلها، ولم يعذرهم أحد من المجاهدين، فسقطت الحامية بما فيها، وأسر ستون جنديا سنغاليا وأوربيان بعدما دمروا الاعتدة الحربية .

ساقهم المجاهدون أمامهم الى مركز العمليات الحربية بغفساى، وغنموا مدفعا واحدا، بقى صالحا للاستعمال، ومدفع الميدان، وكل البنادق التى كانت فى القلعة .

حامية باب شراقة :

ثم أنهم عندما توجهوا الى غفساى، وجدوا فى الطريق أن العدو استرد قلعة باب شراقة، وحشر هناك قوة ضخمة، معززة بمدافع الهون، وكان هناك بعض المجاهدين يناوشونه القتال، وقد سقط المركز مرارا ثم استرد، الى أن قتل الملازم ميلانو، فانضم شعيب افلاح بقوته الى المجاهدين، واستمر حصارها وحصر مخفر «تالجسا» الى يوم 17 ابريل 1925، حيث أمر قائدها الكبطان «أنجلو» باخلاؤها والانسحاب منها خلال الليل، الى المركز الرئيسى وراءها، وكان على الحامية أن تقطع نهرا يفصل بينهم وبين المراكز الورائية، وكانت مياهه ارتفعت بالامطار التى غزرت أيام الشتاء، فلما انسحبت الحامية، أسر المجاهدون الملازم

«فالليس» وأربعة عشر جنديا آخرين، وقطع بعضهم الوادي، وبينهم الملازم الثانى «البرت» سباحة، وفى هذا الانسحاب أبيض أفراد الحامية التى كانت تقدر بنحو مائة جندي، ولم ينج منهم الى المركز الرئيسى الا ثمانية جنود فى حالة مزرية، وغنم المجاهدون مدفعين ثقيلين ومدفعين للميدان والمعدات التى كانت فى المركز .

مركز بيبان :

كان أهم المراكز على الضفة الشمالية لنهر ورغة الى كزناية ثلاثة وهى :

- 1 - بيبان ويقع هذا المركز فى قبيلة بنى ورياكل - بالكاف المعقودة - شمالى فاس البالى، بنحو 12 كلم وفوق بنى كيسان .
- 2 - تونات ويقع هذا المركز فى قبيلة مزيات، ويبعد عن قبيلة بنى زروال بنحو 25 كلم .

3 - كيفان، وكان يؤاز كلا منها مواقع صغيرة على ذرى هنا وهناك، وكان بيبان بالخصوص يعتبر الباب الذى يؤدى الى مدينة فاس وهو يقع فى سهل مرتفع يسيطر على الوادى الذى ينحدر من الشمال الى ورغة، كما يسيطر على الممر الذى يقطع نهر ورغة الى فاس، وقد دار القتال عنيفا لاحتلاله من طرف المجاهدين، بينما العدو استعمل كل طاقته للدفاع عنه، وسقط الضباط الكبار، وهم كمندان وقبطانان، قتلى وبقي الكبطان «بيرتر كامبو» يقود الدفاع عنه، وتكرر سقوطه بيد المجاهدين، واسترجاع العدو له مرارا، وكانت قوته تتألف من 700 جندي، وقوة المجاهدين كانت تتألف من المتطوعين الذين يقودهم القائد محمد محراش، من قبيلة بنى سلمان الغمارية .

وهكذا استمر حبل القتال يتجاذب بين مد وجزر، من المتحاربين، فكان يسقط بيد المجاهدين ثم يسترجعه العدو مرات، وقد أطلق ذلك بال ابن عبد الكريم بتركيست، فتكلم هاتفيا مع القائد الهادى ابن عزوز رئيس حملة غفساى، وقد أمره بأن يوجه القوة النظامية بقيادة شعيب افلاح، وأمره بأن ينهى احتلال بيبان، بكل ما أمكن من التضحيات، وضرب له موعد مدة ثلاثة أيام، تنتهى يوم الجمعة رابع يونيه، فتوجه على رأس

237 مقاتلا من الجيش النظامي، وانضم اليهم 400 من المتطوعين وأول ما نزلوا كان بقرية «تزرين»، وكان هناك القائد اليزيد بن صالح، من قبيلة بنى رزين الغمارية، ونزل العسكر في مسجد القرية، كما كان هناك القائد ولد على عبدالسلام، وجماعة من زعماء قبائل ورغة، وعددهم 26 زعيما، فاستدعوا اليزيد بن صالح، وشعيب أفلاح، للتشاور على التدابير التي يجب اتخاذها للاستيلاء على حصن ببيان، وذلك بصفتهم أهالي تلك الجهات، يعرفون دروبها ونقط الضعف والقوة في العدو، فانتقلا اليهم، ودرسوا المخطط الحربي الذي يسيرون عليه، لمحاصرة الحصن، فانفقوا على أن يشن المجاهدون الأرياف طليعة الهجوم، يعززهم المتطوعون من القبائل وقوة القائد المحرّش، وأن يحيطوا الحصن ليلا من جميع الجهات، ولا يتركوا للعدو راحة ولو استعمل ما استعمل من وسائل الدمار، وعند بزوغ فجر الجمعة، يقوم المجاهدون بالهجوم الكاسح على الحصن بالقاء القنابل اليدوية على جميع الجهات دفعة واحدة، ثم يندفع المقاتلون وراء ذلك مباشرة، حتى يرتبك العدو، ولا يدرى من أين أوتى ولا تستطيع الطائرات أن تفتك بهم، لالتحامهم المتلاصق بالحامية.

وهكذا استولى المجاهدون على الحصن وقتلوا وأسروا جميع من فيه، وغنموا أربعة من المدافع الثقيلة من نوع «بو الخناشي»، وهو أقوى مدفع، كما غنموا مدفعين من مدافع الميدان وأربع رشاشات ذات الخزان الحامل لـ 170 خرطوشا، وأربع عشرة رشاشات (مطيادورا) مع جميع البنادق والذخيرة. واستشهد من المجاهدين أربعة من الجيش النظامي، وقائد يدعى جيلالي بن حمادي بن علي بن عيسى من بنى عبد الله وأصله من آل يوسف وعلي، وجرح وقتل 50 مجاهدا من المتطوعين، وذلك بما صبه بعد إبادته من قنابل المدافع من موقع فاس البالي، على الحصن، حيث انشغل المجاهدون فيه بجمع الأسلاب.

وبعد الانتصارات أرسل شعيب أفلاح رسالة إلى القائد الهادي بن عزوز بغفساي معلنا إياه بالانتصار، وطير هذا الإعلام فورا إلى الأمير ابن عبد الكريم بترجيست، وقرأ عليه هاتفيا نص الرسالة، فأمره بأن يدفع لشعيب أفلاح مبلغ 200 ريالا، مكافأة له على الأقدام بقوته، أرسلها ابن عبد الكريم مع السيد علي بن فطومة من أجدير، إلى أن

سلمها بيده بغفساي، مشفوعة برسالة جاء فيها: «هذا هو الخن فيكم، جزاكم الله أحسن الجزاء، بما فعتلم من الشجاعة لاحتلال قسلة ببيان المنفعة، ونحن قد تأسفنا على اخواننا الذين استشهدوا رحمة الله عليهم».

مشارك شرقى بنى زروال :

ولاول وهلة من ابتداء المعارك، دخل المجاهدون على العدو فى معسكراته، وكانوا يتمتعون بمعنويات عالية، يدفعهم الحماس للجهاد الى الامام، كالسييل الجارف، فأول ما احتل المجاهدون فى قبيلة بنى زروال كانت زاوية عبد الرحمن الدرقاوى، الذى رحل عنها محتما بالجيش الفرنسى بفاس، وكانت خطوط المعارك تمتد طولا حوالى مائتى ميل، فى عرض يتراوح ما بين 25-50 ميلا، وتتقع هذه الزاوية فى مدشر أمجوط. وقد طهر المجاهدون كل المخافر التى تؤدى الى مركز عين مديونة، الذى يقع على قمة عالية تكون قلعة الرباط، لمشاهدة المراكز الاخرى، التى حصنها الجيش الفرنسى فى عين عائشة، والبيبان، وتونات فوق مدشر بوعادل .

وقد التحم المجاهدون، قبل أن يصلوا الى بوعادل، مع حامية عولاى وجرى القتال شديدا استمر حصارها الى السابع من يونيو، وكان الوضع خطيرا بالنسبة للحامية، التى شد الخناق عليها من طرف المجاهدين، وتساقط افراد الحامية أمام قائدها، الذى طير برقية الى مركز عين عائشة، يقول فيها «الوضع خطير، فقدنا أكثر قواتنا» وطلب فى البرقية أن تثن اسراب من الطائرات هجوما فوق مواقع المهاجمين لشغلهم عن اقتحام المركز .

وقد قامت الطائرات بغارات جهنمية الا أنها لم تقدر أن تضبط وضعية الحامية، التى انكشئت داخل المركز الذى ضرب عليه الخناق الشديد، وقد استدلت على وجود الحامية فيه، انها رأت العلم الفرنسى لا زال قائما على مبنى المركز، وفى ليلة الثامن من يونيو أصيب قائدها القبطان «دوبوان» والملازم «شاربنيل» بجروح خطيرة، توفى الثانى فى القسلة أما الاول فبقى يصارع سكرات الموت الى أن جاءت الاغاثة، وحمل الى المستشفى حيث لفظ أنفاسه .

وقد كان المجاهدون الذين تكلفوا بالهجوم على هذا المركز، يتكونون من مائتي مقاتل من الارياف يقودهم القائد محمد الصليتان الخمليشي، من تركسيت، يشد أزره مطوعون من بنى ورياكل (بالكاف المعقود) بقيادة ولد على بن عبد السلام .

وفى صباح يوم 8 يونيه هاجم المجاهدون على المركز، ودافع رجاله بقوة تحت امرة الفرنسي الذى بقى سالما وهو «بوغليز موتغونغو» ولشدة الدفاع المعزز بالطائرات، لم يتمكن المجاهدون من اقتحام المركز طيلة أربعة أيام، وكان ماء الحامية قد نضب، الا ما يكفى لثلاثة أيام حسب اشعار الكبطان «دوبوان» الذى كان يحمل جروحا مضمية، وطلب اغاثة عاجلة، لانقاذ من نجا من الموت، بعد مقتل ثمانية وثلاثين سنغاليا أمامه .

وهكذا تحرك رتل من جنود الاغاثة، مع غطاء جوى بسرب من اثنتى عشرة طائرة، تقبل مواقع المجاهدين بالقنابل والرشاشات على مستوى منخفض، أصاب المجاهدون اثناء الاغارة قائد السرب المدعو «ميزيرجيوس» فجرح ولقى حتفه فى المستشفى وقد شقت الاغاثة الوديان والمنحدرات، فى كثير من العناء وفتحت ثغرة فى المجاهدين الذين احتموا الى الجهة الشمالية عن انظار الطائرات التى تصطادهم، فتمكنت من الوصول الى المركز، وعملت على تلغيم المركز بالالغام، ثم انسحبت بمن كان بقى حيا، وبينهم الكبطان «دوبوان» المجروح، الذى ينتظر النهاية المحتومة بين ساعة وأخرى، لفداحة الجرح الذى أصاب المقتل أو كاد، وفى اثر الانسحاب دخل بعض المجاهدين من رجال القبائل المحلية الذين لم يكونوا خبروا خداع العدو، رغم التحذير الذى وجه اليهم من طرف رجال الريف فانفجرت الالغام التى أودت بحياة بعضهم .

وفى هذه الاثناء استقدم الامير القوة النظامية التى كان مركزها فى غفساي للالتحاق به ببنى بربر، وأمر القائد الهادى بن عزوز بأن يشرف على المتطوعين، سواء الذين تحت قيادة المحرّاش، أو الذين تجمعوا من قبائل تلك الناحية، على أن يحرص كل الحرص على أن يكون انتقال القوة النظامية فى سرية تامة من العدو، حتى لا يهتبلها فرصة ويقوم بهجوم مباغت، وفعلا توجهت القوة النظامية تحت امرة كل من قواد

الطابور: شعيب أفلاح، ومحمد بوحوت، وعمر الجوع، وبوكليطا، ولما وصلت تلك القوة، وجهها الى جهة بنى وليد على حدود البرانص، فتوجهت بقوادها عدا القائد شعيب أفلاح الذى تأخر بيومين اثنين اثر اصابته بركلة فرس فى بنى بربر .

واثر وصول هذه القوة، وجدوا أن المجاهدين بقيادة السيد محمد القرقة من بنى سعيد (وادى لو) قد قاموا بحصار قشلة سوق خميس قبيلة البرانص، وانضمت اليهم القوة النظامية، واشتد الحصار عليها، وجرى لها مثل ما جرى لآخواتها من نضوب الماء والطعام، وبعد قتال عنيف دخلها المجاهدون، فأسروا من بقى حيا من رجال الحامية، وهم الضابط رئيس القشلة برتبة ملازم، وخمسة من أنفار الجنود السنغاليين، وغنموا من القشلة مدفعا ثقيلًا، ومدفع ميدان وما كان فى القشلة من البنادق وأرسل الأسرى الى بنى بربر .

انتقال الامير الى عين مديونة :

وعندما ظهرت الذرى التى تكون شمال ورغة من الجيش الفرنسى قرر السيد امحمد الخطايبى الانتقال الى بوعاذل، وخلف القائد موح أبلحاج من أجدير بنى ورياغل، رئيسا لمركز بنى بربر، الذى كان يتوفر على الغنائم، من سلاح، وعتاد حربى ضخمة، كدس تكديسا فى خندق هناك، وكما كان معتقلا للأسرى الذين حشروا هناك، والى ذلك الحد كان مجموع الأسرى يبلغ 800، يتكونون من السنغاليين واللفيف الاجنبى وبعض المغاربة، وكان بينهم ملازم أسر فى باب المروج، بقبيلة البرانص، مع ترجمان من الاهالى .

ومما رواه القائد محمد شرطا، أن طعام الأسرى كان مما يقتات به نفس المجاهدين، وهو خبز وزيت نيئ، وكان يعتبره هؤلاء من أغنى طعام، ولكن لما قدمت وجبته الى الملازم طلب مقابلة القائد شرطا كما طلب احضار الترجمان، الذى كان فى معتقل المغاربة، الذين أسروا فى المعارك، لابلاغه مطالبه التى قال عنها: «اننا الآن معتقلون حربيًا، فاذا كان عندكم عمل فنحن على استعداد للقيام به، ولكن من ناحية الغذاء يجب أن تعتنوا بنا، واننا لا نستطيع أن نعيش على خبز وزيت» .

فما كان من القائد شراط الا أن أعلم السيد امحمد الخطابي بما طلب الملازم، ولما كان المركز لا يتوفر على غذاء أفضل، فانه أمر القائد شراط بأن يرسله الى تركسيت، وأن يوصى به، لكي يعتنوا به من ناحية صحته البدنية أيضا .

وزاد القائد شراط، انه انتقل اثر ذلك مع الامير، حيث كان يقوم بمهمة رئيس ديوانه، وفي اثناء الطريق عندما وصل الموكب الى وادي أصرى، وهو موضع في منبسط تحوطه سيول تحمل أودية من الماء المتدفق، من أعاليه، نزل الموكب للاستراحة، وكان ذلك في واضحة النهار، ولما كان من طبيعته الفروسية، فانه اقترح على الحاضرين أن يلعبوا في ذلك السهل الاخضر، وكان من جملة رفاقه احد احفاد الشريف سيدي محمد أمزيان، يدعى سيدي الحسن بن الحاج حرموش، وكان رجلا خفيف الروح، لطيف النكتة، مستساغ العشرة، لا يكاد يفارق الامير امحمد، وكان يدخل عليه متى شاء ويمرح على طبعه بدون تكلف، الا أن ذلك كان في حدود وصف المجاهد .

وفعلا قامت كوكبة باللعب واطلاق طلقات بنادقهم، وكان من جملة الذين يلعبون القائد علال بن بوعزة احد قادة المجاهدين المخلصين في عملهم، فلما اطلقوا البارود طاشت رصاصة من طرف الشريف سيدي الحسن، وأصابت القائد علال بن بوعزة، فاسالت من رأسه بعض نقط من الدم، فكونت هذه الحادثة أمسية من المرح، اذ تصنع الامير اصدار الامر باعتقال الجاني، وكان الاخير لما له من الدالة يطلق سيلا من الشتائم اللاذعة ممزوجة بالفاظ طريفة، يستعطف فيها الضحية، بعدما أمر الامير بعدم الاذن له بالدخول عليه .

وبعدما مكث الراكب بعض ساعات من النهار قطعوه وعندما وصلوا الى قرية مشكور تلقاهم الشريف وزاني يدعى علال، وكان ميسور الحالة، فدعاهم للنزول عنده، فنزل الامير والراكب، وقام هذا الشريف بحسن الضيافة، اذ ذبح الذبائح وأكل الجميع وحمدوا له عمله .

وقد تابعوا المسير بعد ذلك، الى أن وصلوا الى قرية بوعادل، الموضع الذي يمتاز بالهواء النقي المنعش خصوصا وانه تتخلله أوراق أشجار البرتقال، التي غمرت ضفتي الوادي، الذي تنساب عليه المياه

انسيابا ممزوجا بالخيرير، فيحدث ذلك انشراحا في النفوس تلقائيا، مع ما أبداه أهالي القرية من الاستبشار بالانعتاق، واستنشاق نسيم الحرية، تحت ظل راية الجهاد، وكان من المصادفة أن حدثت قصة اعتبرها الاهالي بشيرة تلك الاخوة والمساواة ذلك أنه بعد احتلال المجاهدين لمركز بوعاذل، كان تولى رياستهم أحد الاشراف من بنى ورياغل، وهو المدعو صديق الشري، من زاوية سيدي يوسف، وكان ذا طابع شرس، لم يتأثر بتعاليم الثورة ليستسيغها، فجعل يتقبل هدايا الاهالي، الذين يقدمونها تحت تأثير سيف الخوف، فجمع بعض الامتعة، ومن جملة ما أهدوا له فرس أسود أصيل .

فبمجرد ما علم الامير بذلك استدعاه اليه، واستفسره، فجعل يعتذر بكون ذلك هدايا اختيارية، فأجابه الامير وهل قعدت في دارك ليهدى لك، وأمره بار جاع كل حاجة الى ربها حالا، وأمر بالنداء في السكان بأن يأخذوا أمتعتهم، أما الحصان فبما أن صاحبه كان قد غادر القرية، ولم يعثر عليه، فانه عزله عنه وأعطاه للمهاجر المجاهد السيد الحسن التلمساني، الذي هاجر من تلمسان للجهاد، وكان نقيبا مجاهدا، لسناء، فصيحا، وكاتبا بارعا، وشاعرا مفلقا، وضع جل أناشيد الثورة، واكتسب سمعة بالغة الاثر لدى المجاهدين، قاطبة، وأحرز على ثقة الامير الكبير، وبقي محتفظا بالنقاوة المعهودة الى آخر مراحل الثورة، فغادرها الى الجزائر على ما هو عليه .

أما القائد صديق الشاري، فقد بعثه مسجونا الى تركيست، وقد تركت هذه القصة احداثا حسنة وصدى عميقا في نفوس قبائل ورغة، كما كانت درسا بليغا للمقاتلين الذين يعملون في تلك القبائل، كي لا تتعدى مطامعهم الى ما في أيدي اخوانهم من الاهالي .

وفى غده تحرك الموكب الى القمة التي تدعى بعين مديونة، حيث جعلها الامير مقرا لعملياته الحربية، وهذه القمة تقع ازاء قرية بوعاذل، وتشرف على حوض ورغة مباشرة، وتسامت مركز تاونات، الذي كان الى ذلك الوقت تجري حوله معارك محتدمة بين مد وجزر، وقد استخلص المجاهدون مركز عين مديونة بعدما جرت معارك ضارية حول بوعاذل كما أسلفنا .

وقد أمر الأمير بأن تنصب على ذروة عين مديونة المدافع التي غنموها في تلك الموقع الحربية، فنصبت وجعلوا يصبون من هناك هجماتهم، ضد مركز تاونات وفي عين مديونة جاءت جماعة من قبيلة بنى وراين يسترشدون الأمير لاجل اثاره حرب على الجيش الفرنسى في تلك الجهات، وأمرهم بالتريث حتى يستشير أخاه الذى ابى عليه أن يوسع شقة المعارك الى داخل المغرب .

معركة تاونات :

كان حصن تاونات يعتبر من أكبر المراكز التي أقامها الجيش الفرنسى شمالى نهر ورغة، وهو مشيد على صخرة صلبة، تتحكم فى الاودية والهضاب الممتدة على جميع جوانبها . وكانت حاميتها التي كانت تحت رياسة الملازم «برتليمى» تتباهى بأنها تحتل عش العقاب، ولا يمكن للمهاجمين أن ينالوا منها منالا، مهما كانت هجماتهم .

وكان مكلفا بالهجوم عليها القائد محمد اكويس م نبنى سادات الريفية، وهو من المناضلين الاشداء، الذين عاشوا في اعتزاز، بوطنيته، ونقاوة ضميره، وقيامه بمناسك دينه .

فقام بحصار القلعة بقوته، معززا برجال القبائل المحلية واستمر الحصار من ابريل الى رابع ماي 1925 .

وفى أثناء الحصار ذاق رجال الحامية الوانا من المجاعة والعطش، فقد نفذ طعامهم، ونضب مأوهم، ولم تستطيع أية اغاثة أن تصل اليهم، رغم تكرارها، لان الحواجز الطبيعية المتكونة من صخور القمة جعلت وضعية المجاهدين أفضل من الحامية، وقد ترجحت كفتهم فى كل اصطدام يقع مع الاغاثة كما جعلت غارة الطائرات غير ذى جدوى للاعداء .

أما وضعية الحامية فكانت تختلف تماما، فهم فى مركز حبرى لا يمكن لهم أن يحفروا فيه الخنادق للاحتماء فيها، من هجمات المهاجمين .

وقد دعاهم ذلك الى أن يلجئوا الى جعل أكياس من الدقيق

والقهوة واللوبية متاريس يتسترون بها، متقنين طلقات المجاهدين مما كبد لهم نفاذ طعامهم، فكانوا يقتاتون بالمصبرات من دون خبز .
أما الماء فكانت الوسيلة الوحيدة لتزويده به هو استجادهم بالطائرات، لتلقى عليهم صفائح من الجليد التي كثيرا ما تطيش عن المركز، فتسقط بعيدة عن أيديهم، حيث تذوب في حرارة شمس ابريل وماي، ومن حسن حظهم أنه في اليوم الثاني من ماي حملت سحابة سوداء أمطارا غزيرة، نزلت في المنطقة فانقذت الحامية من العطش المهلك. وقد طير رئيس الحامية اعلاما بالهلاك المحقق ان لم تصل اغاثة على جناح السرعة، فهيا الكرونيل «فريدا نبرغ» رتلا من الجنود، وكان عهد اليه بقيادة ارتال الاغاثة الى عين عائشة وتاونات، فخرج يوم 3 ماي معززا بأسراب من الطائرات واستمر في التقدم الى أن وصل الى المركز في اليوم الرابع من ماي، وذلك بعد لأي، وخسائر فادحة، وانقذ من بقي من الحامية حيا، ولم يتسع له الوقت لتلغيم المركز لمضايقته بالهجومات المتتالية، التي تقوت بشكل ملحوظ، فانسحب مخلفا وراءه كل ما هناك من الاعتدة الحربية الثقيلة، وبنادق الجنود الاموات، فدخله المجاهدون عن حذر، خوف أن يحدث ما حدث في قشلة بوعاذل، التي كانت ملغومة كما أسلفنا .

وبعدما فتشوا القشلة فلم يعثروا على الالغام دخلوها، فانحلت احدى العقبات التي كانت تقف أمام المجاهدين، لينفتح الطريق على مصراعيه للتقدم الى الامام، على المخافر الاحتياطية الورائية، بعد تطهير المخافر الامامية شمالي ورغة، فلم يكن هناك حائل لاحتلال مدينة فاس، عند ادنى اشارة من الزعيم ابن عبد الكريم، الذي أبت عليه أريحته الاسلامية والاخوية أن تدك معايلم المدينة العريقة في الحضارة، والاشعاع العلمي .

حصن بنى دركون :

وقد يكون من الاجدر، نقل وصف مأساة الحصن الذي ورد في مذكرة رئيس الحامية، والتي عثر عليها في خرائب الحصن، بعدما دمره الملازم «لاباير»، الذي اشعل فتائل الالغام، ليهدم الحصن، ويدمر من

بقى من الاحياء من جنود الحامية، بمن فيهم الملازم نفسه، نتيجة اليأس من النجاة، تحت الحصار المحيط بهم، واليك الصورة حسب ترتيب التواريخ، وقد اكتشفها المؤرخ روبرت فورنو .

كانت القيادة المحلية للجيش الفرنسي على ورغة، كلفت الملازم «لاباير» في اكتوبر 1924، بالذهاب الى قمة جرداء تقع على بعد 6 أميال في الشمال الغربى لقاعدة ببيان، وتقع القمة في قبيلة أولاد قاسم، يآتمر على 39 جنديا، فيهم أوربى واحد، وضابطان مغربيان ليثيد هناك مخفرا، وائر الوصول نشط الرجال في احاطة المخفر بسور من الاحجار والطين، توج ببرجين على زاويته، جهاز احدهما بمدفع من غيار 75 ملمترا، وجهاز الآخر بمدفع رشاش، بينما مدفع رشاش آخر وضع في احدى الزوايا الاخرى، وفضلا عن ذلك، فان الحصن طوق بسياج سميك من الاسلاك الشائكة .

وكان المخفر يبعد على مورد الماء بأربعمئة ياردة، وقد احتاطوا للوصول اليه، بأن حفروا خندقا مستطيلا من الحامية الى الماء لضمان الوصول اليه في الوقت الحرج، ورغم ذلك، فان الحامية في شهر ابريل لما انفجرت المعارك عكفت على جلب الماء في صفائح البترول، حيث استطاعت أن تتوفر على خزن حوالى 500 لتر منه، وكان ذلك يكفى للحامية الى حوالى ثلاثين يوما، التى قدرها الملازم «لاباير» لانجلاء التوتر الذى حمل اليه نذيره أحد رجال القبيلة الذى وعده بأن يزوده بأخبار الاحداث التى ستجد .

وكتب في مذكراته التى عثر عليها، المقطع التالى: «طالما أن ابن عبد الكريم قد استطاب انتصاره السابق، فليس بمستبعد أن تهب القبائل ضدنا، ولسوف تكون حركته هذه حركة نابوليونية رائعة» .
وفعلا فانه في الثامن من ابريل أشعر من طرف قاعدة فرنسية تقع جنوب حصنه مباشرة، تدعى «طفران»، بأن يكون يقظا باستمرار. ففى الثالث عشر من ابريل شاهد من حصنه الطائرات الفرنسية تحلق في اتجاه حصن «أمجات» التى تناهت الى اسماعه منه أصداء طلقات نارية، الامر الذى تحقق معه الخطر الزاحف نحو الحصن، وفعلا ففى اليوم التالى كان ينبوع الماء تحت رحمة المهاجمين، وفى اليوم

الخامس عشر منه كان المهاجمون احدثوا بالحصن وجاء متعاون من السكان الذى كان يعمل عميلا معه، لاطلاعه على الاحداث، جاء مختفيا ليعلمه بواسطة الاشارة المتفق عليها، وهى وضع الكف على القلب، ثم على الفم، فعلم أن الخطر محقق به، ولم يكذب يستفيق من هذا التفكير حتى فاجأته عاصفة من الطلقات النارية التى طيرت الاحجار حوله، ورأى الحارس يهرول للاستعداد مما كاد أن يطعنه بحربته التى غرسها فى البندقية .

واثر تقاطر رجال الحامية لاطلاق سيل من الرصاص نحو الخطر الذى اعتبره اسرافا من دون طائل، وقد اجهد لاسكاتهم حتى أنه رفس برجليه جنود الرشاشين، وأخبر بأنه لو تريت المهاجمون قليلا، ولم يسرعوا فى اطلاق النار اعتباطا، لاصابوا منه المقتل حينما واشتكى من العميل الذى جاء ليعلمه متهما اياه بأن ذلك كان خديعة منه .

وفى اليوم 16 من ابريل كانت هناك طلقات متقطعة، وكان «لاباير» يعتبر ان جاذبة الامس قام بها أهل القرية الذين يريدون أن يبرهنوا أمام الارياف بانضمامهم اليهم، حيث نظموا الهجوم على الحامية، ومع ذلك فان الحامية قلقة من هذه الحادثة، لأنها تنذر بشر مستطير، ولذا أمر رجاله بأن يقتصدوا فى الدخيرة، كى لا تنضب .

وفى اليوم 17 من ابريل تلقى المخفر أمرا بواسطة التلغراف الشمسى من رئيسه، النقيب «بيترى» بأن يقصف بالمدفع الثقيل جميع القرى والخيام التى يسكنها الاهالى، بدون تمييز مهما أظهرت العداء . أما الطائرات فتتمر فوق المخفر بازيزها حيث تغيب أحيانا عن الانظار لتلقى قنابلها على الاهداف، فيتناهى دوى القنابل الى اسماع المخفر، التى تحدث اطمئنانا لرجال المخفر، وقد تحلق فوق المخفر محومة، بينما يطلق عليها قناصة المناضلين طلقات بنادقهم، وبعد تحويم احداها فوق المخفر أطلقت رسالة مربوطة فى كيس من الرمل، مع راية بيضاء، والنقطتها أحد انفار المخفر فى حذر، كتبها قائد طائرة الاستطلاع «غالرانج»، وهو صديق الملازم «لاباير» وكان يقوم باعمال الرصد مع الاسطول الجوى، الذى يعمل فى تلك المنطقة، وجاء فى الرسالة ما يأتى: ان الاوضاع لاردا مما تصورت، اذ يبدو ان خط مراكزنا بأكمله عرضة للهجوم، بل قد دفع

به الى الشرق منا، وتمنى لصديقه الشجاعة الكافية للصمود، وأمره بأن يرسل طلباته بالتلغراف الشمسى أى المرئى .

وفى 20 ابريل توالى طلقات العيارات النارية طول النهار، بدون انقطاع، فأصيب أحد الفرنسيين، بجراح فى لحم ساعده، أما الماء فيساوى لترا واحدا لكل فرد يوميا، وهو قدر لا يكفى، وبالاخص السنغاليين الذين يظماون بشدة، ولاجل أخذ الاحتياطات الكافية، فان «لاباير» نفسه ينام بين براميل الماء، حتى لا يتحرك أحد لاخذ أكثر مما ينوبه، والا فانه بالمرصاد لنثر دماغ كل من تجرأ واختلس منه .

وفى 21 ابريل حومت الطائرات والقنابل للمخفر حزمة من الرسائل، واللفائف، والصحف وقد ضلت الطريق الى المخفر، فعادت الطائرات بارمال رزميات أخرى .

أما دوى الطلقات النارية فقد تناهت الى المخفر من قلعة تاوانات، الامر الذى يدل على أن المعارك محتدمة هناك ليلا، خصوصا وقد رأوا لمعات بارقة من جراء اشتعال بارود البنادق والمدافع .

وفى 24 ابريل، فى هذا اليوم كان اهتمام المخفر يتجه صوب مركز ببيان فى الليلة الماضية، حيث سمعوا صخبا كبيرا، وعند الصباح تلقى المخفر التلغراف الشمسى البصرى بما يأتى :

«ان الامدادات قد جهزت، وسوف تنقذ الكتبية الجواله للمخفر خلال أسبوع، لانه يجب توجيه الاغاثة أولا الى مركز ببيان، الذى هو عرضة للخطر الجسيم، وافادت البرقية أن الرقيب «بيرتيزكامبو بطل ببيان قد جرح» .

وفى 25 ابريل قامت مجموعة من المهاجمين بالاغارة على المخفر فى عنفوان، مصحوبا بنداء «الله أكبر» جماعيا، وقد رد عليهم المدفعان الرشاشان مع القنابل اليدوية، وقد سمع المخفر بعض النساء ينحنن مما يدل على أن الرشاشين اصابا مقتلا، منهم وقد استمرت الاغارة الليلة كاملة، وقتل أحد جنود احد الرشاشين، برصاصة المهاجمين، باصابة فى معدته، من ثقب البرج، ومات بعد ساعة من معاناة سكرات الموت ويدعى «نفيهاما» .

وفى 27 ابريل بدأ الملازم «لاباير» يطلق سيلا من اللوم على

القيادة العسكرية، مما يدل على نفاذ صبره، فقد طير برقية مرئية يطلب فيها مخزنا جديدا من الخرطوش، لان أحد المدفعين الرشاشين توقف عن العمل .

وسجل في مذكرته العبارة التالية: «اننا لا نحصل سعيًا وراء استمرار حربنا الاستعمارية، الا على معدات قديمة في الاغلب، وها نحن الآن ندفع ثمن ذلك، ومما يؤسف له أن أولئك الذين تفترض مسؤولياتهم عن مثل هذه الحوادث، لا يدفعون ثمنًا مطلقا».

ان الانسان عندما يكون في مأزق، لابد أن يقر بالحقائق، فالحرب التي يقوم بها هؤلاء التعساء، ليست الا حربا استعمارية، لا غاية ورائها الا اذلال الآخرين، وفي هذا الحال، فان التعاسة تصيب من لا يتمتع بمزايا هذه الحرب القذرة، بل الذي يحصل على مزاياها أولئك الذين يخططون على الاوراق، على الارائك، ثم استرسل في عبارات القنوط واليأس، فقال «ان الصحف تعلن أن الخط قد انهار في الوسط، ما الذي تراه يؤخرهم عن ارسال تلك الامدادات الشائنة التي أطلقوا عليها حرف «م.م.» (المفرزة المراكشية) هذه التي ظللنا نسمع بقرب موعد ارسالها منذ خمس سنوات» .

يظهر أن الحالة كانت هادئة الى غاية يوم 2 ماي، حيث هجم المقاتلون على المخفر، طول ليلته واصلوا نارا حاميته أدى ذلك الى اصابة اثنين من حراس الحامية، فمات جندي فرنسي في الحال، أما الآخر، وهو في رتبة عريف، ويدعى «ناماروسيرين» فقد سمج رأسه باحدى الطلقات النارية، ولم يمت ولم تهتد الحامية الى مصدر الطلقات النارية، الامر الذي يدل عليه قول الملازم «لاباير» في مذكرته بأنه كان يرى نارا قرب زيتونة تبعد بنحو 300 ياردة، فصب نحوها قنابل المدفعية دفعة واحدة، وأنه اعتقد أن الطلقات أصابت الهدف، لانه سمع صراخا وعويلا .

أما في أيام 3-4 ماي، فان القنوط والتذمر بلغ منتهاه عند الحامية، ففي صباح يوم 3 شهدوا جنازة الفرنسي التي قتل ليلة 2 ماي، فكان التأثير والحزن يقطعان أكباد الاحياء منهم، كما بلغ بهم العياء مبلغه، نتيجة حرمانهم من النوم، لان الوضعية تقتضى الحذر والتهيؤ للطوارئ المترتبة بيندقيقة وأخرى، مع قلة الافراد، فكانت مهمة الحراسة ملقاة على عاتق

أربعة من الجنود، بينما هم مكلفون بسد الثغرات التي تفتح في البرجين والحائط، كما عليهم أن يحشوا الذخيرة في المدافع، وحفظها مدفونة، وقد زاد في تعاسة الوضعية أنهم شاهدوا صباح يوم 4 منه اغاثة تتجه صوب ببيان، لمحاولة الوصول اليه، ولكن واجهت مقاومة شديدة على جانبي الجبل، فارتدت على أعقابها، بينما يوضع من سقط قتيلًا في الخيش المعد للاموات، مما يدل على الاصابات المتعددة، وهو منظر يسخم التعاسة واليأس في الذين ينتظرهم المصير المحتوم، فاذا كان مركز ببيان، وهو المركز المهم، في هذه الوضعية فكيف بحامية أصبح الدافعون عنها على أصابع اليد الواحدة .

ونتيجة لهذا اليأس، فان الملازم «لاباير» أرسل تلغرافا شمسيا الى النقيب «بيترى»، يقول فيه «لا تخافوا، فلن يأخذنا الريفيون أحياء، وان معنوياتنا ممتازة في هذا الشأن» .

مرت الايام بهدوء من 5 الى 13 منه، وقد سقط مطر خفيف يوم 8، واستطاع المخفر أن يجمع شيئًا من الماء، أما يوم 13 منه، فان المخفر شاهد معارك حول ببيان، حيث قام رتل الاغاثة لمحاولة فك الحصار عنه، ولكن الوضعية بالنسبة لببيان لم تتغير، أى لم تصل الاغاثة، ولم يفك الحصار عنه رغم القصف الشديد الذى سبق تقدم الاغاثة، وذلك ما أكدته النقيب «بيترى» في برقية شمسية الى الملازم «لاباير»، أعلمه فيها بأن الحالة لم تتغير، كما انباءه بقتل اثنين من رفاقهما، وهما «شاربينيل» و «بورغيريت»، وكانا في حصون أخرى مجاورة لهم .

وقد قال «لاباير» ان هذا شهر كامل، ونحن ننتظر النجادات الفرنسية للقيام بهجوم مضاد، ولكن لم تصل أية نجادات، وهو أمر قاس على كل حال، ثم زاد في مذكرته المؤرخة بيوم 16 ماي: «انه جاءه الفرنسي الذى جرح منذ أيام (وهو العريف الذى جرح يوم 2 ماي) وطلب منه جرعة ماء، ولما كنت وعدت نفسى بالمحافظة بشدة على قاعدة توزيع لىتر واحد من الماء في اليوم، فقد أعطيته ربع نصيبى، ولما شاهد وصيفى (سوغو ماي) ما فعلت ثار وغضب، وارغمنى على قبول ثمن حصته من الماء، وقد قبلت ذلك، وزاد قائلاً: «اننا نعيش أوقاتا عصبية هنا» .

أما أيام: 16-18-19-20 منه، فقد كانت قاسية حقا على المخفر.

ففى 17 أرسلت اغائة الى المخفر، وكانت هناك معارك فى غضون المنحدرات، التى تصل الى الحصن وكانت انفجارات، الا أن ذلك توقف على الساعة الواحدة نهرا - زوالا - لان الاغائة لقيت نفس الدفاع من طرف المجاهدين، فلم تستطع أن تغنى شيئا، وتلقى فى شأن ذلك الملازم «لا باير» رسالة شمسية، تعتذر له بأن رتل الاغائة كان انهكته هجومات متتالية سابقة، وانه اصطدم بدفاع قوى من طرف خنادق مجهزة تجهيزا محكما، ولذا اضطر الرتل الى العودة من حيث أتى .

وفى 18 منه حاول الحصن أن يقوم بهجوم لفك الحصار، نتيجة اليأس من وصول الاغائة، ولكن اعترف «لا باير» بأنهم تلقوا قنابل يدوية، التى انزلت بهم خسائر فادحة، فقتل من جنوده ثلاثة، وجرح واحد، وكان المجاهدون يقتحمون الاسلاك الشائكة، واجتازوا من ثغرة بعد أن وضعوا اغصان الاشجار فوق الاسلاك، ومع ذلك يقول الملازم، فقد وقع صدهم بعدما خلفوا ثلاث جثث بين الاسلاك الشائكة والجدران، وجثث قرب الكمين، وآخرين ابعد من ذلك قليلا، ومع ذلك فانه استرسل فى سرد الوضعية التعسة، فقال: «انه لم يبق منا غير 15 رجلا، ثلاثة منهم جرحى، وقتل العريف «تاماروسيديب» الذى كان جرح قبل، وان الحصار يضيق خناقه على الحامية، وان المهاجمين يتابعون أعمالهم حول المركز على بعد لا يتجاوز حدود مرمى قذيفة يدوية، لانهم لا يرهبون شيئا، وهم متترسون بخنادقهم، وكلما رأوا رأسا من الحامية مرتفعا عن الجدار، الا وأمطروه وابلا من الرصاص، والعياء انهك رجال الحامية، ولو أن التلغراف الشمسى ينبىء بوشيك الاغائة، لان تعزيزات جديدة وصلت، ولكن لم ير فى عين المكان بواسطة المنظار المكبر أى اثر للتعزيزات.

أما المياه فلم يبق أكثر مما يكفى ليومين ولذا فانه أرسل برقية شمسية يطلب فيها القاء صفائح من الثلج بواسطة الطائرات، وانه فى هذه الحالة لا يشغل باله سوى الماء والمدفعية، وفعلا فانه فى اليوم 19 قامت تشكيلة من الطائرات بالقاء خمسة من صفائح الثلج، حصلت ثلاثة فى الحصن، وزاغت اثنتان خارجه، حيث ذاب تحت حرارة الشمس، كما ألقت حزمة من الصحف، وحينما شرع فى دعوة الاوربيين لتوزيع الصحف عليهم جاء الرقيب «ليكيم» وهو يثب فوق صناديق الذخيرة المكسدة اذ ظهر

رأسه فوق الجدار، فاقتنصته رصاصة في صدره، فحطمت كتفه وراح يصيح صياحا مزعجا كحيوان، قابضاً على يد الملازم، وقد جاءت مع الصحف الرسالة التالية: «الى أصدقائنا المرابطين هناك، من ميكانيكى التشكيلة الرابعة تشجعوا فنحن نفكر فيكم» .

وفي ليلة 20 ماي قام الريفيون بنقل جثث قتلاهم على الاسلاك الشائكة، وقد راع الحامية ان حراسها الليبيين لم يسمعوأ أية حركة مما أزعج الحامية، لان ذلك يعتبر تحديا متقنا .

وفي هذا اليوم أى 20 ماي، كان الحصار استمر 38 يوما، وقد روى «لاباير» كيف مات التعس «ليكيم»، ذاكرأ أن ظروف موته كانت وحشية، وان الحمى كانت تنهشه بأنيابها، ويهذى هذيانا متواصلا، بينما يترجى منه أن لا يبقيه حيا، اذ رأى أن الريفيين يصلون اليه، وقد مات فى الليلة بعده مودة مخيفة، اذ أطبق على معصم «لا باير» ولم يتخلص منه الا بشق الانفس، ان الملازم يمدح الجندى «ليكيم» بأنه رغم سنه، فكان نشيطا ينتقل بسرعة، وقال أنه صدم بموته أشد صدمة .

أما الحالة اثناء أيام 23 الى 3 يونيه، فانها لم تشد عن حالات الايام قبلها: دوى المدافع والطلاقات النارية والانهاك لاعصاب الحامية، فقد قال الملازم يوم 23 ماي، ان أعصابنا على شفا الانهيار، وطول الليل أسمع صوت المدافع والانفجارات فى بيان، يا للمسكين «بيرنير» (دعى فيما بعد ببطل بيان)، وقد هبت عاصفة حملت امطارا، فجمعت الحامية ما يكفى من الماء الى يوم 6 يونيه وفى يوم 25 منه صباحا توجه رتل لاغاثة بيان، الا أن الملازم «لاباير» رثى هذا الرتل حيث قال: ان أولئك الفتيان المساكين محكوم عليهم بالموت، ان هم استمروا هناك، لان المدفع اللعين (يعنى مدفع المجاهدين) لا يننى يصلهم نيران قذائفه، ذلك أن الرتل أوقف فى أسفل المنحدر الى الساعة الثالثة بعد الظهر، مما يدل على أن المقاومة أصبحت أكثر تنظيما، وعلم فى المساء ان القيادة الفرنسية المحلية أمدت حامية بيان بالتعزيزات، ولكنها مقضى عليها، ثم مال باللائمة على فرنسا، فقال ماذا تراهم ينتظرون فى فرنسا، ولم يمدوا الينا يد المساعدة. أما فى يوم 30 ماي، فكانت الوضعية أشد قساوة على الحامية، فالرجال يبدو عليهم الانهاك واللحوم المعبأة والبشكوت غير كاف، يقول

«لاباير» ان نهايتنا محققة حتى السادس من شهر يونيو ان لم يصل
الينا أحد» .

ومع أن البرقيات ترد عليه من أن الاغاثة ستصل قبل هذا التاريخ،
الا أنه لم يطمئن الى ذلك، (أى لان هذه الاغاثة لم تستطيع أن تصل
قبله، فهو من قبيل التطمينات فقط)، وقال بأن الريفيين قد هداؤا من
الهجوم، ويعتقد أن ذلك راجع الى أنهم يرون أن ضرب الحصار يكفى لموت
الحامية ظمأ، فلا حاجة الى الهجوم الذى يكبد على أى حال الخسائر،
فزاد قائلاً، انه جهز حملة لسقى الماء من العين، فتمكن من جلب 130 لترا،
وهو قدر يكفى الى غاية 15 من يونيه، وشك فى أن يبقوا أحياء حتى
يتمكنوا من شربه، ولما حاول للمرة الثالثة جلب الماء بارسال 8 رجال، فان
رشة من رصاص المهاجمين قد ردتهم على أعقابهم وفقدوا ثلاثة رجال،
لم يعرفوا هل أسروا أو قتلوا، وعليه فانه لم يبق فى الحامية الا أحد عشر
رجلا، وقد أصبحت الحالة ان كل واحد من الرجال الحادى عشر خفيرا فى
القلعة، بصورة دائمة، وكل واحد من اثنين يمكن أن يغفو حيث هو حارس،
تحت الجدران، بينما رفيقه يقظ، ثم مال باللائمة مرة أخرى على فرنسا،
قائلاً: «ان الظمأ قتال رهيب، فتراهم يفكرون فينا فى فرنسا، لقد
غدونا بلا أصوات» .

وقد استطاعت الحامية أن تصل عين الماء ليلا مرتين، احدهما
على الساعة الحادية عشرة والثانية على الساعة الثانية بعدما مهدت باطلاق
سيل من قذائف المدافع، وقد ذهب الملازم «لاباير» بنفسه على رأس
ثمانية رجال، بعدما ترك الاوربى الوحيد المدعو «لاردين» الذى بقى
حيا ليصلى المحاصرين بالمدافع، مما جعلهم يبتعدون عن ممر الماء، نتيجة
كثافة القنابل، وفى هذا الحال، فقد فقد «لاباير» حتى جهاز البرق البصرى
اذ أصيب عدسته بطلقة نارية، عندما كان يرسل تقريراً ليلىا الى المركز
الخلفى .

وفى اليوم 4 من يونيه سقط مركز ببيان بيد المجاهدين كما أسلفنا،
وذلك بعدما قصف ليلا بالمدافع التى غنموها قصفاً شديداً، وقتل المدافعون
عنها جميعاً .

وفى صباح هذا اليوم شهدت حامية بنى دركول منظراً أزعجهم،

ذلك أن الثلاثة رجال الذين فقدوا أثناء محاولتهم للمرة الأولى للوصول الى الماء، رأوا جثثهم معلقة من الارجل الى أعمدة نصب أعينهم، وقد أثار هذا المشهد سخط الاحياء من الحامية، حتى أن احد الجنود لم يتمالك نفسه ان ارتقى على المدفع الرشاش، فمنعه اثنان من الجنود خوف أن يصاب برصاصة .

وأثناء هذا الارتباك في المخفر جعل المجاهدون يقذفون اليهم بعض الشتائم، مع وصف سقوط مركز «بيان» ثم سألهم كم بقى من الأوربيين فرد عليهم الأوربي الوحيد الذى بقى مع الملازم وهو «لاردين» فى حالة غضب، بأن الباقي يكفى للقضاء بالرصاص عليهم (أى على المجاهدين) .

وبسقوط بيان أصبح باقى الاحياء من الحامية، فى حالة قاسية جدا، بحيث لا يستطيع أى واحد منهم أن يلقي نظره على زميله، فقد مر 55 يوما الى ذلك اليوم، ولم تصل اليهم أية امدادات، وأصبح الآن بعد تكسير جهاز البرق البصرى لا يمكن أى اتصال الا بواسطة الطائرات أو بواسطة الرايات أما السلاح فقد تعطل المدفعان الرشاشان، ولم تبق الا احدى عشرة بندقية ولو تفتن الريفيون لاقتحموا الحصن من دون عناء، ولكن لم يعرفوا المصائب التى حلت به .

وعليه فان الامر يتجاوز كل المستطاع، ولذا فان الانسان فى مثل هذا الحال لا يملك الا أن ينفث ما فى صدره من الاحقاد على رؤسائه، وفى هذا الميدان قال «لاباير» يا الهى ماذا تراهم ينتظرون، أترى تسمح فرنسا بابتلاع مراكش كلها دون شىء من الدفاع، أتراها تضحى بنا سعيدة مغتبطة، لم أعد أجرؤ على النظر فى وجوه رفاقي، لاننى طالما وعدتهم بوصول النجدة لانقاذنا» .

حقيقة أن الفوضى استمرت فى الجنود، فهرع أحد الى الملازم، وقال له يجب أن يذهب الى تحطيم هذه المشقة التى تؤلف المنظر المستفز لشعورهم الى حد لا يطاق، ولكن الملازم منعه، لانه قد تكون هناك مصيدة. وبسقوط مركز بيان، وبابادة جميع رجالها سقطت المواقع الأخرى فى الوادى، أما بفضل الهجوم، أو بفرار أفرادها عنها، ولم يبق

الا حصن بنى دركول، الذى لم يجد رجالها سببا للهروب، والالتحاق بالآخرين .

وعلى أى حال، فان العوائق قد ازيلت أمام المهاجمين لمجابهة الحصن المنيع الذى لم يرضخ للاستسلام، وكان يقدر عدد المهاجمين بحوالى ألف مقاتل، حسب افادة الطائرات التى أرسلتها الى مخفر «طفران» .

وفي ليلة 6 يونيه فتح المهاجمون ثغرة فى الجدار المحيط بالحصن، واندفع بعضهم داخل الحصن وكانت وضعية الحامية على الشكل الذى أبلغ الملازم «لاباير» الى المجموعة المتحركة (يطلق ذلك على أركان الاغاثة) بواسطة الراية البيضاء، جاء فى تقريره ما يأتى: «لم يبق منا غير أحد عشر جنديا، ذخيرتنا احدى عشرة بيدقية ومائة وعشرون قنبلة يدوية، وعشرون ألف خرطوشة، ومدفع واحد مزود بسبعمئة طلقة» .

«ان حلقة الريفيين تزداد ضيقا حولنا، وهم يحفرون خنادق جديدة، انى أخشى وقوع قتال بالسلاح الابيض كما أخشى من ذلك ان تضربنا مدفيعيتهم بقذائفها، سوف تكفينا الى الرابع عشر من الشهر (يونيه) بالضبط انه من الضرورى، بصورة مطلقة أن تنقذونا قبل الثالث عشر، على أبعد تقدير، المعنويات لا زالت ممتازة الا فلنقم بواجبنا على الوجه الاكمل» .

فى هذه الاثناء لم تكن هناك وسيلة للاتصال الا بواسطة الطائرات، وقد حلقت طائرات الاستطلاع الصباحية فى سماء الحصن، وتلقى الملازم «لاباير» كلمة من صديقه القديم «غالرانج» قائد احدى الطائرات فلم تكن تلك الكلمات لتخفف شيئا من المأساة، بل كانت بمثابة صب الوقود على الحطب المشتعل، فقد قال: «لا يمكن الاصغاء اليه لانه منهمك فى انهاء مهمة أخرى، فى قطاع آخر، وقد فهم الملازم أن ذلك لاخذ علم آخر من حامية أخرى، لان الكثير من رفاقه قتلوا، وجرح مرشح طيار خلال عمليات القاء الجليد على الحامية قبل أيام، وكالعادة، فقد أعلمه بأن النجديات ستصل من فرنسا (ولكن لم تصل ولن تصل)» .

ولما كان الاتصال غير متيسر الا بواسطة اختطاف العلم الابيض الذى تشد اليه الرسالة، فان الملازم «لاباير» استطاع أن يركز علما

في موضع غير شائع، لانه لا يمكن أن يبرز رأسه عالياً، والا اصطادته رصاصة الصامدين حول الحامية، وبالأحرى لم يستطع أن يصعد على سطح مبنى الحصن، وبمجرد ما رأى الطيار «غالرانج» العلم تدلى بمخطف حديدى لالتقاطه وقد صعب عليه أن يصيب حلقة العلم، حذراً من الرصاص المتساقط حوله كالسيل، ولكن العلم وضع في مكان منخفض، فحوم منخفضاً سبع مرات، وكانت قلوب جنود الحامية اثناء هذا التحليق كادت أن تنقطع خوفاً من إصابة الطائرة بالرصاص فتتهوى حيث الصامدون يتفرون عليها، ولكن من حسن حظها لم تصب، فخطفت العلم في المرة السابعة.

أما السخرية التي ابداهها الملازم «لاباير»، فكانت عندما جاءت الطائرات صباح يوم 10 يونيو، لتحوم حول الحصن، فألقت بعض قطع الجليد بعد أن رشت المنطقة المحيطة بالحصن بسيل من رصاص مدافعها الرشاشة، ثم قذفت بأحد الطرود يحمل في طياته 15 صليبا، وقد وزع الأوسمة على الأحياء، بينما وضع ما تبقى على أضحية القتلى، ان الحامية في وضعيتها الجد قاسية لا تحتاج الى الصلبان والأوسمة، بقدر ما تحتاج الى فك اغلال الحصار، الذي يجعل الموت الزؤوم المتمثل أمامهم، فلهذا قال هذا الملازم التعس «غرقت في بحر من التفكير بعد ورود هذه الأوسمة في مثل هذا الوقت، ودون أن يردني أي نبأ عن موعد انقاذنا». وبالأخص أنه أصيب أحد الحراس في نفس الصباح في فخذه من خلال أحد الثغرات فلم يبق في الحصن غير رام واحد هو «أسحاق ديلو» وهو مضنى الى أبعد الحدود، وأنه يرى انهم في الطريق الى حتفهم، ففرنسا تخسر بعض جنودها الشجعان في هذه القلعة، ان التفكير في المصير استولى عليه، فلم يعد يستفيق منه، حتى أنه لما رآه طاهي الحامية الذي لا يباشر مهمته من زمان، لعدم وجود ما يطهى غارقاً في بحر التفكير، تطلع الى عينه مباشرة، وقال له: «لا نستطيع الا أن نخدم جيداً فقط» وقد استيقظ اثر هذه الجملة، فاهتدى الى الحل، وهو أنه حيث لم يكن هناك من يأتي لانقاذ الحامية والحال أن الحصار المضروب على الحصن من طرف ثلاثمائة مقاتل، جعل النجاة مستحيلة، فضلاً عن التعب الذي انهك الجميع، وعليه فلم يبق الا حل واحد، وهو تلغيم الحصن بقذائف المدفعية والمتفجرات،

التي تصلح للغام، في الطرق، ثم اشعالها عند الوقت المناسب، وهكذا يقول الملازم «شعرت بمزيد من القوة، بعد أن قررت خطة العمل» .

وفي يوم 12 منه، كانت ساعة عملية الانتحار قد دقت، فرغم أنه توصل برسالة من الطائفة تقول اصمدوا حتى السادس عشر من الشهر، ان العمليات الجارية لا تسمح باغاثتكم قبل هذا التاريخ، أنت مفوض اذا كنت تحكم بامكانية ذلك، ان تخلى مركزك وتتسحب الى عين كبير، بعد أن تدمر مدفعك ومعدات دفاعك»، فانه قرر تنفيذ الفقرة الاخيرة وهو تدمير المركز، ولكن بدون انسحاب، لانه مستحيل .

ففى الصباح هيا اللغم بمساعدة الاربى الوحيد الذى بقى حيا، وهيا ثلاثة اسلاك فتيل وضعها فى انحاء متفرقة من المركز، فبعد اشعال فتيل بخمس دقائق سيقع الانفجار، ولكن يجب ان لا يكون الانفجار الا بعد اقتحام المهاجمين الحصن، الذى أصبح بدون اسلاك شائكة، وهو آخر لعبة حربية سيقوم بها، وفى هذا الحال، فقد سقط الجندي اسحاق الذى كان يعتبره الملازم داهية مثله، سقط برصاصة فى رأسه، فلم يبق معه الا عشرة رجال، بينهم واحد مجروح، الذى اشفق من حاله، لانه ظن ان الاجراءات التى يقوم بها لاجل الرحيل عنه .

وفى هذه الاثناء، فان أحد المهاجمين ناداه فى الليل طالبا منه الاستسلام والا دمر عليه الحصن بواسطة المدفع الذى دمر ببيان، فأجابه بسيل من القنابل اليدوية، وعندما انبلج الفجر، وضع 15 قنبلة مدفع فى اللغم، وهيا العمل الرهيب، وفى الساعة التاسعة صباحا، وضع ضمن قنابل أخرى فى ثلاثة الغام، وفى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة، تهاوت انفجارات مهولة الى سمع مركز «عين كبير»، وشاهد لهيبا مرتفعا من حصن بنى دركول، وبين طياته اشلاء السبعة رجال الباقين احياء، الذين فضلوا طريقة الانتحار عن الاستسلام، ويقال أن المهاجمين كانوا قد اقتحموا المركز من الجهة الشمالية التى لم تكن الاسلاك الشائكة قائمة، فاندفعوا وقتل منهم 20 مقاتلا، وهكذا انتهى حصار هذا الحصن بهذه الصورة التى قد انتهى بها أيضا كثير من الحصون الاخرى، التى لم يعثر على انائها مفصلة، وبتدقيق مثل هذا الحصن، الذى يرجع الفضل فيه على كل حال الى هذا الملازم الذى عارك الحياة والموت معا، مخلفا مذكرة يومية ألقت الاضواء

على وضعية الحرب على ضفاف نهر ورغة التي شهدت أروع صمود من الطرفين حتى يدحض بها ما يقال من ان الريف أخذ الجيش الفرنسي على غرة .

انضمام قبائل شمالى تازة الى الثورة

قبيلة التسول :

كان المجاهد شعيب ابالى البوعياشى كلفه الامير امحمد على رأس مائة من المجاهدين الاشداء، بعدما سلحهم بأسلحة جديدة استخرجها فى نفس الوقت من صناديقها، مع القنابل اليدوية والذخيرة وأمرهم أن يتوجهوا الى قبائل شمالى تازة، فتوجهوا عن طريق مزيات، وشاركوا هناك فى المهاجمة على قشلة جبل أستر وحاصروها لمدة أيام كانت محصنة بمدفع واحد ثقيل، وكان مركز تاونات يسامتها ويقوم برمى المهاجمين بقنابل المدافع من هناك، ودافعت الحامية دفاعا مستميتا ولما لم يجد دفاعها فانه ذات ليلة مع الفجر اخلت الحصن وانسحبت على غفلة من المهاجمين، حيث كانوا قد انهكهم الاعياء لطول أيام الحصار، وقد استشهد منهم ثلاثة وجرح ثلاثون آخرون بجروح بسيطة، وحين ما تقطنوا تبعوهم فقتلوا منهم البعض ونجا البعض الآخر الى أقرب حامية، وكانت الغنائم التى أخذت من القشلة المدفع الوحيد ومائتين وسبع عشرة قذيفة مدفع، وقد تبعتها قشلة أخرى صغيرة كانت قريبة منها، فاخذتها الحامية وانسحبت بدون قتال، ثم هجموا أيضا على قشلة سلطان، واحتلوها بدون عناء .

وبعد ذلك انضمت اليهم قوة جاءت من رجال بنى زروال، وهجموا على قشلة «مزاوة»، تقع فى الحدود بين مزيات وبنى زروال، واحتلوها بعد قتال عنيف، أما قشلة «سيدي عبد الله» فقد انسحبت بدون قتال، وانضمت الى قوة عين عائشة .

وبعد هذه العمليات توجه شعيب ابالى بقوته المائة، ورجال القبائل

الذين انضموا اليه، الى أن نزلوا قرب أربعاء تيسة، ومن هناك تقاطر عليهم بعض رجال القبيلة حيث هلع الجيش الفرنسي .

قبيلة البرانس :

كان يوجد على قبيلة البرانس قائد يدعى محمد الخلادي عين عليها وهو شاب من عام 1911 م. الى غاية عام 1924، وفي هذا التاريخ الاخير، بينما كان الريفيون يكتسحون قبائل ورغة، عقد هذا القائد اتصاله معهم وهنا نترك الرواية للخلادي نفسه الذي يوجد ساكنا في تطوان وهو يبلغ من العمر عتيا، قال: (1) تضم قبيلة البرانس أربع فرق: طائفة وبنى فقوس وفرقة وربا، قال القائد الخلادي الى هذه الفرقة الاخيرة تنسب زوجة مولاي ادريس الاول كنزة الوردية، وان قرية أهلها تدعى دار الفرح من اسم جاء على لسان تلك السيدة، عند زفافها الى مولاي ادريس، أما الرابعة فتدعى بنى بويعل، وهذه الفرقة الاخيرة كانت مقرا للخليفة القائد في ذلك الوقت، ويدعى الركوك .

وعندما كان المجاهدون يكتسحون قبائل صنهاجة، وبنى وليد، ويدخلون الى التسول، ركز الفرنسيون دفاعهم من قبيلة البرانس، فتكلف مراقب القبيلة ويدعى «جيب» برتبة كبطان بفرقة بنى بويعل مع الخليفة الركوك، وقد جر هذا المراقب معه قوة هائلة مختلطة من الكوم، وقوة من الاهالي تحت اسم المحلة، ضبطت عن طريق انضباط الجيش، أما القائد الخلادي فقد تكلف بالدفاع عن الفرق الثلاثة بأهاليها كمتطوعين. ونظرا لسرية اتصال القائد الخلادي بالمجاهدين، فقد توجهوا عن طريق بنى وليد الى فرقة بنى بويعل حيث توجد قوة الكبطان جيب، فاندفع المجاهدون بحماس، فلم يستطع الكبطان أن يقف ازاءهم وهرب الى داخل القبيلة حيث عسكر في موضع يدعى وادي الخضار، وترك الخليفة الركوك في قبضة المجاهدين .

ولاجل عجم عود الخلادي، فقد أرسل الكبطان رسولا اليه يأمره

(1) شاهد عيان .

فيه بأن يتوجه بقوة الى فرقة بنى بويعلى لاستخلاص الخليفة، ورد عادية المجاهدين، وبالفعل فان الخلادى توجه على رأس اربعمائة من رجال الفرق الثلاث التى تحت امرته، فلما وصلوا الى ربع بنى بويعلى وجدوا أن المجاهدين احتلوا هذه الفرقة واحتلوا قشلة عين الخميس «البرارحة» وأسروا جميع من فيها من القوة، وأخذوا الركوك معهم، وقد ركن المجاهدون فى عزبة من عزائب تلك الفرقة الكثيرة الياضة، فاستراحوا فيها، وكان الوقت وقت نضج الذرة، فجعلوا يشوون سنابلها، ولأجل التعمية على الجيش الفرنسى، فقد أطلق الخلادى وجماعته رشة من الرصاص اتجاه العزبة، فهرب المجاهدون الذين أخذوا على غرة الى الجبال، وتركوا الركوك وذهب به الخلادى الى وادى الخضار، حيث يوجد الكبطان ولما تلاقيا وبخ الخلادى هذا الاخير ناعتا اياه باليهودى .

فما كان من هذا الكبطان الا أن غادر المحل حينما متوجها الى «باب المروج» الذى هو المقر الرئيسى للعمليات الحربية فى قبيلة البرانس، ويرأسه ضابط برتبة كورونيل، فكشف هذا الكبطان لقادة الجيش الفرنسى عن خطة الخلادى، بالاتصال برجال الريف، ومحاولة الانضمام اليهم، معلما اياهم بأن أعماله فى القبيلة ما هى الا تغطية لنواياه، وطير هؤلاء القادة الاعلام بذلك الى جنرال الجيش فى تازاء، فعمل هذا على استدعاء القائد الخلادى اليه، وأرسل اليه رسولا شفويا، ثم لما امتنع الخلادى عن الذهاب اليه، أرسل اليه رسالة انذار كتابيا .

وفى هذا الحال، فان القائد الخلادى قرر علنيا الانضمام الى المجاهدين، فاستدعى رجاله الذين يعملون تحت امرته، والمسلحين من طرف الجيش الفرنسى، وأعلمهم بنواياه الحقيقية من الانضمام الى الريف، وقال لهم انه لا يرغب أحدا بأن يقتدى به، فمن لم ير أن يتبعنى فله أن يغادر الى «باب المروج» من دون أن يلحقه منا أذى، فأعلن الجميع تأييده فى خطته وعلنوا الجهاد، وتقوا بالمجاهدين الذين كانوا يوجدون فى مريسة وعين مديونة .

الهجومات على مخافر العدو بالبرانس

كان أول هجوم قامت به قوة الخلادى متوجها الى قشلة «عرعة»

كان على رأسها كبطان فرنسي، وكانت محصنة تحصينا منيعا، فوقع الاصطدام بين الفريقين، لم يدم طويلا، فقد استطاع المجاهدون تحت تأثير حماس الجهاد، أن ينقضوا عليها، فهرب من هرب ومات من مات، وغنم المجاهدون ما فيها من وسائل الدفاع وبعد الانتصار على هذه الحامية، وضع القائد الخلادي قاعدة للقضاء على المخافر التالية: مخفر الشيايب - مخفر لوطية - مخفر ظهر الحمار - مخفر أمساق - مخفر باب هولاى على - مخفر جلفاطة، وتقتضى القاعدة أنه عين لكل مخفر قوة من سكان القرى الموجود فيها المخفر، وضرب موعدا للجميع بأن يكون الهجوم ليلا في وقت واحد، وان يفرغ من الاحتلال في غد تلك الليلة، وقد نفذ رجال القبيلة التعليمات بدقة، ففي الموعد المحدد كان الجميع قد أنهى مهمته، فقتل من قتل وأسر من أسر، من قوات العدو .

وعند هذا الانتصار لم يبق أمام المجاهدين الا مركز باب المروج، فعبأ جميع قوة القبيلة مع الريفيين الذين تقاطروا على القبيلة من كل جهة ومكان، بحيث - حسب تغير الخلادي نفسه - أن الزحف الريفي كان في قوته كالنمل حتى أن من لم يكن مسلحا جاء مع الزاحفين واستعمل أسلوبه الخاص للهجوم فاستمر القتال على مركز باب المروج يومين اثنين، خنذق المجاهدون حوله، وجعلوا يدلفون رويدا رويدا بينما تصلحهم خطوط العدو الخلفية بالمدافع، وقنابل الطائرات التي لم تغن شيئا، واستطاع المجاهدون أن ينتصروا على العدو، فقتل وأسر عدد كبير، ومن جملة من أسر خابط برتبة ملازم أرسل مع الأسرى الى مركز بنى برابر بقبيلة مثوية. وعندما تحالفت فرنسا واسبانيا للقضاء على الثورة الريفية، وزحفت القوة الفرنسية من تازا لاسترداد قبائلها الشمالية، ذهب القائد الخلادي على رأس قوة صغيرة تقدر بنحو 30 مجاهدا الى قبيلة مرييسة حيث نزل بدار عمر بن احميدو الذي كان فر أمام المجاهدين الى تازا .

ولما وصل الخلادي الى مرييسة، استغاث بالقائد عمر بن علوش الورياغلى الذى خلفه السيد امحمد الخطابي على رأس قوة المجاهدين ضد الجيش الفرنسي على خط ورغة فأرسل اليه هذا 30 مقاتلا لمؤازرته، وكان علم القائد الخلادي من رجاله الذين خلفهم في قبيلة البرانص أن قوة من الجيش الفرنسي ومن محلة الاهالى تحت رئاسة

الكبطان شमित بمعاونة قائد كزناية المدعو المذبوح، وعمر بن احميدو
الفرنسي يستعدون لملاحقته للقبض عليهم وعلى عائلتهم التي صحبتهم
قبل أن يفلتوا من يدهم، وهكذا توجهت عمليا تلك القوة المتألفة من 200
رجل فسمد الخلايى بقوته التي هي 60 مقاتلا في وجه هذه الحملة،
فاستطاعوا أن يوقفوهم، ولم ينالوا منهم منالا، فانسحب الخلايى
الى قبيلة زرقت، حيث نزلوا على القائد محمد الفلاح الخمايشى الذى
أساء اليهم اساءة لا زال يذكرها بامتعاض، لان تلك المعاملة جردتهم حتى
من خيولهم ثم انتهت بحبسهم في تماسينت، مع مولاي على الريسونى،
ولد أخ الريسونى المشهور، وقائد بنى سعيد المدعو محمد البقالى،
وقائد بنى سلمان المدعو البويحياوى والطالب محمد الشاوى من سماتة
ومحمد الوزانى من أنجرة والقائد الفار من الإخماس وبقى الخلايى
وجماعته في الحبس لمدة 15 يوما، الى أن أطلع عمر بن علوش على خبرهم
وأعلم بهم الامير ابن عبد الكريم فأمر باخراجهم حالا وبذهابهم الى
تركيس، حيث كان يعسكر عمر بن علوش للعمل معه .

وفي أثناء وجوده بتركيس مع عمر بن علوش نظم الاستخبارات
على قبائل غياثة والتسول والبرانس، فكانت تأتى اليه بانتظام، وقد علم
من خلالها أن الجيش الفرنسى يستعد لهجوم عام امتدادا من خط
بيتدىء من ثلثاء أولاد بوبكر بقبيلة مطالسة الى مدينة وزان، هناك رجل
الخلايى بعائلته الى قرية اسنادة، حيث زاوية سيدى احميدو الوزانى .

معارك على منطقة وزان

روح قتالية تقمصها فقيهان، وحولت منهما رجلى ميدان فى قبائل جبالة بمنطقة وزان، وهما الفقيه القاضى السيد محمد العبودى الغزاوى، والشيخ المقرئ السيد محمد بن الطيب الحيونى من بنى مستارة، وقد دعت الاول هذه الروح الوثابة، ان يحصن تراب قبيلة غزاوة بأسرها، برجاله البواهل، فكون منها وكرا اقض مجزع الجيش الفرنسى، كما كان لهم عائقا سميكا عاقهم ان يتخطوا عتبة وزان لاحتلال شفشاون، بل لم يستطع ذلك الجيش أن يخضع تلك القبيلة ولو بعد استسلام الثورة الريفية، فاستمرت تقاتل الى سنة 1928، أما الثانى فانه انضم الى جيش الثورة الريفية، وقاتل الاسبان، وعند الاحتلال حكموا عليه بالأعدام، إلا أنه فر الى منطقة الاحتلال الافرنسى، فنجى من الاعدام، وكان يحفظ القراءات السبع حفظا متقنا وحسبما نعلم فانه لازال حيا فى شيخوخة متقدمة حفظه الله .

ان العبودى تمرس القتال قبل ذلك فى ادغال جبل العلم، مثنوى مولاي عبد السلام بن مشيش اذ كان حلس الجهاد مع اخوانه المجاهدين من تلك القبائل الجبلية، وقد قضى هناك قرابة ثلاث سنين يتنقل بين غزاوة وبنى عروص وبنى زروال وبنى مزكلدة يخلص النصيحة للشرىف الريسونى، عند الحاجة، ولما بانث بشائر الانتصار فى الريف، ولى وجهته نحو المجاهدين هناك فبعث ولده البكر عبد الله للاتصال بابن عبد الكريم، لتوحيد الخطة، والتى يتوجب على الفقيه العبودى أن يلتزم بها، ضمن المخطط العام للدفاع عن الوطن، فوقع الاتفاق على ما يأتى :

أولا : ان ينصح الريسونى لكى ينضم الى الثورة الريفية ، لقطع الطريق على الجيش الغازى، الذى يستعمل كل طاقاته الخداعية لبث الشقاق بين الاخوة .

ثانيا : فاذا لم يتفهم الريسونى الوضعية فيعمل

(أى العبودى) لنصح القبائل التى تسير فى ركابه لكى تلم جمعهم حوله .

ثالثا : وعليه بعد ذلك ان يهيه قبيلة غزاوة لتكون سدا منيعا وحصنا حصينا للمجاهدين الذين يعملون على خط واد لوكوس الى أكام اسوال وطروال ، الى حدود بنى زروال .

وهكذا قام بتنفيذ المهمات الثلاثة، فجمع رجاله الذين كانت قلعة تازروت تعج بهم فبين لهم المحجة الواضحة التى يتوجب عليهم أن يسلكوها ازاء العدو المتكالب على الوطن، وان بشائر النجاة تتراءى ساطعة من رجال الثورة الذين درجوا على الاستبسال وحرزوا انتصارا تلو الآخر على الاسبان، فيتوجب عليهم ان يؤازروهم لا أن يخذلوهم .

وبعد ذلك شمر على استقطاب قبيلة غزاوة، وتسهيل مهمة المجاهدين الذين تقاطرون على خط وزان من جميع جهاته، فكان عمله يسير على الوجه المأمون .

فكون وفدا تحت رياسته الى شفشاون حيث تم الاتفاق مع قائد الجبهة الغربية الجنوبية السيد عبد السلام البوعياشى على المخطط الحربى ضد فرنسا .

ذلك أنه كما أسلفنا، فان الخط الذى يشمل مناطق وزان صدر فى حقه قرار حربى بتركيبت من طرف المجلس الحربى برياسة امحمد الخطابى، واسند المهمة الحربية هناك الى القائد المجاهد بشفشاون . وكان ابن عبد الكريم علم بالمخطط الثانى الذى أعدته القيادة العليا الفرنسية الذى يقول بالهجوم على مدينة شفشاون عن طريق واد لوكوس، والقاء الثقل الحربى هناك، حيث تتقدم الجيوش الاسبانية لاسترجاع مدينة شفشاون .

وبذلك تخف وطأة الهجوم على ورغة، لان ابن عبد الكريم يكون مضطرا لتوزيع قواته على الخطين، الامر الذى يوهن تلك القوة، فكلف القائد المذكور، بتعبئة القبائل التى تحيط بتلك الجهة، لتحتل الاكام التى بين أسوال وطروال .

ونظرا للاهمية التي يعلقها قادة الثورة على هذه المنطقة التي تكون منطقة حساسة لقربها من مواقع الانتصارات على اسبانيا في معارك الجبهة الغربية، من بنى زكار جنوبا الى تطوان شمالا، فان الوفد الذي جاء من غزاوة كان من مهامه الرئيسية هو :

1 - التأييد البشري لكي يتقوى هذا الخط تقوية يكون سدا منيعا ضد محاولات العدو لاختراق الحاجز .

2 - ان يكون الطريق مفتوحا للاتصال بدوائر الثورة والدعم بالاحتياجات من المدافع والبنادق والذخيرة، وحتى بالمؤونة عند الحاجة، وذلك بعد ما كان رجال غزاوة هجموا على قشلة لحامية اسبانية في قبيلة أهل سريف، تدعى «قشلة مغزيز» فاحتدم القتال بين الحامية والمجاهدين وعندما سقط أغلب رجال الحامية قتلى سقطت القشلة في يدهم .

واستولى المجاهدون على مدفع ثقيل ومدفع رشاش وعدة من البنادق والوسائل الحربية الاخرى بما فيها البنادق (الخماسيات) وقد دعى وجود هذه الاسلحة الاسبانية في يدهم أن يطلبوا مزيدا من الذخيرة لاستعمالها بدون تحفظ .

3 - ان ينقل قائد الجبهة مركزه من مدنة شفشاون الى مركز فراحة الذي استولى عليه المجاهدون .

وعندما ارجع الامر الى الامير ابن عبد الكريم، فانه وافق على هذه البنود وأمر القائد السيد عبد السلام البوعياشي بالانتقال الى مركز فراحة، على أن يتولى القائد احمد بودرة الدفاع ضد الجيش الاسباني، وقد كان بودرة وصل بقوته الى جبل غرغيز المطل على تطوان وعمل جاهدا لتنصيب مدافع ثقيلة هناك على قمة الجبل الصخري السامق بقرية دار الراعي، حيث جعل يرمى بقنابلها الاقامة العامة بتطوان، الامر الذي أحدث ذعرا في الجيش الاسباني، حيث سقطت قذيفتان في الفدان وقذيفة فى حى المصداع، الا أن الذى يجب أن يلاحظ أن رمى مدينة تطوان بالقنابل لم يكن مخططا ثوريا عاما، بل كان ذلك أمرا محليا أصدره القائد احمد بودرة لارعاب الجيش الاسباني والا فان ابن عبد الكريم الذى منع رجاله من اقحام مدينة مليلية أو رميها

بالقنابل رحمة بالاهالي المسالمين، كان أجدر به أن يمنع رمي تطوان التي هي موطن المجاهدين والصلحاء وأصحاب الفكر وقادة الوطنية، الا أنه لم يكن في المستطاع الرجوع اليه، لان الجبهات المفتوحة ضد الريف في ذات الوقت قد شجعت المشاكل، وكان على كل قائد محلي أن يتصرف طبق ما يراه .

أما وضعية الجيش الفرنسي على جبهة وزان فانها لم تشذ عن المواقع من وزان الى تازا، وكان الجنرال «دي شمبران» القائد العام في فاس، قد وكل أمر الدفاع عن منطقة وزان الى الكرونييل «كولومبو» ضمن تقسيم الخط الممتد الى تازا الى ثلاثة أقسام :

- خط وزان تحت رياسة الكورونيل كلومبو .
- وخط عين عائشة تحت امرة الكورونيل فريدا نبورغ .
- وخط تازا تحت امرة الكورونيل كامباي .

كانت وضعية الكورونيل كلومبو صعبة، لانه كان عليه أن يلفت اهتمام ابن عبد الكريم الى هذا الخط الذي يهدد مدينة شفشاون، حيث شهدت الثورة أوج انتصارها على الاسبان، ولذا فقد زود بسرب من الطائرات تحت اسم «سرب لافاييت»، وكان يقود طائرات هذا السرب طيارون أمريكيان متطوعون، تحت قيادة العقيد «تشارلز سفييني» وقاموا بقصف مدينة شفشاون، فقتلوا عددا كبيرا من النساء والاطفال، كما تشوه عدد آخر منهم أو فقدوا أبصارهم نظرا لوحشية القصف .

ونظرا الى أن أميركا غير محاربة للريف، وبالتالي يكون ممنوعا على مواطنيها أن يخوضوا حربا استعمارية في صفوف الفرنسيين، فان هؤلاء عمدوا الى حيلة لم تتطل على أحد، وذلك أنهم أدرجوه في سلاح الجو التابع لسلطان المغرب، رغم أنه لا وجود لهذا السلاح بتاتا، فالمغرب لا يملك ولو طائرة واحدة، فضلا عن أن يملك أسرابا من الطائرات .

ذلك ما دعى الرأي العام الامريكى أن يأسف لذلك، فقد نشر المراسل الامريكى «هاريس» في جريدة التيمس الاميريكية، أنه يأسف لقصف مدينة شفشاون المقدسة والمفتوحة، في حين كان كل ذكر من السكان قادر على حمل السلاح غائبا عن المدينة، كما يعرف الجميع، ووصف القصف «بأنه أكثر افعال هذه الحرب كلها وحشية واستهتارا وظلما»،

وان وجود ربابنة أميركان يقودون تلك الطائرات يعد وصمة في جبين دولة ديمقراطية .

وقال المراسل : أ.أ. بويل «كانوا يزعمون (أى الطيارون الامريكان) أنهم يقاتلون من أجل فرنسا وفى الحقيقة أنهم كانوا يقاتلون لابقاء اسبانيا فى الريف واسبانيا بلد طردته الاجيال الاميريكية السابقة من آخر معقل له فى العالم الجديد (يعنى كوبا)، لان وحشيته وطغيانه كانا يفوحان رائحة كريهة فى أنوف الناس الشرفاء» .

ولم يكف هؤلاء الامريكان من قصف قرى الريف واسواق النساء فيها، الا بعد أن انبتهم دولتهم مذكرة اياهم بأن أمريكا ليست فى حالة حرب مع الريف، وذلك بعدما انذر المراسل هاريس دولته بمغبة عمل الطيارين الامريكان .

وعلى كل حال فان قادة الجيش الفرنسى كانوا يخشون أن يمتد الهجوم الريفى الى حدود بحر الاطلس، حيث ان ابن عبد الكريم فى شهر يونيو كان خفف الوطأة على فاس، ووجه عنايته الى القطاعين الغربى على وزان، والشرقى على تازا، وكان الرأى السائد لدى الدوائر الفرنسية ان الريفيين سوف لا يقفون الا على ضفاف المحيط الاطلسى بسيدى بوسلهام، حينما تكون قبائل وزان وجباله سكان الارض ذات التضاريس الوعرة التى تكون مواقع حصينة بالنسبة للاهالى، بينما يضيع الجيش الغازى بين الهضاب والمنحدرات والشعاب قد انتشت بالانتصار الذى يحرك فيهم الحماس للقتال بكل الجرأة التى تتعشق مثل هذه الفرص لابرار البطولات المثالية والمتمرسه عليها بطبيعة تكوينها الطبيعى الذى يجعلها تتأثر كثيرا بالانتصار على اسبانيا، ذلك الانتصار الذى حرك كل ضمير قادر على خوض المعركة .

ولهذه الحقائق فقد طار رئيس وزراء فرنسا فى ذلك الوقت المسيو «بول بنليفيه» فى مطلع يونيو 1925 وقام بزيارة الجبهة على طولها، واثّر ذلك نصيح المرشال ليوطى بقوله، «واياك أن تمنح كريما (يعنى عبد الكريم) أية تنازلات» .

ومع ذلك فقد قرر خداع الريف وصرح للصحفيين بأنه يبذل جميع

جهوده في سبيل السلام، وشرع المرشال اليوطى في تنفيذ مخطط الخديعة، وأمر رئيس المخابرات بقطاع توريدت المسيو «غابريلى» بأن يتوجه الى الريف على مسؤوليته .

وعلى كل فان المعارك استمرت في هذا القطاع بين الطرفين المتحاربين، ووقع حصار على قبيلتى بنى مستارة وغزاورة اللتين أظهرتا من البسالة، الشيء الذى حير الاعداء، فاكفى الجيش الفرنسى بتحسين مدينة وزان تحصينا كبيرا نظرا لاهمية موقعها بين تلك القبائل العاتية التى تقدسها تقديسا يضارع ما لشفشاون من القدسية، لانها مدينة شرفاء وزان، وتحتضن دار الضمانة ولانها كانت قلب تلك القبائل فأحاطها الاعداء بسلسلة من المدافع بلغت في مجموعها مائة مدفع، كان أضخمها مدفعين من عيار 15-60 موضوعين على جبل بو هلال - ويسمى بذلك لانه على هياة الهلال .

وكان المجاهدون من الارياف ورجال غزاورة وبنى مستارة، ولو كانوا هناك في قلة، جعلوا مقر عملياتهم الحربية ضد الجيش الذى في وزان على جبل بوكانوس بقبيلة غزاورة، وكانوا يشنون غارات مزعجة ليلا ونهارا ويصيبون من العدو مقتلا، الامر الذى جعل حامية الاعداء التى على (دهر لغدير) ترميهم بوابل من قذائف المدافع باسترسال .

وبينما المدفعية ترسل حممها كانت أسراب من طائراتهم تقنبل مواقع المجاهدين في قبيلة غزاورة وقد استطاع رجال من عائلة الفقيه العبودى من مدشر دار الوادى، وهم ولده السيد عبد الله والسى على بن محمد العبودى، ومحمد بن عبد السلام العبودى، ان يتصدوا لاحداها بالمدفع الرشاش الذى غنم من معركة «مغريز» بأهل سريف فاسقطوها وكان يقودها ضابط صف، ويدعى «ساكيرلا»، وأخذ أسيرا، وعندما تجمعهم عليه رجال غزاورة حاولوا الفتك به، الا أن الفقيه العبودى منعهم من ذلك قائلا، انه ورقة رابحة في أيدينا، ذلك ان الجيش الفرنسى كان أسر من قبائل وزان مائتين من المجاهدين، واحتفظ بهم في وزان، فرأى السيد العبودى أن هذا الضابط هو الحل الوحيد لاستخلاص المجاهدين من يد الاعداء، ولقد لقيت خطته نجاحا وتحبيذا، فقد استخلص المجاهدون أولئك الاسرى في مقابل هذا الطيار، بمفاوضات بين الجانبين بواسطة مولاي

الحسن الوزاني من طنجة الذي كان منخرطاً في ذلك الوقت في الجيش الفرنسي برتبة ملازم، وقد أسدى خيراً للمجاهدين في هذه المفاوضة .
أما الطائرة فقد تحطمت في مكانها الذي سقطت فيه بمدشر دار الوادي .

ومن المعارك التي جرت في قبيلة غزاوة، التي هي من تلك المعارك الضارية الكبرى، معركة قلعة فراحة التي كان قد اعتنى العدو بتحسينها، لأنها كانت تحتل موقعا استراتيجيا مهما، على الضفاف العليا ل وادي لوكوس، والتي كانت آخر قلعة في تلك الجهة تشرف على الحدود الوهمية بين منطقة الحماية الفرنسية والحماية الإسبانية، وجاءت في عنق المواصلات بين وزان وشفشاون، أي بين قبائل جبلية حبي الله أرضها بتضاريس طبيعية، تكون أخاديد تحتف بها، ذرى سامقة صعبة الارتقاء والانحدار معا، ولا تكسب الطائرات أي نصر فيها لان قنابلها تطيش بين تلك الاغوار والاحراش .

وقد هاجمتها قوة من مجاهدي قبيلة غزاوة اثر انتصارهم على قشلة مغزير الاسبانية بأهل سريف، مؤازرين بقوة من الارياف الذين تسللوا عن طريق لكوس واستبسلوا حولها، فكانت العاقبة دحر القشلة بالقتل والاسر، وكان من مخلفات هذه المعركة مقبرة للجنود الفرنسيين لا زالت هناك الى الآن، وفي عهد الحماية كان يزورها الفرنسيون ويقيمون مندبة في كل فاتح نوفمبر من كل سنة، كما كانوا يزورون محل حطام الطائرة .

وبعد سقوط هذه القشلة فان قائد المجاهدين بشفشاون أرسل القائد الكندوزي الريفي ليجعلها مقرا لعمليات المجاهدين هناك، الا أن هذا القائد كانت له نظرية تخالف نظرية السيد العبودي المذكور فيما يتعلق باستراتيجية التحركات القتالية، ولما كانت نظرية السيد العبودي صحيحة من الوجهة الحربية لأنها نظرية نابعة من فكر خبر دروب أرضية المعارك، كما خبر نفسية رجال قبيلته الذين عايشهم وعرف الشجاع الذي يغنى منهم ومن ليس كذلك، فضلا عن ان جماع أمر القبيلة كان بيد هذا المجاهد، وكان من أسباب الخلاف أيضا أن مكالمة تليفونية جاءت خدعة من قبل العدو على لسان الامير ابن عبد الكريم تتضمن المكاملة

نصيحة المجاهدين بأن لا يتحرشوا مع الجيش الفرنسي وأن يبدوا تسامحا معه، فرأى الفقيه العبودي بأن المكالمة خديعة حربية تعمد بها العدو لزرع الخلاف بين المجاهدين، ويرى الكندوزي أن المكالمة صحيحة ولذا فان القيادة العامة بشفشاون استدعت القائد الكندوزي واستبدلته بالقائد حدو المعلم الى أن نقلت القيادة العامة الى هناك، واثرت هذه المعركة جرت معركة أخرى على جبل «توخا» حيث كانت للعدو هناك حامية فسقطت في يد المجاهدين، وفي قبيلة بنى مستارة دارت معركة حامية الوطيس بمدشر القشاشدة قتل فيها من الجيش الافرنسي جنود كثيرون، ومن بينهم قائد المنطقة العسكرية الجبلية الكمدان «بوكيو»، الذي خلف تأثيرا كبيرا لدى الجيش الافرنسي، حتى أن الجالية الافرنسية من القبيلة بعد الاحتلال، شيدت له ضريحا فخما، تذكارا للحادثة المفجعة، التي بقيت عواقبها وخيمة على القرية، اذ أن الجيش الافرنسي، أخلى القرية من سكانها بعد اعدام جلهم.

وكما جرت معركة كبرى على جبل «فتراس» حيث أن المجاهدين حاصروها لمدة عدة أسابيع على احدى الروايات وقطعت عنها المؤونة الحربية والتغذية وحاول العدو اغاثتها، ولكن كانت نيران المجاهدين أقوى من اختراقها، فسقطت بعدما خلفت خسائر كبيرة في الارواح والمعدات، وبعد سقوط هذه القلاع، تحررت قبيلة غزاوة من جيش العدو، وحصنت نفسها بالمقاتلين الذين انتشوا بالانتصارات المتتالية، فكان الجيش الفرنسي لا يجرؤ على خوض المعارك داخل القبيلة، وانما كان يعتمد الى دكها بالمدافع والطائرات التي كانت تتعاون، ما بين الطائرات الفرنسية التي تقلع من مطار وزان، والاسبانية التي تقلع من مطار «أسميد الماء»، والى حصارها باحتلاله للقبائل المجاورة لها، فاستمرت تكافح وحدها داخل حدودها الى سنة 1928، أى بعد انتهاء حرب الريف التحريرية سنة 1927، بعكس ما فعلته قبيلة الاخماس السفلية والرهونة، بل أن المجاهدين الارياف الذين كانوا تمركزوا في قرية أسحال بالرهونة لقوا معاملة غير مستحبة من قبل الاخماس، ذلك أن هؤلاء المجاهدين كانوا أقضوا مضجع الجيش الفرنسي بوزان بغاراتهم الليلية، والنهارية، فعمد الحاكم العسكري لوزان المدعو «الفلودي» الذي كان يحسن اللغة العربية ويحسن

الخداع، ويقال أنه استعمل شخصا من الاخماس السفلية يسكن في وزان ويدعى المعلم الخمسي، بأن يعمل ليشتري قواد الاخماس السفلية مقابل 60 ألف ريال - كان عددا ضخما في ذلك الوقت - ، لاجل أن يخذلوا المجاهدين في هذا الموقع فنجح هذا العميل وخذلوا المجاهدين، حيث أمروهم باخلاء قبيلة الرهونة، قائلين لهم: ان هذه القبيلة هي أرضنا، ونحن ندافع عنها، ولا نحتاج لاحد، وكاد الاخوة أن يقتتلوا، لولا انسحاب المجاهدين الريفيين، الذين رأوا ان هذه المكيدة دبرت من قبل العدو، فسلخوا طريق غزاوة، وكان عددهم يبلغ حوالى 170 مجاهدا قصدوا مركز قوة الفقيه العبودى الذى وسع لهم المجال للجهاد، رغم أنه كان على علم باستسلام ابن عبد الكريم، وكنتم ذلك عنهم، وانضموا الى صفوفه مع مجاهدى غزاوة، ثم تعزز جانبهم بانضمام المجاهدين السيدين عبد السلام ومحمد ابني السى احمد المقدم التسمانيين، حيث كون الجميع قوة قتالية صمدت أمام هجمات الجيش الفرنسى لمدة اعتبرت آخر فترة قتالية استبسلت .

وعندما أنتت النهائية للثورة فان المجاهدين الذين كانوا هناك تسللوا فرادى وجماعات عن طريق قبيلة بنى احمد الجبلية، الى مساقط رؤوسهم فى اختفاء من الجيش الاسبانى، أما التسمانيان الذان يعيرهما الجيش الاسبانى اهتماما كبيرا لمقام بسالتهما النادرة، فانهما ذهبا الى فاس، الامر الذى جعل الاسبان يبحثون عنهما لارجاعهما الى تطوان تحت الامان، وفعلا رجعا والزموا بالاقامة الاجبارية فى مدينة الحسيمة.

غزو الحسيمة والمعارك التي جرت
بعد ذلك الى نهاية الثورة
واستسلام الامير : ابن عبد الكريم

الجهة الشمالية

غزو الحسيمة بحرا :

بمجرد ما اندلع الانفجار على ورغة، أصبح أمر الاتفاق الفرنسي الاسباني متوقعا، بل مؤكدا، لان المصائب توحد، وقد اهتمل الاسبان لهذا الانفجار ايما اهتمام، وطالما تشوقوا اليه، لانهم كانوا يحقدون علن فرنسا ان تبقى متفرجة على الصراع الذي تميل كفته من أول وهلة الى الثورة الريفية، فلم يذق الاسبان أية نشوة انتصار، بينما فرنسا توجد في حالة التشفى في جارتها الايبيرية، وتترقب الوقت الذي تحل محلها في الحاق الجزء الشمالى من المغرب الى الجزء الجنوبى، أو هكذا كان الاعتقاد السائد لدى دوائر الاستعمار .

وعندما زار رئيس وزراء فرنسا المسيو «بول بينليفه» في مطلع شهر يونيو 1925 المغرب، عقب اندلاع الصراع على ورغة، وزيارته للجهة طولا وعرضا، ورأى بعينى رأسه مدى الحماس الجماهري لدى المقاتلين المولدين - كما يسمون المجاهدين الاحرار - أدرك أن هؤلاء الوعول التى كلما حاولت اسبانيا أخذها من قرونها أرطمتها الى بعيد وان فرنسا اذا حاولت أيضا وحدها ان تمسكها بقرونها فانها ترتطم بنفس الشكل، خصوصا وأنه انبأ المرشال اليوطى بالعبرة القاسية التالية «انه ليس لدى فرنسا أية قطاعات يمكن أن تبعث بها اليك» ومع ذلك فانه أوصاه بقوله «اياك أن تمنع كريما (ابن عبد الكريم) أية تنازلات» .

وفى خضم التساؤلات التى تترى على التفكير حين تحكيم العبارتين المتناقضتين الأنفتى الذكر، وما قام به المرشال اليوطى، بعد مغادرة رئيس الوزراء المغرب من ايعازه الى رئيس المخابرات الفرنسية بالممر الرئيسى لرجال الريف بالمغرب الشرقى (تويريرت) ليزور ابن عبد الكريم فى الريف، يبدو جليا أن القرار اتخذ بأسلوب الخداع الاستعماري،

حينما أعلن رئيس الوزراء للصحفيين اثر رجوعه الى باريس، بأنه يبذل جميع جهوده في سبيل السلام، ولكن أى سلام يعنى؟ لاشك أن السلام الذى يعنيه هو القضاء على تلك الوعول المزعجة، والمعيقة لينشر الاستعمار الويته على المغرب، من دون منازع، وفى هذا الاطار، فان المرشال اليوطى أرسل المسيو غابريلى الى الريف، حيث تقابل مع ابن عبد الكريم في «أخشاب أمغار»، وكان مقر القيادة العامة للجبهة الشرقية، ولأجل اخفاء الحقيقة، فان المرشال اليوطى أعلن أن بعث رئيس المخابرات كان على مسؤوليته الخاصة لتنقية الجو، كمقدمة لانهاء النزاع المسلح .

فلما عرض المبعوث اقتراح السلام على الامير، قال هذا الاخير فى صراحة «انى شديد الاسف للاوضاع الحالية، وقد كنت أتطلع على الدوام الى الوصول الى اتفاق مع فرنسا، وانى على أهبة الاستعداد لازالة أسباب سوء التفاهم، ولكنه يجب أن لا يغيب عن البال، أن الشعب الريفى عازم على استقلاله المطلق، وهو الاستقلال الذى تحقق فعلا». «اننى - يقول ابن عبد الكريم - لم ازج بجميع قواى ضد فرنسا بعد، بل أرسلت كتائب قليلة تنضم الى القبائل التى تحاربكم وتعمل على تنظيمها، ومهما يكن من أمر، وعلى الرغم من جميع الاقوال التى صدرت عنى، فانى آسف للاوضاع الراهنة» .

«اننى لا أثير حربا مقدسة كما يدعون، فقد انتهى عهد الحرب المقدسة ولم نعد نعيش فى القرون الوسطى كما أننا لا نعيش فى عهود الحروب الصليبية، ان غايتنا أن نكون أحرارا، وان نعيش فى وطن مستقل، والا يحكمنا غير الله وحده» .

ويبدو من تقرير غابريلى الذى رفعه الى المقيم العام اثر رجوعه الى فاس «أنه يصعب الوصول الى اقناع الريف بالطريقة التى تقترحها فرنسا، لوضع حد للنزاع المسلح، لانه حسب تعبيره ثمة احساس بالنشوة يظهره الريفيون برفضهم أخذ أية وجهة نظر أخرى بعين الاعتبار، وفى الحقيقة، أنه تبدو عليهم الثقة المطلقة بشأن حصيلة الصراع، ان بنية بلادهم بنية غير مستقرة حقا، فهى منظمة على أسس عسكرية تماما». وقد أعقب تقريره هذا بالحقيقة التى كان يبحث عنها، وهى

مدى اقتناع ابن عبد الكريم بالتعاون الفرنسي الاسباني في حلف
ضد الريف، فافاد «بأن هذا الحلف لازال مستبعدا عنده، لانه يرى أن
مثل هذا الحلف سينهار، وأردف قائلا «ان ابن عبد الكريم انسان شديد
العناد، وهو شخص يجب أن يحسب له حساب» .

الاتفاق الفرنسي الاسباني

وقبل هذه المساعي الغير الحميدة، كانت الاندية الفرنسية تغلى
غليان الرجل، وتلهج بالاتفاق مع اسبانيا لمقاومة الريف، والسماح لها
باختراق الحدود بين المنطقتين، وذلك ما دعى رئيس وزراء فرنسا لزيارة
المغرب، كما أسلفنا، وعند رجوعه قرأى الحكومة الفرنسية على الدخول
في المفاوضات مع اسبانيا، في شأن التعاون الاستعماري في المغرب .

وهكذا وقع اختيارها على شخص يمت بصلة الصداقة الى الحاكم
بأمره، الاسباني، الجنرال بريمودى الريفيرا، ويدعى مسيو «ملفى» ،
وقد كان وزيرا للداخلية في حكومة اليسار الفرنسية، وقد اكتسب صداقة
الجنرال أيام نفيه عن فرنسا، بعد محاكمته اثر الحرب العالمية الاولى،
ويضم الوفد الفرنسي عدا المسيو ملفى، سفير فرنسا بمديرى الميسيو
«برتيردى لاركا» أما الوفد الاسباني، فكان برئاسة الجنرال خردانة الابن.

وفى 17 يونيو 1925 عقد المتفاوضون جلسة الافتتاح وخطب
فيها كل من رئيسى الوفدين، فكانت خطبهما تضرب على نغمة واحدة،
وهى نغمة التضامن ضد الريف والقضاء على أسباب الحرب المستعرة،
هناك، وخطب أولا رئيس الوفد الاسباني بصفته مضيفا للوفد الفرنسي،
وجاء فى خطابه: «ان الساعة رهيبة، وهذه فرصة نادرة، أتيت لئلا
فلننتهزها، ولا ندعها تغلت من أيدينا، ولنبدل قصارى طاقتنا لنحقق هذا
الاتفاق، الذى كان يجب أن نفكر فيه قبل الآن، صونا لمصالحنا» . فرد عليه
سفير فرنسا بمديرى، مهيبا: «بأن المصلحة تقتضى سرعة العمل» .

وقد استمرت المفاوضات قرابة شهر، وقع اثرها بتاريخ : 11
يوليوز 1925 على الحلف الاستعماري الذى عقد بين الدولتين في الصيغة
التالية :

1 - تعزيز مراقبة شواطئ الريف والطرق البرية، وخصوصا من منطقة طنجة، للحيلولة دون تهريب السلاح الى الريف .

2 - التعاون الاسبانى الفرنسى على مقاومة الريف فى ثورته .

3 - تخويل اسبانيا لفرنسا حق مطاردة الريفيين، ولو داخل حدود المنطقة التى وضعت تحت حماية اسبانيا .

واثارت اسبانيا خلال المؤتمر ضرورة اعطائها مقاما خاصا فى منطقة طنجة، متذرة بأن وضعيتها الحالية سهلت تهريب السلاح الى الريف، وانها مستهدفة لخطورة الهجوم من ابن عبد الكريم على تلك المنطقة، وطلبت أن ترسل الى المنطقة بوليسها لمراقبة الحالة .

وفيما يخص هذه المنطقة، فان فرنسا احوالت اسبانيا على بريطانيا التى تهمها هذه المنطقة، لقربها من جبل طارق، وفعلا أرسلت مذكرة الى لندن التى رفضت المذكرة .

وعقد أيضا اتفاق فى اطار معاهدة 1912، يهتم بتوضيح الحدود بين المنطقتين .

هذا ما يخص الحلف السرى الذى يهم الدولتين مباشرة، والذى هو الاساس لذلك المؤتمر .

وفيما يخص التمويه على رأى العام، للتذرع بالتدخل المسلح من طرف فرنسا، ومطاردة الريفيين فانهم هياؤا مشروع سلام يعرض على ابن عبد الكريم ليجيب عنه، وضربوا له مهلة .

وهذه هى الشروط التى تعرض عليه عرضا، ولا يتفاوض عليها، وانما يقول نعم أو لا .

1 - تبادل الاسرى بين الريف من جهة وبين فرنسا واسبانيا من

جهة أخرى .

2 - العفو المتبادل التام والكامل والفعال، اعتبارا من يناير 1921 .

3 - تعريف نظام الحكم الذاتى .

4 - تحديد الاراضى التى ستخضع لهذا النظام .

5 - تحديد قوة الشرطة التى ستضمن القانون والنظام فى هذه

الاراضى .

6 - الاعتراف بالحرية التجارية، وضمائها فى هذه الاراضى فى

حدود المعاهدات الدولية وبالاخص حدود البنود الدولية المتعلقة بالجمارك.
7 - حظر المتاجرة بالاسلحة والذخائر .

8 - تحديد قطاع من الساحل تحتله اسبانيا بصورة سلمية، بعد انتهاء النزاع المسلح، ولأجل الكشف على الخداع الذى يعد مبيتا ضد الثورة الريفية، نأتى هنا بيوميات للاحداث. ففي هذه الاثناء أعلن وزير خارجية فرنسا المسيو «بنفله» بأنه متى تم وضع الشروط فى قالبها النهائى، فانها تبلغ الى ابن عبد الكريم، فان وافق عليها شرع فى المفاوضة الرسمية (أى داخل اطار تلك الشروط) وان لم يوافق عليها واصلت فرنسا الحرب حتى تصون شرفها ومقامها ونفوذها» .

و اثر هذا التصريح، قامت ضجة صاخبة احدثها الوطنيون اليمينيون فى فرنسا، محتجين على تصريح وزير الخارجية الذى يدل على رضوخ فرنسا للمتمردين (حسب تعبيرهم) لا مقام لهم ولا شأن، فرجع وزير الخارجية فى تصريحه وقال: «ان فرنسا لا تسعى الى ابن عبد الكريم تسعى من يطلب الصلح، فان لفرنسا مقاما أدبيا عظيما بين الامم، ونحن مكلفون بصون هذا المقام»، ثم زاد قائلا «ان ابن عبد الكريم يمكن له أن يطلع على شروط الصلح بواسطة الجزائريين أو المغاربة الذين يذهبون الى الريف» .

(بمعنى أنها لا تبلغ اليه بصفة رسمية وانما له أن يطلع عليها عفويا)، فاذا قبلها فافوض عليها .

ولما تم وضع الصيغة النهائية لتلك الشروط حسبما ذكر، أبلغ ولاية الامور الفرنسيون ابن عبد الكريم بطريقة شبه رسمية، ان الشروط التى تم الاتفاق عليها هى تحت تصرفه، وانه فى امكانه الاطلاع عليها اذا أراد بواسطة المندوبين الذين انتدبتهم الحكومتان الفرنسية والاسبانية، واثره كلفت الاقامة العامة الفرنسية مسيو «غابريلى» ان يجتمع بالمسنيور «ايتشيفاريتا» فى مليلية، لينطلقا من هناك فى موكب حربى الى خليج الحسيمة ليجتمعا بابن عبد الكريم، وينقلا اليه شروط الصلح، على أن لا يدخل فى مناقشة الشروط معه .

ولما وصل غابريلى الى مليلية، أعلمه الجنرال «سانخورخو» بأن ابن عبد الكريم رفض مقابلة المبعوثين .

واثر ذلك اعتبرت فرنسا واسبانيا أن المهلة التي أعطيت لابن عبد الكريم قد انقضت، وأنه لم يبق هناك مجال للانتظار .

ويتبين بوضوح أكثر من أن هذه المراحل التي وقع سردها بالتتابع انما هو أسلوب خادع، انتهجته كل من الدولتين الاستعماريتين للتذرع بالتدخل العسكري المشترك وهو الهدف بالذات .

انه بتاريخ 16 يوليوز 1925 أى عند ما كانت صيغ الشروط تنسق في وضعها النهائي، فان وزارة الحربية الفرنسية أصدرت بلاغا في شأن امدادات عسكرية الى المغرب، مع تعيينها للمرشال بيتان لميادين القتال، على أن يستشير المرشال اليوطى في شأن التدابير التي تتخذ . وفى فاتح غشت جاء في التلغرافات ان «بريمودى الريفيرا» استقبل في تطوان رسولين من قبل ابن عبد الكريم وأطلعهما على شروط الصلح ثم قفلا راجعين .

وفى 7 غشت نشرت جريدة «الماتان» بأن ابن عبد الكريم تجنب حتى ذلك الوقت محادثة المندوبين الاسبان والفرنسيين المكلفين بابلاغه شروط الصلح .

وفى 17 غشت صرح المسيو «بول بينليفه» رئيس الوزراء ووزير الحربية، بأن ابن عبد الكريم مطلع دائما على شروط الصلح التي هي الاستقلال الادارى، والاقتصادى والسياسى، لقبائل الريف وجباله على أن يعترف بسيادة السلطان، وبالوفد الذى يوفده الى المنطقة الاسبانية، (هكذا وليست المنطقة الشمالية أو الريفية) .

وردا على تصريح رئيس الوزراء الفرنسى نشر في عدد 8 شتمبر 1925 مراسل «التايمس» في طنجة كتابا في الجريدة، توصل به من ابن عبد الكريم مؤرخ في 29 غشت نفى فيه ما قيل من أنه تلقى شروط الصلح من الفرنسيين والاسبانيين .

واذ قد وصلت الاحتكاكات الى هذه الدرجة، فان الاسبانيين والفرنسيين اعتبروا أنهم استنفذوا أغراضهم، ومهدوا للتدخل العسكرى، ولم يبق أمامهم الا انجلترا التي يهملها الامر، لما لها من مقام في جبل طارق، ولانها دولة أوربية يقضى الاسلوب الاستعمارى ان لا يستفزوها، فاقترحت الدولتان، الدخول معها في مفاوضات، وكان مدار المفاوضات يدور

في نطاق معاهدة 1912 التي ينص البند الاول منها، على أن ادارة المنطقة الاسبانية يتولى أمرها خليفة يختاره السلطان، من بين اسمين اثنين تعرضهما عليه الحكومة الاسبانية ويعاون الخليفة مستشارون يعينهم السلطان، ويكونون بمثابة وزراء محليين .

ونظرا لهذا البند، وبما أن السلطان مستقر في منطقة نفوذ فرنسا، فإن لهذه الاخيرة الحق فيما اذا عجزت اسبانيا عن احتلال الجزء المخصص لها، ان تتدخل عسكريا في هذه المنطقة لتنتهي النزاع وقد وافقت انكلترا على هذا التدبير، وبذلك أصبحت فرنسا حرة في تخطي الحدود شمالي ورغة، الى حيث يمكن أن تصل بجيوشها .

وفي خضم هذه المناورات قررت اسبانيا وفرنسا على أن لا تتنازلا لابن عبد الكريم عن شيء، الا في نطاق ما نصت عليه المعاهدة المشار اليها، التي يمكن أن تكون صالحة للاستقلال الذاتي للشمال، على أن يعين السلطان خليفة من بين اسمين اثنين تعرضهما اسبانيا عليه، وبالطبع لا يكون اسم ابن عبد الكريم مرغوبا فيه، ثم طالبتا أن يبتعد ابن عبد الكريم من الميدان وان يترك الامر لرجال الريف الآخرين .

ومما تجدر الاشارة اليه، أنه اثر هذه الاحداث السياسية والعسكرية المتلاحقة، والتي كانت تحد من سلطة المرشال اليوطي الذي لم يستطع أن يتقبلها، بعدما كان يعتز بالسلطة المطلقة في المغرب، ويعتبر العسكري المحنك، الذي خلد اسمه من بين الفاتحين، وخصوصا عندما عين المرشال بيتان مفتشا عاما للقوات العسكرية الفرنسية في المغرب، اثر الضجة الصاخبة التي أقامها عليه حزب اليسار الحاكم، الذي حملة تبعة الاحداث التي تقع في المغرب من سياسية وعسكرية، لا اعتقادهم أنه اولا توغله في بلاد ورغة، ولولا شدته مع قبائل تلك المنطقة، لما شن الريفيون هجومهم على تلك الجهة، كما شن عليه الشيوعيون الفرنسيون حملة أخرى، متذرعين بأن المرشال اليوطي لم يتوغل في تلك القبائل الا بغية التدخل في الريف عسكريا واكتساحه، الامر الذي يخلق مشاكل لفرنسا، ليس فقط في الريف، ولكن مع اسبانيا وانكلترا .

ورغم ان المرشال بيتان لما أرسل الى المغرب قبل تعيينه مفتشا

عاما ليقدم تقريرا على الحالة العامة السياسية والعسكرية في المغرب،
أشاد بأعمال المرشال اليوطى، والقادة العسكريين والجنود في المغرب
في تقرير قدمه بتاريخ 17 يوليوز 1925، وطمن فيه الدوائر الفرنسية
من أن فاسا وتازا بمنجاة من تهديد الريف لهما، قائلا: «ان الافق يزداد
تألقا، فقد اخفق الخصم رغما عن هجماته المتكررة في بلوغ أهدافه
السياسية في فاس، وتازا، التين يتباهى بأنه سيدخلهما غازيا، ان الحقيقة
التي يتم التشديد عليها بصورة كافية هي أن عبد الكريم لم يبلغ فاسا
مطلقا، وان طريق تازا لا زال مفتوحا وان هاتين المدينتين آمنتان فسي
الوقت الحاضر، ضد أى هجوم معاد، وان المناطق الداخلية من مراكش لا
تبرح عن ولائها التام لنا» .

وفيما يخص اطراء اليوطى، فقد جاء في التقرير «ولا يمكن للمرء
الا أن يرفع آيات الشكر الى القائد الكبير الذى رغما عن سنه، وعن
كل ثقل حياته القاسية في المستعمرات، وروح هذا الدفاع، استطاع أن
يحافظ ضد هجمة هؤلاء البرابرة على عمله التمدينى، الذى حاز على
عجاب العالم كله» .

وعن قوة الثورة، جاء فيه «الحقيقة أننا تعرضنا بصورة غير
متوقعة للهجوم من طرف العدو الأشد بأسا والافضل سلاحا، الذى
لم نصادفه في يوم من أيام حملاتنا الاستعمارية» .

«ان مقاطعتي الريف وجبالا بصورة مستقلة عن رجال القبائل
المنشقين في الجبهة، يمكن ان تعتمدا على احتياطي من المقاتلين يبلغ
30.000 الى 40.000 مقاتل، من الجنود الاذكياء، والاقوياء والمهرة
فى استخدام أسلحتهم، هؤلاء الذين انتشوا بنجاحاتهم في السنوات
السابقة» .

ورغم كل هذا الاطراء للمرشال اليوطى، فانه بتاريخ 29 شتنبر
1925 قدم استقالته الى الحكومة الفرنسية التي قبلتها حينها، وعينت
مكانه بتاريخ 7 اكتوبر وزير العداية في الحكومة الفرنسية مسيو
«ستينغ» مندوبا ساميا خلفا لليوطى .

المخطط الجهنمي :

عندما استلم المرشال بيتان مهامه بتاريخ 17 غشت 1925 كمفتش عام للقوات الفرنسية في المغرب، لاجل تنفيذ الاتفاقية الفرنسية الاسبانية من اكتساح الريف، فانها اتخذت تدابير عسكرية أشد قوة في المغرب .

وهكذا أرسلت ضعف القوة التي كان يطلبها المرشال اليوطى والتي لم تمنح له، وجاءت مع هذه القوة أسراب عديدة من الطائرات ومزيد من بطريات المدفعية، وخمسون دبابة يقود كل واحدة منها جنديان. وفي مطلع شتمبر 1925 كان هناك على خطوط وزان - شمالي فاس - تازا، قوة قوامها 200 ألف جندي تحت تسيير 40 جنرالاً، وعلى رأس الجميع المرشال اليوطى وبيطان .

ولاجل تنسيق التعاون في الحملة المترقبة الكاسحة، فان المرشال بيتان عرج على مدينة الجزيرة الخضراء ليجتمع مع الحاكم الاسباني، انجنرال «بريمودي الريفيرا»، والاتفاق على المخطط الجهنمي الذي سيقومان بتطبيقه، دون هوادة، بعدما مهدت جميع السبل عالمياً، وبعدها سدت كل الطرق في وجه الريف .

كان ابن عبد الكريم يتتبع الاحداث باهتمام، وكان يعرف استعدادات الاعداء، للقيام بحملة كاسحة، الا أنه كان يجهل اين تنفجر أول شرارة ذلك الهجوم، فمن قائل أن النزول يكون في خليج الحسيمة ومن قائل أنه في وادي لو، ومن قائل في بني بويفرح ومن قائل في تلمسان وكان هناك آخر وهو الهجوم البري .

وعلى كل، فان خطوط القتال مع القوتين اتسعت ضمن حوالى ألف ميل، عدا سواحل البحر من سيدى احساين الى سبتة .

وكان المرجح لديه حسب المعلومات التي زود بها من طنجة ان الحملة ستكون بحرياً، لعلمه أن الاسبان يشترون معدات النزول من بريطانيا، تلك المعدات التي كان البريطانيون استخدموها في غاليبولي .

وعليه فقد استبعد احتمال الهجوم البري من تفكيره، وكان عليه أن يحصن سواحل المتوسط بالمدافع الثقيلة والرشاشات، وهكذا زرع

حلقات من الاعشاش على طول 50 ميلا، ابتداء من رأس سيدي عابد (قرن الزيت)، وقد حفرت تلك الاعشاش تحت الارض في خنادق ملتوية، وجهزت تلك الاعشاش في السهل بالرشاشات التي يرجع تسييرها الى القائد «حدو اوسار»، أما أعشاش آكام أجدير فبالمدافع الثقيلة التي تشرف على الخليج مباشرة .

تدابير الامير ضد المخطط

وبما أن العدو اوحى لعملائه بأن يحملوا مغالطات الى رجال الريف بطنجة، من أن النزول سيكون على شواطئ غمارة الى وادي لو، فان التفكير أصبح موزعا بين المدافعين، ولم يستبعد ابن عبد الكريم هذا الاحتمال، ذلك ما دعاه لان يتكلف هو بالدفاع عن شواطئ الريف مباشرة، ويتكلف أخوه امحمد بالدفاع عن شواطئ بنى بويفرح وغمارة الى وادي لو، وفي هذا النطاق أمر أخاه الامير امحمد الذي كان يوجد ببوعذل، بأن ينتقل الى تلك الجهات لتحسينها .

ونترك موضوع تنقل الامير امحمد الى غمارة للوصف الذي أملاه علينا القائد محمد شراط (1) الذي سبق أن ذكرنا أنه كان على رأس ديوان الامير امحمد .

قال : فى اثناء ظهور استعدادات القوة الاستعمارية للنزول عن طريق البحر، بلغ الى علم الامير ابن عبد الكريم عن طريق المغالطة الحربية أن العدو سينزل بسواحل وادي لو، أو قاع أسراس، وقد وصل رسول من مركز بنى بربر، الذى كان آخر ما وصلت اليه الخطوط التليفونية، فاعلم الامير امحمد بأن أخاه يطلبه الى مركز بنى بربر ليتكلم معه هاتفيا وكان يعلم عن طريق الجرائد الاجنبية، التى تصل اليه من طنجة بواسطة شريف يدعى مولاى على، الاتفاق الفرنسي الاسباني، ضد الريف، ويعلم بواسطة وسائله الاخبارية المحلية الحشود المتزايدة من التعزيزات الفرنسية، التى تصل باستمرار الى الخطوط الحربية، ويعلم أن قيادة الحملة البحرية وكلت الى الجنرال سانخورخو الاسباني .

(1) شاهد عيان .

وهذا هو الحوار الذى جرى بين الاميرين :
— ابن عبد الكريم: هل فى علمك ما يعقد على ظهرنا من الاتفاق
بين فرنسا واسبانيا .

— أخوه: نعم انى أرى حشودا كبيرة تصل من فرنسا على
ضول الحدود هنا .

— ابن عبد الكريم: يبدو أن الحملة الاكبر أهمية هى التى يهيا
لها عن طريق البحر، لان تجارب البر اكسبت العدو يقينا بعدم الانتصار .
— أخوه: أوافقك على هذا رأى .

— ابن عبد الكريم: بما أن النزول على شواطئ الريف، وبالاخص
خليج الحسيمة، طالما راود فكرة الاسبان، ولكن وجدوا صعوبة فى
تنفيذها، فاعرضوا عنها، ويبدو أن الصعوبات لا زالت قائمة، نظرا لكثافة
أعشاش المدافع والرشاشات على طول هذا الساحل، ولذا فان العدو
سيحاول النزول فى شواطئ غمارة الى وادى لو .

— أخوه: لا أوافق على أن النزول يكون فى غير خليج الحسيمة،
أو أحد شواطئ بقيوة الى بنى بويفرح، أو تمسامان، لان العدو ولو
استبعد فى وقت ما المغامرة بالنزول فى الحسيمة التى كثيرا ما راودت
هذه المغامرة قادة الجيش الاسبانى، وراقتهم، فانه الآن آن الاوان
ليجربوها، وبالاخص انهم كسبوا حليفا هو عدو لدود لنا، وما قام
هذا العدو بالحشود على الحدود، ألا لاجل شغل أكبر قوة من رجالنا .

— ابن عبد الكريم: ولكن الاخبار التى وصلتني تؤكد أن النزول
سيكون على شواطئ غمارة، وبالاخص أن بعض البوارج أصبحت
تقصف تلك الجهات بشدة، فى الآونة الأخيرة، وان الفقيه
بدر الدين كان يتصل بهم سرييا، وطلبوا انزال قوة فى
مرسى مثار، فلما نزلوا هناك قاومهم المجاهدون واخلوهم من هناك
ومن جملة من أجلوهم عائلة بدر الدين بعدما جرحوه .

— أخوه: ان ذلك تضليل من طرفهم فهى خدعة حربية .

— ابن عبد الكريم: وعلى أى حال، فانى قررت أن أتولى بنفسى
الدفاع عن شواطئ الريف مهما كلفنى ذلك من ثمن، وان تتولى أنت
الدفاع عن شواطئ غمارة الى وادى لو .

— اذا ستبقى جبهة ورغة فارغة، وسينتهزها العدو للتقدم الى الامام .

— ابن عبد الكريم: ان الجيش الفرنسى ولو تقدم، فانه لا يسمح له بأن يتخطى قبائل ورغة التى هى الحد الفاصل فى الاوفاق بين الاسبانين والفرنسيين، على أنه يجب أن نكل أمر الدفاع عنها الى القبائل المحلية تحت راسة القائد عمر بن علوش الورياغلى .

— أخوه: وعلى الرغم من انى لا أوافق على رأى القائل بأن النزول سيكون فى غير الحسيمة ولكن أنا تحت الاوامر، وسأغادر بنى بربر حالا، واقترح أن أصحب معى قوة نظامية ومقاتلين من الريف، لأن تجربتنا السابقة أبانت بأنه لا يمكن الاستغناء عنها مهما كانت الحالة.

— ابن عبد الكريم: ضرورى أن تسحب معك طابورا من القوة النظامية ورجالا آخرين ممن تثق بهم، على أن تعجل بالرحيل ونتكل على الله أن يفشل تكالب الاعداء ضدنا، وماذلك على الله بعزيز .

— أخوه: وداعا، فانا أهيبىء الرحيل حالا، وعسى أن يوفقنا الله لنكون فى زمرة الشهداء .

واثر هذا الحوار جمع الامير قواد المنطقة هناك، وأعلمهم بالخطة الجديدة التى فرضتها الاحداث العسكرية والسياسية الاخيرة، ومما قاله لهم: انى اعتقد أن ليس أحدها أكثر اخلاصا لدينه ووطنه من الآخر، ولذا فوجودى هنا وعدم وجودى سيان، ما دام نفس الحماس والتجربة تتوفر فى الجميع، ولذا فانى أفارقكم الى مهمة أخرى، وسيبقى معكم نائبا عنا القائد عمر علوش، والهادى بنعزوز، وانكم تعرفون أن العدو أتى بحشود كبيرة، ومع ذلك فانى لما أعرفه فيكم من الحمية الوطنية والدينية والثبات عند اللقاء، فانه لا ينال منالا، وبالاخص أنه جرب شجاعتكم وأرضكم الطيبة الطاهرة، فبثباتكم لا يجنى الا ما جناه بالامس .

وقد أبدى الجميع الحماس المعهود فيهم، ثم أمر الامير امحمد بالرحيل بعدما انتقى من القوة النظامية طابور القائد شعيب أفلاح، الذى يتألف من 400 جندى ومقاتلين من الريف الآخرين وكوكبة الحراسة،

تتألف من 50 رجلاً، ومن حاشيته سيدى الحسن القادري شاعر الثورة،
والشريف سيدى الحسن حفيد سيدى محمد أمزيان، والقائد محمد شراط
وقصد الموكب الى مرسى يليش بينى بويفرح، حيث ركب الامير
وحاشيته مع كوكبة الحراسة فى الزوارق التى أعدت هناك، أما القوة
النظامية والمتطوعون، فانهم ذهبوا برا، قاصدين الى شاطئ تيكساس
بقبيلة بنى زيات من غمارة .

ومكث فى هذا المركز بعض الوقت، لاستدعاء رجال غمارة حيث هيا
منهم فرقا بالتناوب لحراسة الشواطىء، وحشد المعدات الحربية المتوفرة
لديهم، وكان يكثر التنقل بين هذا الشاطئ وشاطئ قاع أسراس، الذى
يبعد عن وادى لو بنحو سبع كلم .

ولما أتم تجهيز الدفاع عن هذه الشواطىء، ولما كان مركز
تيكساس لا يسيطر على المراكز الحربية مباشرة، لانه فى مستوى منخفض
فانه قرر أن ينقل مركز القيادة الى قبيلة بنى زجل، الى قمة تلامبوط
التي تشرف مباشرة وفى مستوى مرتفع عن البحر، وهى ذات تضاريس
طبيعية حربية ممتازة، بحيث لا ينال العدو منها منالاً، ولو استخدم
ما استخدم من قوة جوية أو بحرية، وكان المحل يشرف بالخصوص على
خليج وادى لو، الذى جعل العدو يصب عليه قنابله من البحر ليل نهار،
ولم تخطى فراسة الامير امحمد، وكان العدو هناك يستعرض عضلاته فقط .
وكان الهدف الثانى من مهمات الامير امحمد هو شغل العدو

عن خط تطوان — استيلا —، فانه نظم تحصينات مواجهة لمدينة تطوان
وضواحيها، فكلف القائد احمد بودة أن يصعد بقوة الى جبل غرغيز
معززة بالمدافع والرشاشات، وهو رأس جبل صخرى عالى وعر المسالك،
قل أن يصل اليه الانسان عن طريق تطوان، لخطورة مسالكه الحجرية
السامقة، وبذلك جعلته القروء المتوحشة مأوى لها، لا تصلها اذاية
بشرية، ولكن عندما يتمكن المحارب من الصعود اليه عن طريق دشرة
الزينات، ويتمكن من زرع المدافع والرشاشات بين تلك الصخور التى
تكون أعشاشاً طبيعية ذات موقع ممتاز، فان الذعر يستولى على العدو،
لانه يكون فى وضع لا يجدى فيه الدفاع بأى وجه من الوجوه، فقنابل
الطائرات تطيش عن الهدف بالتاكيد، وقذائف المدافع ترتطم بالاحجار

النصم فتنفجر في الهواء، ولا تكاد تحدث ولو غبارا متطايرا، ولاجل
الاحراز على هذه الوضعية الممتازة، فان القائد احمد بودرة، وكان يعتبر
ناظر الدفاع، أشرف بنفسه على تصعيد المدافع الى ذلك الجبل، ورغم أن
العملية كانت في حكم المستحيل، فان الرجال الأشداء استطاعوا أن يجروا
المدافع بالحبال الى الأعلى، واستقرت في اعشاشها الازلية، وجعلت
ترمى بقذائفها الى تطوان، لتمهد السبيل لقوة القائد اخيرو الذي
احتل بدوره مركز دار ابن قريش برجال قبائل الجباللة التي احتشدت
متمركزة على الخطوط الامامية الممتدة على سواحل البحر الى خط
استيلاء، وبالاخص مركز تجمع القوة الاسبانية المدعو اللوزيين، وظهر
قيطون في ضواحي تطوان عن يسار ويمين طريق تطوان طنجة ببعد
5 كلم .

وقد تعززت هذه القوة القبلية بقوة نظامية التي كانت صاحبت
الامير امحمد، وحالما استقرت التعبئة في مواقعها، فان مدفعية المجاهدين
أصلت حامية اللوزيين وظهر قيطون نارا ودكت بعض تحصيناتها كما
أتلقت مدفعية العدو، وقتلت عشرة جنود بمن فيهم ضابطهم، ولاجل زرع
الذعر أكثر في صفوف العدو، فان مدفعية المجاهدين ترش تطوان بين
فيئة وأخرى ببعض القذائف، التي يعتمد طبعيتها أن يرسلوها جزافا الى
المواقع الخالية من الاهالي، لان ذلك لاجل تنبيه الاهالي بوجود
المجاهدين على الابواب، حتى لا يعبأوا بالعدو الذي كان استكان الى
الخيلاء، وقد نزلت عليه هذه الحوادث المزعجة نزول الصاعقة، خصوصا
وان كل قواته توجد على ظهر البواخر الحادية عشر والمائة التي تمخر
عباب البحر على شواطئ الشمال من سبتة الى مليبية مهيأة للغزوة
الكبرى على ساحل الحسيمة .

ولاجل اظهار ضبط النفس فقد أرسل رتلا من الجنود لاغاثة
حامية «كدية الطاهر» وهي موقع بجبل غرغيز، كان الاسبان احتلوه
بتاريخ 3 شتبر 1925، بواسطة جيوش جرارة شارك فيها الحركة
المغربية، وذلك لابعاد الخطر عن تطوان .

ولكن ارتدت الاغاثة عن أعقابها، تحت وابل من الرصاص مما زاد
تدهور حالة الحامية التي استولى المجاهدون على بعض الحصون منها.

وقد هلعت قيادة الجيش الاسباني في تطوان لهذا الهجوم الجزئي، فأطلقت صيحة بواسطة الراديو الى الجنرال بريمودى الريفى الذى كان يراقب حملة الغزو على ظهر البارجة (الفونصو 13)، والتي كان يسيرها الجنرال سان خورخو بحريا، يطلبون الاغاثة على جناح السرعة لحماية تطوان .

وهكذا أمر بريمودى الريفى المركب الذى كان يحمل كتيبتين من الفرقة الاجنبية (التريسيو) مع سرية أخرى بانزالها في سبتة لاغاثة تطوان، وفعلا وصلت يوم 8 شتبر 1925، وقصدت توا اغاثة مركز كدية الطاهر، فوصلتها يوم 9 شتبر، حيث وجدت أن جنود المركز أوشكوا على الفناء، فلم يبق منهم الا 28 نفرا منهم ثلاثة ضباط جرحى . وقد استطاعت هذه الاغاثة أن تفك الحصار على الحامية، فاضطدمت مع المجاهدين الذين قنت فى عضدهم أخبار النزول فى الحسيمة، الذى وقع فى فجر يوم 7 شتبر 1925 أى قبل الاصطدام بالمجاهدين الحاضرين للحامية بثلاثة أيام .

النزول بالحسيمة :

وكما أسلفنا، فقد كانت فكرة النزول فى خليج الحسيمة قديمة، طالما راودت الدوائر الاستعمارية الاسبانية .

وقبل ذلك كانت السياسة التى تنهجها القيادة الاسبانية للجزيرة تحاول تملك الرأسين الشاهقين من الطرف الغربى المكونين للخليج، والذين يكونان لسانين متقابلين لمدينة الحسيمة الآن، وهما ما يدعى عند الاسبان «بالرأس القديم مورو ببيخو» - والرأس الجديد «مورو نوييو»، فاستعملت التاجر الاسباني المثرى ويدعى مركيز دى كوبا وسهلت له تلك القيادة أن يفتح متاجر فى جزيرتى الحسيمة وبادس، ليتعامل مع أهالى الريف، وبالاخص بنى ورياغل، وتمسامان، وبقيوة، ويجلب من اسبانيا السلع المفقودة فى الريف، والتي تغرى الاهالى .

ومن ضمن مشروع سياستها، أنه يقضى بأن تتذرع بتملك هذين الرأسين أسوة بالجزيرة، لتدعى أنهما اسبانيان، فتحتلها لحماية الجزيرة. وهكذا أوعزت الى هذا التاجر أن يتصل ببعض رجال الريف

أيا كان، أولئك الرجال، ولو لم يكونوا مالكين ليعقد معهم صفقة الشراء بواسطة رسوم شرعية حتى اذا حررت تلك الرسوم أمكن الاحتجاج بها تجاه الدولة المغربية، والواقع أن الرأسين غير قابلين للتملك، لانهما عبارة على سلسلة من الاحجار الصلدة المتماسكة العديمة النبات الذي كان الغرض الوحيد في ذات التاريخ .

ويقال أن اسبانيا أوغزت للتاجر المذكور شراء اللسانين الصخرين، لأن فرنسا كانت تحاول شراءهما لتضايق جزيرة الحسيمة التي استعمرها الاسبان، وان السيد حدو الاكل الذي كان في ذلك التاريخ بعجروود بالجزائر، علم بذلك فأبرق الى رؤساء قبائل الريف بالمخطط، حيث علمت اسبانيا فسارعت تتسابق الى عملية الشراء .

وعلى كل، فان للسانين المذكورين أهمية استراتيجية خاصة بالنسبة لخليج الحسيمة، وكان شراء ماركيز دي كوبا سياسيا بحثا لغرضي استعماري ديني .

وعندما طرحت من جديد فكرة الغزو بحرا بعد الاتفاق مع فرنسا، تردد قادة الاسبان، وتذكروا فشل بريطانيا في النزول بالدردييل، كما راودتهم شكوك في العملية المشتركة، التي أسفرت عنها مقترحات الاتفاق بين الدولتين الاستعماريتين، الا أنهم لما لم يجدوا بديلا للعملية، وافقوا عليها، لان التجارب الحربية المتعددة لم يجنوا منها الا الهزائم تلو الهزائم .

والواقع أن فكرة غزو الحسيمة بحرا كانت فكرة قصمت ظهر الريف، لانها جاءت في وقت كانت قوة المجاهدين مشتة على طول الجبهات الثلاث، الغربية على خط طويل من وادي لو الى الرهونة، والجنوبية من الرهونة بضواحي وزان الى سيدي على بوعقبة بقبيلة كزناية، والجبهة الشرقية من ثلاثاء اولاد بوبكر بمطالسة الى سيدي احساين على البحر الابيض المتوسط، يضاف اليها الحراسة المشددة على الشاطئ الممتد من سيدي احساين الى وادي مرتيل .

ان الفرنسيين كانوا يصبون نجدات هائلة على الجبهة التي تخصهم، وكان جزء من القوة النظامية الريفية رافق الامير امحمد الى جبهة تطوان، حيث كان الثقل وضع على رجال القبائل الذين كانوا يأترون في تحركاتهم

وسكناتهم بالقيادة الريفية، أما جبهة تطوان القصر الكبير، فإن الانسحاب خلف جرحا للاسبانيين لا يندمل وطعن كبرياءهم في الصميم، وكان على قبائل تلك الجبهة أن تتحمل عواقب تلك الجروح، فتصمد أمام غطسة جنود الاستعمار .

وعلى هذا المنوال كانت وضعية الجبهة الشرقية، فالخطوط الامامية تمتد من ثلاثاء اولاد بوبكر مارا بميضار، فمركز تفارسيت الى سيدي احساين، وهذه المراكز كلها كانت محتلة بالجيش الاسبانية من يوم استرجاعها سنة 22-1923 وعندما أعلن الجنرال بريمودي الريفيا الانسحاب من المواقع الامامية الذي طبق في الجبهة الغربية، لم يطبق هذا الانسحاب في الجبهة الشرقية، ولعل ذلك يرجع الى المآسى التي لحقت المنسحبين من شفشاون وغيرها، فكان احتجاج القيادة العسكرية على الجنرال ان الانسحاب يكلفهم من الخسائر أفدح من الخسائر التي يتوقعونها عند صمودهم في مراكزهم، ولذا أبقي هذه الجبهة الشرقية على ما هي عليه، وهنا تجدر الإشارة الى أن ما ورد في كتاب «عبدالكريم أمير الريف» لروبرت فورنو صحيفة 112 الى آخر الفصل، يعتبر من نسج خياله، أو يكون قد اعتمد على رواية شخص ثرثار كما سمي أحدا منهم في رحلته الى اصقاع الريف أو يكون تأثر بحكايات الاستاذ دافيد هارت، الذي روى كثيرا عن أولئك الثرثارين الذين مكث عندهم ردحا من الزمن، في أغوار جبال أربعاء توريرت ببني بوعيش حيث كان يأوى عند عائلة لها علاقة نسب مع الشخص المدعو بقيش من قبيلة كزناية، ويدل على اعتماده على روايته أنه زج بقيش الكزنايي في الهجوم على تفرست، مع أن بقيش هذا كان مسجوناً عند الأمير ابن عبد الكريم في أجدير ولم يخض أية معركة في الجبهة الشرقية، رغم أنه كان في منطقة أزلاف قبل سجنه وسبب سجنه أنه كان يرأس عمر بن احميدو المرينسي، ويقال أن بقيش مات في السجن، لأنه كان يتصل بالقائد المذبوح الجزنائي . وللحقيقة والتاريخ، وحيادا عن العاطفة القومية، نسجل هنا : أنه عند صدور قرار بريمودي الريفيا بالانسحاب من الخطوط الامامية، كانت الجبهة الشرقية بالنسبة لقيادة المجاهدين على الشكل التالي: في خط أزلاف: بين كزناية وميضار، كان القائد هناك هو الشريف

سيدي احمد بوعلمة، ومعه القائد الحاج محمد أربعى رئيس محلة ثلثاء أولاد بوبكر من قواد مطاسلة الشجعان المغاور، وأصله من كزناية وتحت امرته حمو بولحرير من بنى توزين، والقائد الحاج شعيب بن الحاج دودح الطاهري الوهابي من تمسامان كان في مركز سيدي على بوعقبة، والشريف بوجدان من بنى توزين كان في خط أزرو القضع والقائد عمر أختو من كزناية، مع القائد حدو بن موح أمزيان، يواجهان مركز ميسار، حيث جعلوا مركزهما في تمدرت .

أما خط تفرسيت فكان يتولى قيادته العامة القائد السيد شعيب اليعقوبي وهو من تمسامان، يعاونه القائد علوش شدى .

الا أن هذه الجبهة بقيت جامدة فلم تتحرك، لا الى الامام، ولا الى الورا، الا ما كان من مناوشات محلية بين المجاهدين والاعداء . وعليه فان الحكاية التى أوردتها المؤرخ الانجليزى المذكور من أن الجيش الاسبانى اضطر الى الانسحاب تحت ضغط بقيش ورجاله، وان الريفين تعقبوه الى مركز دار الدريوش، حيث استعمل الجيش فى هروبه القطار الحديدى، الذى عمل المجاهدون على اخراجه عن السكة، وهو مملوء بالجنود، فانجرفت الى البيداء، وان بقيش بعدما كسب المعركة حاصر مركز ترطوطين، حيث التحق به الامير ابن عبد الكريم، الذى رحب به بقيش، وقدم له أقداحا من الشاى، معلنا بأنه لا حاجة الى ذبح الثور علامة على تمتين المحلف الى غير ذلك من الخيالات المدبجة فى كتابات الغربيين، كل ذلك لا أساس له تاريخيا، فالاسبان لم يتزحزحوا عن مواقعهم، كما أن بقيش كان فى مركز أزلاف بقبيلة بنى توزين ولكن لم يكن قائدا عاما، بل كان معاونا للشريف سيدي احمد بوعلمة، وكان مشبوها فيه، اذ له علاقة اتصال مع المذبوح الذى انجاز الى الجيش الفرنسى، وعندما علم ابن عبد الكريم بالاتصال به استدعى بقيش الى أجدير، وبقي منتظرا ملاقاته ثلاثة أيام، كان معه القائد اليزرى الرئيسى، فزج به فى السجن بأجدير، وبقي الى أن مات فيه، على أن بقيش لم يكن ندا لابن عبد الكريم، أو كان يعد من قادة الثورة، أو ينازعه فالجميع يعمل تحت راية الجهاد، فلا حلف الا حلف الاسلام، الذى يربط المجاهدين ربطا متينا، وهو حلف تلقائى عقائدى، وفى أول الامر

امتنع بقيش من سوق رجاله الى الجهاد فدل ذلك على خيانتة، فأعماله كلها تدل على التواطىء مع المذبوح .
وكما يبدو خياليا ما جاء في ذلك الكتاب (1) من أن بقيش وصف ابن عبد الكريم «بأنه أشبه بتاجر حريير في فاس منه بقائد جيش الريف» .

مع العلم بأن بقيش هذا من الاقزام الغارقين في السذاجة البدوية البدائية، التي لا تؤهلهم لان يصدر عنهم هذا الوصف الدقيق، وبالاخص ما حكاه المراسل كون في كتابه «لحم الثور الوحشى» من أن بقيش أحد زعماء قبيلة كزناية الرئيسيين، وانه وصف ابن عبد الكريم بأنه قائد الاسبانيين الذى خان شعبه، كل ذلك ترهات .
واذا كانت قوة المجاهدين مشتتة على الخطوط الحربية الطويلة الملتوية التي ضربت طوقا على الريف، كما أشرنا، فان الغزو البحرى لخليج الحسيمة - وهو يكون مركز الثورة الاساسى - كان خطة لا بديل لها في نطاق الاستراتيجية الحربية، لان الظروف الحربية سهلت تنفيذها بكل دقة، وهذا ما أدركته القيادتان الاسبانية والفرنسية، فاهتلتها فرصة لا تعوض .

كما أن موقع الحسيمة كان يفرض نفسه للغزو لعاملين اثنين هما :

1 - ان أجدير الذى هو عاصمة الثورة، والذى جاء فى قلب قبيلة بنى ورياغل، لا تبعد عن مكان النزول الا بسبع كيلومترات، فالغزو اذا موجه الى قلب الثورة النابض، وفي هذا الموضع قال فرانكو في مذكرته، العبارة التالية «ان الحسيمة هي النقطة البؤرية للعصيان ضد اسبانيا، وهو الطريق الى فاس، والدرب الاقصر الى البحر الابيض المتوسط، وهنا يوجد مركز الدعاية الذى سينتهى حالما نضع أقدامنا على هذه» .

2 - ان قلعة جزيرة النكور المحتلة قديما من طرف الاسبان، والمحصنة بالمدافع ووسائل الدفاع الاخرى التي عجز رجال الثورة من اجلاء الاعداء عنها طيلة أيام الانتصارات، تنهض وسط الخليج ولا تبعد

عن اليابسة الا بنصف ميل، فهي تراقب بدقة تحركات عاصمة الثورة، وتعرف عن شواطئ الخليج الشاذة والفاذة، فتعين اذا أن يكون الاختيار على الخليج للنزول فيه أمرا واقعيا وضروريا لنجاحه .

الا أن الذي كان غير مضبوط، هو النزول في الموضع المدعو «ساباديا» وهو اسم اسباني، وكان يعرف عند الاهالي «بتحجرت» ، وهو يقع غربى جبل سيدى عابد، وله فرضة مستطيلة وضيقة، تشرف عليه كتل سامقة من أرضية قبيلة بقيوة، وكانت تلك الكتل وكل أمر الدفاع عنها الى قبيلة بقيوة، وكان الجبل الجديد محصنا بمدافع ثلاثة، وفي جوف الشاطئ المحروق، وكان يدعى عند الاهالي «بأشبارات»، كانت هناك حامية من المجاهدين تحت قيادة موح بولقجار من بنى بوغياش اتخذوا خندق الثيران مركزا لهم، وقبل عملية النزول أصلت البوارج الحربية التى تمخر شواطئ الشمال، مزدحمة هذه الكتل بنار جهنمية بحيث أصبحت كتلا من الغبار والدخان، كما أصلت أيضا المواقع الاخرى المنتشرة على الخليج، وعلى تمسامان، وبنى بويفرح، وعلى شواطئ غمارة، وذلك للتعمية على المجاهدين .

تحرك يوم سادس شتتبر 1925 الاسطول الغازى المكون من 111 مركبا، والذي شاركت فيه الدولتان معا، من سبتة وملييلية تحت رئاسة الجنرال سان خورخو القائد العام للحملة، يؤازره كل من الجنرال سارو الذى أبحر من سبتة، على رأس تسعة آلاف جندي، والجنرال فرناندو بيريس الذى أبحر من ملييلية على رأس تسعة آلاف جندي، وفي فجر اليوم السابع من شتتبر، وصل الاسطول الغازى أمام خليج الحسيمة، وكان من المقرر أن القوة التى جاءت من ملييلية، تنزل فى الطرف الشرقى من الخليج، أى بشواطئ تمسامان، على الضفة الشرقية لوادى النكور وتنزل القوة التى جاءت من سبتة عن الطرف الغربى للخليج، الا أن التيارات المائية التى طرأت على البحر بسبب رداءة الطقس جرفت المراكب جهة الغرب وتأخرت عملية الانزال بعض الوقت، وفى أثناء ذلك، حلقت طائرات امتطى احداها الكرونيلى فرانكو الذى كلف بتنظيم عملية النزول، ومنح سلطة مطلقة، وكان يقود الفرقة الاجنبية .

ولاجل التعمية فان جزيرة الحسيمة، وكذلك الاسطول المتأخر
أمام خليج الحسيمة، أصليا خليج الحسيمة وأجدير بالنار، بواسطة
المدافع ذات العيار 100 الشديدة الانفجار، في حين اقتربت مراكب الانزال
عند هبوط ليل 7 شتير من مرسى «ساباديا» وارتست انتظار بزوغ
الفجر لاجل القيام بغزو اليابسة بالجنود، وحسب رأى فرانكو، فقد كان
كل شئ، هادئا على ذلك الشاطئ الصغير .

وقد كانت الحراسة الريفية على الكتل المشرفة هادئة، والبحر
يعكس لالؤ الاضواء، وكان مفروضا بأوامر القائد العام على الضباط أن
يحملوا معهم فقط حقيبة وسريرا عسكريا، وعلى كل جندي أن يحمل
مؤونة يومين من الطعام البارد والذخيرة، ومزودة، وأربع أغطية عسكرية،
وتجهيزات الالغام وضمادا حريبا فرديا، ومدالية لاثبات الهوية، وصواريخ
بالاضاءة والاشارة .

كما يتوجب على الجنود أن ينزلوا الماء والذخيرة فور وضع
أقدامهم على اليابسة .

وفى الساعة الثامنة من يوم 8 شتير كانت كتل من الاحجار
والغبار تتطاير من منحدر سباديا، بفعل القصف الشديد من البحر والجو
بالمدافع والرشاشات التى فتتت الساحل شبرا شبرا، أعقبها اقتراب
حاملات الجنود الثلاث الراسيات أمام سباديا، فاقتربت الى أن وصلت
الى 100 يردة، فانفتحت مقدمتها التى انساب منها جنود الفرقة الاجنبية،
يتقدمهم الكرونييل فرانكو، ملقين أنفسهم فى البحر الضحل، بعدما دوى
البوق الذى أعلن فيه فرانكو أمر الجنود بالنزول، وهكذا قفز الجميع
فى الماء الذى يغمرهم الى الاكتاف، فسبق فرانكو الى الشاطئ، وغرز
راية الفرقة الاجنبية على اليابسة، فى حين استيقظ الحراس الريفيون على
صوت البوق، والاندفاع الى الارض، فاطلقوا نيرانا متقطعة من البنادق
والرشاشات والمدافع، وقد اخذوا على غرة، فاختلفت حابلهم بنابلهم، وذهب
بعضهم الى القائد موح بولقجر الذى كان محتما فى غار الثيران بالشاطئ
المحروق، وقد أبان عن جبن وخذالة لم يكن أحد يحسبها فى أى قائد من
قواد الريف، وكان يرد على المقاتلين الذين يأمرهم حينما يستحثونه

للخروج من الغار لتنظم الدفاع، بأن لا داعى لذلك، لان العدو دأبه أن يتنول بالرمى من بعيد، وانه لا تطأ قدمه أرضنا .

وعندما أخبر بنزول العدو، لم يتردد أن خرج من الغار هاربا مع حفنة من الجبناء، بعدما تخلى عنه المجاهدون، الذين كان يرأسهم اذ تسلقوا منحدر «قرن الزيت» (مرو نويو) مهرولين لمحاصرة العدو الذى أحرز على موضع قدم من اليابسة، ولكثرة ارتباك الجبان بولقجر، فقد ترك في الغار مبلغا ماليا يقدر بأربع وعشرين مائة ريال اسبانى، كان لصوائير المجاهدين ولم يتذكروه الا بعد انفصاله بمسافة ، فأمر أحد الفارين معه بأن يرجع ليأخذها، ثم استمر في فراره سالكا قرية تساسنت، الى أن وصل الى الامير ابن عبد الكريم الذى أسرع الخطى الى حيث موضع الغزو، فلما التقى به تألم ألما بدا على وجهه كسحابة قاتمة، واكتفى بأن قال له، يا جبان كنت على محكمة ازغار فظننت أنك تغنى غناء فأرسلتك الى الشاطىء، ولم أعلم أنك مخذول، ولو كان عندي متسع من الوقت لعلمت مصيرك، ولكن الاحداث تشغل بالناء، فأعرض عنه، وقال له اغرب عن أنظاري .

ان هذه الحادثة كانت على هذه الحقيقة، وليس كما قال المؤرخ الانجليزى المذكور، من أن الفار هو قائد قبيلة بقيوة، وان هذه القبيلة كان مشكوكا في اخلاصها للثورة، وان قائد بقيوة كان مرتشا من قبل عملاء الاسبان، فهذا غير صحيح، لان قائد بقيوة الذى كان يشرف على الدفاع على شواطىء القبيلة هو الشجاع المغوار القائد موح بن طاهر من دشرة تساسنت، وقد استمات في الدفاع الى أن استشهد رحمه الله في معركة ابلوقا بجبال آل هشام، كما سيأتى .

وكان ابن عبد الكريم يقول في حق شهامته «اذا بقى موح بوطاهر حيا فلا أبالى اذا تخلى عنى مائتان من رجال ءاخرين» . ورغم أن الجيش في هجوماته تنكب عن قبيلته ولم يدخلها بل توجه الى بنى ورياغل محاذيا بأحد رؤوس الرمح قبيلة بقيوة، فمر على آل قمرى فمريقة الى أن وصل سوق أحد بقيوة فان نسبة هذه المغرة الى قائد مغوار لم تكن الا افتعالا، والا فالمغرة يتحملها القائد

موح بولفجار، وهو من بنى بوغياش من بنى ورياغل، وقد سجلت
فتيات القبيلة هذه المعرة عليه في أهازيجهن في ذات الوقت حيث قلن :

أموح أنبولقجر أيجمان هوذا ثاوراد زكفري أمشك أمثواثا
الترجمة: يا موح بولفجر يا كتاف اليهود هربت من الغار مثل الخبع
تجيد أرومي اذ يطاف ثاموثا أولادى امجاهدن اقرار عن ذاغيا
الترجمة: تركت الرومي يستولى على الارض أولادى المجاهدين هرعو حينا
اقرعن أرعدو أثارن أربحار أثارن أمكان زيمانيس أديوسا
الترجمة: اسرعوا الى العدو ليردوه الى البحر ويردوه من حيث أتى

ان هذه الهازنج التلقائية تسجل الحادثة التاريخية التي
لا تترك مجالا لالصاقها بالمجاهدين الاحرار .

وهكذا، فان المجاهدين تقاطروا وهرعوا الى حيث الخطر، وكان
من بينهم من كان تحت امرة موح بولقجر وجلهم من قبيلة بنى بوغياش،
وقد اتخذوا موقعهم على هضبة سيدي عابد شرقي سباديا، وكان
قائد بقيوة السيد موح بوطاهر تركز برجال قبيلته في مواجهة العدو
على منحدر اجذايا في أعلى سبادنا، ثم تعزز بالقائد المغوار بوحوت على
رأس ثلاثمائة من الجنود النظاميين وهرعت كوكبة تتألف من خمسين
مقاتلا غير نظاميين تحت قيادة السيد عمر بن قدور البوغياشي وكان
قائد 100، وكان رجلا شهما، هو الذي قطع وادى مرتيل للفتك بالعدو
ثم رجع وانشد هناك بيتا من أهازيج الالهالي وقال :

أموال محمد حسابي أرجينغ أغزار مرتيل كيلبا لينو أثروينغ

الترجمة: يامولاى محمد عدنى غير موجود لان وادى مرتيل فى بالى أقطعه.
كما عزز الامير رجال المدفعية على جبل قرن الزيت، الذين كانوا
تحت امرة الرايس عمر ولد المعلم من أجدير، ولما أحاط به الجيش
الاسباني ازال زناد المدافع، وأخذها قاطعا بها البحر سباحة الى حيث
المجاهدون كي لا يستعملها العدو، وهكذا استطاع المجاهدون أن يحاصروا
العدو في موضع قدم على اليابسة، ولم يستطع أن يخطو الى الامام ولو
خطوة واحدة، لمدة يومين اثنين، وكانت راية واحدة هى التى تمكنت من

النزول الى اليابسة، ثم غضب البحر، فاضطرب اضطرابا الزم مراكب الانزال الى الرجوع الى عرض البحر، حيث بقيت تلك الراية تترقب الهجوم عليها لآبادتها، ولكن كانت مواقع المجاهدين تحت رحمة نار مدافع البوارج، التي أحرقت كل شبر من الارض حتى كانت تهتز كأنها على وشك اندلاع بركان، بينما منطاد فضى يصطاد تحت نظره مواقع المجاهدين لكي يعلم البوارج لصب نيرانهم عليها .

هذا من جهة ومن جهة ثانية، فانه كان في الحساب لدى ابن عبد الكريم وقادة الثورة أن عملية الانزال في سباديا لم تكن الا ملهاة للمجاهدين، لكي يشغلهم عن النزول في خليج الحسيمة، وهو تقدير كان صحيحا من الوجهة الحربية، وكان على المجاهدين أن يحترسوا جهد الامكان، لما عسى أن يربكهم، أضف الى ذلك ما أسلفناه من تشتيت قوة المجاهدين الموزعة على الخطوط الحربية الطويلة البعيدة والمتنوعة، فكان هناك عوز كبير في الرجال .

وبعدما استكان البحر في العاشر من شهر شنتبر 1925، تمكنت الحملة الغازية من انزال قوات أخرى بلغت خمسة عشر ألف جندي، حيث بدأت تلك القوة تتحرك نحو مرتفعات سبادنا، الى جهة الرأس الجديد والى غور سباديا، وكان غطاؤهم الجوي يتكون من 26 طائرة تغدو وتروح بأزيزها وقنابلها على مستوى منخفض، وفي 14 شنتبر غضب البحر مرة ثانية حيث هبت ريح شرقية، ولكن العدو كان تحت يديه في اليابسة قوة كافية بمعداتنا، ومع ذلك كان العدو لم يستطع توسيع الرقعة الا على اشلء المجاهدين، وكان التحرك بطيئا من صخرة الى صخرة، فاصطدم مع المجاهدين في المعارك التالية :

معركة اجداين :

وقعت هذه المعركة، بعد ثمانية أيام من النزول، وقد اشتبك العدو مع 50 جنديا نظاميا على الغور الذي يربط سباديا بمدينة الحسيمة، وقد بدأت المعركة عندما تقدم أحد جنود اللفيف الاجنبى، لان يحتمى بتتور هناك، كان قائد المجاهدين يسابقه لآجل الاحتماء به من جهته، فأردى المجاهد الجندي قتيلا، فالتحم القتال بين الفريقين، كانت نتيجته أن

انكسر العدو في الموقع مرتين، ولما لم يجده الهجوم ترك الموقع للطائرات والبوارج، لكي تمهد لهجوم عام، وكانت الجماعة التي انفصلت عن بولقجار قد انضمت الى القتال على الجناح الايمن للعدو، وقوة قبيلة بقبوة على الجناح اليسارى، فاحتد القتال الى درجة أن العدو لم يجد أمامه بعد أن تغلب الاجث القتلى من المجاهدين صريعة، فقد مات من الجنود النظامين 43، ولم ينج منهم الا سبعة، بما فيهم قائدهم عمر البوعياشى، الذين تقهقروا الى حيث موقع سيدى منصور، على بعد كلم واحد، فجعل هذا القائد ينتحب ويكي قتلهم، ذاكر كل واحد باسمه وما يتحلى به من الشجاعة.

أما المجاهدون الذين كانوا على الجناح اليميني، فقد سقط منهم 45 شهيدا، وبذلك استطاع العدو أن يثبت اقدامه على لسان مورو نوييو، المطل على الخليج لفتح رأس الجسر اليميني، قاصدا قمة تاشاوين، وكان يدافع عنها البطل القائد بوحوت القلعي الذي كان يعمل في الجيش الاسباني رئيسا لكتيبة، ثم فر والتحق بالثورة، وقد أفادها بخبراته العسكرية، فكان منظما ومدربا للجيش النظامي وشجاعا أيضا، كما ذكرنا، ويقال بأن الشيخ محمد أزرقان، أمره أن يلتحق بكزناية، الامر الذي خلف ثغرة كبيرة في الدفاع عن الحسيمة، وكل من اتصلت بهم من المجاهدين، يذكرون أن السيد محمد أزرقان، تعجل في نقل القائد بوحوت من مكان المعركة الحاسمة، الى جهة نائية، ويبدو أن الضغط الافرنسي على خط كزناية هو الذى أوحى بهذا التدبير، وفعلا تقدم لفتح رأس جسر جهة بقبوة، اذ استولى على كتلة تيشاوين العالية، على نصف كلم من ساباديا وهي تعتبر مركزا مهما بالنسبة للعمليات الحربية، كما كان الاستلاء على اللسان البحرى «مورو نوييو» من أهم انتصار أولى، لان الجنود أصبحوا في مأمن من القائهم في البحر، اذ ان هذا الرأس من المناعة بحيث كعش عقاب، أضف الى ذلك أن الاستلاء على قمة تيشاوين التي تشرف على الذرى الكثيرة المتناثرة هنا وهناك، يجعل مركز الجيش الغازى يستطيع أن يعزز قواته بكل ما تحتاج اليها من رجال ومعدات وغير ذلك. وفعلا فقد مكث العدو متحصنا في مواقعه ينظم ويقوى صفوفه،

بينما تحميه العمارة البحرية التي تجوب عرض البحر، وتبين لقادة الريف أن تخميناتهم التي كانت توحى بتشتيت الفكر من حيث موضع النزول لم يكن صائبا .

اللجوء الى الاعمال الفدائية :

ورغم وعورة اللسان المستولى عليه من حيث علو الجدار الصخري الطبيعي المرتفع من الشاطئ المحترق فان جماعة من الانتحاريين تطوعوا أمام الامير، واقسموا في المصحف الكريم، أن يتسلقوا الجدار بكل ثبات الى أن يفاجئوا العدو حيث هو، ويوقعوا به ولا يولوا الادبار، بل يثبتون أمام اختيارين اثنين ولا ثالث لهما، أما الانتصار بقذفه فى البحر، أو الاستشهاد فى سبيل الله .

وقد تسابق المجاهدون للتطوع فى هذه المجموعة الى أن بلغت 75 مجاهدا، ادى كل واحد القسم على حده، وكانت المجموعة تحت قيادة التهامي الواحد من دشرة ازفازافا، من بنى ورياغل، ويعد من صناديد الجهاد، أما تسيير العملية فكان تحت اشراف القائد موح بوطاهر البقيوى الأنف الذكر .

وقد كان على هذه الجماعة أن تتركب الزوارق ليلا، من فرصة «تجذيت» وتدعى الآن الشاطئ الجميل فى سرية تامة، وسكون مطبق، الا ما تحدثه المجاذف عند ارتطامها بأمواج البحر، فوصلوا الى فرصة «اشبارات» وهو موضع الميناء حالا، فتسلقوا الجدار فى صمت، ولما تمكنوا من مواقع اقدامهم، لم يرع العدو الا وسيل من طلقات البنادق تحصدهم حصدا، وكان فى مقدمة جيش العدو طابور من المغاربة المرتزة وطابور من اللفيى الاجنبى، فالتحم القتال ليلا، ولم يدروا من أين أوتوا، فدب الذعر لكثرة من سقط منهم .

واستمر القتال الى الصباح، حيث انكشف موقع المجاهدين أمام أنظار البوارج التي دخلت الى خليج الحسيمة، واقتربت من الجبل على مرمى البندقية فاصلتهم نارا، بينما هبطت سرية العدو على الغور الذى يكون الجوف الغربى للجبل، حيث يوجد غار الثيران، فاصطدموا مع الفلول التي نجت من نيران مدافع البوارج، والتي تمكنت من وضع

أقدامها أسفل الجدار، فانضمت الى بعض المجاهدين الذين بقوا فى المؤخرة، والذين كان من بينهم القائد موح بوطاهر لحماية المجموعة عند اللزوم، وقد وضعوا غار الثيران مقرا لهم، وعندما هاجمهم العدو على الغور المفضى اليهم جرح القائد موح بوطاهر، الذى استطاع أن يصل الى البحر، ليجتازه سباحة، أما رفاقه الستة وهم من رجال بقيوة، فانهم تحصنوا فى الغار مستبسلين، فلم يستطع العدو أن ينال منهم منالاً، الامر الذى اعطى للفلول التى انحدرت من الجدار أن ينشبوا اعنف القتال مع العدو، فى معركة دعيت «معركة اشبارات» وسماها الاسبان «الشاطيء المحترق»، ولما كان القتال محتدماً بين الفريقين، فان الحماية البحرية لم تجد شيئاً بالنسبة للعدو، مما زاد فى ارتفاع عدد الاصابات فى المعركتين اليلية والنهارية، حتى قيل أن القتلى بلغ سبعمائة دفنوا كلهم بما فيهم المغاربة فى مقبرة سباديا التى خصصت فيما بعد للمسيحيين وحدهم، كما خصص طرف منها لليهود، كما كان قتلى الليف الاجنبى كثيراً أيضاً أما المجاهدون فقا استشهد منهم من بنى بوغياش فقط حوالى 50 شهيداً، أما الرجال الستة المتحصنون فى الغار، فقد القى عليهم قنابل يدوية، داخل الغار، فاختنقوا بالدخان وخرجوا، فحصدتهم العدو بالنار.

احتلال قمة عين عمارة والرأس القديم

هناك أمام تاشوين: قمة سامقة تكون نهاية آخر دشرة لقبيلة بقيوة، وبداية قرية أجدير، وتدعى هذه القمة عند الاهالى «عين عمارة» ودعاها الاسبان «منطى بالوما» - أى كدية الحمامة -، لأن الحمام كان يرد العين للشرب، وهناك لسان حجرى داخل فى البحر يشرف على الخليج، وعلى الشاطيء الجميل مباشرة، وكان يدعى عند الاهالى بترمورت وسماه الاسبان «مورو ببيخو» وباحتلاله لهذين الجبلين يصبح أمام مركز القيادة العامة، التى يسيرها الامير ابن عبد الكريم، مباشرة على جبل عين حلوف، وقد أصبح يهدد عاصمة الثورة بأجدير مباشرة، ويمكن لبطارياته أن تقصف العاصمة التى أصبحت خالية، لأنها نقلت الى سيدى عبد الله بن يوسف، فى سفوح جبل حمام، بأعلى قبيلة بنى ورياغل، على الضفة العليا لوادى غيس، وفعلاً، فى 23 شتبر 1925 تقدم

اليوتتان كرونيل «أبرياث» يرأس طابورا من المحطة التي دعيت المحطة الخليفية، انطلاقا من الرأس الجديد لاحتلال الرأس القديم، واحداث رأس جسر على الشاطئ الجميل وتتضيف تلك الخنادق من المجاهدين، كما انطلقت حركة المتطوعين من المغاربة يوم 30 شتبر تحت قيادة الكمندان بريلا (أصبح مقيما عاما فيما بعد)، معززة بطابور من اللفيف الاجنبى تحت قيادة الكرونيل «تلمس»، وذلك لاحداث رأس جسر على الجهة اليمينية، فاكتسحوا تلك الاغوار والخنادق الى أن وصلوا الى قمة عين عمارة .

وهنا نترك الرواية لاحد المجاهدين المعمرين الذين عاشوا معركة عين عمارة وهو بوطاهر بن الحاج دادى البقيوى (1) (لازال حيا) بتاريخ شتبر 1973، وكان من المقاتلين الاشداء، قال: لما تقدم الجيش الاسبانى لاحتلال عين عمارة، كنا هناك فى قلة من المجاهدين، فنشبنا القتال معه عند ما تسلق الهضبة، وقد سقط أربعة من المجاهدين شهداء، وبذلك فت فى عضدنا، وكنت مسلحا ببندقية الموزين - الخماسية الاسبانية - وجعلت أضرب العدو بمهارة، ومع ذلك يبدو لى كأنى لا أصيب أحدا فاحترت فى أمرى، لما عهدته من اصابة الهدف، فحولت بندقيتى الى ضرب حجر فأصوبته، فعلمت أن الجندى الذى أصيبه يسقط منحذرا فلا أراه، وقد تمكن العدو من الوصول الى القمة، والاستيلاء عليها. وفى غده ترصدنا أنا وخمسة من المجاهدين العدو على ماء عين عمارة، فجاءت كوكبة من اللفيف الاجنبى لسقى الماء، فحصدنا منهم سبعة، وفر الباقون، محتمين باخوانهم على رأس القمة، ولم يعثروا لنا على اثر، وفى مرة جاء بعض الجنود يبحثون عن التين النيبى فى الاشجار، عن بعد بعض ياردات من القشلة فسدنا اليهم بنادقنا فسقطوا صرعى. ولما علم الامير بما نقوم به أرسل الينا لنحضر عنده، فحضرنا بربارك أعمالنا، ودعانا لمزيد من التضحيات ونفح 15 ريالا لكل واحد منا، وأمرنا بأن نقوم بعمليات استنزاف العدو بالضرب ليلا فى العمق على مواقع تجمعاته، فكون أربعة منا عصابة نضرب ليلا هنا وهناك،

(1) شاهد عيان .

وفى احدى الليالى وصلنا الى غار الثيران، حيث كان العدو جعله مقرا
لحاميته هناك، خوفا أن تتكرر عملية الانتحار، فألقينا على الجنود
القنابل اليدوية مما جعلهم يرتبون من أين أوتوا .

الا أنه بعدما أقلقنا العدو بالهجمات الليلية، دعانى الشيخ
محمد أزرقان اليه، فاستفسرنى عن الكيفية والطريق الذى نسلكه فى
عملياتنا الليلية، فأعلمته بالواقع، فلما بدأنا القيام بعملنا فى الليلة بعده،
وجدنا الطريق مسدودا بجنود العدو، لانه أحس بخطر عملنا الفدائى
فأغلق المنافذ التى ننفذ منها الى مراكزه .

الاستيلاء على جبل السلوم :

وفى أعقاب ذلك تحرك العدو فاستولى على جبل السلوم وهو
أعلى جبل فى شمال أجدير، يشرف على خليج الحسيمة وقلعة النكور،
كما استولى على جبل أغراف، ونصب عليها بطاريات مدافعه، وفى أثناء
تقدمه خاض معارك مع المجاهدين الذين تربصوا به فى ايجار أزكاغ،
وتخنوست، استشهد فيها المجاهد حموش أفقير عمر من أجدير، وكان
من المجاهدين الصابرين فى القتال .

وباستيلائه على هذه القمم أصبح الجيش الاسبانى واضعا
يديه على مفتاح غزو الثورة فى الصميم، وفى هذا الضدد أعلن الجنرال
بريمودى الرفيرا للرأى العام قائلا: «اننا سننتهى من مسألة الريف
خلال بضعة أشهر» وأصدر بيانا طبع باللغة العربية، ووزع على نطاق
واسع بواسطة الطيران، يمنح فيها للريفيين ثلاثة أيام للاستسلام،
ذاكرا فى هذا البيان، «ان الاستسلام وحده يمكن انقاذهم من أشد
العقاب، وانه سوف يمنح العفو لجميع الذين يلقون السلاح، لكن هذا
العفو لا ينطبق على ابن عبد الكريم، بل تجب عقوبته وطلب من رجال
القبايل بالبقاء القبض عليه، وتسليمه حيا أو ميتا .

فعندما تم غزو الحسيمة، أتى بالمجندين المغاربة
فنزلوا عن طريق ساباديا، ليشاركوا فى الزحف على أجدير، وكانوا تحت
قيادة الكومندان «بريلا» فلما قرر الجيش الاسبانى أن يزحف الى

الخط الامامى على هضبات أجدير، تقدمت هذه الجماعة، ونظرا للاستغلال السياسى لهذه المشاركة من طرف أحد أعمام ابن عبد الكريم، فان الاسبان اعتنوا بها .

وهكذا ففى يومى: 2 و3 اكتوبر 1925 تقدم الجيش الاسبانى من مراكزه الى تلك الهضبات، فكان الليف الاجنبى يتقدم عن اليمين ليحتل جبل أمقران، وحملة الكرونيل ابرياث، وحركة الكومندان بريلا لاحتلال الهضبات المكونة لوسط أجدير، وشواطىء البحر، حيث أحرز الجيش الاسبانى على خط مستطيل ممتد من منحدرات المجاهدين الى أعالي جبل أمقران، وقد احتل سليمان الخطابى وسط ذلك الخط دار حدو بودرهم .

وعندما وصل الجيش الاسبانى الى هذه النقطة من التقدم، والاشراف على مركز أجدير، فان الجبهة تجمدت لما يقارب سنة.

وفى هذا الصدد فان الجنرال منويل غوديد فى كتابه «المغرب ومراحل النهضة» راح ينعى على القيادة الاسبانية هذا الجمود، وعزى اليها عدم الحنكة الحربية، وقال فى هذا المضمار .

«وفى شهر شتبر 1925 وبعدما تمكنت القوة الاسبانية من النزول فى الحسيمة، واستقرارها ثمة، وكان الانتصار فى ضواحي أجدير يومى 2 و3 أكتوبر» .

«وهناك خذل الريفيون وانحطت معنوياتهم، ورأى ابن عبد الكريم أن أنصاره انفضوا من حوله، وكان يتوقف الامر فقط الى هجوم عنيف يقوم به حوالى 4000 أو 5000 جندى، لاجل حل مشكلة الريف الاوسط» .

«ولكن هذا الهجوم كان توقف، ثم جاء فصل الشتاء، لسنة 1925-1926، حيث تكون العمليات الحربية صعبة» .

«وفى أثناء محاولة اجراء الصلح مع ابن عبد الكريم، وفى هذا الوقت تمكن هذا الاخير من تنظيم القبائل مرة أخرى وجمع شتاتها ماديا ومعنويا، فاستطاع أن يفتح مراكز مهمة دائرة بالقوة الاسبانية مع احتلال خنادق محيطة بتلك المراكز القوية» .

«ولذا فإن هذه العملية كلفت الاسبان من الخسائر في الارواح أكثر من ألف قتيل» .

الواقع أن هذا الجمود الذي أسبل على الجبهات مكن رجال الثورة من تحصين مراكزهم، فقد استدعى ابن عبد الكريم القواد المشهورين من المراكز النائية، لاخذ أماكنهم حيال مراكز العدو . وهكذا استدعى سيدي عبد السلام البوعياشي الذي كان قائدا عاما لجبهة وزان، الذي كان مقره في فراحة من قبيلة غزاوة، كما تقدم واحتل مركزه في السوانى بقلب شاطئ خليج الحسيمة أمام أنظار قلعة جزيرة النكور، وحشر على المواقع الموكول اليه الدفاع عنها من أزغار الى البحر رجال بنى بوعياش .

كما استدعى أخاه الامير امحمد مع الجيش النظامى من الجبهة الغربية وتكلف بتسيير العمليات الحربية العامة، وتكلف القائد موح بن المدنى البقيوى بالدفاع عن هضاب آل هشام مع رجاله من بقيوة وتكلف موح بن الحاج عمر البوهامى بالدفاع عن بوهام، ابلوقا، أما ميدان أجدير الى آل هشام فقد تكلف به أحد صناديد المجاهدين، وهو علوش المرباط الوعيزى الذى قال فيه ابن عبد الكريم «إذا بقى حيا القائد علوش، فانه لا يبالى اذا فقد مائتين من الآخرين»، وقد استدعاه من الجبهة الشرقية بحيث كان يسير معارك سيدي مسعود وسيدي احساين كما سبق .

وعند هجوم العدو العام على خطوط المجاهدين بأجدير وضواحيه تكلم ابن عبد الكريم من سيدي يوسف وأمره بالانسحاب، فأجابه بأنه لم يسبق له أن انسحب من أية معركة، ولذا فانه حان وقت الاستشهاد، ثم أردف، وداعا أيها الامير، أرجوكم مسامحتى، فاستشهد رحمه الله اثر هذه المكالمة بعدما ابلى بلاءا حسنا، وبموته وموت المجاهد موح بوطاهر فى نفس المعارك فقدت الثورة بطلين من أبطالها الخالدين .

أما من جهة الجيش الاسبانى فان جموده كان لاجل تنظيم صفوفه بعدما ثبت أقدامه فى هذه الجبهة فى احتلاله الهضاب المنيعه المعززة من البحر عن طريق البوارج وقلعة الحسيمة، وكان فى مأمن من القائمه فى البحر .

وقد استمر هذا الجمود من فاتح اكتوبر 1925 الى غاية ماي 1926، حيث كان الهجوم الاسباني عاما، وعرفت المعارك التي جرت عند الاسبان «بمعركة ابلوقا»، وفي هذا الصدد ننقل هنا ما قاله الجنرال منويل غوديد .

«وفي شهر ماي 1926 فك الجيش الاسباني الحصار حيث استغل امكانياته جوا وبحرا، ووسائل النقل، فاستمر الهجوم متتابعا لحل مشكل الريف، وذلك بعد تنظيم القيادة العامة في مليلية، وبلغ لجميع المراكز، وصادق عليه في تطوان في شهر ابريل 1926 للعمل به وكان مرجع هذا التنظيم، الى تنظيم التموين والتنقل والمواصلات، حيث جمعت هذه المصالح في يد واحدة لها قوة الابتكار، ويمكن لها أن تغير أسلوبها حسب مقتضيات العمليات الحربية، التي تتغير كلما اقتضت الضرورة ذلك» .

«كما نظمت القيادة الحربية على أساس معسكر واحد تجمع فيه القيادات والرجال، ومن هذا المعسكر تخرج كتيبة على رأس كل 15 يوما مثلا، أو كلما اقتضى الحال لاحتلال أية نقطة لغرض أن تشتبك مع مقاتلي العدو محليا ويستمر العمل لاجل استنزاف قوة المحاربين الآخرين، وهذه الكتيبة تبقى في المركز تذهب وتجيىء عملا بالمثل الفرنسي القائل «ها أنا هنا وسأبقى» أو المثل الاسباني القائل «هاأناذا وسأبقى وسأتقدم» وكان هذا العمل تحضيرا استعدادا للحملة الموالية التي جرت في سنة 1926-1927» .

«وكان أصل نظام الهجوم أن يكون هجوما عاما من جميع الخطوط الحربية بصورة متفرقة، ولا يكون الهجوم في جهة معينة بقوة كبيرة، كما كان عليه الهجوم من قبل، حيث كان الهجوم يقع بعشرة آلاف رجل فيهم المقدمة والمؤخرة، فيكون العدو يقاتل مع المقدمة، بينما المؤخرة لا تشارك أساسا، ولأجل تفادي هذا الخطا قسم الطابور الواحد الذي كان يتألف من عشرة آلاف جندي، الى ثلاثة طوابر، يهجمون في ثلاث جهات، فيكون استغلال العدد متقنا، ولأجل استغلال التفوق العددي في الرجال والعتاد لاضعاف العدو، تفاديا لما كان عليه

الهجوم من قبل، ولأجل استغلال التفوق التقني أيضا، يجب القيام بمناورات لابرار مظاهر القوة أمام العدو بقوة المناورة وقوة الاحتياطي».

وعليه فان هذا الجمود الذي استمر قرابة ثمانية أشهر كان جمودا متعمدا من قبل الجيش الاسباني، لابتكار أساليب تنظيمية في صفوفهم، وقد أفادهم ذلك فائدة جلي، عكس ما يراه الجنرال «غوديد» لان العمليات التي يقدمون عليها كانت شاقة وعسيرة بالنسبة لوعورة الاراضي الجبلية التي سيقدمون على العمليات فيها، انطلاقا من أجدير الى شفشاون، وكان عدد لا يستهان به من المجاهدين قد التجأوا الى تلك الجبال احتما بأدغالها، لأجل أن يقوموا بحرب العصابات، ان لم يفدهم القتال النظامي، علاوة على المراكز الدائرة بالعدو حسبما تقدم.

الواقع ان الاسبانيين استفادوا من هذا الجمود أكثر مما استفاد منه الريفيون، فهؤلاء اقتصروا على تأسيس مراكز الدفاع، ولم يقوموا بأي هجوم، لأرباك العدو، وقد كانت العمليات التي يقومون بها هي مناوشات محلية أو عمليات فدائية كالتى قام بها جماعة المجاهد مرزوق بن عمر .

وكحادثة نصب كمين لسليمان الخطابي لما كان يذهب الى جزيرة النكور ليلا ثم يرجع فنصب له كمين فى «تنوت ملعب»، بأسفل أجدير، ولكنه نجا منها، وهذه المصاعب أحدثها له القائد موح أزحاف مع القائد حادى البقيوى لكون الاول ينافس على الرياسة، فما كان من سليمان ان كاد لهما باتهامهما بالاتصال باخوان الاول، فارسلهما الى الحسيمة على حصانين شرسين رجاء ان لا يكبحا جماهما فيلقيا بهما وفي هذه الاثناء، كان بعض عملاء اسبانيا الاقدمون قد انتعشوا وبدأوا يتحركون للاتصال بدوائر الاسبان فى مليلية، وقد بدعوا ذلك بعملية قام بها المدعو محمد أزرقان، وهو من بنى بوغياش (غير أزرقان ناظر الخارجية وصهر ابن عبد الكريم)، وكان أزرقان البوعياشى هذا قديما من أنصار الاسبان .

وبدأ له أن يرسل وفدا عنه يتكون من ولده عمر، وكان شجاعا ومن

شخص من عائلة أولاد طحطاح من بنى توزين وشخص من عائلة اقنيا، فذهبوا عن طريق وادي كرت الى مليلية، حيث اتفقوا مع القيادة الاسبانية أن يقوموا باغتيالات في مركز والدي بالسوانى، حيث كان على رأس قائمة الذين يغتالون، ثم تنزل حامية من قلعة الحسيمة لاحتلال مركز المجاهدين، وقد زود هذا الوفد بسلاح الموزير من مليلية، كما زود بالمال اللازم .

وقد علم ابن عبد الكريم عن طريق مخبريه بتحركات ذلك الوفد، فاستدعى الشخص الذى من عائلة اقنيا، وأقر له بجميع ما جرى، فأوعز الى والدي أن يقبض على محمد أزرقان، وولده عمر، وان يستعمل كل حنكته خوف أن يفلت، وهكذا ذهب والدي بنفسه الى دار موح أزرقان وطلب منه أن يسير معه الى مركزه بالسوانى مظهرا له أن القصد هو مشاركته في الدفاع، حيث أنه يمكن له أن يستخلفه في محله، عندما يضطر الى المغيب عن المركز، فذهب معه، أما ولده عمر فانه لم يوافق أباه وأعصوب في سطح داره مستعدا للقتال فلم يستسلم الا بعد أن أحاطت به جماعة من المجاهدين، وأخذوا معا معتقلين في مركز تماسيت الى أن أعدما معا. أما الرجل من عائلة طحطاح، فقد نجا هاربا الى مليلية.

وفى هذا التاريخ فان الخريطة العامة لوضعية الخطوط للجيش الاسباني، كانت كما حكاه المؤرخ الاسباني «كوما» في الجبهة الشرقية: خط مستمر من ساحل «افراو» حتى افسو، قرب الحدود المتفق عليها بين اسبانيا وفرنسا، مارا بسيدي مسعود - بن الطيب - تفريست - ميضار. وفي الجبهة الغربية: تطوان - سبتة - وجميع الساحل الشمالى الاطلنطكى: طنجة - أصيلا - العرائش - القصر الكبير .

وفى جبهة الحسيمة: خط مكون من شاطئ سباديا - جبل ملموسى - جبل الحمام - جبل امقران - روكوسا - حتى وسط خليج الحسيمة .

وفيما يخص المناطق المحررة حسب نفس المؤرخ: «كان الريف يتحكم في أكبر مساحة، من جباله - وغماره بأكملها، وأكثر من نصف

الريف - وخط واسع في المنطقة المخصصة لفرنسا، وبذلك كانت الثورة تسيطر على مساحة شاسعة، الأمر الذي يكون المتفائلون من الغازين بأن الثورة قد انهزمت انما هم في تفاءل بدون رزانة» هكذا يقول هذا المؤلف .

مفاوضات أخيرة للصلح :

وقد حدث في أثناء هذه الفترة ان عمد الاسبان الى خدعة ابداء الرغبة في الصلح مع ابن عبد الكريم على أن يمنح الريف الحكم الذاتي وكانت قضية اجراء الصلح تسير على هذا المنوال، كان رئيس وزراء فرنسا مسيو «بانلوفيه» اذاع بيانا عرض فيه على الريفيين وضع حد للقتال بطريقة المفاوضات، لمنحهم الحكم الذاتي متحررا قدر الامكان، وكان ذلك بالاتفاق مع الاسبانيين .

وبما انه كانت توجد لجنة في انجلترا، تسمى لجنة الريف، ألفها مستر «غوردون كاننغ» الانجليزى الذى كان ضابطا في فرقة الفرسان قبل ذلك، برتبة النقيب، ألفها بتاريخ يوليو 1925 وقد اشتركت في اللجنة لجنة أمريكية التى كانت تشكلت في أمريكا برياسة «هريت مايرون» .

ولما كان مستر غوردون هذا قد زار الريف عام 1924، ممثلا الهلال الاحمر، وحاول ادخال معونة طبية الى الريف فمنعته السلطة الاسبانية العسكرية .

فان الحكومة الفرنسية أوعزت اليه من جديد بأن يكون الواسطة في مفاوضات الصلح، التى تتوى فرنسا واسبانيا اجراءها لانهاء قضية الدم، فاستجاب اليهما، واتصل برئيس وزراء فرنسا، وأكد له بأن الحكم الذاتى الذى تفكر فيه الحكومتان هو يقارب الاستقلال مع بعض القيود، ثم اتصل بوزير خارجية فرنسا مسيو «بريان» وأكد له مضمون شروط المفاوضات، كما دعاه لان ينقل ذلك الى ابن عبد الكريم .

ثم عرج غوردون على المقيم العام بالرباط مسيو «تيودور ستيغ»

فأكد له من جهته بأن اسبانيا وفرنسا على استعداد لان تتركا للريفيين ادارة بلادهم بأنفسهم واستغلال ثرواتهم تحت سلطة زعيم منهم، يختارونه تحت سلطة السلطان الروحية.

وكان مسيو غوردون مصمما على أن النوايا التي حملت الدولتين على المفاوضة خالية من الخداع الدبلوماسي .

وفعلا فان المبعوث الانجليزي دخل الى الريف لعرض القضية على ابن عبد الكريم، وهو مزود بالصلاحيات الادبية من طرف فرنسا مباشرة، واسبانيا عن طريق حليفاتها، حتى أن المقيم العام أكد له بأنه اذا توفى في الاحراز على موافقة ابن عبد الكريم، فانه يأمر بالهدنة في الحال، ويقال بأن المقيم العام كان صادقا على أن ينهى قضية الريف بالوسائل السلمية.

وقد وصل غوردون الى تركسيت حيث كان يوجد الامير امحمد الخطابي بعدما رجع من جبهة تطوان، فانكبا معا على الحوار، بينهما لايجاد صيغة تتلاءم وما عرضته الدولتان من الحكم الذاتي، وكان ابن عبد الكريم مطالعا على مراحل الحوار نقطة نقطة، فاسفر النقاش على مشروع الاتفاق، وكان يتضمن بنودا تسعة مجملة فيما يلي :

- 1 — الموافقة على الحكم الذاتي .
- 2 — تحت السيادة الروحية لسلطان المغرب .
- 3 — ترك الباب مفتوحا للتجارة والتعريفات الجمركية المقررة في المغرب .
- 4 — انشاء قوة للشرطة للامن على نسبة وقرار الشرطة في منطقة الجنوب، وتسلح بالاسلحة الضرورية على أن الفائض يباع في الخارج أو يدمر .
- 5 — عدم دخول الريف في أية معاهدة مع الدول الاجنبية، على أن تمثل اسبانيا وفرنسا مصالح الريف الخارجية .
- 6 — لقب رئيس الحكم الذاتي في الريف هو الامير .
- 7 — تكون تطوان عاصمة ذلك الحكم .
- 8 — تكون مليلية وسبتة والعرائش خارجة على منطقة الحكم الذاتي .

9 - تتألف منطقة الحكم الذاتي من قبائل نهر ورغة وجباله
زيادة على قبائل الريف .

ورغبة من المستر غوردون في أن يتأكد من موافقة ابن عبد الكريم
شخصيا على المشروع، فقد طلب مقابلته في تماسينت، فهيت له تلك
المقابلة، واتصل به فعلا بواسطة صهره أزرقان وبحضور بوجييار، الذي
أعلم مسبقا غوردون بان ابن عبد الكريم أطلع على المشروع من قبل
أخيه، ولما أطلعه عليه قال ابن عبد الكريم له أنه متفق عليه كليا، فلا
حاجة لمزيد من الايضاح .

وفى حفلة عشاء أقامها الامير للمبعوث أبلغه هذا الاخير انذار
الجنرال «بوشو» فيما يخص الالاحاح على الصلح، قائلا انه اذا لم
يوافق ابن عبد الكريم على الصلح فان قوته ستقسم الريف الى شطرين
بأن تخرج قوته من تازا الى أن تصل الى أجدير، وقد علق على الانذار
ابن عبد الكريم، بأن الامر ليس كما يعتقدون من السهولة، ولكن على أى
حال، فانه لا يضع السلاح ولو يعمد الى حرب العصابات فى جبال
اغماره وجباله، ومع ذلك فقد كان متفائلا، فراح يفاوض ضيفه فيما
يخص المعونات الطبية التى تتوقف عليها معالجة الجرحى فى المستقبل،
ولاجل تأكيد موافقته على الصلح، زود المبعوث برسالة مؤرخة فى 16
جمادى الاولى 1344 تتضمن تفويضه بأن يستلم شروط الصلح، التى
عرضتها فرنسا واسبانيا فى شهر يوليوز 1925 .

وهكذا سافر المبعوث الانجليزى الى باريس، ووصلها يوم 30
دجنبر 1925، وفى اعتقاده أنه قام بمساعى حميدة، لانهاء مشكلة الدم
المراق بين الجانبين، ونظرا الى أن المقيم العام مسيو ستينغ، كان ينطوى
على نية حسنة، فانه بعث برسالة اليه يهنئه فيها على نجاحه فى المهم
الموكولة اليه .

الى هنا وصلت اللعبة الفرنسية مع مستر غوردون الذى حملته
متاعب أدبية ومادية، والتى نقضت كل ما غزله فى طرفه عين .
ذلك أن الوزارة الفرنسية التى كان يرأسها مسيو بانلوفيه سقطت
وخلفه على الرئاسة وزير الخارجية مسيو بريان، ورغم أن هذا الاخير
كان قد وافق على شروط الصلح، وبعث الانجليزى ليحمل تلك الشروط

الى الريف، فإنه بمجرد ما حل في رئاسة الوزارة، تنكر لكل ما جرى، بل وصم المبعوث في خطابه بمجلس النواب بأنه فضولى متطفل، مغامر أجنبي، صنعة المصالح التجارية البريطانية، وان عمله كان بايحاء من الطامعين البريطانيين في امتيازات مناجم الريف المعدنية .

وكانت البواعث الحقيقية لقلب ظهر المجن للريف، والمبعوث اليه ليست تلك الاوصاف التى شاء مسيو بريان أن يوصم بها الرجل الذى سعى لمساعدة الطرفين، على حقن الدم، وانما كانت تلك البواعث هو الخضوع للطغمة العسكرية التى الحق بها العار في المعارك العسكرية التى جرت بين الطرفين، فكانت ترى أنه لا يمحو ذلك العار الا باذلال الريف، تحت سنابيك خيولهم، وتحت دوى مدافعهم، وأزيز طائراتهم، ووسائل الدمار كلها، خصوصا وانه تراءى لهذه الطغمة أن وسائل الاذلال تحت أيديهم، بعد النزول في الحسيمة من طرف الاسبان، واحتلال ضواحي أجدير، واكتساح الجيش الفرنسى في نفس الوقت لقبائل بنى زروال، ومرنيسة، وغيرهما من قبائل ورغة مع استرجاعه للحصون المحاصرة، أو المحتلة شمالى ورغة، فما كان من الحكومة الفرنسية الا أن وصمت الرجل بما لا ينبغى، تسترا لنكوصها، وفي هذا الصدد قال الكرونييل «دوماس» أن مشروع ستيع الذى كلف به غوردون، والذى كان يقضى بصلح مشؤوم على فرنسا قد أهمل وأقبر من قبل حكومة فرنسا، عندما ارتفع الاحتجاج ضد المشروع .

وقد يكون احتجاج العسكريين الاسبانين أكثر لجاجا من زملائهم الفرنسيين ويظهر أن مسيو ستيع قد صدم في محاولته، من احتجاج العسكريين الذين رضخت حكومة «بريان» لهم، ولكن مع ذلك لم ينثن عن عزمه، فسعى لدى حكومته، وحكومة اسبانيا، لاجل فتح مفاوضات جديدة مع الريفيين .

وهكذا توصل الجميع الى الاتفاق على عقد مؤتمر وجدة، الذى مثل الريف فيه ناظر الخارجية السيد محمد أزرقان، الذى زود برسالة تفويض من طرف الامير، وقد نشرنا الرسالة في الجزء الاول، وكان معه احمد شدى وحدو الاكل ورأس الوفد الفرنسى الجنرال موجان، وافتتح المؤتمر في 15 ابريل 1926، واستمر النقاش الى مدة 15 يوما، وفى

هذه الاثناء قامت قيامة العسكريين الاسبانيين والفرنسيين مرة أخرى، واحدثوا ضجة صاخبة، صاحبت المفاوضة، مما جعل مشروع المفاوضة الذي قدمته الدولتان في صيغة مهينة للريف، تماما في بنديه 2 و4، ولا يمكن قبولهما، وذلك لان هذه المفاوضة كانت أيضا ضد آراء المقيم العام الفرنسي المتساهلة مع الريف، فقد جاء فيهما: نزع سلاح القبائل، وابعاد ابن عبد الكريم عن الوطن، أما البندان الاول والثالث، وهما: (1) الولاء للعرش المغربي، (2) واطلاق الاسرى فقد قبلهما الوفد الريفي حالا. لان الاول مبدأ غير منازع فيه بتاتا .

الا أنه لما وقع الشروع في المفاوضة أصر الفرنسيون والاسبان على اطلاق سراح الاسرى حالا، والسماح لقوتهم باحتلال بعض المواقع الاساسية كمقدمة لعقد المؤتمر .

واذا كان هذان الشرطان الاخيران قد ألقى بهما كحجر عثرة أمام المؤتمر، فانه لم يعد هناك مجال للشك، أمام الوفد الريفي من أن القصد هو التذرع بالتدخل العسكري، وذلك ما دعى السيد أزرقان رئيس الوفد أن يعقد مؤتمرا صحفيا لفضح المؤامرات الاستعمارية .

ونترك هنا للمراسل الأمريكى «ولتر هاريس» الذى كان حاضرا في المؤتمر الصحفى، ليحكى لنا الانطباع السيء، الذى أحدثته تلك الشروط لدى الوفد الريفي، والدهشة التى أصابت وفدى الدولتين الاسبانية والفرنسية، من عقد المؤتمر الصحفى، فقد قال: «ان الانطباع الذى تركه هذان الشرطان فى الريفيين كان انطباعا سيئا جدا، وقد اعلنوا أنهم مستأوون، لانهم اجتذبوا الى مائدة المفاوضات بمزاعم زائفة» .

«وفضح أزرقان هذه المحاولة أمام مراسلى الصحف، على اعتبارها احتيالا، الامر الذى اذهل المندوبين الفرنسيين والاسبانيين، وأثار حفيظتهم، لكنهم لما كانوا يستخدموا أنفسهم وسائل الاعلام ذاتها، فانه لم يكن فى مقدورهم الاعتراض على سلوك الريفيين المنهج نفسه» . وقال أزرقان عقب اندهاش الجميع من المؤتمر الصحفى، «أنه ليس لدينا أسرار، وفى نيتنا أن نعرض الامور جميعا بصورة علنية» .

واثر ذلك انسحب المندوبون الريفيون الى توريرت . هذا ما قاله هاريس، ومن المعلوم أن هذا المراسل يكاد لا يخفى

طعناته للريف في كتاباته، كما سبق أن أشرنا إليه، ولذا راح يحاول تفسير عدم قبول الوفد الريفي لاطلاق الأسرى، من أنهم ربما كانوا قد لقوا حتفهم في ظروف غامضة، الى غير ذلك مما تخيله، روى لى السيد احمد شدى (لازال حيا)، ان المفاوضة كانت تجرى في مدينة وجدة وان الوفد الريفي بعدما أطلع على البندين الاول والثالث، طلب مهلة للذهاب الى الريف، للتشاور مع ابن عبد الكريم، فجاء السيد احمد شدى وحدود الاكل الى تاوريرت، حيث ركب كل واحد منهما طائرة حربية فرنسية الى أن نزلا في تماسينت، حيث كان ابن عبد الكريم في مركز سيدى عبد الله بن يوسف، أما أزرقان فقد جاء عن طريق البحر، وامتنع من ركوب الطائرة الحربية، ونزل في السوانى، ومن مركز والدى تكلم مع ابن عبد الكريم تليفونيا .

ولم يستطع هاريس أن يقول ان الشرطين المعروضين لم يكن لاحد أن يقبل تنفيذهما قبل المفاوضة الا من كان له عقل أرب، وعندما عاد الوفد الريفي يوم 26 ابريل الى وجدة اعلنوا رفضهم للشروط، وكانت حركة استنزاف المجاهدين المستمرة بلغت أشدها .

الهجوم العام

وعندما استكمل العدو تنظيماته العسكرية والتموينية فانه لم يبق أمامه الا الهجوم العام، الذى قرره القيادة العليا .
ففى 8-9 و 10 ماي 1926 انطلقت العمليات الحربية الشاملة ضد مراكز المجاهدين، وكانت على الشكل التالى :

توجهت الى أعالي أجدير في المعركة التى دعيت معركة «ابلوقا» خمس طوابر اسبانية، وهى طابور فيسر وطابور الكرونيل بالميسر وطابور الجنرال دويا وطابور الجنرال بونطى بالخيالة، وقد التحمت فى آيت هشام مع قوة القائد موح بن المدنى البقيوى، وبابلوقا مع قوة موح بن عمر أبا محند، من بنى عبد الله، وفى اثناء المعركة قتل قائد بقيوة موح بن المدنى وفت فى رجال بقيوة، وجرح هناك الهادى بن دادى التسولى، وقد كان قد أطلق سراحه الفرنسيون حديثا، حيث التقى عليه القبض فى الغزوات من الجزائر، ذلك أن حدود الاكل

كان اشترى زورقا بخاريا من وهران ليأتى به للريف وكلف الهادى المذكور، والعربى بن محمد بن عيسى من ايجار عياش وعبد السلام امنوض من أزمون، وعمر بن الحاج عيسى من أزفزاها، لاجل أن يقودوه من وهران الى أجدير، ولما وصلوا بالزورق الى رأس ورك، هاج البحر، واشتد هيجانه، فألقت الريح بمركبهم فى الغزوات، فألقى عليهم الفرنسيون القبض، وسجنوا هناك لمدة 150 يوما، وعند نزول الاسبان بالحسيمة أطلق سراحهم، حيث عمدوا الى استخدام الهادى المذكور لحمل رسالة الى ابن عبد الكريم من طنجة مكنه بها كبطان يدعى «فرنيش» فى اسم المقيم العام الفرنسى يعلمه فيها باعلان الحرب على الريف رسميا تضامنا مع اسبانيا .

وقصد الهادى مركز سيدي عبد الله بن يوسف حيث سلمه الرسالة ثم التحق بالمجاهدين .

أما جهة السوانى فقد انطلق رأس رمح من مجموعة الطوابر بقيادة الجنرال كسترو خيرونا، وكان المجاهدون قد حولوا مياه وادى غيس لاحداث فيضان على سهل المزمة، لعرقلة تقدم الاعداء وبالاخص الخيالة، ولكن يظهر أن مفعول ذلك لم يكن قويا، نظرا الى أن مياه الوادى فى ذلك الابان يكون ضحلا لا يغنى شيئا .

أما قوة كمندان بارىلا الاهلية، وقوة التلينتى كرونيل «ابرياث» مع طابور من اللفيى الاجنبى، فقد انطلقت نحو اجدير، ووقعت على جميع الجبهة من شاطئ السوانى الى ابلوقا معارك ضارية استمرت فيها المجاهدون، وكبدوا العدو خسائر فادحة فى الارواح، والمعدات فى جميع الجهات، وكانت معركة هضاب المزمة أشد عنفا، واستشهد فيها أعمامنا الثلاثة: قائد 300 عمر بوثجرنيت، وموح بلاح وعلى ابنا الحاج محمد، وهذان الاخيران احتميا فى حفرة يحصدان جيش العدو حصدا برصاص بندقيتهما، حتى اذا جرح احدهما بقى الآخر يستعمل البندقيتين معا، اذا سخنت احدهما استبدلها بالآخرى، فتفطن بهما العدو، ورمى عليهما قذيفة يدوية مزقتهما اشلاء، ودفنا فى المحل نفسه، رحمة الله عليهم جميعا. وقتل فى قرية ازغار من قواد المغاربة المحاربين فى صفوف العدو، موح أزحاف، قتل فى داره، حيث دخلها واستبدت به نشوة

الانتصار، فصعد حيناً الى سطحها، حيث رماه احد المجاهدين فقتله، كما استشهد هناك القائد البطل علوش الم رابط كما ذكرنا .

ورغم ضراوة القتال على جميع الجهات، فقد انتصر العدو في هجومه العام، واستمر رمح الجنرال كسترو يتقدم ببطىء تحت نيران المجاهدين الى أن وصل يوم 20 ماي الى سوق اثنين بنى بو عياش الذى لا يبعد الا بمقدار 15 كلم .

ومن هناك تفرقت الطوابير، فتفرع عنها رأسا رمحين اثنين، احدهما توجه جهة تماسنت، حيث التقى مع القوة التى صعدت على وادى غيس، والرمح الثانى تسلق هضاب بنى بو عياش، قاصدا قرى تبا الرابطة التى دكها بقنابل الطائرات دكا، وهدم ديارنا على أساسها، كما توجهت طوابير أخرى على وادى النكور الى أن وصلت الى «مابان»، حيث قنطرة النكور الآن، وجعلها الجنرال كسترو مقرا للقيادة العامة الشرقية لبنى ورياغل .

أما طوابير ابلوقا فقد تكون عنها رمحان احدهما توجه الى جهة سوق احد الرواضى ببقيوية والآخر اكتسح هضاب الضفة الغربية لوادى غيس الى أن التقى فى تماسينت مع رأس الرمح الذى توجه من اثنين بنى بو عياش .

معركة بوصالح :

تقع قرية بوصالح فى أعالى وادى غيس، تحت سفوح جبل حمام، ويوجد فى هذه السفوح مركز سيدى عبد الله بن يوسف، الذى كان نقل اليه الامير ابن عبد الكريم المركز العام للعمليات الحربية، بعد النزول فى الحسيمة .

وبعدما انكشف مركز تماسينت أمام طيران العدو، الذى يصبح ويمسى فى اسراب روتينية اسبانية أو فرنسية، تدكه دكا، وكانت قرية بوصالح هذه مخزنا للسلاح الذى أبعد عن مواقع الخط، واثّر هذا الهجوم العام، فقد أصبح المجاهدون فلولاً مبعثرة، لا تربطهم قيادة موحدة، وكانت تلك الفلول فى قتالها تكون عصابات، تتأوش العدو هنا وهناك، لتؤخر تقدمه لكى يصل الذرارى والنساء الى رؤوس الجبال، لتتحصن

من الدمار، أما رجال قبيلة بقيوة فقد استسلموا بمجرد ما تخطى العدو معركة ابلوقا، وبمجرد ما قتل قائدهم موح بن المدنى، أما فلول بنى ورياغل فقد هرع اكثرها الى حيث يوجد مركز المجاهدين العام على ضفاف وادى غيس العليا، فتجمعوا هناك، للدفاع المستميت، وقد تجمع هناك خلاصة الشجعان، منهم المجاهدان المغوار: موح ازداذ الكتومى ومحمد قيشوح العروصى، هذا الاخير أعدمه الاسبان باثنين بنى حذيفة بعدما استسلم عند الامان .

وبعدما استراح العدو فى تماسينت لتنظيم صفوفه بعض الوقت، كر متقدما فى هجوم على تلك الضفاف فاصطدم مع المجاهدين الذين أصلوه نارا حامية، انهزم اثرها، وكبدوه خسائر فى المعدات والارواح، حتى قيل أن الدم اختلط مع ماء وادى غيس، فجرى كله دما قانيا. وقد ساعد على الهزيمة ان السماء امطرت مدرارا، فصببت مزاييها هناك بالماء، والبرد، أودت بالجيش والبهائم، فاختلط حبله بنابله، وكانت كارثة عليه مهولة، فرجع القهقرى .

ابن عبد الكريم يستسلم

واثر هذا الهجوم الذى احس فيه ابن عبد الكريم بشد الخناق عليه، فانه تنكب هذا المركز، وانتقل الى بنى حذيفة، اذ نزل بقرية كمون وترك عائلته هناك، وانصاره محتفظين بالاسرى، وتوجه هو الى جبل ترمورين اذ حشر هناك المقاتلين . وفى أثناء ذلك فان فلول المجاهدين تلمست التسلل الى جهات مختلفة .

وأصبح الجيشان الفرنسى والاسبانى يتسابقان للقبض على الامير والاستسلام لديه .

وضعية الجيش الفرنسى

وكان الجيش الفرنسى ابتداء من أكتوبر 1925 قد تقدم من جهته على الجبهات المختلفة فقام الجنرال دوران بهجوم فى أكتوبر بطابور السبايسى على قبيلة كزناية، واصطدم مع المجاهدين فى معركة

سيدي على بوعقبة، في الجبال المتأخمة لقبيلة بنى توزين، وكان يدافع على هذا الخط من المجاهدين الحاج شعيب بن دودوح التسماني وموح ابن عمر أختو الكزنايي، وقد استمات المجاهدون المنسحبون مع وعورة الارض وطبيعة القتال فيها، وكانت قوة الجنرال دوران لم تستطع أن تصمد فتقهقرت الى الورا في حالة جد مزرية، تكبدت خسائر فادحة، وبعد لايء وصلت الى مركز بوينوخ وسوق السبت عين عمر .

أما جيش الجنرال جونشي الذي توجه جهة مطالسة وكان مؤلفا من السبايسي، فقد تقدم الى قلب مطالسة، كما تقدم طابور من خيالة الجنرال دويا الاسباني، فالتقيا في ثلاثاء أولاد بوبكر، فاتصلت يمين القوة الفرنسية مع يسار القوة الاسبانية، وذلك بدون قتال عنيف، نظرا لتعزيز القوتين في سهول مطالسة بالمدفعية الثقيلة .

وعلى جبهة وادي ورغة، فقد سبق ان ذكرنا أن قوة من الاهالي والسنغال تقدموا تحت قيادة القبطان «شيميت» وبمعاونة القائد المذبوح من كزناية، وعمر بن احميد، وطاردت القائد الخلادي، واحتلت هذه القوة قبيلة مرنيسة .

أما على ضفاف ورغة فتقدمت القوة الفرنسية على خط تاوانات في جبهة عريضة، وصلت طلائعها تحت قيادة الجنرال ايبوس والكرونييل كوراب والجنرال بوشو الى ضواحي مدينة تركيست، التي كانت مركزا عاما للعمليات الحربية على الجبهة الريفية الفرنسية، وكان يدافع عنها القائد عمر بن علوش الذي انسحب من قبائل ورغة الى هناك، وتحصن فيها، وعززه ابن عبد الكريم حين تواجهه بترمورين، بجماعة من المقاتلين الذين رافقوه، فانشبوا القتال مع طليعة كان يقودها القبطان شيميت ليلا، ولكن في الصباح تقدمت قوة فرنسية تحت قيادة الكرونييل كوراب لتعزيز طلائع القبطان شيميت، فقتلت من المجاهدين حوالي خمسين، وحينئذ استولى الجيش الفرنسي على مدينة تركيست، وتقهقر المجاهدون الى كمون، حيث يوجد بعض الحشود من المجاهدين الذين يقومون فضلا عن الاستعداد للقتال، بحراسة حوالي 380 أسيرا من كلتا الدولتين .

وقد كان ابن عبد الكريم في هذا الحال مترددا بين أن يسلم نفسه الى الفرنسيين، أو يتقدم الى جبال كتامة وبنى سدات ومسطاسة

ليجمع فلول المسلمين لمقابلة القتال في تلك الجبال الوعرة، التي يمكن أن تكون عائقا للجيش الغازية، ردحا من الزمان، ينظم خلاله صفوفه ويجمع شتات المهاجرين، وكان في جباله من قواد الريف احمد بودرة ناظر الدفاع، والشجاع احمد اخيرو ومحمد احميقا، والتمسمانيان السيدان عبد السلام ومحمد ولدا السى احمد المقدم، وغيرهم كثيرون، ومن جملتهم حوالي 7.000 مهاجرا من قبائل ورغة وغياثة والبرانص وفي صنهاجة كان يوجد القائد موح ارذاذ، اعصوبت حوله تلك القبائل، وفي بنى عروص والاحماس وسماتة اعصوبت حول الشريف احمد البقر. غير أن عاملين اثنين قد غيرا تفكيره في الحل الثاني.

1 - أنه علم أن الكرونييل الكباش، قد طار من الحسيمة الى مثار، حيث استقبل هناك القائدين الخلادي والبويحياوي، وان هذين الاخيرين عملا على استئصال معظم المهاجرين من الجبال، للالتحاق بهما، وتأليفهما في جماعة من المرتزقة، كما عمل البويحياوي - وهو القائد القوي على قبائل غمارة - على ضبط تلك القبائل وسلوكها في طاعة الجيش الاسباني، وبذلك سد الطريق في وجه ابن عبد الكريم وبين المجاهدين الموجودين هناك. حكى لى القائد الخلادي انه لما تحرك الجيش الاسباني في هجومه العام، فانه والقائد البويحياوي الاغماري من قبيلة بنى سلمان، وكانا في تركسيت مسجونين، افرج عنهما، وذهبا معا الى زاوية سيدي احميدو الوزاني باسنادة، ومن هناك توجهوا الى غمارة حيث نزلا بعائلتهما في مرسى مثار، وقد علم الكرونييل الكباش الذي كان في نواحي الحسيمة فطار الى مثار حيث نزل بالموضع المدعو عين الحجر لمقابلتهما خوف أن يلتحقا بجبال غمارة، ويجمعا المجاهدين هناك، فلما التقى بهما وكان ضابط مغربي برتبة ملازم وهو خرخور فنزع من كتفيه نجمات الضابط والصقهما للقائد الخلادي، اما البويحياوي فقد نصبه حالا قائدا على غمارة، وحينئذ عملا على استئصال من يوجد من المجاهدين من رؤوس الجبال، فكون منهم القائد الخلادي فوجا من الحركة أرسلها الكباش بعد ذلك الى تطوان، أما القائد البويحياوي فانه وجد في مثار مائتين من رجال غمارة كان وجههما قائد بنى سلمان من قبل ابن عبد الكريم المدعو اخنيو، لاجل أن يلحقوا بالريف فأمرهم البويحياوي بأن يذهب خمسون

منهم ليعترضوا على حدود الاخماس، وخمسون يهجمون على القائد اخنيو، والباقي يسير معه للقبض على القائد عبد الكريم الختاش .

2 - انه مثقل بعائلة تضم 60 نسمة من بين الاناث والاولاد، وانه اذا تقدم بها أمام قبائل غمارة، فلا يأمن، كما أنه مثقل بالاسرى الذين يجرحهم كرهائن لديه، لان يلعب بهم الورقة الاخيرة الرابعة عند الحاجة .

وحين اختار الحل الاول، وهو الاستسلام الى فرنسا، فانه توجه من جبل ترمورين الى الزاوية الوزانية باسنادة، وكان يرأسها الوزاني سيدى احميدو، وهو شريف غير محارب، الا أن زاويته كانت مقصدا للوافدين من المجاهدين الذين يجدون فيها ترحابا، فكانت له حرمة الشرفاء في الريف .

ولذا رأى ابن عبد الكريم ان السبيل للاستسلام بصورة مشرفة تكون بواسطة هذا الشريف، فقصدها مع 25 من مشاوريه وحراسه، بينما ترك أخاه امحمد وعمه عبد السلام في كمون يستقطبان معهما من بقى من المجاهدين استعدادا للطوارئ .

وهذه قصة عملية الاستسلام حسبما رواها المراسلون الاجانب، في ذات الوقت، وعلى رأسهم هاريس مراسل التيمس على ما فى أفكاره من تحيزات سافرة في بعض كتاباته ورواها العسكريون الفرنسيون الذين حضروا الاستسلام، كما رواه شاهد عيان من رجال الريف .

لم يقصد اسنادة الا وقد قرأه على انتهاء نضاله بصفته الشخصية، كزعيم للثورة، وترك الحرية للآخرين من القادة أن يختاروا المسلك اللائق بهم، فلم يعتمد الى اصدار نداء الى رفاقه لوضع السلاح، كما هو الشأن عند قواد الثورات المغلوبين، وقد حكى لى أحد الذين كانوا حاضرين للاستسلام، انه لم يستجب للكرونييل كوراب في مطلبه باصدار نداء يلقي بواسطة الطائرات على مواقع المحاربين في الريف، وغمارة وجباله يدعوه فيها لوضع السلاح، وهو أمر يخالف ما ذكره المراسل هاريس عن نوايا ابن عبد الكريم «من أنه كان يقصد الحصول على موافقة القبائل على شروط الصلح بالتشديد على وجود العدو وسطهم لقد أوقف الاسبانيين في تقدمهم من الشاطئ، أما الفرنسيون

فسيعودون الى محميتهم عند احلال السلام، ولسوف يظل سعيدا في منزله الخاص، وانه أرسل من سنادة رسالة الى المقيم العام ستينغ يوح فيها على فتح مفاوضة السلام» .

ان هذا القول غير وارد عن حضر الاستسلام، ومنهم السيد محمد بن عمر الولقاوى (لازال حيا)، الذى لازم ابن عبد الكريم كالظل بعدما تخلص عن محكمة بوهم التى كان يشرف عليها، والتى كانت مخزنا للسلاح والمؤن من أموال الزكاة التى ذكر أنه حاسب بعض الأشخاص المكلفين بجمع الاحباس فادانهم وسجنهم فيها، الى أن أطلق سراحهم الجيش الاسبانى .

وعليه فان ما قاله هذا المراسل يعتبر من تخيالاته، لان الوقت لم يكن فيه متسع لتوجيه مثل هذه الرسالة التى يعرف ابن عبد الكريم قبل أى أحد، انه لا جدوى من ورائها، باعتبار أن الرجل واقعى حسب اطباق المراقبين على حصافة رأيه، فلا يمكن له أن يتشبث بالسراب فى آخر مرحلة نضاله البطولى .

وعليه فان أول ما فكر فيه هو أن يبعث الشريف السيد احميدو للذهاب الى تركسيت، للاتصال هناك بقائد الحملة الفرنسية للبحث معه فى شروط الاستسلام، فوافق مبدئيا، وبكل تلهف أن يستسلم فى يد القوة الفرنسية، وهو مكسب أدبى كبير لفرنسا، قد اغاض القوة الاسبانية الى حد بعيد، حتى أدى بقادتها ان يطلبوا من فرنسا تسليمه اياهم، بدعوى الاقتصاص منه لاسرى الحرب .

وعندما عاد الشريف الوزانى برسالة من الكورونيل كوراب بتأكيد المحافظة على سلامته، وسلامة عائلته وأمواله، شريطة أن يطلق لاسرى حينا، أصحابه بخابطين فرنسيين احدهما برتبة كبطان يدعى «سوفران» والآخر برتبة ملازم يدعى «مونتان» ومدنيين فرنسيين أيضا وهما باران والدكتور غود للاعتناء بالاسرى المطلوب اطلاق سراحهم حالا، ووصل الجميع الى اسنادة يوم 24 ماي 1926 على الساعة الرابعة بعد الظهر، ولم يستقبلهم الا فى الساعة السابعة، ونترك هنا كيفية استقبال ابن عبد الكريم لهذا الوفد، لما ورد فى مذكرة الكرونيل دوماس الفرنسى الذى لم يكن على كل حال من جملة الوفد، وانما نقلها عن غيره

وهي تتم عن الرجل الفولاذى الذى يضبط نفسه عند الشدائد، قال: «كانت تلك مقابلة رسمية كما كان الامر فى أجدير، عندما كان الامير فى أوج قوته، جلس عبد الكريم فى غرفة مفروشة بالسجاد والوسائد، ومزينة بالسجف، يحيط به عشرة من مشاوريه العاديين، ونهض لدى وصول الوفد وقدم اليهم وزراءه، كان وجهه خاليا من كل اثر للاضطراب، بل كان يبتسم كان من الواضح أنه يوشك أن يلعب ورقته الاخيرة» .

وقال للوفد، «انا لست وحيدا، ان استسلامى سيهدم كل ما ببيتته، وان رجالى ليثقون بى، وهناك قبائل كاملة ترغب فى مواصلة القتال، وواجبى هو أن أبقي معهم حتى النهاية، اذا ذهبت ما عساه يحل بهم؟ من يقودهم ويدافع عنهم؟ وعلى الاخص ضد الاسبانيين» .

وفى هذه الاثناء جرت محاورات بينه وبين الوفد طالت مدة ساعتين، حاولوا اقناعه بعدم جدوى القتال، وعقب ذلك طلب مهلة، فتحول الى غرفة أخرى للمشاورة مع مستشاريه طبعا، ولا نعلم ان كانت الزاوية تتوفر على تليفون ليتصل بأخيه بكمون، ولكن على كل حال فقد عاد ووافق على اطلاق سراح الاسرى، بما فيهم الاسبان، وكتب رسالة الى الكورونيل كوراب يعلن فيها موافقته على الاستسلام، ويطلب فيها ارسال قوة الى كمون، ويقول السيد محمد بن عمر الولىقاسى فى تقييده له ان القيادة الفرنسية بتركيبت وجهت الى كمون للمحافظة على العائلة فرقتين فرقة من رجال القبائل، تحت قيادة المذبوح الكزنايى وعمر بن احميدو الرئيسى والبشير الزمرانى التسولى، وفرقة من الجيش الفرنسى، وان القوة المذكورة حافظت على حرمة العائلة، كما حافظت على نقل الاموال بامانة، وان العملية لم تستغرق أكثر من 24 ساعة، وانما أرسلوا قوة مختلطة من المغاربة والفرنسيين رعا لتقاليد المغاربة المرعية، حيث تكون أساليب الرحلة طبق التقاليد .

وعندما بعث رسولا حاملا رسالة القبول فان ابن عبد الكريم زار بعد ذلك عائلته فى كمون وقد وجد أن الطيران الاسباني أغار على مقر العائلة، فقتل ثلاثة من المجاهدين، بينما وجد توترا شديدا يسود العائلة التى هى على وشك أن تسقط أسيرة فى يد الكفار، وسمع كثيرا

من الشكوك والارتياب من أقاربه الامر الذي عاد معه الى اسنادة متغير الملامح قلق البال .

قال عنه بوجبار ان ذلك خوفه من حيلة الغدر به وبعائلته وأمواله، وقد توجس الوفد خيفة من أن كل المحاولات قد ذهبت سدى، عندما صرح لهم قائلاً: «أنا لا أبرح حراً، وإذا شئت فأنى أستطيع أن أدافع عن نفسي» .

ثم قال للفرنسيين «أنتم الآن تحت رحمتي، ويمكنني أن أحتفظ بكم كرهائن، لانكم وحدكم الذين في قبضتي بعدما أطلقت سراح الاسرى، الا أن الكبطان سوفران أجابه حالاً، نحن ضيوف الشريف الوزاني مثلك، وهو وحده الأمر هنا، فاذا الحققت بنا الاذى تكون قد اعتديت على حرمة الضيافة» .

ولم يكن ابن عبد الكريم يقول ذلك عن جده، وانما تأثر بالمناظير التي خلف عليها عائلته، التي لا شك أنها كانت وضعية جد الارتباك، فنفت ما في صدره للتخفيف عليه، بفتح الحوار الذي انتهى بأن كتب القبطان سوفران رسالة أخرى الى الكورونيل كوراب يطلب منه بالحاح حماية عائلته، فما كان من هذا الاخير الا أن وجه اندارا لابن عبد الكريم بأن يستسلم أو يقاتل، ووصل الانذار يوم 26 ماي 1926 .

وقد قال اليونتان «مونتان» في انطباعاته على الرجل «أنه كان يبدو خلال الساعات المؤثرة في نظر أولئك الذين حاولوا اقناعه بعدم جدوى الاستمرار في القتال، كرجل دولة بربرى حقيقى، مدرك لمسؤولياته وواجباته» .

يعنى أنه في حالة انضباط نفسانى لا يتخطى العبارات اللائقة التي تلقى في مثل هذه المواقف .

وبعد هذا الحوار زالت عنه علامات التذمر تلك، فرجعت سحناته الى طبيعتها، وكتب رسالة الى الكورونيل كوراب بالاتفاق على الاستسلام،

وضرب موعداً لوصوله الى تركيست صباح يوم 27 ماي . وفى الساعة الواحدة ليلاً دخل على الضباط في غرفتهم، فقال لهم حان الوقت لالذهب، وسأكون مستعداً خلال ساعة واحدة، ثم أمر اتباعه المخلصين الذين كانوا معه أن يذهبوا الى كمون، ثم خرج وامتنطى

جواده كما امتطى أخوه امحمد من ورائه وعشرون من اصفيائه، وتابعوا السير ليلا، ولم يترك لاحد أن يقترب اليه، وكان سكوت مطبق رهيب لا تسمع في سكون الليل الا سنايك الخيل ماعدا ما يحدث أحيانا في أدغال الطريق حيث يقوم الريفيون الذين كانوا ينتظرون الساعة الرهيبة، فيندفعون اليه اندفاعا تلقائيا، ليقبلوا ركابه وينتحبون كالنساء لفراقه، أما هو فيسير ضابط النفس مترفعا عن التأثر .

وعند فجر 27 ماي كان هناك في تركيست الجنرال الفرنسي ابيوس مرفوقا بالكورونيل كوراب، ووراءهما جنود الفرقة الاجنبية، وكتيبة من المغاربة مصطفىين لتأدية التحية العسكرية، فتقدم الجنرال والكورونيل لتحيته، وقدمه الكورونيل للجنرال فقال ابن عبد الكريم للجنرال اني أسلم نفسي واملاكي الى فرنسا، واني على ثقة من كرمها، فرد عليه الجنرال قائلا، اني أشكر لتضحيتك بنفسك في سبيل السلام بين شعبينا وستكون فرنسا شاكرا لك .

ثم تقدم كوراب وأخذه واخاه الى خيمة أعدت لهما، وقال لهما ان أسرتكما ستصل غدا .

وبعد ساعة اذاع الجنرال ابيوس بواسطة الراديو من تركيست استسلام ابن عبد الكريم الذي وضع نفسه تحت رحمة الدولة الفرنسية، وان الانتفاضة الريفية قد انتهت، ثم أعلنت فرنسا بأن عدوها المفلوب لن يتعرض للانتقام .

وفي غده وصلت أسرته بجمعها، كما وصلت منقولاته، وكان مكلفا باستقبال العائلة الجنرال جيرو، ونقل الجميع الى مدينة تازا، ومنها الى فاس .

وهنا تنتهي قصة ابن عبد الكريم وحاشيته .

ان الفرنسيين غادروا تركيست بعدما أحرزوا على الغنيمة الثمينة التي لاجلها جعلوا أنفسهم في موضع المسابقات الرياضية ضد اسبانيا، فاندحدروا بسرعة فائقة عن جبال وادغال قبائل صنهاجة الشمالية، حيث لم يجدوا عراقيل القتال المستميت أمامهم، عكس الفريق الاسابني المنافس في تلك المسابقة، الذي حاول أن يتسلق أغوار بوصالح، وسيدي عبد الله بن يوسف وهضاب بني عبد الله، فوجد أمامه قتالا

مستميتا رد على أعقابه ولو لوقت ما، ذلك ما دعاه أن ينتقم بطائراته المغيرة على قرية كمون، حيث كان يعتقد أن ابن عبد الكريم موجود ثمة، وكان يجهل تماما أنه في زاوية اسنادة، والا كان تغير اتجاه رأس رمحه الذى ربما لم يكن وجد في طريقه عائقا مثلما وجدته في مكان آخر.

وعلى كل حال، فإن اسبانيا اكتفت بعدما سمعت عن طريق الراديو صوت الجنرال الفرنسى ايبوس، ينطق من تركيست باذاعة النبأ العظيم، اكتفت بأن قالت: لقد ظفرنا .

ومع ذلك، فانه كان عليها أن تتابع الحرب ضد جيوب المجاهدين الذين تكونت من هنا وهناك فلم تظفر في الواقع الا في يوليو 1927.

ذلك أنه في بنى بوعياش كان والدى مع جماعة من المجاهدين أقاموا معسكرا دفاعيا عن جزام فرقد - بنى بويخلف - وكان الجنرال كسترو جيرونا نازلا بثقله على موضع قنطرة وادى النكور، وكان يدعى «مابان» فلما حاولت قواته أن تتسلق هضاب بنى بوعياش، اصطدمت مع هذا الحزام، وكانت طائراته تلقى الرعب في النساء والذراري المجتمعين في سفوح جبل حمام «بايجاروانو»، فلما صد جيش الجنرال كسترو عمدا الى الوسائل السلمية، يراود عن الاستسلام وعدم التحرش، نظرا للحصار المضرروب من جميع الجهات، ونظرا لانشغال المجاهدين بعائلاتهم.

فبعد اتصالات ومحادثات دامت أياما رضح والدى للاستسلام، حيث رجعنا جميعا الى قريتنا «الرابضة» التي تركت ديارنا فيها قاعا صفصا كما سيأتى .

أما جهة تركيست فإن المجاهد موح ازداذ الورياغلى استقطب حوله المجاهدين في قبائل صنهاجة السراير، حيث استطاعوا أن يقاوموا تقدم القوات الثلاث التي كان يقودها الكرونيالات الثلاثة : بوطاس مولى، ولانس، وبعد قتال عنيف توصلت القوات المذكورة الى احتلال تبرنت وكتامة، وفي شهر ابريل 1927، حيث تجمع المجاهدون بتغزوت اصطدموا بقوتين اسبانييتين: احدهما تحركت من تبرنت - أى من الشرق الى الغرب - بقيادة الكورونيل مولى، والاخرى تحركت من قرية «تانزا» بقبيلة كتامة - أى من الشمال الى الجنوب - بقيادة الكورونيل

بوطاس، فاحتدم القتال شديداً، ولم تتغلب القوة المهاجمة الا بعد ما استشهد القائد الباسل موح ازداذ .

أما في جباله التي كانت معقلاً للمجاهدين من مختلف القبائل الريفية منها والجبليّة، فانه كان يوجد بجبل بوزيتون القائد احمد بودرة ومحمد احمجيقا، وفي بني بدر القائد احمد اخريرو، وفي بني عروس الشريف احمد البقر، وفي نواحي بني احمد الجبليّة، كان يوجد هناك السيدان محمد التسماني وأخوه عبد السلام وكل هؤلاء القواد عملوا على استقطاب المجاهدين هناك حولهم، لمتابعة المقاومة التي كانت وضعت في حسابها أن تبقى جبال غمارة - وهي الجبال الشديدة الوعرة - صامدة أيضاً .

وفي أواخر غشت سنة 1926 احتلت القوة الاسبانية جبل بوزيتون والقت القبض على القائد بودرة ومحمد احمجيقا .

وفي اكتوبر 1926 زحفت القوات الاسبانية على مدينة شفشاون من كل الجهات، شاركت فيها طوابير خمسة، وهي: طابور الكباس من ناحية غمارة، وطابور اسينسيو من العرائش، وطابور مارتينس موخي، وطابور بالميس، وطابور كانس .

جميع هذه الطوابير انطلقت من نقطة تطوان، فاحتلت قواتها مدينة شفشاون سلمياً، بواسطة المفاوضة مع المجاهدين فيها، وذلك لما تحتله هذه المدينة من القدسية، فاكتفت تلك القوات بمحاصرتها ولم تدمرها قتالاً .

وفي شهر نونمبر 1926 هاجمت قوة اسبانية قوة القائد اخريرو بقبيلة بني يدر، حيث ضيقت الخناق عليها من الشمال والشرق والغرب، وكانت القوة المهاجمة تتألف من طوابير ثلاثة: طابور أباريس كوكي وطابور لوبيس غوميس، وطابور باشو .

وبعد قتال عنيف سقط القائد اخريرو شهيداً، فتفتت قوة المجاهدين، واثّر ذلك اتجهت القوة الاسبانية لتحرير جبل مولاي عبد السلام، حيث يوجد الشريف احمد البقر يدافع عنها متحمساً، فتوجهت اليه قوتان اثنتان يقودهما البارن كوكي وكانس فاحتلته بتاريخ يونيه 1927 وتأخر الشريف الى جبل العلم، فتحصنت قواته على جبال بوهاشم وجبل سوكني

وجبل خزانة فتعقبته قوات اسبانية، تتألف من طابور الكورونيل الباريس كوكى من الشمال الى الجنوب، وقوة المغاربة «حركة» بقيادة لوبس برايو انطلاقا من بنى يدر، وان هذه القوة كانت تضم رجال القائد الخلادى مع القوة التى كانت مع القائد سليمان الخطابى، ولم يحضر هذا الاخير معها. وانطلق من الشرق الى الغرب الكورونيل كانيس، أى من سوق أربعاء بنى حسان، ومن خميس بنى عروس انطلق طابور اسينسيو - أى من الغرب الى الشرق .

ويعترف الجنرال غوديد فى كتابه أن قوة الكورونيل الباريس كوكى التى انطلقت من الشمال الى الجنوب، لاقت مقاومة شديدة، الامر الذى دعى الى بطىء التقدم لجميع الطوابير، واستمر زحف كل طابور الى أن اتصلت فى جبل العلم، ثم تقدمت مجتمعة بالهجوم على باب السطح بين جبل العلم وجبل بوهاشم حيث تجمعت القوة الاخيرة للمجاهدين، ولم يبق اذ ذاك الا معقل واحد للمجاهدين، تشارك فيه قبائل بنى احمد وغزاوة وكلاهما قبائل قتالية عاتية، وذلك على الضفاف الشمالية لنهر لوكوس، حيث كان مركزهم بجبل «تاريا» هذا الجبل الذى دافع منه هؤلاء المقاتلون دفاعا مستميتا، فحشرت القوة الاسبانية امكانياتها الضخمة، بأن وجهت اليه طوابير سبعة حسب شهادة غوديد، انطلق كل طابور من جهة معينة، وهى: طابور اسينسيو، وطابور كوكى، وطابور مرتينس مونخى، وطابور بالميس، وطابور كانيس، وطابور الكباس، وطابور مولى .

وأقامت هذه الطوابير نصف الدائرة فى مساحة طولها 50 كلم، وهى مساحة القتال المحتدم، فجعلت تتقدم متوازية تضيق الخناق على المجاهدين، الذين ينسحبون رويدا رويدا الى معقلهم بجبل «تاريا»، فصغرت مساحة العمليات الحربية حيث ثلاثى دفاع المجاهدين أخيرا، ودخل التمسمايان الى الجنوب، قاصدين مركز الفقيه العبودى .

وختم المقيم العام الاسباني الجنرال سان خورخو الذى عين فى شهر نوفمبر 1925 فى هذا المنصب خلفا للحاكم بأمره بريمودى الريفيرا الذى ختمت حياته بمثل ما ختمت به حياة غيره من الديكتاتورين الاوربيين

ففر الى باريس سنة 1929 حيث توفي هناك سنة 1930، ختمه بحشد الجيوش التي شاركت في القتال، حشدها في باب تازا من قبيلة الاخماس، يوم 10 يوليوز 1927، ليلقى عليهم الامر العام الذي أصدره، والذي ذكر بالامجاد التي حققتها قواته من تاريخ اسناد قيادة الحملة على الحسيمة اليه الى تاريخ الانتهاء .

واذا كان يحق للجنرال الفاتح أن يفتخر بأنه أنهى الحرب التي انهكت القوة الاسبانية طيلة 18 سنة، حسبما جاء في ذك الامر، فانه لا يحق لاحد الكتاب من المغاربة فيمجد هذا الجنرال عند تعويم باخرة تحمل اسمه، تخليدا من طرف شعبه لعمله في المغرب، فيضفى (أى الكاتب) عليه رسول السلم في قصيدته التي نشرها في مجلة «الاتحاد» عدد 17 (1) التي كانت تصدرها الاقامة العامة الاسبانية، حيث جاء في مطلع القصيدة :

يا رسول السلم حياى الناهضين واذع بشراك بين العالمين

— وأين هو من رسول السلم، وهو الذى يتم الاولاد، وأرمل النساء، وشوه الانسان، ودمر القرى بكاملها، وشتت السكان، حيث هاجر جلهم الى المناطق الجنوبية، تاركين أموالهم وأرضهم نهبا لعديمى الضمائر.

— وأين هو من رسول السلم، وهو الذى خان كلمة الامان التى أعطاها للمحاربين لكى يلقوا السلاح، فلما ألقوه جمعهم وألقى بهم فى غياهب المعتقلات بمليية وسبتة والجعفرية، واستصفى أموالهم.

— وأين هو من رسول السلم وهو الذى جرد بعد الاستسلام حملات جيوشه لتجوب قرية فقيرة لجمع الاهالى فى صفوف، لجلدهم أمام أهليهم وذويهم بالسياط، ووسائل التعذيب الجهنمى، بدعوى البحث عن السلاح، والسلاح ألقوا به حين الاستسلام، وانما الواقع استصال البقية الباقية من المناضلين حتى لا يبقى ولا واحد من الاهالى بدون أن يمسسه العذاب .

(1) محفوظة فى المكتبة العامة بتطوان .

— وأين هو من رسول السلم، وهو الذى جرد ترك الحملات فى أيام رمضان حشر فيها عملاءه، لكى يشهروا الافطار فى رمضان زيادة فى نكاية الضمائر فى دينها وعرضها .

ولاجل بيان الوضعية القاسية على السكان التى خلفها وضع السلاح، نذكر نامودجا للحياة التعسة التى أعقبت ذلك .

قريتي تروى قصة السلم ؟

الزمنى هذا السلم الذى غنى به هذا الشاعر، أن أروى قصة ذلك السلم فى قريتي، التى أصابها ما أصاب مثيلاتها من مجموع قرى أرضية الثورة، عقب الاستسلام، للتدليل على الامر الاخطل الذى جاء فى قصيدة المدح الرخيص، الذى لا يسعنا الا أن ننظر اليه نظرة الاشفاق على منشدها، أو نظرة التأويل، بأن الشاعر وضع فى موضع حرج، اثر الاحكام العرفية التى سادت الحالة العامة، فيكون معذورا، وانه لم يكن يعتقد فحوى ذلك المدح .

قريتي أيام الثورة

كنت صبيا فى الكتاب، وكانت القرية (الرابضة) ببنى بوعياش فى ذلك التاريخ، بمثابة قاعدة عسكرية - وأغلب القرى كذلك - . فمن جهة كان أبى يحتل بين قواد الثورة، مكانة، سبقت الاشارة اليها، بين ثنايا الكتاب بمناسبة ذكر الاحداث التاريخية .

ومن جهة ثانية، كان أحد اعمامى، ويدعى عمر بوجرنيت، مكلفا بقيادة 300 مقاتل، ممن سلكوا فى تنظيم السكان فى وحدات قتالية نظامية، ولما كانت القرية لا تستوعب هذا القدر، فكان على القرى المجاورة، أن تبعث بالمقيدين فى لائحة مأمورية هذا القائد فى أفواج بالتناوب، للتدريب على الانضباط العسكرى، وعلى الرماية . كل يوم، تلك التدريبات فى نعمات متتدة، ثم يعقبها التبارى بالرماية .

وبداعى الفضول فى الصبيان، كنا نمرق من الكتاب بالمسجد الجامع بالقرية مروق السهم لا نلوى على شىء، لنتحقق خلصة بتلك الصفوف، التى ملكت مشاعر السكان قاطبة .

ولما وقع الهجوم من طرف الجيش الغازى، وانقطع الاتصال

بين مراكز المجاهدين، وبالأخص مع قائد الثورة ابن عبد الكريم، فإنه كان على كل قائد على حدة، أن يتصرف حسبما يراه .

وهكذا رحلنا عن القرية الى الجبال العليا بينى بوغياش، وبالضبط بجبال حمام، التي ترتفع عن البحر بحوالى ثلاثة آلاف قدم، وقد استوعبت تلك الجبال سكان القبيلة بذراريهم في محشر دنيوى . وقد حملنا أثناء الرحيل على بهيمة خاصة قائد الثلاثمائة، الأنف الذكر، بعناية فائقة، لأنه أصيب في معركة أجدير برصاصة في رأسه فنثرت دماغه، ومع ذلك عارك الموت بعناد، واستمر يرهق الراحلين لمدة أسبوع . أما أبى فلم نكن نراه الا اماما، عندما يمر على المحتشد، ليتجاوزهم الى جهة أخرى، حيث كان المقاتلون نظموا الدفاع طول حزام يتألف من خط أفقى يبتدئ من وادى غيس غربا ببوصالح - مارا بقرية آل الطاعة - ففرقد - فبنى بويخلف الى أربعاء توريرت بأعلى وادى النكور، وكنا نرى ثلاثة من القواد يتحركون وينظمون: والدى، والقائد جدو بين موح أمزيان، والشريف سيدي احمد بن الحاج عبد السلام البوعلمائى، وكان الثانى من أكابر مجاهدى بنى بوغياش ويوصف بالحنكة والدهاء، نتيجة ممارسته قيادة المراكز الامامية في كزناية وفى بنى توزين قبل ذلك، وكان الثالث صاحب زاوية بوعلمة، وله حرمة الصالحين، وأقطاب الجهاد وقبل ذلك مباشرة كان يرأس الدفاع فى أزلاف .

أما العدو فقد كان قام بعملية المشط، للقرى التي فرغها سكانها بأسفل القبيلة، فقد احتل قريتنا تلك ودك الديار بالقنابل من الطائرات وبطريات المدافع، وتمركز فى جهته على حزام مضاد، يقود الجيوش الجرارة الجنرال كسترو جيرونا، وقد وضع قيادته فى وادى النكور، بموضع القنطرة الآن، وكان يدعى «مابان» .

وفى هذا الوقت كان ابن عبد الكريم قد استسلم وأسر بتركيست، ولكن هؤلاء المجاهدون لم يكونوا يعرفون ذلك .

ولما رأى الجنرال أن المقاتلين نظموا دفاعهم، فإنه عمد الى ارباب المحتشدين من النساء والعجزة والاولاد، بالطائرات تغدو وتروح، فى أسراب، ترجع صدى هديرها الوديان والشعاب، مع فرقعة القذائف المهولة من جهة .

والى فتح المفاوضات من جهة أخرى، لاجل أن لا يزعج بجنوده في
متهاتات ادغال ترك الجبال الشاهقة ثقيلًا للأصابات الجسدية ما أمكن،
لعمله بأن رئيس الثورة قد أنهى القتال، فلم يكن هناك داع للمزيد من
أراقة الدماء .

وكنت أرى القواد الثلاثة يجتمعون هنا وهناك، يقتتلون أولئك
الذين يأتون بما يستجد من الأحداث بينما القتال في شبه ركود، إلا ما كان
من الطائرات التي تضيع قنابلها في أعماق الأودية، كأنها ترمى بصفة
عشوائية .

وهكذا لمدة أسابيع، لا أتذكر عدتها بالضبط، وكان رسول الجنرال
الذي فتح المفاوضات، يصل الى دار القائد حدو في بنى بويخلف، حيث
يتصل بالواسطة، الذي يصل بدوره، حيث القواد الثلاثة الذين تماطلوا
في المفاوضة، نظرا الى أنهم أرسلوا الى حيث عائلة ابن عبد الكريم فى
قرية كمون ببني عبد الله، قرية القائدين الشهمين أحدهما المجاهد المكافح
السيد عمر بن محمادى العبدلاوى، الرجل الذى أعدمه الاسبان، بمجرد
وضعهم اليد عليه، لانه أوى ابن عبد الكريم الى قريته، ثم تركه يفلت
الى الجيش الفرنسى، أما المجاهد الثانى فى نفس القرية، الذى عليه نفس
المسؤولية وهو السيد على المسناوى، فقد نجا من الاعدام بقدرة قادر،
لان عائلة ابن عبد الكريم كانت فى داره بين قرية كمون وبوجنان، وقد
اعتبر عند الاسبان مسؤولا بالدرجة الاولى عن افلات ابن عبد الكريم،
وقد نجا بأن هاجر الى فاس بعائلته جميعا، فلم يجد الاسبان السبيل
لإعدامه، الا أنهم ضربوا دياره، وصادروا أملاكه العقارية، وبعد مرور
الوقت رجع عن الامان، ورغم ذلك فان الاملاك بقيت مصادرة، مدة من
الزمن، وكانت تلك الاملاك تتركى بالسمسرة وهو حاضري يزيد فى كرائها
كأحد الناس .

وقد كان الرجل من ذوى العقل والكلمة المسموعة فى بيئته مع
الكرم وسعة اليد رحمه الله .

وفى نهاية تلك الايام، ولما تحقق المجاهدون من أن ابن عبد الكريم
وضع السلاح، فانهم قبلوا المفاوضة وانتهت بوثيقة الامان، التى أصدرها
الجنرال كسترو جيرونا الى والدى باسم المقيم العام الجنراليسمو

سان خورخو، وباسم اسبانيا، جاء فيها «ان الماضى ينسى تماما، وان مبدأ العمل لرفاهية الريف، فى ظل الاستقرار والتعايش السلمى»، وكذلك الطائرات تلقى نفس المنشورات الى جميع الجهات .

هذه النبذة من الحقائق التاريخية، اتيت بها لمعرفة مدى ضمان الجنراليسمو لنشر الوية السلم فى ربوع منطقة الحماية الاسبانية، بعدما أعطى الامان باسمه واسم اسبانيا، للمقاتلين ليضعوا سلاحهم .

وهنا تأتى قصة قريتي النامونجية :

بموجب وثيقة الامان، رجع الراحلون الى قراهم وليس الى ديارهم بل الى خرائبهم، وكان الوقت وقت صيف، ترك الجميع محصولهم الزراعى ناضجا، فاشتعلت فيه النيران ونبش ما كان فى المطامر من القوت افسادا ونهباً من المتعاونين الموتورين، الذين رفعوا رؤوسهم محتمين بالعدو، أما والدى فقد لزم عليه أن يلتحق حيث قيادة الجنرال، فلم نره الا بعد مدة من الزمن، وكان عليه أن لا يغيب عن أنظارهم .

وعلمنا فيما بعد، أن الجنرال راوده أن تسند اليه قيادة القبيلة لكى لا يغيب عنهم، ولكنه عن حسن نية المجاهد الذى لم يرد أن يحبط عمله، أو لانفته التى منعت من أن يكون قائدا مدنيا تحت امرة ضابط كان يتعامل معه بالرصاص، أو هكذا يفسر، امتنع عن الجنرال، فلما أصر على ابايته، أشار عليهم برفيقه القائد حدو بن موح أمزيان، وكما قلنا فقد كان داهية، وكان يعرف معنى الاباية ومصيرها وكذلك وقع .

رهائن من الولدان :

كانت معركة «بوصالح» -التى رويها احداثها سابقا- آخر كارثة تقع على العدو فى أرضية قبيلة بنى ورياغل، وقد عجلت هذه المعركة فى اهدار الامان الذى أعطى للمقاتلين على أنفسهم وأموالهم، ففرضوا على بعض القادة من الوطنيين أن يعطوا رهائن من أولادهم، يذهب بهم الى مليبية بدعوى تعليمهم الاسبانية فى مدارسها .

وكنت أنا رهين عائلتي، كما كان الشيخ أمزيان رهين عائلته

القائد حدو، واثنان من أولاد القائد شعيب بن عيسى، واثنان من أولاد القائد محمد أبرقاش وغيرهم آخرون لم أتذكر أسمائهم وانتماءهم. حملونا من مكان الحسيمة الى مليلية، بواسطة المركب البحرى، وكان المكان رمالا متراكمة وكأنى أحس الآن وقدمى تسبخ فيها، وهى تغمر موقع المدينة، ولم تكن هناك ابنية أساسا الا ماكان من دار مستطيلة بالخشب والصفيح، قسم داخلها الى مكاتب والا ما كان من أخبية الجنود متناثرة هنا وهناك .

وقد حشرنا فى الدارة الخشبية ريثما تحرر لنا لائحة، على الآلة الكاتبة، التى ابهرتنا لأول مرة دقائقها، ثم ساقونا منحدرين الى البحر، على نفس الرمال التى أعجزتنا عن استقامة السير، وكان المركب يقف فى عرض البحر، نقلنا اليه بواسطة زورق .

وفى مليلية، وكل بنا شخص من بنى توزين، كان يعمل فى الادارة الاسبانية هناك نعرفه باسم احمد بنطاطو يلبس جلابة ريفية، ونعلا مغربيا، وطربوشا تونسيا، وبقينا هناك بدون تعليم، الى أن انتهت جيوب المقاومة، وعندئذ تقرر مصير المقاتلين، وضرب بالامان عرض الحائط، فمنهم من أعدم وأكثرهم تقرر سجنهم فى مليلية أو سبتة أو الجعفرية .

ولما كان حظ والدى هو السجن، فى القلعة التى سجن فيها ابن عبد الكريم فى مليلية ضمن مجموعة من الرؤساء، فانهم استغنوا عن رهنى ووج هونى الى قريتي، حيث وجدت أبى لازال فى الدار، ولم يكن له علم بما يروج، الا أنه بمجرد ما رآنى واستفسرنى تبين على وجهه علامة الانزعاج، حيث لم يتخذوا هذا الا بالنسبة لى وحدى، وفى ظرف أيام معدودة انكشف الامر، فقد استدعى أبى عن عجل الى دار حدو بن عالية بسهل أمزورن، وكانت مقر المراقب العسكرى «الكبطان أكيلار»، وقد أصبحنى معه ظانا أن الاستدعاء يدور حولى، ولما وصلنا لم يستقبلنا طول ذلك اليوم، بل بقينا نحتنى من الشمس بظل أشجار الرمان، وكان الكبطان يظهر فارع الطول عندما يخرج فى العشى، ومعه المترجمان، وهو انسان مغربى، أى ولد فى المغرب، ولكنه لا يشعر بأية صلة به، وان كان يعيش على اديمه، يتمشيان فى خطوات

متوازية الى الامام، ثم ينقلبان فجأة وهكذا دواليك في همس غير منقطع
يلتصّف المغربي في عيني رفيقه الى مغيب الشمس، حيث جاء الاذن أن
نذهب للمبيت عند معارفنا القريين، وفي الصباح يلزم علينا أن نحضر،
وهذا الى اليوم الثالث، حيث استضافنا المخازنية عشاء على مائدة
الطماطم بالبيض، أودعنا اثره في زنزانة تقليدية، واثناء الليل ادخل علينا
السيد محمد بن حميش البوعياشي، وكان رفيقا لابي أيام الكفاح .

واذ ذاك تحقق ما كان متوقعا، وان كنت أنا في غفلة الصبا
لا أكثرث الا أني أنظر الى رفيق أبي يمتد على بطنه أرضا ليسترق النظر
والسمع من تحت باب الزنزانة المتشق، ليقول لابي انه يرى حمادي بن
الحاج سعيد يدخل ويزج به في بيت آخر، ثم الفقيه السيد محمادي
الشمس، ثم فلانا وفلانا، وهكذا طول الليل، وفي غده أخرجوني أنا،
وأعطوا لي بغلة والدي، وأمروني بالذهاب الى قريتنا صحبة خادم لنا
كان صحبنا .

وقد علمنا بعد في همسات أن حوالي 50 مناضلا من رؤساء
مقاتلي بنى ورياغل مع آخرين من قبائل الريف، أبعادوا عن البلد،
وقامت اشاعات تضخم عقوبتهم بالاعدام، وربما باستئصال عائلاتهم
جميعا .

وفي خضم ذلك سلطت على قريتنا اقتراءات وجود الاسلحة
مخبأة في ديارنا ؟

وتحركت رؤوس الفتنة من ابناء الجلدة، يحاولون الكيد بوضع
كمية من الاسلحة في أية جهة قرب الديار، ومن يدري، فان اليالى حبالى
يلدن العجائب؟، وقد تجند أعمامنا للحراسة الليلية طيلة السنوات
التي قضاها أباي في سجن مليلية .

ولما انعم الله بفكاك أسره ضمن الفوج الاول اذ ان فكاك الاسرى
لم يكن دفعة واحدة، بل كان بأفواج متلاحقة، حسب الزمان والمكان،
لاسباب سياسية ظهرت آثارها بعد ذلك .
فقد أطلق سراح والدي بناء على طلب مراقب دائرة بنى

ورياغل «الكمندان ماص» وذلك لتصفية حساب الاسلحة التي اختلق عنها كثير من النظريات .

فعندما وصل والدى الى أجدير ليقول للكمندان ها أنا ذا جئت من السجن، أمره هذا بأن يستريح في داره، ولا يتجه الى جهة ما حتى يستدعيه عنده .

وبعدما مرت أيام — لا أضبط عدتها — ففى ذات صباح لاحظنا كوكبة من المجندين المغاربة يقودها ضابط صف، يدعى عبد السلام التمسمانى، من ضمنها عمر السوانى، والحيانى، الذان تقشعر الجلود بمجرد سماع ذكرهما، لما ابدياه من الوحشية فى تعذيب الاهالى .

وجاءت الكوكبة الى قريتى فى رمضان المعظم، يتبعها جيش من الجواسيس الانزال (يرجع الى وصف تلك المجازر فى صحيفة 111 وما بعدها من هذا الجزء) وقد نجا أبى بأعجوبة من المجزرة، ذلك أنه بعدما جاء ضابط الصف مع أربعة من معاونيه الى دارنا، وحاول أن ينتزع منه مبلغا ضخما من المال لم يكن يتوفر عليه، فانه أخذ ولده البكر يوسف للتعذيب والاسر أسوة بأعمامه فانه فكر أن يذهب الى القائد سليمان الخطابى بأجدير الذى عينوه قائد قواد بنى ورياغل، ليستجلى الامر، وقد ركب فرسه، وأمر خادمه بأن يركب وراءه بغلة، وقد تعجبنا لجره مركوبين، وكان قصده رحمه الله أن يترك الفرس هناك، لكونه يعتبر أيام الثورة من وسائل المواصلات السريعة الى الاركان الحربية، فهو وسيلة حربية أيضا ممنوعة مثل السلاح .

ولما خبر سليمان الخطابى، لم يجد عنده ما يقنعه، بل أوماً اليه بما يفهم ان ينجو بجلده، فترك لديه الفرس، وركب البغلة، فبينما نحن نحتمى فى الليل الحالك بين جدران الدار نسترق السمع، ونفزع لادنى حركة، اذا هو يرمى بأحجار على سطح بيت السكنى، ولما استجلىنا الامر، علمنا أنه خوفا من أن ينقض عليه داخل الدار أعوان ضابط الصف، ترك البغلة بعيدة، وجاء خلصة، ليأمرنى أنا وأخى محمد لنفر ليلا، وبالطبع فنحن الولدان الاثنان لا ندرى أين؟ ولا كيف؟ ولكن لابد من النجاة بجلدنا مع أبينا لنلقى ما يلقاه من الشدائد .

وهكذا خرجنا من الدار قبل منتصف الليل، ذاهبين الى جهة الحدود بين منطقتي الحماية الافرنسية والاسبانية ولا تسأل عن الفزع الذي خلفناه في الامهات والاخوات والايوان الصغار الذين تركناهم للاقدار. ولا تسأل عن الهلع الذي أصابنا ونحن أطفال صغار، لم نشد بعد عن الطوق، حيث لا قبل لنا بالمشي في الليل على الاحراش والادغال ترفعنا الجبال تارة وتخفضنا الاودية تارة أخرى، لان الطريق السلوك محفوف بالمخاطر، وكانت حالتنا كما يقال كاد المتهم أن يقول خذوني .

فضلا عن أنه الى ذلك الوقت كانت الحراسة مشددة في المداشر يقوم بها السكان ليلا، فلا يمكن لاحد أن يتحرك من مدشر الى مدشر ليلا، والا ضبط وقدم في الغد الى المراقب، ليبقى تحت البحث بالسياط لييوح بغرض تحركه ليلا وليس نهارا .

وأما بالنسبة اليينا في تلك الليلة، فقد كانت تلك الحراسة بمثابة اشارة الالهية لنجاتنا من الوقوع في القبضة. ذلك أن هؤلاء الحراس التعساء الموزعين على قمم الذرى في مختلف المداشر، كانوا عندما يسأمون يطلقون سيلا من الصغير، علامة على أنهم موجودون يقظين، وعندما كنا نتجه الى نقطة حراسة ما نسمع الصغير حيث يجيبه جاره المقابل له بمثله فنغير اتجاهنا بين الاثنين، وهكذا لم نقع في الفخ .

واذ قد وصلنا الى أربعاء توريرت سعدنا جبلا جيريا لا يمكن المشي فيه، لان هشاشة أرضه تجعل أقدامنا ترجع الى حيث نقلناها منه، وبعد لاي وقرب انبلاج الفجر تخلصنا منه، حيث آوينا الى أعشاب غابوية نحتمى بها نهارنا، حتى لا يعثر علينا أحد، وكان قوتنا بعض فتاة الخبز المجفف حملناه معنا مع حبات زبيب .

وعندما قرب العصر كاد أن يعثر علينا راعي الماعز، اذ لما اقتربت منا نفرت ولكن لم يهتد الراعي الذي كان بعيدا عنا الى نفورها. وبعد الغروب حيث آوى كل واحد الى بيته نزلنا مع منحدر لا يسلكه الا الماعز وراعيها نهارا، وقد كاد والدي أن ينزلق مع ثلال ماء في واد منحدر ظانا أنه مستو ولولا طيران حمام بانزعاج لقضى الامر حيننا ولكن الله سلم .

وقد قصد أبي أن نحتمي الى دار أحد أحفاد العائلة الذي يسكن في آخر نقطة بين حدود بني ورياغل وحدود اكرناية، في فلاة من الارض، على اخدود أحد رفيدي وادي النكور، ويدعى سيدي محمد بن سيدي محند بن سى على وهو شريف محب ومحبوب، ذو مروءة ووقار ودين متين، فقصدناه، ووصلنا اليه بعد أن انحص الذنب، ولكن حمدنا الله حمدا كثيرا، لاننا بتنا بين جدران وغسلنا الشعث، ومع صبانا فلم تكن لنا رؤيا واقعية، وكنا لا نفهم من همسات أبي والحفيد التي لا تتقطع ليلا ولا نهارا، بينما هذا الاخير يخرج في خفة الغزال يراقب مسالك داره، ثم يرجع، خوف المباغثة .

وفى فجر يوم الثلاثاء كانت همساتهما اتخذت القرار النهائي، وهو ان يذهبا معا الى سوق الثلاثاء ازلاف ليلتقيا بقائد بني توزين وهو السيد علال بن محند من ميسار، وكان لهذا القائد دالة على الاسبان، اذ نجا أحد كرونيلات الجيش من الموت المحقق، في احدى المعارك قبل ذلك، فحفظت له هذه المأثرة عند الاسبان، وقد كونت هذه الدالة منه قائدا جريئا مع حماس طبيعي، وكان والدي أسدي كثيرا أيام الثورة الى رجالات قبيلته بني توزين من الايدي، فكان يدافع عنهم أمام المجاهدين عندما يحوم حول احدهم شك لانهم لم يهاجموا مركز ميسار، أحد الخطوط الامامية لجيش العدو، وكان والدي يعرف نواياهم الحسنة بفضل الجوار، فلما وصلا الى السوق ذهب حفيده لاعلام القائد بوجود أبي قرب السوق مختفيا، فأجابه هذا عن حسن نية بأن يتبعه الى مركز قيادته، ولكن والدي لم يقنعه هذا الجواب، لانه من عادته أن يركب معه في السيارة ليذهبا معا، فظن أبي أنه خاب ظنه فيه، فانقلب الى الفرار الى فاس، حيث رجع الحفيد، وأمرنا نحن الاثنين أن نرجع الى قريتنا، وكان يوم رجوعنا يوم سوق الاربعاء، فلما دخلنا السوق سمعنا المنادي ينادى في السوق يخبر الجمهور بان فلان (والدي) قد هرب، وان من يعثر عليه فليأت به، وله كذا وكذا، واذا علم المراقب أنه احتتمى عند أحد ولم يسلمه، فان عقابه شديد، ولما اشعر المراقب بوجودنا في السوق استدعانا فسألنا عنه وقلنا له أنه ذهب الى ميسار .

ولما رجعنا الى الدار، وتبين لدى الاسبان أنه غير اتجاهه الى فاس.
أرسلوا حراسة مكونة من أربعة خفراء على دارينا، اثنان لكل
دار، يقبع احدهما على سطح الدار، والآخر قبالة الباب الخارجى، وكان
ذلك على نفقتنا، واستمر الامر كذلك الى مدة أربعة أشهر، وقد وصل أبى
الى فاس واختفى عن الانظار هناك، حتى لا يهتدى اليه الافرنسيون،
الذين ينتقمون منه لمعارك منطقة وزان.

أما قائد بنى توزين، فقد صدم صدمة عنيفة، اذ بدا له أنه قصر
في حقه، فجعل يبحث عنه في فاس، بارساله المستجلين عنه الخبر، ولكن
لم يعثروا عليه، الى أن أرسل ذلك الحفيد الذى قصد الشريفين السيد
احمد أكرود والسيد بوقشوس الذين التجأ الى فاس عند انتهاء الثورة،
وكانا يرتادان ضريح مولاي ادريس بين حين وآخر، فابلغه طلب قائد
بنى توزين ان يرجع عن الامان ولكن هل للاسبان من أمان ؟

أما فى قريتي فقد جاء اثناء هذه الاربعة اشهر، أحد الضباط
الاسبان على رأس كوكبة من المجندين المغاربة، وجعلوا يحفرون الدار
هنا وهناك، ويهدمون المحل الذى يشكون أنه مخزون للسلاح، وفى
قرارة أنفسهم يعلمون أنه ليس هناك سلاح، ولكن كان عملهم تعمية
لاجل الوصول الى مصادرة المنقولات من الماشية والحبوب، وكذلك كان،
فعندما طافوا أطراف الدار التى تسكنها العائلة، وأنا مجرور أمامهم
بفعل مأسورة البندقية التى غرزت فى ظهري ثم عمدوا الى دار أخرى
لنا يسكنها زوج أختى الطالب السيد احمد أكوج، وكان هذا مريضا من
مدة طويلة بالحمى المنقطعة (السلمى)، وكان فى شبه الميت سقط شعر
أسه وحاجبيه، فلما رآه الزبانية بدأوا فى تعذيبه، ولكن لا يفقه شيئا
ثم حمل حملا وعلق فى باحة الدار الى أعواد السقف من رجل واحدة،
حيث بقى مترجحا فى الهواء وهم يضربونه مع وكزه بعود ليتحرك
بصورة تقشعر منها الابدان، وحينما لم يعثروا على شئ، قطعوا الجبل
من الاعلى فسقط على الارض، ومن العجيب لم يصب بمكروه، بل استرد
وعيه تماما، فذهبوا به على رجله الى المراقبة (بمنوذ) ببعد 7 كلم، وبات
هناك تحت السياط، ولم يفاجئنا الا وهو فى غده جاء مخفورا على رجليه

ليذهبوا به الى أحراش في جهة نائية عن الدار، ليدلهم على سيف مبتور، كان دفنه هناك تحت صخور، فاطلقوا سراحه، ومن ذلك التاريخ شفى تماماً، وكان التعذيب هي عملية جراحية .

وبعد ذلك بدأت عملية المصادرة، لاداء قيمة ألف ريال، قيل انها ثمن عشر بنادق لم يعثروا عليها .

واذا كان في ذلك الوقت يساوى الرأس الواحد من البقر ما بين 20-30 ريالاً اسبانيولاً، والقنطار من الشعير أو القمح أو الفول ما بين 6-10 ريالاً، فكم يكفى من المنقول لاداء ذلك ؟ .

وعلى كل، فقد أخذوا كل شيء، وقد كان علينا أن نسرق رزقنا ليلاً، عندما نذبح لهؤلاء الحراس خروفاً أو جدياً، يجتمعون عليه في بيت الضيوف، المفتوح بابه الى الخارج ليلتهوا به .

وبعد أربعة أشهر، وعند استيفاء العشر مائة ريال، تقرر نفى العائلة كلها بذكورها واناها الى الجزر الجعفرية، فوقع ترحيلنا الى أجدير مقر رئيس دائرة المراقبة، وهناك وجدنا شاحنتين عسكريتين في انتظارنا، فحشرنا فيهما، بعد أن أطلقوا أخانا الأكبر يوسف من السجن ليصبحنا .

ومن الصدف الغير المنتظرة، أن تلك الليلة التي وقع نفينا فيها عن مسقط رؤوسنا، وصل أبى الى قائد قبيلة توزين بميضار على أمانه، ولم يكن القائد يعلم شيئاً عن نفينا، إلا أن أحد أشياخه ويدعى محند بوطيب جاء الى الطريق ليعترض السيارات للركوب الى مليلية، فاستوقف الشاحنتين، فعلم بناءً، ثم رجع الى القائد ليعلمه، فما كان من هذا الاخير إلا أن ركب سيارته مصحوباً بوالدى، وعندما سامتنا في أرض مطالسة قرب دار الدريوش، أراد أن لا يفزعه، فحاول أن يتخطى بسرعة فائقة، مبتعداً ما أمكن، ولكن من الاقدار، ان تعطلت احدى عجلات الشاحنة التي أركب فيها أنا، فنزلت فضولياً الى الأرض، فرآنى أبى واستوقف القائد، فأطلع على جلية الامر .

وقد طار القائد بخفة متناهية، ليحتج على رئيس ناحية الريف العسكرية في مليلية، فأصدر هذا أمره بأن يرجع الركب من مليلية

اد رجعنا الى ميسار، ومكثنا هناك فى دارة أفرغها لنا القائد
بحوالى شهر ثم رجعنا الى قرينتا .

أما أبى فمن ذلك التاريخ فرض عليه الإقامة الاجبارية فى مدينة
مليلية لمدة أربع سنوات أخرى .

وفى هذا الاثناء عكفت على التعليم خوف أن يفوت على الوقت،
وعندما أفرج عن والدى كنت مهياً لأن أذهب الى فاس، وهكذا التحقت
بالقرويين، إلا أن لعنة الملاحقة الاسبانية استمرت لاصقة بوالدى، فعندما
قامت الحرب الاهلية الاسبانية، الزم أبى بالإقامة الاجبارية بمدينة
الحسيمة، بناء على أن له ابناً فى فاس وهو أنا، ذهب الى المشرق حاجاً
مع الشيخ الامام الشريف الحسنى سيدى عبد الرحمن بن القرشى، وان
الرحلة كانت قبل موسم الحج بشهرين، اذ عرجا عن القاهرة، وما الى
ذلك من الترهات، فالزموا أبى باحضارى للريف .

وهكذا لم يستقر بنا العيش الا بعد انتهاء الحرب الاسبانية .
هذه هى قصة السلم؟ الذى نشر الويته الجنراليسمو سانخورخو
حسب قول الشاعر، وقد يكون الشاعر قصد السلم بفتحين وتعنى الكلمة
الاسر أو الاسير، (1) لان الريف بأسره استمر أيام الحماية فى الاسر،
لان المنطقة سادت فيها شبه الحالة الاستثنائية الى فجر الاستقلال، اذ
كانت معزولة عن باقى الاقاليم، الا فى نطاق مخصوص .

صمت رهيب، بقدر الصوت المرعب (1)

في 17 ماي 1926 سكت زار أسد الريف، في اباية وشمم المناضل الشهم، الذي استنفذ واجبه الوطني، اذ أداه على طاقته، وفوقها لا يلام، وقد أيقن أنه خلف لبلده وعقيدته تاريخا مملوءا بامجاد الشهامة الثورية، التي تكون نبراسا، يستضيء به المناضلون في حركاتهم التحريرية، من الاستعمار ومخلفاته .

(1) لاعطاء نظرة واضحة على هذا الرعب نستعرض هذه القصة التاريخية :

كان الاسبان أيام الحماية منعوا كليا عن الاهالي ذكر اسم ابن عبد الكريم في مجامعهم، حتى أنهم منعوا تسمية أي مولود يولد باسم عبد الكريم، وكثيرا ما كان هذا الاسم مصدر شقاء لعائلة سميت مولودها به .

وفي هذا الوقت كان يوجد على قيادة قبيلة بقبوة الاشيب على بن الحاج تهامي قائدا عليها وكان ذا بدهة سريعة، وبما أنه كان قبل الحماية ألقى عليه الباشا بوشتي البغدادي القبض في حملة قام بها الى الريف في قضية تأديب قبيلته بسبب شكاية الاسبان لدى السلطان من قرصنتها البحرية .

وفي احدى المناسبات أقام المراقبون حفلة جمعتهم وقواد الريف، فأراد أحد المراقبين اغاظة القائد على هذا فأظهر له صورة البغدادي قائلا له من هذا، وفي الحال أخرج القائد صورة ابن عبد الكريم من جيب بذلته وقال له حتى تقول لي من هذا فارتبك المراقبون أول الوهلة ثم انفجروا، لانه كان من المفروض في القائد أن لا يسمح لاحد بذكر اسم عبد الكريم، فضلا عن صورته، وفضلا أن يكون هو بالذات يحملها كدليل الخيرات عنده، وقد كان كتاب «بطل الريف» يعتبر وجوده عند أي شخص كوجود السلاح سواء .

فمن جهة قيادة الثورة كانت تحبر المناشر لارسالها الى البيوتات الوطنية في سائر أنحاء المغرب والصاقها بالجدران للتعريف بالثورة وأهدافها، وقد أتت هذه النشرات أكلها، فقد استعمل الشباب المغربي كل وسائل تأييد الثورة حتى أن منهم من عمد الى تحرير الرسائل على لسان ابن عبد الكريم قد يضطرون الى توسيخها لتظهر في العيان أنها سلك بها حاملها رؤوس الجبال وأعماق الاودية .

ومنهم من دخل الى الريف كالسيد عبد القادر التازي، ومنهم من عقد مؤتمرات في فرنسا كمؤتمر العمال سنة 1925 الذي أصدر بيان التأييد والتضامن للثورة، ومنهم من قام بالدعاية الواسعة لقضية حرب الريف واجلاء الاسبان مثل ما فعل السيدان عبد الرحمن ابن العربي من تافيلالت ومحمد الترنيتي من سوس .

وقد واكب الشعر العربي أيضا من جهته النهضة فحياتها وأذكي الحماس في المغاربة، ونستعرض النموذج التالي :

فمن شعر الحاج محمد الناصري في قصيدة بمناسبة المولد النبوي التي مطلعها :

شهر النبي محمد قد وافى يفشى السلام ويحمل اللطافا
الى أن قال

وسل البرانص والتسول وجاية والسبت والكيفان والاكفافا (1)
تلك المواقع حطمت ابطالها وارتهموا من ويلها أصنافا (2)

وفي مطلع قصيدة للاستاذ محمد بن الاعرج السليمانى، ما يستحث الهمم للعزوف عن المذات، والتحريض عن اقتحام مصاعب المعارك فى مواطن البسالة بالريف، اذ قال :

دع الفتيات تمرح فى القصور ويمم مسعفا وادى النكور
كان الريف فى التاريخ يدعى النكور، تسمية باسم عاصمة الامارة،

-
- (1) سبق بيان هذه المواقع على نهر ورغة التي ذاق فيها الجيش الافرنسى أفدح الهزائم .
- (2) المرهم ما يطلى به الجرح، ومعنى ارتهموا أى أكثروا من المرهم .

التي تقع على ضفة وادي النكور، ومن هذا الاسم سميت حجرة الحسيمة،
بجزيرة النكور، اذ يصب الوادي حذاء الجزيرة .
وثنان الاناشيد الحماسية شأن غيرها من أغراض الشعر، ومنها:
نشيد مطله :

يا بنى المغرب ان الوطننا
وجاء في بيت منه :

فاحملوا الصمصام مع سمر القنا واسألوا الله انتصار الريفيين (1)
أما تطوان الصامدة، التي تحملت أكبر قسط من حملات الغازين،
الذين اجتاحتها في الحرب المعروفة بحرب الستين، أى سنة 1860، التي
ذكرنا ويالاتها في الصفحة 285 من هذا الجزء، كما اجتاحتها أيضا في هذه
الحرب التي نؤرخ لها، فانها لم يخب نضالها بالوسائل المستطاعة، رغم
كبتها بالجيش الجرارة، التي أخنت عليها بكلكلها، وتولدت فيها نهضة
وطنية مباركة، غرس نواتها أيام الثورة المناضلون الاولون من أبنائها
البررة، ثم زكت ونمت على مر الايام، بعد ذلك، بفضل همة نخبة من
الشباب الصامد، فحافظت على مجد هذا الجزء من الوطن، في عقيدة الوحدة
الوطنية الكبرى، ولو تحت اكتساح الغزاة للوطن .

أما في المشرق، فان الصدى كان عظيما، وعظيما جدا، سواء بما
حبره الكتاب من المقالات السيارة أو بما ينشدونه من الاناشيد الحماسية،
تمجيذا للثورة، والهابا للحماس، ودونت في الدواوين الشعرية مثل
«الشفيق الباكي» ومثل نشيد الثورة الذي سبق أن ذكرناه في صحيفة 45
من الجزء الاول وصحيفة 268 من الجزء الثانى وهو «ريفنا كالعرين
نحن فيه الاسد - ريفنا نحميه» اذ أفادنى صديقى وأخى العزيز الاستاذ
عبد الله الخطيب، من العائلة الخطيبية بتطوان، التي تحتل من تطاوين (2)

-
- (1) القنا جمع قناة وهو الرمح .
 - (2) تطاوين احدى اللغات في المدينة حسب قول المؤرخ الكبير الوزير
الحاج احمد الرهونى، وتعنى الكلمة العين الباصرة في اللهجة
الريفية .

محل سويدائها لما انجبتة من ذوى الفكر والنهى، والوطنية الصادقة،
«ان النشيد المذكور كان من انشاد الشاعر الفلسطيني الكبير المرحوم
ابراهيم طوقان، بمناسبة حضور البعثة المغربية الطلابية للدراسة
بمدرسة النجاح بنابلس، وكان الشاعر طوقان على رأس الذين يعتزون
ببطولات رجال الريف المجاهدين، مما جعله يتوسم في البعثة خصائص
الفاضلين المنحدرين من صلب جنود الريف، فتأثر رحمه الله وأنشد
هذا النشيد سنة 1930 وكان الاستاذ الخطيب عضوا في البعثة، فلما
رجعت الى المغرب حملت معها النشيد، فلحق لتلاميذ المدرسة الاهلية
بتطوان تحت اشراف مديرها الاستاذ داود، وان النشيد ليس من بنات
فكر السيد الحسن القادري» وتدل هذه الشهادة على مدى تفاعل المشرق
مع الثورة، وفي نفس الوقت، وللحقيقة أقول انى لم أنقل النشيد عن
ادعاء السيد الحسن القادري أنه له، وانما رويته عن المجاهدين ممن
نسبوه اليه، وقد يكون الشاعر الفلسطيني أنشده أيام الثورة
وأرسله نشيدا للثورة، وهذا ما تدل عليه كلمات النشيد: ريفنا نحمية -
والتحام السيوف - والمنايا تطوف - أين جيش العدا - ان دعى للجهاد -
أيها الايادي جاء يوم الحساب - وهذه الكلمات تتناسب وقت المعارك، ولذا
يمكن أنه أمام البعثة أعاد قراءته، وعلى كل فللبعثة الفضل في اشاعة
الحماس بالنشيد في الشباب .

وعندما سكت صوت الثورة تألم المغرب أجمع للفاجعة المدمرة
فأصبحت الدوائر الوطنية في حداد ولا أدل على ذلك من هذه المساجلات
التي أفادت بأن الجامع كان حوار شغلها الشاغل ترداد صدى الفاجعة،
يردد الادباء في أحاديثهم قضاء الله وقدره .
فقد جاء فيها بين الشعراء الاستاذ علال الفاسي والاستاذ
المختار السوسي هذه المساجلة .

احدهما : قضى القضاء وحقق الامر (1) .

والآخر : وعرا الذى ما خلته يعرو (2) .

(1) الامر بكسر الهمزة وهو العجيب أو المنكر وحقق حصل .

(2) يقال عرا فلانا أمر أى ألم به .

ذلك أن حرب الريف — كما تدعى — كانت بمثابة ايقاد شرارة النهضة الوطنية في المغرب وسائر أقطار شمال افريقيا، وبالاخص المغرب العربي، وبالنسبة للمغرب، فإن الأوساط الشبابية، استيقظت على هذه الحركة المباركة، التي تلقفتها كمحرك للوعي الوطني الصاعد، الذي سرعان ما نفذ الى أعماق المعاهد والمدارس على السواء، فاتخذه الطلاب والتلاميذ مبدأ وعقيدة تغلغت رويدا رويدا الى أن اكتسحت تربية الناشئة، حيث تخطت عتبة المساجد فولجتها حيث لم تكن رقابة زبانية المراقبين، تستطيع ايقاف الزحف العقائدي داخلها بصورة مكشوفة لما لتلك المساجد من وقع الحرمة لدى جمهرة المسلمين، الذين يرهفون احساسهم ازاء كل مس بتلك المقدسات .

وقد يكون أصدق تظاهرة حدثت عقب انتهاء الثورة مباشرة في الثلاثينيات هي تلك الدروس الملهبة حماسا ووطنية التي كان يلقيها شباب في مقتبل العمر ألا وهو الأستاذ علال الفاسي بجامع القرويين، وهو في حداثة استكمال التحصيل في نفس الكلية، والتي عاند المراقبون الافرنسيون بسببها في اعترافهم بنبوغته، ومنعوا عنه الشهادة العالمية، وهو الفيلسوف والناقد البصير، وحجتهم عليه أنه لم يسلك المسلك المألوف ممن عرف من الجامعة قبله من التسليم بالأمر الواقع، أي هيمنة الاستعمار بدون منازع، بل سلك ايقاظ الضمائر وايقاد الشعلة الوطنية، التي يبدو لهم أنها من ذبول ثورة عرابي باشا أو سعد زغلول في المشرق، أو حرب الريف التي أثر عنها مقولة زعيمها التي رواها مراسل الماتان العسكري، حيث قال: ان ابن عبد الكريم قال له «نحن المسلمين لازلنا في غفلة ممضة ومن الحق أن نفعل ما يريدنا المصلحون من الرجوع الى الفكرة الاسلامية الاولى وننبذ العادات والتقاليد التي تمكنت من الاسلام والمسلمين والتي ليست في الدين من شيء أبدا» (1) .

وقبل ذلك وأثناء حرب الريف، كان الاتصال بين الشباب المغربي وبين قيادة الثورة مستمرا، فقد تبارى الجميع لايقاظ الوعي القومي،

(1) نقلا عن كتاب الحركة الاستقلالية ص 119 .

وعلى كل، فقد سكت الصوت الذى جلجل بللعة الرصاص، ودوى المدافع، والذى افنتن به السلك الهاتفى والاسلكى فى سائر المعمور، يحمل المعجزات التى حيرت اساطين الاستعمار فى زمن لم يكن فى حسابهم أن يلقوا هذا العناد، وسكت حينما ارسل الجنرال «اييوس» بالبرقية التى قال فيها : «ان عبد الكريم استسلم فجعل بذلك حدا للثورة الريفية التى أثارها»، أرسلها من تركيست، القرية التى كانت أحد مراكز قيادة الثورة الذى اندلعت منه شرارة الهجوم على مواقع الجيش الافرنسى العاتى على ضفاف ورغة، تلك القرية التى تحتضنها قبائل صنهاجة المجاهدة، بين سفوح تلك الجبال التى لم تعرف الخنوع لأحد من الدخلاء، بل كان اعتزازها بقوميتها ونقاوة معتقدها النابع من زاوية ذات صلاح يديرها الرجل المعروف بالاستقامة سيدى محمد الخمليشى .

ومن هذه القرية اتجه الزعيم مع حاشيته يبلغ تعداد الجميع حوالى 80 نفرا بما فيهم عائلته الكاملة، الى مدينة تازا بأمر من الجنرال «اييوس» الذى استقبل الزعماء : ابن عبد الكريم وأخاه امحمد وعمه عبد السلام بترجيست، نظرا الى أن القوة التى تتواجد حين الاستسلام فى تركيست أتت من تازا بمن فيها من قوة الحركة التى يرأسها القائد المذبوح الجزناشى وعمر بن احميدو المرنيسي .

وبعدما بقى الجميع فى تازا عدة أيام نقلوا الى فاس حيث خصص لعائلة ابن عبد الكريم وأسرته دار التازى فى الدوح الحى الذى كان يوجد فيه مقر الجنرال العسكرى الافرنسى، وبقوا هناك الى غاية شهر شتمبر 1926 .

وقد كان أيام اقامته بفاس، سمح له باستقبال الريفيين الذين لجؤوا الى المنطقة الجنوبية فرارا من اضطهاد الجيش الاسباني، الذى كان يستعمل أساليب الانتقام الوحشى، من اعدام بالرصاص أو الجلد بالسياط ومصادرة الاملاك .

وفى شأن الاستقبالات التى يجريها الزعيم، اذكر هذه الرواية التى رواها السيد محمد بن عمر بن القاضى، اذ كان لجأ مع عائلته

الى مكناس ثم زرهون، ومن هناك جاء لزيارته مستشيرا اياه ما يفعله فقال انه لما قابله ادهشه ما رآه من ثبات جنانه، وعدم المبالاة بما ينتظره مما أشيع في ذلك الوقت من الراجف التي وصل ما قيل الى اعدامه، قال: فلما مثل أمامه قال له: اننا مومنون بقدر الله، خيره وشره، وهذه العقيدة هي التي تجعل المسلم المومن في اطمئنان، فما كان يصيبه لم يكن ليخطئه وما كان يخطئه لم يكن ليصيبه، ثم أوصاه بأن يلتزم خصال المجاهدين، وان لا يظهر أمام الاعداء بمظهر المتخادل، كما أوصاه بأن يبقى حيث هو بعائلته، فلا يذهب الى الريف، لان الاسبان ذوو حساسية انتقامية من جهة، ولان المغرب جميعه وطنه من جهة أخرى، حتى اذا هدأت الحالة وستهدأ بلا محالة، وحينئذ فله أن يختار لنفسه، والحق عليه بأن يبلغ المجاهدين المهاجرين أن يتحلوا بالشهامة الخلقية، حتى يكونوا مرآة صافية أمام الدارسين من الصحفيين وغيرهم ممن يسلطون الاضواء على سلوك ثورتنا، فالرجل الشهم هو الذي يضبط نفسه عند الشدائد .

وكان بقاء ابن عبد الكريم في فاس، لان مصيره كان سيتقرر في مؤتمر يعقد لهذا الغرض، بعد استنفاد اسبانيا احتجاجاتها التي كانت تطالب بتسليمه اياها، متذرة بأنه ينتمي الى الجزء الموكل الى حمايتها من جهة، ولانها تأثرت أكثر من فرنسا بسبب ما سمته تمردا منه عليها من جهة ثانية .

وفعلا عقد المؤتمر ببباريس في 14 يولييه 1926، وتقرر فيه نفيه على لا يبجل ولا يذل وانما ينسى مع الزمن حسب تصريح تيودر ستيغ المقيم العام الافرنسي في ذلك التاريخ، وكانت فرنسا تمسكت بأن لا تسلمه الى اسبانيا، لانها أعطت له عهدا عندما سلم نفسه، ولكن في الحقيقة وعلى ما عهد في عموم الاستعمار، انه لا عهد له، فان عدم تسليمه لاسبانيا كان لغرض آخر، وهو أن الاحتفاظ به - وهو المناضل الشهم - يرمز الى عظمتها أمام العالم، وبالاخص العالم الاسلامي، الذي له رصيد ثمين من التقدير والتأييد، وخصوصا في أقطار المغرب والمشرق العربيين، التي كانت تحت استعمارها، لما تخشاه من هياج تلك الاقطار

المسلمة اذا مسه سوء، على أن فرنسا أعطت وعدا لاسبانيا بأن لا تطلقه
مخافة القيام بثورة أخرى في شمال افريقيا، حسب تصريح الناطق بلسان
وزارة الخارجية الافرنسية .

الرحلة الطويلة :

في شهر شتبر 1926 تم ترحيله مع عائلته في 40 نفرا الى
جزر ريونيون بالمحيط الهندي، وقد حطوا في مرحلة أولى بمرسليا بقصر
ايف، حيث مكثوا هناك لمدة أسبوعين، ثم استأنفوا الرحيل على ظهر
الباخرة «عبد» التي وصلت الى المنفى بتاريخ 10 اكتوبر 1926 واستقروا
أولا بقصر مورانج لمدة ثلاث سنين قرب العاصمة «سان دينيس» ثم نقلوا
الى قصر «الكاسطيل فلوري» الذي اشترته له الحكومة المغربية بمائتي
ألف فرنك فرنسي، وكان تكلف الحاكم العسكري للجزيرة «الكابتان
فيرين» بشؤونهم، بينما وضع دركي على باب القصر للحراسة حيث
أصبح الزعيم خاضعا لرقابة صارمة، في السنوات العشر الاولى، حتى
أن رئيس الشرطة كان يحضر الى القصر يوميا للتأكد من أنه لا زال في
القصر، غير أنه سرعان ما توطدت الصداقة بين السجين وبين مراقبيه،
اذ أطلع هذان الاخيران عن كثب ان الرجل أعلى من أن يحتاط له، فأبدى
له حاكم الجزيرة مزيدا من اللطف واللباقة، اذ كان يزوده بالصحف والكتب
ثم سمح له باقتناء الراديو، ولما وقع الجدل في هل يمكن للسجين أن
يقتني السيارة؟ ابتكر الحاكم ورئيس الشرطة وسيلة دقيقة، بواسطة
بستان حديقة القصر الذي لم يكن ممنوعا من اقتنائه السيارة، وبذلك
ازلكها السجين تحت هذا الستار .

العمل الوطني لاطلاق سراحه :

وفي أثناء هذه المدة التي قضها في المنفى لم تمكث الدوائر
الوطنية مكتوفة الايدي، بل لم تفتأ تطالب باطلاق سراحه وعائلته وتخليصه
من المنفى .

وهكذا أثارت كتلة العمل الوطني سنة 1936 قضية اطلاق

سراحه، وفي نطاق ذلك اهتم بالخصوص الاستاذ علال الفاسي بالموضوع اهتماما متزايدا، وطلب العون ممن يتوسم فيه الاهلية الكافية، فاتصل بالامير عمر طوسون كتابة في شأن ذلك، كما اتصل بالامير شكيب أرسلان الذي أثار ضجة لصالح تخليصه في صفحات الجرائد الوطنية والاجنبية.

وفي سنة 1937 أخذ الحزب الوطني المغربي، القضية بيد من حديد، فوالت الصحف الوطنية على اختلاف مشاربها حملاتها على فرنسا في هذا السبيل، ناعته اياها بأنها اخلفت الوعد الذي قطعتة للامير بأن تطلق سراحه متى هدأت الحالة في ظرف سنتين .

واثر هذه المساعي اقتتعت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الافرنسي فأثارت القضية أمام وزير الخارجية الافرنسية الذي أجابها بأن الوقت لم يحن بعد .

وفي أول سنة 1947 تدخل ممثلو الحركة الاستقلالية المغربية بمصر لدى الجامعة العربية فقدم أمينها طلبا الى وزارة الخارجية الافرنسية بارجاع الامير الى مراکش، وعلى كل فان اطلاق سراحه كان احدي مهام الحركة الوطنية المغربية، وكان الاهتمام بذلك وصل الى حد اعتباره من المطالب الاساسية الوطنية، لانه يرمز الى مطلب استقلال المغرب، نظرا الى أنه أول من أشعل القذيفة الوطنية باقداحه لزندها، حتى سارت رويدا رويدا الى أن وصلت الى ما وصلت اليه، فلذا يعتبر الوفاء له وفاء للعقيدة الوطنية .

وعن هذا المسلك عبر الكاتب الباحثة الاستاذ محمد العلمي اذ قال (1) «فقد كتب محمد بن عبد الكريم، صفحة مجيدة في تاريخ المغرب، يحق لكل مغربي وعربي ومسلم والانسان في العالم الثالث أن

(1) كتاب «زعيم الريف محمد بن عبد الكريم الخطابي ص. 28 وقد كتب هذا المؤلف في كتابه هذا فصولا ممتعة ودقيقة عن مرحلتين النفى والخلاص طرقها بهمة الكاتب المؤرخ ، استوفى فيها مناب تلك المراحل سواء التي لخصها من كتاب الحركة الاستقلالية في المغرب العربي، أو التي حرص على تدوينها اثباتا للحقائق التاريخية.

يفتخر بها، ولأنه من دواعي السرور أن يجد المرء في كل عواصم العالم، في خزائنها العامة، في بكين، وفي طوكيو، وفي باريس، وفي موسكو، وفي واشنطن، وفي دلهي الجديدة، وفي لندن، وفي مدريد، وفي القاهرة، مستندا تروى قصة البطل المغربي الخالد، ودوره كرجل العمل الذي لا يعتبر السلطة استعلاء، ولكنها تتفاعل مع الشعب، لهذا فإن الشعب المغربي يعتبره من أبطاله الذين ضحوا في سبيل تحريره وازدهاره» .

مناضل على مستوى المغرب العربي :

طوال مدة النفي التزم الأمير أن لا يلجأ الى الفرار والتأمر ضد فرنسا، وذلك ما أجاب عما نشرته جريدة «باري سوار» الافرنسية سنة 1933 من أن عبد الكريم يحاول الفرار من منفاه، فكتب الى وزارة الخارجية الافرنسية رسالة تكذيب جاء فيها، «لا أفكر في الفرار ولا في التأمر ضد فرنسا واسبانيا، فأريد أن يعرف الجميع اني أعطيت وعدا سنة 1926 وسأحترمه طوال حياتي (1) .

وقد دلت القصة التالية التي جرت له سنة 1942 أي في الحرب العالمية الثانية، لما حاول هيتلر ان يختطفه، فأبى عليه ذلك، والقصة كالتالي (2) أرسل هيتلر غواصة الى منفاه يقودها ضابط الماني، وتمكن هذا الضابط من التسلل الى قصر اقامته، فلما اقترب من باب القصر رآه ولده السيد ادريس الخطابي، فاشعر والده فدلغا معا الى باب القصر لاستعلام من القادم، فلما استفسراه اباح لهما بلغة فرنسية مفككة قائلاً أنه مبعوث الفوهرر لانقاذه وارجاعه الى مراكش، وهنا أجابه الأمير، بأنه لن يعود بمساعدته .

ولم يكن ابن عبد الكريم في ابائه هذا ناتجا عن عدم الرغبة بالعودة الى وطنه، بل أن رغبته كانت ملحة، ولا سيما بعد احداث الحرب العالمية الثانية التي غيرت من الخريطة السياسية للعالم وبالاخص العالم

(1) نقلا عن كتاب زعيم الريف للاستاذ العلمي ص 59 .

(2) نقلا عن كتاب أمير الريف لروبت فورنو ص 336 .

العربي من جهة، ولأن أبناء الاسرة ترعرعوا وشبوا عن الطوق، يريد تنشئتهم نشأة قومية يغرفون من منابع التعاليم الاسلامية في المعاهد العربية، فضلا عن أن البنات بلغن سن الزواج أو كدن، ولا سبيل لزواجهن الا في الوطن العربي، الذي هو وطنهن الكبير، من جهة ثانية، ولذا تراه في هذا الظرف بالذات أكثر من اللاحاح على فرنسا حسب رواية «ليون غابريلى» في رسالات متعددة في سنة 1932 الى الحكومة الافرنسية وفي 14 نونيو 1934 الى رئيس الحكومة الافرنسية وفي 6 نوفمبر 1938 الى حاكم الجزيرة، وقد جاء في هذه الاخيرة «وقد اقبل أنا فيما يخصنى هذا المصير، ولكن منذ اثنتى عشرة سنة كبر أولادى فأصبح سنهم ست عشرة وثمان عشرة سنة، ان جزيرة لاريونيون لا مستقبل فيها لهذا الشباب، فيجب قريبا البحث عن عمل للأولاد، كما يجب الاهتمام بزواج البنات».

ولكن فرنسا كانت في صمم، الا عندما احتدم خلافها مع المغرب، فظنت ان السجين هو الورقة الراححة في يدها، للتهديد به في القضية المغربية الكبرى، وهذا هو المفهوم الصحيح لنقله من المنفى الى فرنسا، حسبما جاء في كتاب الحركات الاستقلالية للاستاذ علال الفاسى، غير أن ظنها خاب، ذلك لان طبيعة المجاهد الذى كرس حياته للدفاع عن المغرب وعرشه، مخلفا بذلك امجادا وطنية، لم يكن من السهل أن يرغمه هذا المنفى السحيق الطويل، لكى يغير من تلك الطبيعة العصامية التى فطره عليها فاطر السماوات والارض.

واذا أرادت فرنسا ارادة غير اخلاقية، فان القدرة الالهية أرادت غير ذلك، وهكذا لما عزمت أمرها ونقلت السجين مع الاسرة التى تضم 42 نفرا من منفاه على باخرة «كاتومبيا» اليونانية، ومعهم الجثة المحنطة التى توفيت سنة 1931 وهى جثة والدة الزعيم، التى رفض الحكام الافرنسيون نقلها في حين وفاتها لدفنها في مسقط رأسها، وقد دار فى خلد الافرنسيين أن نقل الجثة الى الريف سيحدث مصاعب هناك، لان الارياف الذين لم يغيب عن أذهانهم قيادة زعيمهم الموفقة سيحرك وجود الجثة مكامن التعاطف والتأثر، قد يؤدى ذلك الى قلق، وهذا صحيح،

لان المجاهدين الذين أصابهم اضطهاد الاسبان بالسياط والسجن والتعذيب ومصادرة الاملاك، وولوج البيوت من طرف الزبانية المسلحين بدعوى البحث عن السلاح المخبأ، وحرمانهم من التجمعات فوق الاثنين، حتى بين الاقارب، ومنعهم من تسمية مولودهم باسم عبد الكريم، واشاعتهم أن ابن عبد الكريم أعدم، ولم يبق له وجود، لا يملكون ضبط أنفسهم عندما يستفيقون على وجود علامة بقاءه حيا يرزق، فلا بد أن يصخبوا ويتظاهروا على الاقل أمام الجثة التي أوحى بذكريات صاعقة، وعلى كل فقد سافرت الباخرة من الجزيرة في شهر ماي 1947 ودارت حول الساحل الافريقي، الى أن وصلت الى عدن .

وهناك طفر على الاحداث الصوت المرعب للمرة الثانية، الذي صمت قرابة 21 سنة اذ تحركت المواصلات الاسلكية ينفث برقيات الى الكنانة، معلنة بالحدث الهام، الذي انفجر معه لهيب الشوق في الدوائر الوطنية العربية، وبالاخص المغربية، التي عرفت بواسطة تلك البرقيات التي أرسلها الوطنيون بعدن الى السيد محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى، والى رئيس جمعية الهداية الاسلامية الشيخ الخضر بن الحسن، ان الزعيم وعائلته سيمر بقناة السويس على باخرة «س. س. كاتومبيا» وفي الحال أطلع صاحب جريدة الشورى الاستاذ علال الفاسي على البرقية، ويقال بأن الاعلام الوطنى من عدن الى القاهرة كان برغبة من ابن عبد الكريم، الذي نزل هناك الى المدينة مع عائلته، وتمتعوا بحرية ما في التفسح هناك، والاتصال بتلك الدوائر .

وقد نبهت تلك البرقيات اعلام الوطنية المغربية، فتحركوا لاهتبال الفرصة، فتكون وفد وطنى لاستقبال الزعيم فى السويس، وابلاغه مشاعر التقدير الوطنى، لعمله البطولى، ولحمد السلامة له ولاخيه وعمه، وقد أدى الوفد مهمته على أحسن ما يرام، وحملهم من جهته رسالة تحية منه الى جلالة فاروق ملك مصر، يحييه فيها بمناسبة وجوده فى المياه المصرية. وقد أحدثت مقابلة الوفد للزعيم الخطابى شوقا كبيرا لدى قادة المغرب العربى الوطنيين بالقاهرة والفوا وفدا هاما يضم الزعماء : الحبيب بورقيبة، وعلال الفاسي، وعبد الخالق الطريس، والاستاذين عبد المجيد

ابن جلون، ومحمد بن عبود، وسافر الراكب الى بورسعيد .
وكان السفر يقتضى السرعة الفائقة قبل فوات الاوان، ومن
الصدف التى اعترضت الوفد، ان الطريق الذى سلكوه بسياراتهم توجد
نقطة محروسة بالجيش لابد من الوقوف عندها، واستظهار المسافرين
لاوراق الهوية .

وهنا قرأت فى احدى الجرائد مقالا طريفا، يدل على فطنة الوفد
وذكائه، جاء فى المقال: أنهم لما استوقفوا وكان أحد الزعماء الثلاث يركب
فى المقعد الخلفى، وتصنع أنه أحد الباشوات المصرية فلما رآه الجندى
قال أحدهم انه حضرة الباشا، فما كان من الجندى الا أن انتصب بالتحية
العسكرية، ومر الراكب بسلام، وبالسرية المطلوبة، واثّر الوصول سعد
الوفد مع جمع من الصحفيين ورجال السلطة المحلية وممثلى الاحزاب
المصرية، وأعيان المدينة .

وقد انتهز الزعيم الخطابى هذه التظاهرة التلقائية، التى دلت
على ما يكنه العرب لنضاله، ففتحى جانباً مع الاستاذ علال الفاسى،
وأبلغه رغبته فى المكوث بمصر، حيث يعيش فى وطنه الكبير، حراً طليقاً.
وهنا اختمرت قصة اللجوء الى مصر، وقد تهيأ ذلك بسهولة،
اذ أن رجال الامن الافرنسيين البالغ عددهم خمسة عشر نفراً، بينهم
ضابطان وطبيب لم يخامرهم شك فى أن ابن عبد الكريم لا يرغب فى
الهروب من الباخرة، خصوصاً وأنه نزل فى عدن بجميع العائلة، ثم
رجع تلقائياً .

وهكذا فعل فى بورسعيد، فقد نزل ونزلت عائلته جميعاً ذكورا
وأناثاً، وأول ما فعله ابن عبد الكريم أنه قصد محافظة الميناء للسلام على
المحافظ، الذى أبلغه بدوره تشكرات ملك مصر على رسالته الرقيقة .
وهنا أبدى من جديد رغبته فى المكوث بمصر، محتمياً بملكها،
ووعده المحافظ بابلاغ رغبته الى جلالته .

ثم ان السجناء جميعاً، رجعوا الى الباخرة، وباتوا فيها وفى
غده نزلوا للمرة الثانية، ولم يتركوا فى الباخرة، الا الجثة المحنطة
والاثاث الذى يزن سبعة أطنان، فأبلغ المحافظ الامير ترحاب الملك به

وبأسرته في وطنهم العربي، فلم يعودوا الى الباخرة من تلك الساعة .
وهكذا يكون وقع في الاسر يوم 26 ماي 1926 بمعقل الكفاح
بترجيست، وغادره على الساعة العاشرة صباحا من 2 يونيو 1947،
وهي مدة عشرين سنة وأيام .

الاستعمار يضرب اخماسا في أسداس :

وبطبيعة الاستعمار، فان دوائر كل من فرنسا واسبانيا أقامت
ضجة صاخبة، سواء بواسطة الجهاز الرسمي أو الجهاز الاعلامي، فقد
جاء عن المتحدث بلسان وزارة الخارجية -الفرنسية أن نزول محمد
عبد الكريم ببور سعيد أحدث اندهاشا عظيما في الاوساط الحكومية
الفرنسية .

وقال مرة أخرى «ان محمد عبد الكريم استسلم لفرنسا سنة
1926، والتزم بالبقاء تحت الحكم الافرنسي وكان سلوكه دائما حسنا،
وقد قبلنا كلامه دائما بشرفه المؤكد، والعمل الذي قام به اليوم بعد
سلوكه النبيل، منذ التزم لفرنسا، أحدث في نفوسنا دهشة عظيمة» .

ولما سئل المتحدث بلسان وزارة الخارجية، فيما يكون منتظرا
ان يحرك ذلك رد الفعل الرسمي لدى الحكومة الاسبانية، أجاب بأنه
من المؤكد أن تبعث الحكومة الاسبانية احتجاجا لمصر، فتطلب من
الحكومة الافرنسية توضيحات عن نزول زعيم الريف في بور سعيد» .

وقامت ضجة في البرلمان الافرنسي، وطالب من الحكومة الافرنسية
ايضاحات الامر الذي أدى بالحكومة الافرنسية استدعاء سفيرها في مصر
ماكسم جزيرة لاريونيون، واجتمع مجلس وزرائها لبحث القضية واستمع
وزراء لبيان وزير الخارجية، الذي أعلن أن نزوله كان باغراء من
الحكومة المصرية تأمرت على تهريب محمد عبد الكريم .

ورد عليه السفير بأن بلاده لم تقم الا بالسماح للاجئ سياسي
التجأ اليها .

واستمرت الصحف الافرنسية عدة أسابيع تنشر تعليقات ضافية
جاء في صحيفة «الفيكارو» ان الرأي العام الافرنسي يشعر جدا بخجل

من الالهانة التي لحقت بفرنسا»، وبالعكس، فإن الصحف البريطانية والأمريكية اشادت ببطل الريف وسمعته في المشرق والمغرب .

وردت عليها الصحف الافرنسية قائلة «ان بلادا قبلت مثل تضحياتها في سبيل النصر المشترك، (يعنى في الحرب العظمى) وكانت اذا أصيبت بجرح وضعف ان تستحق معاملة أحسن من طرف الامة الكبيرة (يعنى بريطانيا) التي كانت فرنسا دائما صديقة لها، عظيمة الاخلاص والتجرد» .

وقد تساءلت صحف الاقطار الاسلامية في الصين والهند وتركيا، عن تخوف فرنسا، هل مرجعه الى ان عمله (ابن عبد الكريم) هو جزء من برنامج، نظمه زعماء المغرب الموجودون في مصر، الذي لا شك أن هذا الغرض هو منشأ سائر التخوفات الافرنسية، وقالت «ولكن ان موقف فرنسا ضعيف جدا من الوجهة القانونية، لانه لا يوجد قانون فرنسي يلزم الزعيم الريفى، أن يقيم بفرنسا بعدما تقرر تحريره»، وفي الاخير لما رأت فرنسا أن موقفها ضعيف، صرح وزير الخارجية في البرلمان «بان عبد الكريم يعتبر خائنا لوعده الذي تلزمه التقاليد والاوامر الاسلامية باحترامه» .

ومن البديهي، فان هذا التصريح، يبدو غريباً، حيث يطلب من الرجل أن يبقى في الاسر مدى الحياة عن اختيار ورضى، في حين أنه وجد خلاصاً من أسره بدون صعوبة .

ولذا جاء في كتاب الحركات الاستقلالية (1) «ان الولاة الاستعماريين الافرنسيين، هم الذين لم يفوا للبطل المغربى، فانه لم يستسلم الا بعد مفاوضات بينه وبين ممثلى فرانسى العسكريين والمدنيين، انتهت بأن أعطته الامان التام على نفسه وأهله، وفرنسا لم تكن تدعى غير تنفيذ رغبة سلطان المغرب» «واذا فقد كان واجبا عليها أن تحترم العرف المغربى والتقليد العسكرى، في البلاد فيما يخص الامان وذلك يقضى بعدم اعتقالها للمؤمن بحال، بل باطلاق سراحه وتركه حراً بمجرد القائه السلاح» .

(1) الحركات الاستقلالية ص. 347 .

استئناف النضال

وعلى كل فقد أصبح الآن حرا طليقا، وحصل ما كانت فرنسا واسبانيا تتخوفان منه، من عودته الى النضال، واذا كان في ثورة الريف بالامس لم يحتف به قادة نضال المغرب العربي، فانه الآن التقى حوله خلاصة الزعماء، ممن ذاقوا مرارة النفي على يد المستعمرين (الاستاذ علال الفاسي الى الغابون وبورقوية غادر تونس مختفيا الى القاهرة وكذلك الاستاذ الطريس)، وكان من المهام الاولى التي اجمع عليها أولئك القادة، تنظيم لجنة تحرير المغرب العربي التي كانت قائمة الذات، بصفة «مكتب المغرب العربي» لتوحيد الخط وتنسيق عمل الكفاح المشترك، شارك فيه جميع الحركات الوطنية بالمغرب العربي والتي كانت محتاجة الى مناضل ثوري عملي، ولم يكن هناك، من يعطى شرايينها دما سخونا، يؤهلها لحركة دائبة جدية ذات مردود قوى، يقتنع الجميع بأن القوس أعطى باريها مثل ابن عبد الكريم، الذي يرن اسمه في أذن الاستعمار كالصاعقة المحرقة، فقد جاء الآن بطل حرب الريف، ليعيد الجهاد على رأس «لجنة المغرب العربي» منذ نزوله بأرض الكنانة (1).

وهكذا تقرر باجماع أن تلح عليه لكي يستأنف نشاطه المعهود فيه، واذا كان من طبيعته تلك المفطور عليها لا يسعه الا أن يتلمس استجابة القدر .

وفعلا تألف مكتب لجنة تحرير المغرب العربي على الشكل التالي:

الرئيس مدى الحياة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي .
وكيل الرئيس مدى الحياة : السيد امحمد بن عبد الكريم
بلاي (أخوه) .

الامين العام : الزعيم الحبيب بورقوية من حزب الدستور التونسي
أمين الصندوق محمد بن عبود من حزب الاصلاح الوطني المغربي
وقد بادر المكتب واصدر بيانا بتوقيع الرئيس الى سائر الاحزاب

بأقطار المغرب العربى لاخبارهم بتأسيس اللجنة ويطلب مصادقتهم الرسمية وتعيين ممثليهم لدى اللجنة .
ثم أصدر ميثاقا بتاريخ دجنبر 1947، جاء دضمونه كالتالى :

- 1 - المغرب العربى مسلم، ويبقى مسلما .
- 2 - المغرب العربى جزء لا يتجزء من الامة العربية .
- 3 - المطلوب استقلال أقطار المغرب العربى الثلاثة .
- 4 - لا مفاوضة مع المستعمر الا على الاستقلال .
- 5 - للأحزاب السياسية الاعضاء فى لجنة تحرير المغرب العربى أن تتفاوض مع فرانسسا واسبانيا شرط احاطة لجنة المغرب العربى بمراحل المفاوضة .
- 6 - يبقى الكفاح مستمرا الا اذا حصل استقلال جميع الاقطار الثلاثة .

وبعد تأليف اللجنة، وفى 3 يناير 1948 أصدر رئيس مكتب اللجنة بيانا وزع على الصحافة العربية والاجنبية، يعلن فيه أهداف ومبادئ لجنة تحرير المغرب العربى، دعى فيه جميع الوطنيين الى التعاضد والتكاتف والاتحاد لاسترجاع الاستقلال الذى ضاع من أيدي الاقطار الثلاثة، كما عبر فيه عن ارتياحه لما وجدته فى القادة الموجودين فى القاهرة من الاهتمام بهذه المبادئ والاعتناع بأن قضيتهم مجموعة قضية واحدة. كما توجه الى شعوب الدول التى ناصرت قضايا الاقطار الثلاثة بالتحية والشكر .

وقد كان اخلاص ابن عبد الكريم للأهداف التى وردت فى الميثاق قويا، شأنه فى ذلك شأن اخلاصه لعمله الثورى ضد الاستعمار فى المغرب الأقصى، وكانت تحذوه عقيدة صادقة بأن القادة المغاربة فى أقطارهم الثلاثة، سيخلصون أقطارهم من الاستعباد، خلاصا تاما، ضمن الميثاق الذى ارتضوه كقاعدة لعملهم بعدما طرح أمام الأحزاب السياسية للأقطار الثلاثة للمصادقة عليه، فصادق عليه (1) الحزب الحر الدستورى (2) حزب الشعب الجزائرى (3) حزب الوحدة المغربية (4) حزب الاصلاح الوطنى، (5) حزب الشورى والاستقلال (6) حزب الاستقلال .

وبما أن الأمين العام وأمين الصندوق مدة انتدابهما كانت لمدة ثلاثة أشهر، فإنه بتاريخ 10 ماي 1948 عقدت الجمعية العامة وقررت اجراء الانتخابات للعضوين فاستقرت النتيجة على انتخاب الاستاذ علال الفاسي أمينا عاما والدكتور الحبيب ثامر أمين الصندوق .

وفي نطاق مبادئ الميثاق سارت الامور لعدة سنوات على نهجه، وكان البند الخامس الخاص بالميثاق المتعلق بمفاوضة الاحزاب الاعضاء في لجنة تحرير المغرب العربي الافرنسيين والاسبان، يعطى المشروعية لتلك الاحزاب باجراء المفاوضات مع فرنسا واسبانيا .

ولكن في نطاق هذا الميثاق أيضا كانت تظهر له الرؤيا غير واضحة، عندما قبل التونسيون فتح المفاوضات مع فرنسا على أساس الاستقلال الداخلي وهو دون ما نص عليه الميثاق الوطني المشار اليه، وكذلك بالنسبة لمفاوضة المغاربة في «ايكس لبيان» التي اسفرت عن استقلال جزء فقط من الوطن، وبقيت أجزاء مثل سبتة ومليلية، وما بينهما من الصحور، وافنى والصحراء كما عاب على الجزائريين الذين قبلوا مفاوضة «ايفان» مع فرنسا، والحال أن الاستقلال كان ينزع بقوة السلاح، وليس بالمفاوضة التي تعثرت مرارا .

وقد بدا مرة أخرى أن الرجل كان ثوريا بالمعنى الحقيقي، وذلك ما دعاه لان لا يقبل العودة الى وطنه ما دام جندي أجنبي واحد في المغرب العربي .

وهذا ما ينفي عنه ما حاول الاستعمار الصاقيه به ابان حرب الريف من أنه لم يكن ثائرا بالمعنى الوطني، وانما كان راغبا في الاستيلاء على الحكم، ورغم أنه يصرح دائما أن نضاله مستوحى من عقيدة اعادة مجد الاسلام الذي هو عدم طأطأة الرأس أمام المعتدين، الا أنه حمل عبى تلك الاباطيل التي ينفثها الاستعمار في حروبه النفسية، كما تحمل عبى الحرب المسلحة .

وبهذه الروح الوطنية، كان يدلى بالتصريحات أثناء الحرب، وفي مضممار ذلك نقل عنه المراقب المدني ورئيس المخابرات بتاوريرت غرابيللي، الذي سبق الكلام عنه مرارا «أن ابن عبد الكريم قال له «ان المسألة التي تهمنا هي الاستقلال التام، بدون تحفظ، للشعب

الريفي، الذي هو على استعداد تام لتحقيق هذا الغرض، وأنا شخصيا ليس لي أى طموح قط، فلا أطمع فى السلطانية، ولا فى الحكم المطلق، وإذا كنت أشكل عرقلة فانى مستعد للانسحاب، لاترك مكانى لغيرى، نريد أن نعيش أحرارا مستقلين لا يحكمنا الا الله تعالى» .

أما عندما أصبح حرا طليقا، وكان من حقه الادلاء بالتصريحات وبالاخص بعد تأليف لجنة تحرير المغرب العربى، فانه لم تمر أية مناسبة، دون أن يقوم بعمل يبدد تلك الشائعات المزيفة .

فعندما اشتهد الخلاف بين فرنسا وبين جلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه وقبل نفيه طرق ابن عبد الكريم المراجع التى يمكن أن تؤثر على فرانس بارجاعها عن غيها، وهكذا تدخل لدى رئيس الولايات المتحدة «ترومان» لآفات نظره الى ما تستهدف فرانس من وراء ما تقوم به ضد جلالته، وطالبه بالتدخل لحماية جلالته .

وكما استتجد بالجامعة العربية التى نهضت دولها للتعبير عن تضامنها، لانجاد الملك والدفاع عن قضيته التى هى قضية العرب .

وعندما أقدمت الحكومة الافرنسية فى غشت 1953 على نفي الملك وعائلته الى مدغشقر، قام ابن عبد الكريم بمساع مكثفة لدى الحكومات العربية والاسلامية والغربية، لفائدة العرش المغربى وملكه، الذى ضحى فى سبيل شعبه تضحية فريدة من نوعها، واسمى ما يمكن أن يكون فى طوق البشر، عندما رغب عن الملك لصالح شعبه، وهو أى الملك أعز ما يتنافس فيه المتنافسون .

وكان السبب فى اشعال المقاومة المغربية، التى ساهم فيها ابن عبد الكريم بدور فعال، لان اليد الاثيمة مست رمز الامة، والمقدسات الوطنية .

مكافأة محمد الخامس للبطل المغربى

وكان اهتمام محمد الخامس بالزعيم الخطابى يتناسب واهتمامه بقضايا المغرب عامة، التى ضحى من أجلها بعرشه، فأول ما استرجع عرشه ورجع الى وطنه، ليقود السفينة الى شاطئ العظمة، استفسر

عن أحواله، وأوفد مبعوثين للاطلاع عن تلك الأحوال، ولدعوته للرجوع إلى المغرب، حتى يحتضنه وطنه الذي هو مسقط رأسه، ويستفيد من تجاربه البطولية، ومكافأته على قدر عظيم أعماله الوطنية .

وعندما أجاب بأنه لم يحن الوقت بعد للرجوع إلى المغرب مادام هناك احتلال أجنبي لبعض الأطراف المغربية، خصص له جلالة الملك مرتبا يتناسب وحالته المعيشية كرجل دولة اسدى إليها خيرا من طاقته بل كان محمد الخامس رضى الله عنه يشملها بالهدايا التقليدية من قصره العامر أيام الاعياد معتبرا إياه أنه من أخص رجال القصر .

ومع عدم رجوعه بنفسه إلى المغرب، فإنه يعتبر بالنسبة لأولاده وأولاد أخيه وعمه راجعا، إذ أنه أمرهم بمشاركتهم في الحياة المغربية العامة، ويتكيفون مع حاجياتها، فكان منهم من التحق بالقوات المسلحة الملكية برتب الضباط السامين، ومنهم من امتحن الطب بمهارة فائقة، ومنهم من التحق بالسلك الدبلوماسي .

أما القاهرة ، فقد أصبحت محجا لحكومة صاحب الجلالة من رأس الحكومة الاستاذ الحاج احمد بلافريج إلى الرئيس الاستاذ عبد الله ابراهيم، بل هذا الأخير اهتم اهتماما متزايدا بشؤون البطل الخاصة، فتنبع أحواله تتبعا متيقظا، لاجل انهاء الحالة المعقدة التي كان الاستعمار فرضها على أملاكه .

وكما كانت محجا أيضا لقادة الحركة الوطنية ورجال الفكر، فلم يشذ أحد منهم دون أن يكون من برامج حياته الوطنية والفكرية أن يرحل ضاربا إليه أكباد الابل كما يقال للسماع منه مباشرة عن تجاربه الطويلة العريضة، وعن حياته الكفاحية ضد غزاة المغرب .

وعند ما زار جلالة محمد الخامس رحمه الله الاقطار العربية خصص له وقتا ثمينا لمقابلته، فلما استفسره عن صحته وأحواله أبدى له اعترافه واعتراف المغرب أجمع، بأعماله البطولية، التي اقام بها بوحى من تحرير بلاده من السيطرة الاستعمارية .

ثم زاره في نفس الفترة الامير مولاي عبد الله، الذي أبدى نحوه عظما كبيرا، وحنانا بطوليا، ولما مات محمد الخامس قدس الله روحه سنة 1961، جزع الزعيم الخطابي جزعا لا مثيل له، حسبما روى عنه

شهود عيان، وبادر الى ارسال برقية التعزية الى خلفه ووارث سره
جلالة الحسن الثانى، الذى غمره بعطفه أيضا .

ولا يفوت هنا أن أشير الى التقدير الذى وجده عند البلاط
المصرى، ثم عند الجمهورية المصرية بعد ذلك، فقد كان الاعتناء به كبيرا
اذ خصص الملك فاروق ميزانية لنفقاته قيل أنها 600 جنيه استرلينى
شهريا، كما خصص له قصرا للاقامة .

وفى هذا الميدان جاء فى كتاب الحركة الاستقلالية (1) «وليس من
الممكن أن نعبر عن الاثر الحميد الذى أحدثه صنيع الفاروق فى نفوس
المغاربة عموما (أى مغاربة المغرب العربى) والمراكشيين خصوصا، وقد
سر جلاله سلطان المغرب لهذه الماثرة المصرية العظيمة، واعتبرها من أطيب
الايادى التى أسدتها الاسرة الملكية المصرية للعرش المغربى وعاهله
العظيم» .

وهو دليل ناصع على تقدير الملك محمد الخامس لجهاده، ودليل
على كذب الشائعات الاستعمارية ابان المعارك، وزاد كتاب الحركات
الاستقلالية قائلًا. «ولم يكن الاثر فى نفوس المسلمين بالهند والصين
ومهاجرى أمريكا، وافريقيا السوداء واستراليا بأقل من الاثر فى نفوسنا
نحن، ولقد وصلت برقيات التهانى والشكر من جميع أنحاء المعمور،
وكلها تضامن مع المغاربة فى جهادهم واستبشار باطلاق سراح البطل
الريفى، وثناء على همة ملك وادى النيل وشعبه النبيل» .

ولما غاب فاروق عن المسرح المصرى أسدى من بعده رئيس
الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر القائد العظيم اهتماما كبيرا بالبطل
المغربى، واستمر العمل بما كان مخصصا له من المزايا المادية والاحترام
اللائق به .

لجنة المخابرات تلاحق غابرايلى

بعد رحلتنا الطويلة، مع نضال ابن عبد الكريم، يجدر بنا هنا
أن نتفكه بقصة «ليون غابرايلى» رئيس المخابرات الجهوية بتوريرت

(1) كتاب الحركات الاستقلالية ص. 344 للاستاذ علال الفاسى .

ضد الثورة، والذي رحل الى الريف في ذلك الابان مرتين، اجتمع خلالهما مع زعيم الريف، وذلك لاجل الاستطلاع وتقديم التقارير الى المرشال «اليوطى» .

ولذا عد في فرانس من معارف ابن عبد الكريم (وليس صديقا لان تقاريره كانت سموما ضده، حسبما سبقت الاشارة الى ذلك في عرض الاحداث) .

وبصفة هذه المعرفة، فقد لاحقته لعنة مهنته الاصلية، بعد عشرين سنة من انتهائها بالنسبة للتجسس على الريف .

ذلك أن القصة هذه المرة تتمثل كما يأتى: قد بقى غابرييلى موظفا في المغرب الى أيام رحيل ابن عبد الكريم من منفاه، فوقع الاختيار عليه لتدبير شؤون نزول ابن عبد الكريم وعائلته، واقامتهم في فرانس وربما لمراقبته أيضا .

ويبدو أن هذا الاختيار أهله اليه ما خبره عن الريف، وخبرته في ميدان المخابرات، ولذا اختير ليهيء لضييف فرنسا الكبير الذى هو سجينها في نفس الوقت، محل اقامته، في مكان بعيد عن الحدود الاسبانية، لان هذه احتجت على فرنسا لنقله من منفاه، وبالتالي لا يجوز أن يكون قريبا من حدودها لان خصمها اللدود لا زال حيا يرزق بل اذا اقترب من بلدها فان ذلك يشوش عليها، ويوحى لها بذكرىات المأسى التى كبدها لها. وهنا غادر «ليون غابرييلى» المغرب، بمرافقة مراقب مدنى يكون دوره التكليف بالشؤون الادارية للزعيم الخطابى، بمعنى أن يكون مراقبا مدنيا اداريا في داخل بلد فرنسا نفسها حسبما يبدو .

وقد زود غابرييلى بتعليمات من وزارة الخارجية في شأن حياة ابن عبد الكريم وعلاقته بالناس، هذه التعليمات التى تقتضى أن يعيش حرا مثل عيشة باى تونس السابق في فرانس نفسها، ومعنى الحرية هنا هى أن لا يكون مسجوناً بين الجدران، وان له أن يتقابل مع الزائرين، وان يتكلم بحرية وليس معناها أن يتصرف في انفسه كيف شاء، أى فهو سجين غير مقيد الحرية .

ورغم ذلك فان صديقه؟ هذا خذر دولته من اعطائه هذه الحرية المقيدة، وقال انه ينبغى الاحتراس منه، ألا أنه استقل ثلاثمائة ألف

فرنك المخصصة لنفقة العائلة قائلاً أن فرنسا يبدو أنها تريد اكرامه ومع ذلك فإن هذا القدر من الميزانية لا يترجم هذه النوايا نحوه .

وعلى كل فإن غابرييلى توجه الى الشاطئ الأزرق البعيد عن اسبانيا قدر الامكان للبحث عن البيت الملائم، الذى ينزل فيه، وقد عثر عليه فى «فيل نوفلوبى» قرب منزل المرشال بيتان بكيلومترين فقط، وكان قريباً الى كليات الدراسة، لتسهيل متابعة الدراسة للاولاد .

وفعلاً وقع عقد الكراء على قصر بمبلغ خمسمائة الف فرنك، حيث أثته بمليونى فرنك مع ما يكفى من الاغذية لمدة شهر .

وكان ينتظر بفارغ الصبر أن يستقبل الزعيم الذى عرفه فى أيام عزته لأحياء ذكريات تلك الزيارات .

الا انه ما لبث أن انزعج انزعاجاً، حينما سمع بان الوافدين غيروا اتجاههم الى قطر آخر، وانهم لا يصلون الى فرنسا أبدا . وقد كان مبعث انزعاجه كما يظهر :

أولاً : كان يأمل من وراء هذه المهمة أن يدرك قلب لورانس المغرب بمصاحبتة لزعيم عربى أسوة بلورنس العرب الانجليزى فى الحرب العظمى الاولى .

ثانياً : كيف يتخلص من عقد كراء عقده فى قصر فخم، قد أثته بفاخر الاثاث، وكيف يتخلص من مواد غذائية هى تمثل معيشة قوم مسلمين صالحين .

ثالثاً : كيف يعتذر لهؤلاء الذين ازعجهم بالحاحه لتسوية تلك المشاكل المصنية التى صادفته اثناء البحث عن البيت اللائق وعن الطعام، بصفتهم العمدة للبلدة ورجال السلطة المحلية، وكيف يمكن له أن يتخير صيغة لبقة للاعتذار دون أن تترك اثراً نفسانياً؟ عندما يتلهون به وباعتنائهم المقتاهى من دون طائل .

رابعاً : ثم أن لعنة أخرى لاحقته عندما كلف بملاقة الباخرة «كاتومبيا» الى مرسيليا لتقبل العفش الذى يزن سبعة أطنان، ويحتضن صندوق الجثة المحنطة، التى يجب عليه أن يعثر على مستودع لجثت الاموات، وهو فى بلد غير اسلامى، ليس هناك الا مستودع فى الكنيسة المسيحية. ولما لم يجد ملجأ، فانه عمد الى شراء قبر فى مقبرة المسلمين

أودع فيه الصندوق ريثما ينقل الى مثواه الاخير بالمغرب بعد 18 شهرا
بالبطائرة حيث دفنت الجثة .

الابطال الثلاثة في نمة التاريخ

بتاريخ شهر يوليوز 1953 التحق بالرفيق الاعلى الشهيد السيد
عبد السلام الخطابي عم ابن عبد الكريم عن سن يناهز الثلاثة والسبعين،
قضى مدة نفى العائلة الخطابية في المنفى السحيق وعاد الى الوطن العربي
مع الجميع، وكان ثالث الاثافي في حرب الريف التحريرية، اذ تولى نظارة
المالية في قيادة الثورة، وضبطها ونماها، كما سبقت الاشارة الى ذلك،
ودفن في القاهرة رحمه الله رحمة واسعة .

وهو والد الطبيب الجراحى الماهر الشاب المتوقد ذكاء وحماسا
الدكتور عمر الخطابي الذى يدير عيادته بالقنيطرة بضمير مهنى عال
حفله الله .

وفى سادس فبراير 1963 فى شهر رمضان المعظم استأثر
سبحانه وتعالى بالمجاهد العظيم الشهيد محمد عبد الكريم الخطابي
وهو فى الواحدة والثمانين من العمر، وقد كان قبل ذلك بنحو عشر سنين
سقط مريضا فى عام 1953، وكان يشكو من حصيات فى مرارته، الا أنه
شفى، وكانت موته فجائية، وهو نائم، ودفن فى القاهرة أيضا
وشيع جثمانه الى مقبرة الشهداء بالعباسية، فى حفل وطنى كبير يتقدمه
الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء الحكومة المصرية والسفراء العرب،
وممثلو جميع اقطار الاسلام والهيئات الوطنية وأصحاب الفكر يحتف
بالنعش ممثلو جلالة الملك الحسن الثانى بوفد مغربى رسمى يتكون من
وزير الصحة الدكتور عبد الكريم الخطيب ووزير الاوقاف الحاج احمد
بركاش، وسفير جلالته فى القاهرة السيد احمد بلمليح، كما بعث جلالة
الملك الى السفير عشرة ملايين فرنكا لتسديد نفقات الجنازة وتوزيع
الصدقات .

وقد قيل كثير عن عدم نقل جثته الى المغرب حسب رغبة جلالة
الملك الحسن الثانى، ولكن الواقع كما جاء فى كتاب زعيم الريف للاستاذ
العلمى، ان سبب ذلك راجع الى ان القوانين الدولية، ومن ضمنها الحرية

تقتضى أن نقل الجثة من بلد الى بلد بعد 48 ساعة تحتاج الى تشريحها وتحنيطها، وذلك ما صعب على عائلته أن يروا بطلهم على منصة التشريح تجرى له عملية الجزرة، ففضلوا دفنه في القاهرة وهي موطن لكل عربي مسلم، وقد خلف رحمه الله ذرية صالحة، ذكورا وإناثا، وعلى رأسها عميدها الحالي الاستاذ ادريس بن محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي كان يعتبر أيام حياة والده أمين سره والمتخلق باخلاقه العsamية، وكلهم من هذا النمط حفظهم الله .

وفى يوم 19 دجنبر 1967 توفى البطل الثالث الشهيد امحمد بن عبد الكريم الخطابي بالمغرب بعدما قدم من القاهرة الى الرباط، وقد كانت صحته متداعية لازمة قلبية حادة، وبمجرد ما وصل أمر جلالة الملك الحسن الثاني بعد مقابلته معه، بأن يدخل الى مستشفى ابن سينا ليعالج وبعدما استرد بعض قوته سافر الى مراكش لينتفع بهوائها المنعش، وبعدما رجع الى الرباط، عاودته الهجمة القلبية لم ينفع فيه علاج، فتوفى رحمه الله، ونقلت جثته بأمر من جلالة الملك وطبق وصيته الى مسقط رأسه بأجدير فدفن بمقبرة المجاهدين هناك، وقد أقيمت له جنازة حافلة .

اذ تقاطر سكان الريف الى المقبرة عن بكرة أبيهم، ووجه جلالة الملك وفدا هاما ينوب عنه يتركب من وزير التشريفات الجنرال مولاي عبد الحفيظ العلوي، ومن وزير الداخلية الجنرال أفقيرومن وزير الاوقاف الحاج احمد بركاش وحضرت وفود عن الاحزاب السياسية والهيئات الوطنية .

وله من الاولاد الاستاذ رشيد الذي كان قنصلا عاما بدمشق توفى بعده ودفن بنفس المقبرة والكرونييل محمد الذي أصيب بمرض شفاء الله (1) .

وهنا لابد من ذكر حادثة هامة ينبغي الوقوف عندها لانها كانت سببا في وقوع خلط عند تأبينه في اليوم الاربعين لوفاته، ذلك أنه عندما وضعت الجثة على حافة القبر، طلبت الوفود الوطنية أن تؤبنه بالخطب تقديرا له ولاخيه الكبير، فأذنت عائلته التي كان على

(1) توفى رحمه الله في شهر يونيه 1976 .

رأسها ابنه السيد رشيد الخطابي فتسابق الخطباء، بذكر مزايا كفاح
وكفاح أخيه الأكبر .

ويبدو أن الجنرال أفقر قد ضاق صدره، أو كان يحاول تعكير
الجو لحاجة في نفسه، فبينما كان أحد الخطباء يلقي كلمته، أمر الجنرال
أربعة من الرجال بحمل النعش وإيداعه في القبر، فما كان من ابنه رشيد
ألا أن صاح قائلاً: ابتعدوا عن الجنازة، فإنها ملك لذويها، ولا يحق لأحد
أن يتصرف فيها، فابتعدوا .

ويظهر أن الجنرال أسرها في نفسه إلى اليوم الأربعين لتأبينه،
فبعدما بلغ الأذن إلى رجال السلطة بالاحتقال بتأبينه في
الريف احتقالا يليق بكفاحه، وكلف صاحب الجلالة وفدا ينوب عنه
وجعلت الوفود تتقاطر من كل جهات المغرب مع الصحافة الأجنبية،
أراد أفقر أن ينتقم لما لحقه يوم الجنازة، أو كما قيل فوق ذلك كان
الغرض هو أحداث بلبلة في الريف، بوحى من نواياه السيئة التي
أوردته حتفه .

ولاجل تنفيذ المكيدة، فقد استعمل أساليبه لإرسال برقيات
الاحتجاج إلى الرباط، ضد حضور الأحزاب السياسية في المآتم، تذرعا
بقضية نقل جثة العباس من فاس إلى كزناية التي أعقبتها قلاقل الريف
1959، وهنا أعطى كلمة أخرى لرجال السلطة ليمنعوا إقامة المآتم
على قبره .

وعلى كل فان كل حي ميت، ولا يبقى الا الذكر الجميل،
وذلك ما خلفه هؤلاء المجاهدون الشهداء البررة رحمهم الله رحمة واسعة،
وأسكنهم فسيح جنانه مع الشهداء والصالحين .

تم الكتاب بعون الله

تقدير واكبار

والى هنا فقد انتهيت من كتاب «حرب الريف التحريرية ومراحل النضال» فى جزئيه، ويجدر بى أن لا أتجاوز هذه النهاية السعيدة، التى حققت اخراج الكتاب الى القراء الكرام، مسجلا فيه الاحداث وداعيها، التى كانت هى نفسها الحاشية على تسجيلها، كما يرى القراء من تتبعها .

دون أن أروى للحقيقة والتاريخ، ما ملك على اعجابى وتقديرى من هذا الوطنى الغيور السيد الحاج عبد السلام جسوس، الذى حباه الله بصدق الطوية، وحسن الادراك للقضايا الوطنية فى مظاهرها المختلفة، والمتفانى فى خدمة الثقافة على اختلاف مشاريعها، وبالاخص بوسائل النشر والتوزيع تحت شعار «دار الفكر للنشر والتوزيع» التى يديرها بهمة الشاب المتوثب، والمشرف على مطبعة «دار أمل» بطنجة .

أقول ملك على تقديرى، ذلك لانى لما بدأت أفاوضه فى مشروع طبع الكتاب ونشره، فى أول ملاقاتى معه، بادرنى فى صراحة، بأنه يقبل الطبع اذا كان الكتاب لا يمس كرامة المناضل البطل ابن عبد الكريم الخطابى وجهاده فى سبيل الحق ووطنه، لان نضاله من أمجاد الوطنية المغربية يجب أن تبقى ناصعة نصوع عمله الجبار .

وهنا أدركت انى عثرت على ضالتي المنشودة، وان الكتاب هو فى طريقه الى القراء، وتيقنت أن صدق طوية المجاهد ابن عبد الكريم فى جهاده هو الذى يسر للكتاب أن يجد فى طريق ولادته هذا الشاب الشهم فى هذه العقيدة الثابتة حفظه الله .

جدول الخطأ والصواب الجزء الثانى

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
لتقريض	لتقريض	3	3
المتحسمة	المتحسمة	7	9
الى	الذى	15	15
العسرية	العسكرية	25	2
التمردية	التردية	25	10
موسى	بنى موسى	28	20
الناهضة	الباهضة	33	7
سقطت كلمة	يخاطب	49	11
تكرر سطر	كامل	49	12
ليلة	الليلة	63	12
جوفنا	خوفنا	70	7
سعريرة	شعريرة	80	12
والدين	والذين	81	17
المحربين	المحاربين	91	8
وعميلا	وعمليا	92	20
ردا	رادا	99	9
لاهم	لأنهم	106	22
يتساورا	ليتشاورا	115	23
المراكز	المركز	116	7
ويلد	وليد	116	19
الحلفية	الخلفية	117	11
سقطت كلمة	ان	126	3
النكدر	النكور	139	16
بداو	بدار	151	9
شراؤه	شراءه	179	1
المذكور	المذكورة	185	17
لاء	و لاء	211	16
قيمة	قيمته	214	4
الرئيس	الرئيس	218	11
ما	ما	248	15
جوريف	جوزيف	248	بالهامش
برينجى	برينجى	254	7
الثلاث	الثلاثة	256	14
يمكن	يكن	267	6
ولوضعية	وللوضعية	267	11

الخطا	الصواب	الصفحة	السطر
اختفت	احتفلت	270	1
ثكرو	تتكون	276	17
يموت	كلمة زائدة	278	4
تفريست	تقرسيت	280	6
صفتها	صيفتها	282	16
تأخير سطر 14	وتقديم سطر 7	286	
بزنطان	بزيطان	288	بالهامش
الغرض	العرض	296	17
امحمد	احمو	302	14
مفعولا	مغولا	327	23
المفعول	المغول	327	23
حزاعة	خزاعة	328	27
من الدرقاوى	من أن	346	10
البوبصرى	البونصرى	349	16
المنطقة	المنطقة	354	8
زاويته	زاويته	379	9
وجثن	وجثنين	384	14
اذ	اذا	385	11
تشد	تشذ	385	14
بيدقية	بندقية	388	11
من	مع	388	11
احد	احدى	389	19
الجناثى	الجزنائى	481	18
اثباتا	اثباتا	484	بالهامش
قلب	لقب	499	14